THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

مثالنا قلم رصاص ، والقاعدة مثلثة ، والقطاع دائري

جميع الحقوق من نشر واقتباس ونقل محفوظة للناشر

كليلة ودمنة

تأليف
الفيلسوف الهندي (بيدبا)

تعريب
عبد الله بن المقفع

اعتنى بضبطه وتفسير مشكله وشرح غوامضه واخراج طباعته
والتقديم له :
محمد خير الدرع

نشر وتوزيع
المكتبة الأموية
بدمشق

893.4B47
01813

تنبه ممثلي

تأليف
(البير) ايمه المفوسليفا

بتشخة
وفقا لان بمتالنبه

M1691 س

يتدلي وزارة المعارف بمكتبة الشخيشة بالمغرب رقم
: ما يستقناه
الناية

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد : ما أظن ان هذا الكتاب الذي نقدمه لناطقي الضاد بحاجة الى من يعرف به أو يدعو له ، فهو أشهر من التعريف ، وأقوى من الدعاية . ويكفيه خلوداً أن يظل منذ مطلع العصر العباسي حتى زماننا هذا في مقدمة الروائع العالمية التي ترجمت إلى اللغة العربية ثم نقل عنها الى بقية لغات العالم كاليونانية واللاتينية والعبرية والسريانية والطليانية والتركية والأسبانية والروسية والانجليزية والدانماركية والهولندية والألمانية والفرنسية وغيرهـــا ، مما يدلّ على علو شأنه وغزارة فائدته واتساع شهرته .

وما أظن أيضاً بأن هناك كتاباً يضارعه في تنوع المعرفة وعمق التجربة وامتداد الخبرة ، فهو سفر فريد في طرازه لأنه مزيج من الحكمة والعلم والسياسة والتربية والأخلاق والفلسفة . وهو فوق ذلك كله كنز من كنوز الأدب العربي اجتمع فيه نبل الفكرة مع جمال الأسلوب وبساطة التعبير وإيحاء الألفاظ وامتاع القصة مما جعله وثيقة خلود لمترجمه الأديب العبقري عبد الله بن المقفع .

فهو كتـاب لاتبلى جدته مهما طال الزمن ، ولا تقل قيمته مهما رخصت القيم ، لأن مافيه من آراء ناضجة ، ومواعظ ، وتجارب حكيمة تجد صداها في نفس كل مخلوق بشري مهما تغيرت به الأرض أو اختلفت الأزمنة . وهذا ما حدا بنا الى مراجعته مع من راجعه قبلنا لنحكي قصته ، ولنشرح ماخفي من مواقفه ،

ونفسر ماغمض من الفاظه ، ونعدل بعض الشيء في تبويبه ، حتى تتيسر مفاهيمه لكل قارىء ، وتعم فائدته كل طالب . ولقد بذلنا أقصى جهودنا لتتفوق طبعته الجديدة هذه على ماسبقها من الطبعات المختلفة بجمال الإخراج ، ودقة التصحيح وشمول الإيضاح حتى يصبح جديراً بأن تقتنيه المكتبة العربية في كل بيت ومؤسسة.

واننا لنسأل الله القدير أن نكون قد وفقنا بهذا المجهود النبيل لخدمة مأثرة قيمة من مآثر أمتنا الخالدة ، وابرازها بالثوب القشيب الذي يليق بها . إنه خير مسؤول .

محمد خير الدرع

الكتاب والكاتب

إن لكتاب (كليلة ودمنة) قصة عجيبة شغلت الكثير من المحققين في مختلف العصور ، شأنه في ذلك شأن أي مؤلف ضخم أنتجته قريحة الإنسان القديم ليتركه ميراثاً للأجيال التي بعده فتعيش تجربته وتستمتع بنفائسه . فهو من أقدم أنواع القصص الأدبي في العالم إذ يعود وضعه إلى القرن الأول قبل الميلاد . وواضعه على ما يقول أحد الكتاب الهنود هو هندي برهمي اسمه (وشنوشرما) وقد ألفه باللغة الهندية القديمة (السنسكريتية) بعنوان (بنج تنترا) . يؤيد ذلك أن الباحثين من العلماء المستشرقين بذلوا جهوداً كبيرة للعثور على النسخة السنسكريتية فلم يعثروا عليها ، ولكنهم عثروا على أبواب متفرقة منها في كتب الهند القديمة وأهمها المهابهاراتا والبانشاتانترا والهيتوباديسا . وكان الدافع لتأليفه هو تبصير أبناء أحد الملوك بطرق الحياة ، وإرشادهم إلى جادة الصواب . وقد جاءت أقواله وحكاياته منظومة تقرر الحقائق على ألسنة الحيوانات وتمجد العلم والخلق وتصور المجتمع الهندي في ذلك العصر . ولذا فقد أثر تأثيراً كبيراً في أخلاق الشعب وأصبحت حكايته وحكمه مضرباً للأمثال عند جميع طوائف الهند ، لأنها حكم قائمة على قواعد متينة يدعمها صاحبها بالحجج والبراهين ويقيم عليها الشواهد ويوضح نتائج اتباعها ومخالفتها بطريقة مجسمة مؤثرة . ولذا يقول الشيخ إبراهيم اليازجي وهو يتحدث عن هذا الكتاب القيم : إنه معدود من كنوز الحكمة المشرقية ، بل الحكمة الآدمية التي لم يجتمع منها في الكتب ما اجتمع فيه على صغر حجمه وقلة جرمه .

غير أن الذي عليه الأكثرون أن هذا الكتاب المشهور الآن بكليلة ودمنة – وهما أخوان من بنات آوى جاء ذكرهما في بابين من أبواب الكتاب – هو من وضع الفيلسوف الهندي بيدبا وقد ألفه منذ نيف وعشرين قرناً لملك من ملوك الهند اسمه (دبشليم) تولى حكم البلاد بعد فتح الاسكندر ذي القرنين . ولما طغى في حكمه أراد الفيلسوف إصلاحه ونصحه فألف كتابه هذا وجعل حكمه ومواعظه على ألسنة الحيوانات جرياً على عادة البراهمة في ذلك العصر وتبعاً لاعتقادهم بتناسخ الأرواح .

وقد كان بيدبا إماماً في هذا المضمار لكل من جاء بعده من المؤلفين في هذا الموضوع منذ عصره حتى عصر الشاعر الفرنسي (لافونتين) الذي اشتهرت قصصه الحيوانية في الأدب الفرنسي . ولذا فقد أعجب به الناس منذ ظهوره أيما إعجاب وأخذوا في نقله والزيادة عليه ، فنقل إلى اللغة التيبتية والفارسية (الفهلوية) ومن الأخيرة نقل إلى اللغة العربية التي كانت منطلقاً لنقله إلى سائر اللغات الحية بعد ذلك . ولهذا تعد هذه الترجمة أهم ترجمات هذا الكتاب لأنها صانته من الضياع وسهلت نقله للمترجمين الآخرين ولا سيما بعد أن فقدت النسخة السنسكريتية ، واختفت الترجمة السريانية القديمة ، وانقطعت أخبار الترجمة التيبتية عن العالم المتحضر ، ولم يبق أمام الناس إلا الترجمة العربية .

وقد قام بهذه المهمة عبد الله بن المقفع كاتب أبي جعفر المنصور سنة ٧٥٠ ميلادية. وباعتبار أنه فارسي الأصل فقد كان ضليعاً بالفارسية متمكناً من أساليبها ، كما كان على علم باليونانية وحذق بالعربية مما جعله يبرع في الترجمة ويحلق في البلاغة ، الأمر الذي أثار غيرة من كانوا مثله في الاطلاع على لغة فارس فأقدم بعضهم على نقله مثله ، وانصرف البعض الآخر إلى نظمه شعراً ، وانبرى آخرون إلى معارضته بكتاب آخر على منواله . غير أن هذه الكتب كلها اندثرت ، وغابت ولم يبق إلا هذا الأثر القيم الذي انتشر بين الناس في مختلف بقاع الأرض بعد أن بلغت

أبوابه احدى وعشرين بابا تتعاقب على غير ترتيب ولا منطق، يربطها ببعضها عبارة يوجهها دبشليم الملك إلى بيدبا الفيلسوف مفادها أنه سمع المثل السابق وأنه يطلب مثلاً آخر في موضوع بعينه. وبعض هذه الأبواب هندي الأصل ومجموعها اثنا عشر باباً هي :

١ – باب الأسد والثور
٢ – باب الحمامة المطوقة
٣ – باب البوم والغربان
٤ – باب القرد والغيلم
٥ – باب الناسك وابن عرس
٦ – باب الجرذ والسنور
٧ – باب الملك والطائر فنزة
٨ – باب الأسد وابن آوى
٩ – باب ايلاذ وبلاذ وايراخت
١٠ – باب اللبؤة والإسوار والشغبر
١١ – باب السائح والصائغ
١٢ – باب ابن الملك وأصحابه

وبعض هذه الأبواب فارسي الأصل وهي :

١ – بعثة برزويه إلى بلاد الهند
٢ – برزويه المتطبب : لبزر جمهر بن البختكان

وبعضها الآخر عرف بعد الترجمة العربية وهي :

١ – عرض الكتاب لعبد الله بن المقفع
٢ – مقدمة الكتاب : لبهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي
٣ – باب الفحص عن أمر دمنة

٤ – باب الناسك والضيف

٥ – باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين

وينبغي أن ننوه في هذا المقام بان أول من نشر الترجمة الكاملة هو البارون سلفستردي ساسي المستشرق الفرنسي الكبير اذ طبعها في باريس سنة ١٨١٦ ، ونحن لانريد أن نخوض في الحديث عن باب عرض الكتاب لابن المقفع ، وكيف تحدث فيه عن أهمية الكتاب والأغراض التي من أجلها جعلت حكاياته وأمثلته على ألسنة الحيوانات . ولا نريد الاسترسال في الكلام عن مقدمة بهنود ابن سحوان التي تسرد تاريخ الكتاب وتبين أسباب وضع الفيلسوف بيدبا له باشارة دبشليم ملك الهند . كما لانريد أن نتعرض بشيء لبعثة الطبيب برزويه وكيف وجهه كسرى أنو شروان ملك فارس إلى بلاد الهند لاستنساخ هذا الكتاب ، وما صادفه في مهمته الدقيقة من حوادث ، ولا للمقالة التي كتبها عنه بزرجمهر بن البنختكان وزير أنو شروان كمكافأة على العمل العظيم الذي قام به .

أجل لانريد أن نقوم بذلك ، لأن الترجمة الكاملة التي بين أيدينا ، والتي نحاول أن نخرجها بأحسن حلة قد كفتنا مؤونته . ومن الخير للقارىء أن نتركه يستمتع بالكتاب وبقصته ومقدماته من أقرب طريق . فليس الذي يرى البحر كمن يتصوره في السواقي والأنهار .

* * *

من هو ابن المقفع

إنه عبد الله بن رازويه ، فهو فارسي الأصل بدون ريب . وكان أبوه عاملاً على خراج فارس . ويقال إنه احتجن بعض المال فضربه الحجاج حتى تقفعت يده (تسنجت) . ومن المرجح أن عبد الله ولد في آخر القرن الهجري الأول أو أوائل القرن الثاني . وقد عاش في كنف آل الأهتم بالبصرة كمولى لهم فاستفاد منهم الفصاحة واللسن ، كما أنه أتيح له الاتصال بالأعراب الوافدين من أطراف البادية الى البصرة ومربدها فيأخذ عنهم العربية الصريحة . وهكذا توفر له مزيج من الثقافات العربية والفارسية واليونانية مما ساعده على ترجمة كثير من كتب أرسطو في المنطق والقياس والجدل والمقولات . وقد اشتغل في أواخر عصر الأمويين بالكتابة . فكتب لداود بن عمر بن هبيرة ، ثم اتصل بعيسى بن علي عم المنصور حتى إذا أقبل العصر العباسي ودخل في الاسلام ظهر نشاطه الأدبي في تأليف الرسائل الخلقية التي تتناول تبيان سياسة الحكم وعلاقة الملك بالشعب وعلاقة الناس ببعضهم . وقد امتاز أسلوبه بالبساطة وسهولة اللفظ، والحرص على الإيجاز ، والإقلال من المترادف والبعد عن التكلف ، كما أنه كان أسبق المترجمين الى النقل حتى وصل القمة في كتابه (كليلة ودمنة) الذي نحن بصدده الآن ، والذي امتد تأثيره في نفسه الى كل ما كتبه بعده من رسائل السياسة والأخلاق كرسالة الصحابة والأدب الكبير والأدب الصغير .

وقصة صدق إسلامه مختلف فيها ، فبعض الباحثين يجعلها عن عقيدة وعلم ، وبعضهم يرى أن إسلامه لم يكن في حقيقة أمره خالصاً لله ، واستدلوا على ذلك بقوله لعيسى بن علي وقد أنكر عليه زمزمته المجوسية وهو يأكل مع من حضر ليشهد إسلامه في المساء : إني كرهت أن أبيت على غير دين . كما استدلوا

ايضاً ببيت للشاعر الأحوص قالة متمثلاً به وهو يمر ببيت نار :

يابيت عاتكة الذي أتغزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل

اني لأمنحك الصدود وانني قسماً اليك مع الصدود لأميل

ونحن لانشك مطلقاً بان إسلام ابن المقفع لم يكن كإسلام من برز في زمانه من العلماء والفقهاء والنساك ، وانما كان كإسلام بعض الفلاسفة والأدباء الذين تستبد بهم عقولهم وأهواؤهم فيميلون معها ويديرون ظهورهم لمبادىء الدين ، وأمثال هؤلاء يوجدون في كل عصر .

وفي الوقت الذي اختلف فيه الباحثون في زندقة ابن المقفع جرى اتفاقهم على الاعجاب بقوة شخصيته وحسن أخلاقه حتى لقد قال فيه أحمد أمين : انه من أقوى الشخصيات في عالم الأدب العربي فهو قوي في خلقه ، قوي في عقله وسعة علمه ، قوي في لسانه . ويقول كرد علي : ان ابن المقفع في كل حالاته مجموعة من الكمال المطلق ، اذا انعمت النظر في حياته لا تدري من أي شيء تعجب فيه ، أمن علمه أم من أدبه ، أم من أخلاقه ؟ ويرى أنه طبق على نفسه الأخلاق التي دعا اليها في كتبه فهو في القول والعمل سواء .

ويترتب على اختلاف الباحثين في زندقة ابن المقفع اختلافهم في توجيهه للكتاب كليلة ودمنة ، حتى توصل بعضهم الى أنه لم يكن فيه مترجماً وحسب وانما كان واضعاً أيضاً . وذهب بعضهم الى أن الكلام الذي في أول الكتاب من كلامه وحده .

وقد ثبت لديهم جميعاً أنه لم يكن يتقيد في ترجمته بالنسخة الفهلوية التي كان ينقل عنها ، بل كان يحذف الجملة أو الفقرة بتمامها من النص ، كما أنه كان يضيف الفصل الكامل اذا احتاج وكأنه مؤلف لا مترجم مما حدا بابن خلكان الى القول : ان ابن المقفع هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة .

ومهما يكن من شيء فقد كان ابن المقفع مدفوعاً في ترجمته لكتاب كليلة ودمنة بدافع الميل للإصلاح الاجتماعي ، والنقمة على أشياء كان يستنكرها ممن حوله . ولم يكن له مخلص من بطش الخليفة الذي يرفض النقد ، ويحجر على الحرية السياسية الا باللجوء للرمز ينفس به عما يكبته في صدره من ثورة . وهكذا وجدت خواطره طريقاً لها في الحكاية على السنة الحيوانات مترجمة ومؤلفة في آن واحد ، وفي كتاب واحد .

ومن العجيب أن كل هذه الحيطة والحذر منه لم يستطيعا أن يمسكا عليه حياته ويحفظاه من القتل الذي اختلف ايضاً في سببه . فقال بعض الناس : ان الزندقة هي التي قتلته . وقال بعضهم : إنه العهد الذي كتبه لعبد الله بن علي ، والذي أحرج فيه المنصور إذ ألزمه اذا ما رجع بأن تصبح نساؤه طوالق ، وعبيده أحرار ، الى غير ذلك من التشديد مما أوغر صدر المنصور عليه فأغرى به سفيان بن حبيب بن المهلب والي البصرة ليقتله فقتله . ويرجح آخرون ومنهم الدكتور طه حسين أن الذي قتله في الحقيقة هو (رسالة الصحابة) التي وجهها الى المنصور ، وقد ضمنها بعض آرائه الثورية في الحكم الذي يجب على الخليفة أن يأخذ به . وقيل : بل اغتاله سفيان هذا انتقاماً لنفسه ، لأن ابن المقفع كان كثير الاستخفاف به ، وقد كان سفيان كبير الأنف فكان إذا مادخل عليه عبد الله سلم قائلا : السلام عليكما .. يعني سفيان وأنفه الكبير . ولهذا كان يقول سفيان لصحبه : والله لأقطعنه اربا اربا وعينه تنظر . وقد وفى سفيان بوعيده على ما يقال إذ روي أن عبد الله ذهب الى ديوان الحكومة في البصرة واستأذن سفيان فأدخله في مقصورة فيها تنور ، وقال له : والله لأقتلنك قتلة يسير بذكرها الركبان ، وأخذ يقطع أجزاءه قطعة قطعة ويضعها في النار وهو يراها تحترق حتى مات . وقيل في رواية أخرى : إنه دخل يوماً دار سفيان سليما ثم لم يخرج منها من بعد ..

وهكذا انتهت حياة هذا الكاتب النابغة وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره الا بقليل ، غير أنه ترك – على قصر عمره – من الآثار ماجعله في مصاف الخالدين . وإذا كانت حياة العظماء تقاس بما خلفوا للبشرية من آثار طيبة ، لا بعدد السنين وامتدادها فان عبد الله بن المقفع يعد بدون ريب في طليعة هؤلاء العظماء ..

★ ★ ★

عرض الكتاب

بقلم : عبد الله بن المقفع

هٰذا كِتابُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ : وَهُوَ مِمّا وَضَعَهُ عُلَماءُ الهِنْدِ مِنَ الأَمْثالِ وَالأَحادِيثِ الَّتِي أُلْهِمُوا أَنْ يُدْخِلُوا فيها أَبْلَغَ ما وَجَدُوا مِنَ القَوْلِ في النَّحْوِ[1] الَّذي أَرادُوا . وَلَمْ يَزَلِ العُلَماءُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ يَلْتَمِسُونَ أَنْ يُعْقَلَ عَنْهُمْ ، وَيَحْتالُونَ في ذٰلِكَ بِصُنُوفِ الحِيَلِ ، وَيَبْتَغُونَ إِخْراجَ ما عِنْدَهُمْ مِنَ العِلَلِ[2] ، حَتّى كانَ مِنْ تِلْكَ العِلَلِ وَضْعُ هٰذا الكِتابِ عَلى أَفْواهِ البَهائِمِ وَالطَّيْرِ ، فَاجْتَمَعَ لَهُمْ بِذٰلِكَ خِلالٌ[3] . أَمّا هُمْ[4] فَوَجَدُوا مُنْصَرَفاً في القَوْلِ وَشِعاباً[5] يَأْخُذُونَ مِنْها . وَأَمّا الكِتابُ فَجَمَعَ حِكْمَةً وَلَهْواً ، فَاخْتارَهُ الحُكَماءُ لِحِكْمَتِهِ ، وَالسُّفَهاءُ[6] لِلَهْوِهِ ، وَالمُتَعَلِّمُ مِنَ الأَحْداثِ ناشِطٌ في حِفْظِ ما صارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرْبَطُ في صَدْرِهِ وَلا يَدْري ما هُوَ ، بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ مِنْ ذٰلِكَ بِمَكْتُوبٍ مَرْقُومٍ[7] ، وَكانَ كالرَّجُلِ الَّذي لَمّا اسْتَكْمَلَ الرُّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبَوَيْهِ قَدْ كَنَزا لَهُ كُنُوزاً وَعَقَدا لَهُ عُقُوداً[8] ، اسْتَغْنى بِها عَنِ الكَدْحِ[9] فيما يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعيشَتِهِ فَأَغْناهُ ما أَشْرَفَ[10] عَلَيْهِ مِنَ الحِكْمَةِ عَنِ الحاجَةِ إِلى غَيْرِها مِنْ وُجُوهِ الأَدَبِ .

وَيَنْبَغي لِمَنْ قَرَأَ هٰذا الكِتابَ أَنْ يَعْرِفَ الوُجُوهَ الَّتي وُضِعَتْ لَهُ ،

---

(١) بمعنى القصد . (٢) أي يطلبون الاسباب . (٣) جمع خلة وهي الخصلة . (٤) يعني العلماء . (٥) طرقاً . (٦) جمع سفيه وهو ناقص العقل . (٧) مزيّن . (٨) أي جمعها له ملكاً وعقارات . (٩) الكدح بالفتح : السعي وراء الاعمال . (١٠) : يريد ما اطلع عليه .

وَإلى أيِّ غايَةٍ جَرى مُؤَلِّفُهُ فيهِ عِنْدَما نَسَبَهُ إلى ٱلْبَهائِمِ ، وَأَضافَهُ[1] إلى غَيْرِ مُفْصِحٍ[2] ، وَغَيْرَ ذٰلِكَ مِنَ الْأَوْضاعِ الَّتي جَعَلَها أَمْثالاً . فَإِنَّ قارِئَهُ مَتى لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ لَمْ يَدْرِ ما أُريدَ بِتِلْكَ الْمَعاني ، وَلا أَيَّ ثَمَرَةٍ يَجْتَني مِنْها ، وَلا أَيَّ نَتيجَةٍ تَحْصُلُ لَهُ مِنْ مُقَدِّماتِ ما تَضَمَّنَهُ هٰذا ٱلْكِتابُ. وَإِنَّهُ وَإِنْ كانَ غايَتُهُ اسْتِتْمامَ قِراءَتِهِ إلى آخِرِهِ دُونَ مَعْرِفَةِ ما يَقْرَأُ مِنْهُ ، لَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ[3] . وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ ٱلْعُلُومِ وَقِراءَةِ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ إِعْمالِ الرَّوِيَّةِ[4] فيما يَقْرَؤُهُ كانَ خَليقاً[5] أَلاّ يُصيبَهُ إِلاّ ما أَصابَ الرَّجُلَ الَّذي زَعَمَ ٱلْعُلَماءُ أَنَّهُ اجْتازَ بِبَعْضِ الْمَفاوِزِ[6] ، فَظَهَرَ لَهُ مَوْضِعُ آثارِ كَنْزٍ ، فَجَعَلَ يَحْفُرُ وَيَطْلُبُ ، فَوَقَعَ عَلى شَيْءٍ مِنْ عَيْنٍ وَوَرِقٍ[7] ، فَقالَ في نَفْسِهِ : إِنْ أَنا أَخَذْتُ في نَقْلِ هٰذا الْمالِ قَليلاً قَليلاً طالَ عَلَيَّ ، وَقَطَعَني[8] الاشْتِغالُ بِنَقْلِهِ وَإِحْرازِهِ[9] عَنِ اللَّذَّةِ بِما أَصَبْتُ مِنْهُ ، وَلٰكِنْ سَأَسْتَأْجِرُ أَقْواماً يَحْمِلُونَهُ إلى مَنْزِلي ، وَأَكُونُ أَنا آخِرَهُمْ ، وَلا يَكُونُ قَدْ بَقِيَ وَرائي شَيْءٌ يُشْغَلُ فِكْري بِنَقْلِهِ ، وَأَكُونُ قَدِ اسْتَظْهَرْتُ[10] لِنَفْسي في إِراحَةِ بَدَني عَنِ ٱلْكَدِّ

---

(١) يريد نسبه أيضاً . (٢) يعني الحيوان الاعجم . (٣) أي اذا لم يقرأه قراءة تدبر فسوف لايستفيد منه شيئاً . (٤) الرّوي والتدبر . (٥) جديراً . (٦) جمع مفازة ، الصحراء التي لاماء فيها . (٧) العين : الذهب ، والورق بوزن كتف وتمر وحمل : الدراهم المضروبة وقد يحرك فيكون على وزن قمر . (٨) منعني . (٩) ادخاره . (١٠) يريد استعنت .

بِيَسيرِ أُجرَةٍ أُعطيهِمْ إيَّاها . ثُمَّ جاءَ بِالحَمَّالينَ ، فَجَعَلَ يُحَمِّلُ كُلَّ واحِدٍ ما يُطيقُ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إلى مَنْزِلِهِ فَيَفُوزُ بِهِ . حَتَّى إذا لَمْ يَبْقَ مِنَ الكَنْزِ شَيْءٌ انْطَلَقَ خَلْفَهُمْ إلى مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدْ فيهِ مِنَ المالِ شَيْئاً لا قَليلاً وَلا كَثيراً ، وَإذا كُلُّ واحِدٍ مِنَ الحَمَّالينَ قَدْ فازَ بِما حَمَلَهُ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ إلاَّ العَناءُ وَالتَّعَبُ ، لأَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ في آخِرِ أَمْرِهِ . وَكَذٰلِكَ مَنْ قَرَأَ هٰذا الكِتابَ وَلَمْ يَفْهَمْ ما فيهِ وَلَمْ يَعْلَمْ غَرَضَهُ ظاهِراً وَباطِناً لَمْ يَنْتَفِعْ بِما بَدا لَهُ مِنْ خَطِّهِ وَنَقْشِهِ . كما لَوْ أَنَّ رَجُلاً قُدِّمَ لَهُ جَوْزٌ صَحيحٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إلاَّ أَنْ يَكْسِرَهُ . وَكانَ أَيْضاً كالرَّجُلِ الَّذي طَلَبَ عِلْمَ[1] الفَصيحِ مِنْ كَلامِ النّاسِ ، فَأَتى صَديقاً لَهُ مِنَ العُلَماءِ لَهُ عِلْمٌ بِالفَصاحَةِ ، فَأَعْلَمَهُ حاجَتَهُ إلى عِلْمِ الفَصيحِ ، فَرَسَمَ لَهُ صَديقُهُ في صَحيفَةٍ صَفْراءَ فَصيحَ الكَلامِ وَتَصاريفَهُ وَوُجُوهَهُ . فَانْصَرَفَ المُتَعَلِّمُ إلى مَنْزِلِهِ ، فَجَعَلَ يُكْثِرُ قِراءَتَها وَلا يَقِفُ عَلى مَعانيها . ثُمَّ إنَّهُ جَلَسَ ذاتَ يَوْمٍ في مَحْفِلٍ[2] مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالأَدَبِ فَأَخَذَ في مُحاوَرَتِهِمْ ، فَجَرَتْ لَهُ كَلِمَةٌ أَخْطَأَ فيها ، فَقالَ لَهُ بَعْضُ الجَماعَةِ : إنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ ، وَالوَجْهُ غَيْرُ ما تَكَلَّمْتَ بِهِ . فَقالَ كَيْفَ أُخْطِئُ وَقَدْ قَرَأْتُ الصَّحيفَةَ الصَّفْراءَ ؟! وَهِيَ في مَنْزِلي . فَكانَتْ مَقالَتُهُ لَهُمْ أَوْجَبَ لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِ[3] ، وَزادَهُ ذٰلِكَ

---

(١) أي معرفة . (٢) مجتمع . (٣) لأنه اعترف باقتصاره على القراءة دون الفهم .

قُرْباً مِنَ الجَهْلِ ، وبُعْداً مِنَ الأَدَبِ .

ثُمَّ إنَّ العاقِلَ إذا فَهِمَ هٰذا الكِتابَ وبَلَغَ نِهايَةَ عِلْمِهِ لَهُ يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِما عَلِمَ مِنْهُ ، لِيَنْتَفِعَ بِهِ ، ويَجْعَلَهُ مِثالاً لا يَحِيدُ[1] عَنْهُ . فَإِذا لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ كانَ مَثَلُهُ كالرَّجُلِ الَّذي زَعَمُوا أَنَّ سارِقاً تَسَوَّرَ[2] عَلَيْهِ وهُوَ نائِمٌ في مَنْزِلِهِ . فَعَلِمَ بِهِ فَقالَ : واللهِ لأَسْكُتَنَّ حَتَّى أَنْظُرَ ماذا يَصْنَعُ ، ولا أَذْعَرُهُ[3] ، ولا أُعْلِمُهُ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ بِهِ ، فَإِذا بَلَغَ مُرادَهُ قُمْتُ إِلَيْهِ ، فَنَغَّصْتُ ذٰلِكَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَمْسَكَ عَنْهُ[4] ، وجَعَلَ السَّارِقُ يَتَرَدَّدُ وطالَ تَرَدُّدُهُ في جَمْعِهِ ما يَجِدُهُ . فَغَلَبَ الرَّجُلَ النُّعاسُ فَنامَ . وفَرَغَ اللِّصُّ مِمّا أَرادَ ، وأَمْكَنَهُ الذَّهابُ . واسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَوَجَدَ اللِّصَّ قَدْ أَخَذَ المَتاعَ[5] وفازَ بِهِ . فَأَقْبَلَ عَلى نَفْسِهِ يَلُومُها ، وعَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ باللِّصِّ ، إِذْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ في أَمْرِهِ ما يَجِبُ . فَالعِلْمُ لا يَتِمُّ إلاَّ بِالعَمَلِ . فَهُوَ كالشَّجَرَةِ والعَمَلُ بِهِ كالثَّمَرَةِ . وإِنَّما صاحِبُ العِلْمِ يَقُومُ بِالعَمَلِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ ، وإِنْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ ما يَعْلَمُ لا يُسَمّى عالِماً . ولَوْ أَنَّ رَجُلاً كانَ عالِماً بِطَرِيقٍ مَخُوفٍ ، ثُمَّ سَلَكَهُ عَلى عِلْمٍ

---

(١) لا ينحرف . (٢) يريد تسلق جدار بيته ودخل اليه .
(٣) اخيفه . (٤) تركه . (٥) كل ما يتمتع به في البيت من طعام ولباس وأثاث .

بِهِ سُمِّيَ جاهِلاً . وَلَعَلَّهُ إِنْ حاسَبَ نَفْسَهُ وَجَدَها قَدْ رَكِبَتْ أَهْواءَ[1] هَجَمَتْ بِها[2] فيما هُوَ أَعْرَفُ بِضَرَرِها فيهِ وَأَذاها مِنْ ذٰلِكَ السَّالِكِ في الطَّرِيقِ المَخُوفِ الَّذي قَدْ جَهِلَهُ . وَمَنْ رَكِبَ هَواهُ وَرَفَضَ ما يَنْبَغي أَنْ يَعْمَلَ بِما جَرَّبَهُ هُوَ ، أَوْ أَعْلَمَهُ بِهِ غَيْرُهُ كانَ كالمَرِيضِ العالِمِ بِرَدِيءِ الطَّعامِ وَالشَّرابِ وَجَيِّدِهِ وَخَفيفِهِ وَثَقيلِهِ ، ثُمَّ يَحْمِلُهُ الشَّرَهُ[3] عَلى أَكْلِ رَدِيئِهِ وَتَرْكِ ما هُوَ أَقْرَبُ إِلى النَّجاةِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْ عِلَّتِهِ . وَأَقَلُّ النَّاسِ عُذْراً في اجْتِنابِ مَحْمُودِ الأَفْعالِ وَارْتِكابِ مَذْمُومِها مَنْ أَبْصَرَ ذٰلِكَ وَمَيَّزَهُ ، وَعَرَفَ فَضْلَ بَعْضِهِ عَلى بَعْضٍ كَما أَنَّهُ لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما بَصيرٌ[4] ، وَالآخَرُ أَعْمى ، ساقَهُما الأَجَلُ إِلى حُفْرَةٍ فَوَقَعا فيها كانا إِذا صارا في قاعِها بِمَنْزِلَةٍ واحِدَةٍ ، غَيْرَ أَنَّ البَصيرَ أَقَلُّ عُذْراً عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الضَّريرِ ، إِذْ كانَتْ لَهُ عَيْنانِ يُبْصِرُ بِهِما ، وَذاكَ بِما صارَ إِلَيْهِ جاهِلٌ غَيْرُ عارِفٍ .

وَعَلى العالِمِ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ وَيُؤَدِّبَها بِعِلْمِهِ ، وَلا تَكُونَ غايَتُهُ اقْتِناؤُهُ العِلْمَ لِمُعاوَنَةِ غَيْرِهِ وَنَفْعِهِ بِهِ وَحِرْمانِ نَفْسِهِ مِنْهُ ، وَيَكُونُ كالعَيْنِ الَّتي يَشْرَبُ النَّاسُ ماءَها ، وَلَيْسَ لَها في ذٰلِكَ شَيْءٌ مِنَ المَنْفَعَةِ.

---

(١) الأهواء جمع هوى وهو ميل النفس الى ما تستلذه من الشهوات ، ويريد : وجدها قد زاغت عن الطريقة المثلى . (٢) دخلت بها . (٣) الشره : شدة الحرص في الاكل والشرب وغيرهما . (٤) بمعنى مبصر .

وَكَدُودَةِ ٱلقَزِّ[1] ٱلَّتي تُحكِمُ[2] صَنعَتَهُ وَلا تَنتَفِعُ بِهِ . فَيَنبَغي لِمَنْ طَلَبَ ٱلعِلْمَ أَنْ يَبدَأَ بِعِظَةِ نَفسِهِ[3] . ثُمَّ عَلَيهِ بَعدَ ذٰلِكَ أَنْ يُقبِسَهُ[4] ، فَإِنَّ خِلالاً يَنبَغي لِصاحِبِ الدُّنيا أَنْ يَقتَنِيَها وَيُقبِسَها : مِنها ٱلعِلْمُ وَالمالُ ، وَمِنها اتِّخاذُ المَعْرُوفِ . وَلَيسَ لِلعالِمِ أَنْ يَعيبَ امرَأً بِشَيءٍ فيهِ مِثْلُهُ ، وَيَكُونَ كالأَعْمى الَّذي يُعَيِّرُ الأَعْمى بِعَماهُ . وَيَنبَغي لِمَنْ طَلَبَ أَمراً أَنْ يَكُونَ لَهُ فيهِ غايَةٌ وَنِهايَةٌ يَعمَلُ بِها ، وَيَقِفُ عِنْدَها ، وَلا يَتَمادَى[5] في ٱلطَّلَبِ ، فَإِنَّهُ يُقالُ : مَنْ سارَ إِلى غَيرِ غايَةٍ يُوشِكُ أَنْ تَنقَطِعَ بِهِ مَطِيَّتُهُ[6] ، وَأَنَّهُ كانَ حَقيقاً[7] أَلاَّ يُعَنِّيَ نَفسَهُ في طَلَبِ ما لا حَدَّ لَهُ ، وَما لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ قَبلَهُ ، وَلا يَتَأَسَّفَ عَلَيهِ ، وَلا يَكُونَ لِدُنياهُ مُؤثِراً[8] عَلى آخِرَتِهِ ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُعَلِّقْ قَلْبَهُ بِالغاياتِ قَلَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ مُفارَقَتِها . وَقَدْ يُقالُ في أَمرَيْنِ إِنَّهُما يَجْمَلانِ[9] بِكُلِّ أَحَدٍ : أَحَدُهُما ٱلنُّسْكُ[10] ، وَالآخَرُ المالُ الحَلالُ . وَلا يَليقُ بِالعاقِلِ أَنْ يُؤَنِّبَ نَفسَهُ عَلى ما فاتَهُ وَلَيسَ في مَقْدُورِهِ ، فَرُبَّما أَتاحَ اللهُ لَهُ ما يَهنَأُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ في حُسبانِهِ[11] : وَمِنْ أَمثالِ هٰذا أَنَّ رَجُلاً كانَ بِهِ فاقَةٌ[12]

---

(١) المادة التي يصنع منها الحرير . (٢) تتقن . (٣) بنصح نفسه .
(٤) أقبسه العلم وقبسه اياه مكسور العين في المضارع : أعلمه اياه . (٥) التمادي : تجاوز الحد . (٦) الدابة التي تركب والجمع مطايا . (٧) مستحقاً .
(٨) مفضلا . (٩) يحسنان . (١٠) النسك مثلثة ويضمتين : العبادة .
(١١) في ظنه وحسابه . (١٢) فقر شديد .

وَجُوعٌ وَعُرْيٌ ، فَأَلْجَأَهُ ذٰلِكَ إِلى أَنْ سَأَلَ أَقارِبَهُ وَأَصْدِقاءَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ[1] يَعُودُ بِهِ عَلَيْهِ . فَبَيْنَما هُوَ ذاتَ لَيْلَةٍ في مَنْزِلِهِ إِذْ بَصُرَ بِسارِقٍ فيهِ ، فَقالَ : وَاللهِ ما في مَنْزِلي شَيْءٌ أَخافُ عَلَيْهِ ، فَلْيَجِدَّ السَّارِقُ جَهْدَهُ . فَبَيْنَما السَّارِقُ يَجُولُ إِذْ وَقَعَتْ يَدُهُ على خابِيَةٍ[2] فيها حِنْطَةٌ فَقالَ السَّارِقُ : وَاللهِ ما أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَنائي باطِلاً ، وَلَعَلِّي لا أَصِلُ إِلى مَوْضِعٍ آخَرَ ، وَلٰكِنْ سَأَحْمِلُ هٰذِهِ الْحِنْطَةَ . ثُمَّ بَسَطَ قَمِيصَهُ لِيَصُبَّ عَلَيْهِ الْحِنْطَةَ . فَقالَ الرَّجُلُ : أَيَذْهَبُ هٰذا بِالْحِنْطَةِ؟ وَلَيْسَ وَرائي سِواها ، فَيَجْتَمِعَ عَلَيَّ مَعَ الْعُرْيِ ذَهابُ ما كُنْتُ أَقْتاتُ بِهِ ، وَما تَجْتَمِعُ وَاللهِ هاتانِ الْخَلَّتانِ عَلى أَحَدٍ إِلاَّ أَهْلَكَتاهُ . ثُمَّ صاحَ بِالسَّارِقِ وَأَخَذَ هِراوَةً[3] كانَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلسَّارِقِ حِيلَةٌ إِلاَّ الْهَرَبَ مِنْهُ ، وَتَرَكَ قَمِيصَهُ وَنَجا بِنَفْسِهِ ، وَغَدا الرَّجُلُ بِهِ كاسِياً[4] وَلَيْسَ يَنْبَغي أَنْ يَرْكَنَ[5] إِلى مِثْلِ هٰذا وَيَدَعَ ما يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَذَرِ وَالْعَمَلِ في مِثْلِ هٰذا لِصَلاحِ مَعاشِهِ ، وَلا يَنْظُرُ إِلى مَنْ تُؤاتِيهِ[6] الْمَقادِيرُ وَتُساعِدُهُ عَلى غَيْرِ الْتِماسٍ مِنْهُ ، لِأَنَّ أُولٰئِكَ في النَّاسِ قَلِيلٌ . وَالْجُمْهُورُ

---

(١) زيادة عن حاجتهم من طعام او كساء أو مال . (٢) الخابية : الجب أو الجرة الكبيرة وأصلها الهمز لأنها من خبأ . (٣) الهراوة بالكسر : العصا الضخمة . (٤) الكاسي المكتسي ضد العريان وهو من نوادر اللغة . (٥) يطمئن . (٦) توافقه .

مِنهُمْ مَنْ أَتعَبَ نَفسَهُ في ٱلكَدِّ وَالسَّعْيِ فيما يُصلِحُ أَمرَهُ ، وَيَنالُ بهِ ما أَرادَ . وَيَنبَغي أَنْ يَكونَ حِرصُهُ عَلى ما طابَ كَسبُهُ وَحَسُنَ نَفعُهُ . وَلا يَتعَرَّضَ لِما يَجلِبُ عَلَيهِ ٱلعَناءَ وَٱلشَّقاءَ ، فَيَكونَ كَالحَمامَةِ الَّتي تُفرِخُ ٱلفِراخَ فَتُؤخَذُ وَتُذبَحُ ، ثُمَّ لا يَمنَعُها ذٰلِكَ أَنْ تَعودَ فَتُفرِخَ مَوضِعَها ، وَتُقيمَ بِمَكانِها ، فَتُؤخَذَ ٱلثّانِيَةُ[1] مِنْ فِراخِها فَتُذبَحَ . وَقَدْ يُقالُ : إِنَّ اللهَ تَعالى قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيءٍ حَدًّا يُوقَفُ عَلَيهِ . وَمَنْ تَجاوَزَ في الأَشياءِ حَدَّها أَوشَكَ أَنْ يَلحَقَهُ ٱلتَّقصيرُ عَنْ بُلوغِها وَيُقالُ : مَنْ كانَ سَعيُهُ لآخِرَتِهِ وَدُنياهُ فَحَياتُهُ لَهُ وَعَلَيهِ وَيُقالُ : في ثَلاثَةِ أَشياءَ يَجِبُ عَلى صاحِبِ الدُّنيا إِصلاحُها وَبَذلُ جُهدِهِ فيها : مِنها أَمرُ مَعيشَتِهِ وَمِنها ما يُكسِبُهُ الذِّكرَ الجَميلَ بَعدَهُ . وَقَدْ قيلَ في أُمورِ مَنْ كُنَّ فيهِ لَمْ يَستَقِمْ لَهُ عَمَلٌ : مِنها ٱلتَّواني[2] . وَمِنها تَضييعُ ٱلفُرَصِ . وَمِنها ٱلتَّصديقُ لِكُلِّ مُخبِرٍ[3] . فَرُبَّ مُخبِرٍ بِشَيءٍ عَقَلَهُ وَلا يَعرِفُ ٱستِقامَتَهُ[4] فَيُصَدِّقَهُ . وَيَنبَغي لِلعاقِلِ أَنْ يَكونَ لِهَواهُ مُتَّهِماً[5] ، وَلا يَقبَلَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَديثاً ، وَلا يَتمادى في ٱلخَطَأِ إِذا ظَهَرَ لَهُ خَطَؤُهُ ، وَلا يُقدِمَ عَلى أَمرٍ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُ ٱلصَّوابَ ، وَتَتَّضِحَ لَهُ ٱلحَقيقَةُ ، وَلا يَكونَ كَالرَّجُلِ الَّذي يَحيدُ عَنِ ٱلطَّريقِ فَيَستَمِرَّ عَلى ٱلضَّلالِ ، فَلا يَزدادُ في ٱلسَّيرِ

---

(١) يريد الدفعة الثانية من فراخها . (٢) التقصير عن بلوغ الهدف .
(٣) اسم فاعل من فعل أخبر . (٤) صحته . (٥) شاكاً في صدقه .

إلاّ جُهداً[1] ، وعَنِ القَصدِ إلاّ بُعداً . وكالرَّجُلِ الَّذي تَقذى[2] عَينُهُ فَلا يَزالُ يَحُكُّها ، وَرُبَّما كانَ ذلِكَ الحَكُّ سَبَباً لِذهابِها . ويَجِبُ على العاقِلِ أنْ يُصَدِّقَ بِالقَضاءِ[3] والقَدَرِ ، ويَأْخُذَ بِالحَزْمِ ، ويُحِبَّ لِلنّاسِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، ولا يَلْتَمِسَ صَلاحَ نَفْسِهِ بِفَسادِ غَيْرِهِ ، فَإنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذلِكَ كانَ خَليقاً أنْ يُصيبَهُ ما أصابَ التّاجِرَ مِنْ رَفيقِهِ .

فَإنَّهُ يُقالُ : إنَّهُ كانَ رَجُلٌ تاجِرٌ ، وكانَ لَهُ شَريكٌ ، فَاسْتَأْجَرا حانُوتاً ، وجَعَلا مَتاعَهُما فيهِ ، وكانَ أحَدُهُما قَريبَ المَنْزِلِ مِنَ الحانُوتِ ، فَأَضْمَرَ في نَفْسِهِ أنْ يَسْرِقَ عِدْلاً مِنْ أعْدالِ رَفيقِهِ[4] ، ومَكَرَ الحيلَةَ في ذلِكَ[5] . وقالَ : إنْ أتَيْتُ لَيْلاً لَمْ آمَنْ أنْ أحْمِلَ عِدْلاً مِنْ أعْدالي ، أوْ رِزْمَةً مِنْ رِزَمي[6] ولا أعْرِفُها ، فَيَذْهَبَ عَنائي وتَعَبي باطِلاً ، فَأَخَذَ رِداءَهُ وأَلْقاهُ على العِدْلِ الَّذي أضْمَرَ أخْذَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ إلى مَنْزِلِهِ . وجاءَ رَفيقُهُ بَعْدَ ذلِكَ لِيُصْلِحَ أعْدالَهُ ، فَوَجَدَ رِداءَ شَريكِهِ على بَعْضِ أعْدالِهِ فَقالَ واللهِ هٰذا رِداءُ صاحِبي ، ولا أحْسَبُهُ إلاّ قَدْ نَسِيَهُ ، وما

---

(١) تعباً . (٢) تصاب بقذى وهو الوسخ . (٣) يريد أنه يجب على العاقل أن يؤمن بالقدر الذي كتبه الله له وهو فوق استطاعته . (٤) العدل بالكسر : الغرارة أي الجوالق والجمع عدول وأعدال . (٥) لعل مكر هنا ضمنت معنى أضمر . (٦) الرزمة بالكسر : ماجمع في ثوب واحد وقيل قدر ثلث الغرارة أو ربعها من تمر ودقيق . ومن هنا يعرف ان صاحب المكر السيء إذا أقدم عليه كان له من نفسه شعور بأن النتيجة ربما عادت عليه بالوبال .

الرَّأْيُ أَنْ أَدَعَهُ هٰهُنا . وَلٰكِنْ أَجْعَلُهُ عَلى رِزَمِهِ فَلَعَلَّهُ يَسْبِقُني إِلى الحانُوتِ فَيَجِدَهُ حَيْثُ يُحِبُّ . ثُمَّ أَخَذَ الرِّداءَ فَأَلْقاهُ عَلى عِدْلٍ مِنْ أَعْدالِ رَفِيقِهِ ، وَأَقْفَلَ الحانُوتَ ، وَمَضى إِلى مَنْزِلِهِ . فَلَمّا جاءَ اللَّيْلُ أَتى رَفِيقُهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ واطَأَهُ[1] عَلى ما عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَضَمِنَ لَهُ جُعْلاً عَلى حَمْلِهِ[2] فَصارَ[3] إِلى الحانُوتِ فَالْتَمَسَ الإِزارَ في الظُّلْمَةِ ، فَوَجَدَهُ عَلى الْعِدْلِ فَاحْتَمَلَ ذٰلِكَ الْعِدْلَ وَأَخْرَجَهُ هُوَ وَالرَّجُلُ ، وَجَعَلا يَتَراوَحانِ عَلى حَمْلِهِ[4] ، حَتّى أَتى مَنْزِلَهُ وَرَمى نَفْسَهُ تَعَباً . فَلَمّا أَصْبَحَ[5] افْتَقَدَهُ[6] فَإِذا هُوَ بَعْضُ أَعْدالِهِ ، فَنَدِمَ أَشَدَّ النَّدامَةِ[7] . ثُمَّ انْطَلَقَ نَحْوَ الحانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ الحانُوتَ وَوَجَدَ الْعِدْلَ مَفْقُوداً ، فَاغْتَمَّ لِذٰلِكَ غَمًّا شَدِيداً ، وَقالَ : واسَوْءَتاهُ[8] مِنْ رَفِيقٍ صالِحٍ قَدِ ائْتَمَنَني عَلى مالِهِ وَخَلَّفَني فِيهِ[9] . ماذا يَكُونُ حالي عِنْدَهُ ؟ وَلَسْتُ أَشُكُّ في تُهْمَتِهِ إِيّايَ . وَلٰكِنْ قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسي عَلى غَرامَتِهِ[10] . ثُمَّ أَتى صاحِبَهُ فَوَجَدَهُ مُغْتَمًّا . فَسَأَلَهُ عَنْ حالِهِ . فَقالَ : إِنِّي افْتَقَدْتُ الأَعْدالَ

---

(١) تواطأ معه واتفقا على السرقة . (٢) الجعل بالضم ومثله الجعيلة : الأجر الذي يأخذه الانسان على العمل . (٣) صار هنا بمعنى ذهب . (٤) يتراوحان أي يحمله هذا مرة وذاك اخرى . (٥) أصبح دخل في الصباح وفاعلها هو . (٦) تحراه ودقق فيه . (٧) كذلك عاقبة الذين أساءوا النية . (٨) من السوء وهو الامر القبيح يريد : واخجلتاه . (٩) جعلني خليفة فيه في غيابه . (١٠) أي هيأت نفسي لتحمل ثمنه .

وَفَقَدْتُ عِدْلاً مِنْ أَعْدالِكَ ، وَلا أَعْلَمُ بِسَبَبِهِ ، وَإِنِّي لا أَشُكُّ في تُهْمَتِكَ إِيَّايَ . وَإِنِّي قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسي عَلى غَرامَتِهِ . فَقالَ لَهُ : يا أَخي لا تَغْتَمَّ ، فَإِنَّ الخِيانَةَ شَرُّ ما عَمِلَهُ الإِنسانُ ، وَالمَكْرُ وَالخَديعَةُ لا يُؤَدِّيانِ إِلى خَيْرٍ ، وَصاحِبُهُما مَغْرُورٌ أَبَداً ، وَما عادَ وَبالُ البَغْيِ[1] إِلاَّ عَلى صاحِبِهِ. وَأَنا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ وَاحْتالَ . فَقالَ لَهُ صاحِبُهُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ[2] . فَقالَ لَهُ رَفيقُهُ : ما مَثَلُكَ إِلاَّ مَثَلُ اللِّصِّ وَالتّاجِرِ . فَقالَ لَهُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟!

قالَ : زَعَمُوا أَنَّ تاجِراً كانَ لَهُ في مَنْزِلِهِ خابِيَتانِ إِحْداهُما مَمْلُوءَةٌ حِنْطَةً وَالأُخْرى ذَهَباً ، فَتَرَقَّبَهُ بَعْضُ اللُّصُوصِ زَماناً . حَتّى إِذا كانَ بَعْضُ الأَيّامِ تَشاغَلَ التّاجِرُ عَنِ المَنْزِلِ ، فَتَغَفَّلَهُ[3] اللِّصُّ ، وَدَخَلَ المَنْزِلَ ، وَكَمَنَ[4] في بَعْضِ نَواحيهِ . فَلَمّا هَمَّ بِأَخْذِ الخابِيَةِ الَّتي فيها الدَّنانيرُ أَخَذَ الَّتي فيها الحِنْطَةُ وَظَنَّها الَّتي فيها الذَّهَبُ . وَلَمْ يَزَلْ في كَدٍّ وَتَعَبٍ ، حَتّى أَتى بِها مَنْزِلَهُ ، فَلَمّا فَتَحَها وَعَلِمَ ما فيها نَدِمَ . قالَ لَهُ الخائِنُ : ما أَبْعَدْتَ المَثَلَ ، وَلا تَجاوَزْتَ القِياسَ ، وَقَدِ اعْتَرَفْتُ بِذَنْبي وَخَطَئي عَلَيْكَ[5] ، وَعَزيزٌ[6] عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ هٰذا هٰكَذا . غَيْرَ

(١) الظلم وهـذا المعنى موافق لقوله تعالى « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . (٢) من أنه جاء بعده فوجد رداء شريكه الخائن فأخذه ووضعه فوق أعداله . (٣) استغل غفلته . (٤) اختبأ . (٥) عليك هنا بمعنى معك . (٦) أي صعب عليّ .

أَنَّ النَّفْسَ الرَّدِيئَةَ تَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ[1] . فَقَبِلَ الرَّجُلُ مَعْذِرَتَهُ ، وَأَضْرَبَ[2] عَنْ تَوْبِيخِهِ وَعَنِ الثِّقَةِ بِهِ ، وَنَدِمَ هُوَ عِنْدَما عايَنَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ وَتَقْدِيمِ جَهْلِهِ[3] .

وَقَدْ يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ في كِتابِنا هٰذا أَلاّ تَكُونَ غايَتُهُ التَّصَفُّحَ لِتَزاوِيقِهِ[4] . بَلْ يُشْرِفُ عَلى ما تَضَمَّنَ مِنَ الأَمْثالِ حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْهُ ، وَيَقِفَ عِنْدَ كُلِّ مَثَلٍ وَكَلِمَةٍ ، وَيُعْمِلَ فيها رَوِيَّتَهُ ، وَيَكُونَ مِثْلَ أَصْغَرِ الإِخْوَةِ الثَّلاثَةِ الَّذينَ خَلَّفَ لَهُمْ أَبُوهُمُ الْمالَ الْكَثِيرَ فَتَنازَعُوهُ بَيْنَهُمْ : فَأَمَّا الكَبِيرانِ فَإِنَّهُما أَسْرَعا في إِتْلافِهِ وَإِنْفاقِهِ في غَيْرِ وَجْهِهِ[5] . وَأَمَّا الصَّغِيرُ فَإِنَّهُ عِنْدَما نَظَرَ ما صارَ إِلَيْهِ أَخَواهُ مِنْ إِسْرافِهِما وَتَحَلِّيهِما مِنَ الْمالِ أَقْبَلَ عَلى نَفْسِهِ يُشاوِرُها . وَقالَ : يا نَفْسي ، إِنَّما الْمالُ يَطْلُبُهُ صاحِبُهُ وَيَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ[6] ، لِبَقاءِ حالِهِ وَصَلاحِ مَعاشِهِ[7] وَدُنْياهُ وَشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ في أَعْيُنِ النّاسِ . وَاسْتِغْنائِهِ عَمّا في أَيْدِيهِمْ ، وَصَرْفِهِ في وَجْهِهِ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ[8] ، وَالإِنْفاقِ عَلى الْوَلَدِ ، وَالإِفْضالِ[9] عَلى الإِخْوانِ ، فَمَنْ كانَ لَهُ مالٌ وَلا يُنْفِقُهُ في حُقُوقِهِ كانَ كالَّذي يُعَدُّ

---

(١) القبيح من الذنوب . (٢) امتنع . (٣) أي ندم عند ما ادرك سوء فعله وفرط جهله . (٤) يريد صور الكتاب ورسومه مما يدل على ان النسخة التي ترجم عنها ابن المقفع كانت محلاة بالصور والرسوم . (٥) أي في غير الجهات المشروعة المعقولة . (٦) يقصد من كل جهة . (٧) معيشته . (٨) الرحم القرابة ، ويريد انه يساعد به اقرباءه . (٩) بمعنى التفضّل .

فَقيراً وَإِنْ كانَ مُوسراً[1] ، وَإِنْ هُوَ أَحسَنَ إمساكَهُ[2] وَالقِيامَ عَلَيْهِ لَمْ يَعْدَمِ الأَمْرَيْنِ جَميعاً : مِنْ دُنيا تَبقى عَلَيْهِ ، وَحَمْدٍ يُضافُ إِلَيْهِ . وَمَتى قَصَدَ إِنْفاقَهُ عَلى غَيْرِ الْوُجوهِ الَّتي عَلِمْتَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُتْلِفَهُ وَيَبْقى عَلى حَسْرَةٍ وَنَدامَةٍ[3] . وَلَكِنَّ الرَّأْيَ أَنْ أُمْسِكَ هٰذا الْمالَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْفَعَني اللهُ بِهِ ، وَيُغْنِيَ أَخَوَيَّ عَلى يَدَيَّ ، فَإِنَّما هُوَ مالُ أَبي وَمالُ أَبيهِما ، وَإِنَّ أَوْلى الإِنْفاقِ عَلى صِلَةِ الرَّحِمِ وَإِنْ بَعُدَتْ ، فَكَيْفَ بِأَخَوَيَّ ؟ ! فَأَنْفَذَ[4] فَأَحْضَرَهُما ، وَشاطَرَهُما[5] مالَهُ .

وَكَذٰلِكَ يَجِبُ عَلى قارِىءِ هٰذا الْكِتابِ أَنْ يُديمَ النَّظَرَ فيهِ مِنْ غَيْرِ ضَجَرٍ ، وَيَلْتَمِسَ جَواهِرَ مَعانيهِ ، وَلا يَظُنَّ أَنَّ نَتيجَتَهُ الإِخْبارُ عَنْ حيلَةِ بَهيمَتَيْنِ ، أَوْ مُحاوَرَةِ سَبُعٍ لِثَوْرٍ ، فَيَنْصَرِفَ بِذٰلِكَ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ . وَيَكُونَ مَثَلُهُ مَثَلَ الصَّيَّادِ الَّذي كانَ في بَعْضِ الْخُلْجانِ[6] يَصيدُ فيهِ السَّمَكَ في زَوْرَقٍ فَرَأَى ذاتَ يَوْمٍ في أَرْضِ الْماءِ صَدَفَةً[7] تَتَلأْلأُ حُسْناً ، فَتَوَهَّمَها جَوْهَراً لَهُ قيمَةٌ ، وَكانَ قَدْ أَلْقى شَبَكَتَهُ في الْبَحْرِ ، فَاشْتَمَلَتْ عَلى سَمَكٍ كانَتْ[8] قُوتَ يَوْمِهِ ، فَخَلَّاها[9] وَقَذَفَ

(١) غنياً . (٢) المحافظة عليه . (٣) وقد بين الله الطريق الوسط في انفاق المال فقال « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً . (٤) بعث . (٥) قاسمها . (٦) جمع خليج وهو النهر وشرم من البحر . (٧) الصدفة : واحدة الصدف وهو غشاء الدر . (٨) أي كان يمكن لو احتفظ بها ان تكفيه لطعام ذلك اليوم . (٩) تركها .

نَفْسَهُ في الماءِ لِيَأْخُذَ الصَّدَفَةَ . فَلَمَّا أَخْرَجَها وَجَدَها فارِغَةً لا شَيْءَ فيها مِمَّا ظَنَّ ، فَنَدِمَ عَلى تَرْكِ ما في يَدِهِ لِلطَّمَعِ ، وَتَأَسَّفَ عَلى ما فاتَهُ . فَلَمَّا كانَ اليَوْمُ الثّاني تَنَحَّى[1] عَنْ ذٰلِكَ المَكانِ وَأَلْقى شَبَكَتَهُ ، فَأَصابَتْ حُوتاً صَغيراً[2] ، وَرَأى أَيْضاً صَدَفَةً سَنِيَّةً[3] فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْها ، وَساءَ ظَنُّهُ بِها ، فَتَرَكَها . فَاجْتازَ[4] بِها بَعْضُ الصَّيّادينَ فَأَخَذَها ، فَوَجَدَ فيها دُرَّةً تُساوي أَمْوالاً . وَكَذٰلِكَ الجُهّالُ إِذا أَغْفَلُوا[5] أَمْرَ التَّفَكُّرِ في هٰذا الكِتابِ وَتَرَكُوا الوُقُوفَ عَلى أَسْرارِ مَعانيهِ ، وَأَخَذُوا بِظاهِرِهِ. وَمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلى النَّظَرِ في أَبْوابِ الهَزْلِ كانَ كَرَجُلٍ أَصابَ أَرْضاً طَيِّبَةً[6] حُرَّةً وَحَبًّا صَحيحاً ، فَزَرَعَها وَسَقاها ، حَتّى إِذا قَرُبَ خَيْرُها وَأَيْنَعَتْ[7] تَشاغَلَ عَنْها بِجَمْعِ ما فيها مِنَ الزَّهْرِ وَقَطْعِ الشَّوْكِ ، فَأَهْلَكَ بِتَشاغُلِهِ ما كانَ أَحْسَنَ فائِدَةً ، وَأَجْمَلَ عائِدَةً[8] .

وَيَنْبَغي لِلنّاظِرِ في هٰذا الكِتابِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلى أَرْبَعَةِ أَغْراضٍ :

أَحَدُها ما قُصِدَ فيهِ إِلى وَضْعِهِ عَلى أَلْسِنَةِ البَهائِمِ غَيْرِ النّاطِقَةِ ،

---

(١) تخلّى . (٢) الحوت : السمك وقد غلب الكبير منه . (٣) كريمة .
(٤) مرّ . (٥) تركوا . (٦) خالية من الشوائب . (٧) نضجت ثمارها . (٨) أكثر منفعة .

لِيسارِع إلى قِراءَتِهِ أَهلُ الهَزلِ مِنَ الشُّبّانِ ، فَتَستَهالَ بِهِ قُلوبُهُمْ ، لأَنَّهُ هُوَ الغَرَضُ بِالنَّوادِرِ [1] مِنْ حِيَلِ الحَيَوانات [2] .

وَالثّاني إظهارُ خَيالاتِ الحَيَوانات بِصُنُوفِ الأَصباغِ وَالأَلوانِ ، لِيَكُونَ أُنساً لِقُلوبِ المُلوكِ ، وَيَكُونَ حِرصُهُمْ عَلَيْهِ أَشَدَّ لِلنُّزهَةِ في تِلكَ الصُّوَرِ .

وَالثّالِثُ أَنْ يَكُونَ عَلى هٰذِهِ الصِّفَةِ ، فَيَتَّخِذَهُ المُلوكُ وَالسُّوقَةُ [3] فَيَكثُرَ بِذٰلِكَ انتِساخُهُ [4] ، وَلا يَبطُلَ ، فَيَخلُقَ [5] عَلى مُرورِ الأَيّامِ ، وَلِيَنتَفِعَ بِذٰلِكَ المُصَوِّرُ وَالنّاسِخُ أَبَداً وَالغَرَضُ الرّابِعُ وَهُوَ الأَقصى [6] . وَذٰلِكَ مَخصُوصٌ بِالفَيلَسُوفِ خاصَّةً .

---

(١) جمع نادرة ، ونوادر الكلام غرائبه وما شذّ منه والمراد هنا : ماقل وجوده وظهرت غرائبه (٢) أي إنّ استمالة قلوب الشبان هو الغرض من هذه الغرائب التي وضعت على السنة الحيوانات . (٣) عامة الناس . (٤) اي يتكرر نقله وطباعته (٥) يقال خلق الثوب أي بلي . ويقال خلُق الغلام أي حسن خلقه والمراد هنا انه يستمر تقديره ويصبح خليقاً بالنظر . (٦) الأبعد .

مقدّمة الكتاب

بقلم : بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي

قَدَّمَها بَهْنُودُ بْنُ سَحْوانَ وَيُعْرَفُ بِعَلِيِّ بْنِ ٱلشَّاهِ ٱلفارِسِيِّ . ذَكَرَ فيها ٱلسَّبَبَ ٱلَّذي مِنْ أَجْلِهِ عَمِلَ بَيْدَبا[1] ٱلفَيْلَسُوفُ ٱلهِنْدِيُّ رَأْسُ ٱلبَراهِمَةِ[2] لِدَبْشَليمَ[3] مَلِكِ ٱلهِنْدِ كِتابَهُ ٱلَّذي سَمّاهُ كَليلَةَ وَدِمْنَةَ ؛ وَجَعَلَهُ عَلى أَلْسُنِ ٱلبَهائِمِ وَٱلطَّيْرِ ، صِيانَةً لِغَرَضِهِ فيه مِنَ العَوامِّ ، وَضَنًّا بِما ضَمَّنَهُ عَنِ ٱلطَّغامِ[4] ، وَتَنْزيهاً لِلْحِكْمَةِ وَفُنُونِها ، وَمَحاسِنِها وَعُيُونِها[5] إِذْ هِيَ لِلْفَيْلَسُوفِ مَنْدُوحَةٌ[6] ، وَلِخاطِرِهِ مَفْتُوحَةٌ ، وَلِمُجيبِها تَثْقيفٌ[7] ، وَلِطالِبيها تَشْريفٌ . وَذَكَرَ السَّبَبَ ٱلَّذي مِنْ أَجْلِهِ أَنْفَذَ كِسْرَى أَنُوشِرْوانُ بْنُ قُبادَ[8] بْنِ فَيْرُوزَ مَلِكُ ٱلفُرْسِ بَرْزَوَيْهِ رَأْسَ الأَطِبّاءِ إِلى بِلادِ الهِنْدِ ، لِأَجْلِ كَليلَةَ وَدِمْنَةَ ؛ وَما كانَ مِنْ تَلَطُّفِ بَرْزَوَيْهِ

---

(١) فيلسوف نشأ أثناء القرن الرابع قبل المسيح وألف هذا الكتاب الذي يدل على حكمته وحصافة رأيه . (٢) البراهمة : قوم لا يجوزون على الله بعثة الرسل وهم أصحاب الرتبة الاولى من عبدة برهم الهنود وهو أكبر آلهتهم ، وهم يعتبرون الشمس التي هي ينبوع النور والحرارة الإله الوحيد وأول المعبودات ، ويعتقدون خلود النفس والتناسخ ويمارسون التقشف والرياضات الروحية . (٣) وهو من سلالة من قهرهم الاسكندر الأكبر حين زحف الى الهند سنة ٣٢٦ قبل المسيح . (٤) الضن بالفتح والكسر : البخل . والطغام بالفتح : الأوغاد والارذال ، الواحد فيه والجمع سواء . (٥) عيونها : خيارها . (٦) المندوحة والمنتدح : السعة والفسحة . (٧) التثقيف : التقويم والتهذيب . (٨) هو أبو كسرى .

عِنْدَ دُخولِهِ إلى الهِنْدِ ، حَتَّى حَضَرَ إلَيْهِ الرَّجُلُ الَّذي اسْتَنْسَخَهُ لَهُ سِرًّا مِنْ خِزانَةِ المَلِكِ لَيْلاً مَعَ ما وَجَدَ مِنْ كُتُبِ عُلَماءِ الهِنْدِ . وَقَدْ ذَكَرَ الَّذي كانَ مِنْ بِعْثَةِ بَرْزَوَيْهِ إلى مَمْلَكَةِ الهِنْدِ لأَجْلِ نَقْلِ هٰذا الكِتابِ، وَذَكَرَ فيها ما يَلْزَمُ مُطالِعَهُ مِنْ إتْقانِ قِراءَتِهِ ، وَالقِيامِ بِدِراسَتِهِ ، وَالنَّظَرِ إلى باطِنِ كَلامِهِ ، وَأَنَّهُ إنْ لَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ لَمْ يَحْصُلْ عَلى الغايَةِ مِنْهُ . وَذَكَرَ فيها حُضورَ بَرْزَوَيْهِ وَقِراءَةَ الكِتابِ جَهْراً . وَقَدْ ذَكَرَ السَّبَبَ الَّذي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بُزُرْجُمِهْرُ[1] باباً مُفْرَداً يُسَمّى بابَ بَرْزَوَيْهِ المُتَطَبِّبِ . وَذَكَرَ فيهِ شَأْنَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ وَآنِ مَوْلِدِهِ ، إلى أَنْ بَلَغَ التَّأْديبَ وَأَحَبَّ الحِكْمَةَ وَاعْتَبَرَ[3] في أَقْسامِها ، وَجَعَلَهُ قَبْلَ بابِ الأَسَدِ وَالثَّوْرِ الَّذي هُوَ أَوَّلُ الكِتابِ[4] .

قالَ عَلِيُّ بْنُ الشّاهِ الفارِسِيُّ : كانَ السَّبَبَ الَّذي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بَيْدَبا الفَيْلَسُوفُ لِدَبْشَليمَ مَلِكِ الهِنْدِ كِتابَ كَليلَةَ وَدِمْنَةَ ، أَنَّ الإسْكَنْدَرَ ذا القَرْنَيْنِ الرُّومِيَّ[1] لَمّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ المُلُوكِ الَّذينَ كانُوا بِناحِيَةِ المَغْرِبِ ، سارَ يُريدُ مُلُوكَ المَشْرِقِ مِنَ الفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ ، فَلَمْ يَزَلْ

---

(١) وزير كسرى (٢) وزمان . (٣) اعتبر : نظر ، والحكمة هي ما يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي في الوجود بمقدار ما يستطيع الانسان . (٤) الظاهر أن ما تقدم من النص هو من كلام ابن المقفع ، يلخص فيه مقدمة بهنود بن سحوان التي تلي ذلك . (١) هو الفاتح الكبير المشهور في التاريخ .

يُحارِبُ مَنْ نازَعَهُ[1] ، وَيُواقِعُ مَنْ واقَعَهُ ، وَيُسالِمُ مَنْ وادَعَهُ ، مِنْ مُلُوكِ ٱلفُرْسِ ، وَهُمُ ٱلطَّبَقَةُ الأُولى ، حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِمْ[2] وَقَهَرَ مَنْ ناوأَهُ[3] ، وَتَغَلَّبَ عَلى مَنْ حارَبَهُ ؛ فَتَفَرَّقُوا طَرائِقَ[4] ، وَتَمَزَّقُوا حَزائِقَ[5] ؛ فَتَوَجَّهَ بِالْجُنُودِ نَحْوَ بِلادِ ٱلصِّينِ ، فَبَدَأَ في طَرِيقِهِ بِمَلِكِ الْهِنْدِ ، لِيَدْعُوَهُ إِلى طاعَتِهِ ، وَالدُّخُولِ في مِلَّتِهِ وَوِلايَتِهِ وَكانَ عَلى الْهِنْدِ في ذٰلِكَ مَلِكٌ ذُو سَطْوَةٍ وَباسٍ ، وَقُوَّةٍ وَمِراسٍ[6] ، يُقالُ لَهُ فُورٌ . فَلَمّا بَلَغَهُ إِقْبالُ ذي ٱلْقَرْنَيْنِ نَحْوَهُ تَأَهَّبَ لِمُحارَبَتِهِ ، وَٱسْتَعَدَّ لِمُجاذَبَتِهِ[7] ؛ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرافَهُ[8] ، وَجَدَّ في التَّأَلُّبِ[9] عَلَيْهِ ؛ وَجَمَعَ لَهُ ٱلْعُدَّةَ[10] ، في أَسْرَعِ مُدَّةٍ ، مِنَ ٱلْفِيَلَةِ[11] الْمُعَدَّةِ لِلْحُرُوبِ ، وَالسِّباعِ الْمُضَرَّاةِ[12] بِالْوُثُوبِ ؛ مَعَ الْخُيُولِ الْمُسْرَجَةِ ، وَالسُّيُوفِ ٱلْقَواطِعِ ، وَٱلْحِرابِ[13] اللَّوامِعِ . فَلَمّا قَرُبَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ مِنْ فُورِ الْهِنْدِيِّ ، وَبَلَغَهُ ما قَدْ أَعَدَّ لَهُ مِنَ الْخَيْلِ ، الَّتي كَأَنَّها قِطَعُ اللَّيْلِ[14] ؛ مِمّا لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ بِمِثْلِهِ مِنَ

---

(١) خاصمه . (٢) غلبهم . (٣) عاداه . (٤) طرائق : جمع طريقة بمعنى رجال أشراف أو مطلق فرقة . (٥) حزائق جمع حزيقة : الجماعة ، وهي كالحزقة : القطعة من كل شيء . (٦) المراس : الشدة . (٧) يريد : استعد لمنازعته ، وأصل المجاذبة : التنازع في الجذب . (٨) يريد من الأطراف : ما تفرق من قواه . (٩) التألب : التجمع . (١٠) العدة بالضم : ما يعد من مال أو سلاح . (١١) الفيلة كعنبة جمع فيل . (١٢) من قولهم : ضراه به أي أغراه . (١٣) جمع حربة . (١٤) القطع : جزء من الليل يريد أن الجيوش لكثرتها وكثافتها تشبه ظلام الليل .

المُلوكِ الَّذينَ كانُوا في الأَقاليمِ ، تَخوَّفَ ذُو القَرْنَيْنِ مِنْ تَقصيرٍ يَقَعُ بِهِ إِنْ عَجَّلَ المُبارَزَةَ . وَكانَ ذُو القَرْنَيْنِ رَجُلاً ذا حِيَلٍ وَمَكايِدَ[1] ، مَعَ حُسْنِ تَدْبيرٍ وَتَجْرِبَةٍ . فَرَأَى إِعْمالَ الحِيلَةِ وَالتَّمَهُّلَ ؛ وَاحْتَفَرَ خَنْدَقاً عَلَى عَسْكَرِهِ[2] ، وَأَقامَ بِمَكانِهِ لاسْتِنْباطِ[3] الحِيلَةِ ، وَالتَّدْبيرِ لأَمْرِهِ ؛ وَكَيْفَ يَنْبَغي لَهُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى الإِيقاعِ بِهِ[4] فَاسْتَدْعى بِالمُنَجِّمينَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالاخْتِيارِ لِيَوْمٍ مُوافِقٍ تَكُونُ لَهُ فِيهِ سَعادَةٌ لِمُحارَبَةِ مَلِكِ الهِنْدِ وَالنُّصْرَةِ عَلَيْهِ . فَاشْتَغَلُوا بِذٰلِكَ .

وَكانَ ذُو القَرْنَيْنِ لا يَمُرُّ بِمَدينَةٍ إِلاَّ أَخَذَ الصُّنَّاعَ المَشْهُورينَ مِنْ صُنَّاعِها بِالحِذْقِ[5] مِنْ كُلِّ صِنْفٍ ، فَأَنْتَجَتْ لَهُ هِمَّتُهُ ، وَدَلَّتْهُ فِطْنَتُهُ ، أَنْ يُقَدِّمَ إِلَى الصُّنَّاعِ الَّذينَ مَعَهُ أَنْ يَصْنَعُوا خَيْلاً مِنْ نُحاسٍ مُجَوَّفَةً ، عَلَيْها تَماثيلُ مِنَ الرِّجالِ عَلَى بَكَرٍ[6] تَجْري ، إِذا دُفِعَتْ مَرَّتْ سِراعاً . وَأَمَرَ إِذا فَرَغُوا مِنْها أَنْ تُحْشَى أَجْوافُها بِالنَّفْطِ وَالكِبْريتِ ، وَتُلَبَّسَ وَتُقَدَّمَ أَمامَ الصَّفِّ في القَلْبِ . وَوَقْتَ ما يَلْتَقِي الجَمْعانِ تُضْرَمُ فِيها النِّيرانُ ؛ فَإِنَّ الفِيلَةَ إِذا لَفَحَتْ خَراطِيمَها عَلَى الفُرْسانِ وَهِيَ حامِيَةٌ وَلَّتْ

---

(١) مكائد ومكايد : جمع مكيدة : وهي الحيلة . (٢) الخندق : حفير حول اسوار المدن أو أمام الجيوش (معرب) . (٣) استخراج . (٤) البطش به . (٥) المهارة (٦) جمع بكرة وهي آلة مستديرة في وسطها محز تمر عليها حبل لرفع الأثقال وحطها .

هَارِبَةً . وَأَوْعَزَ[1] إِلَى الصُّنَّاعِ بِالتَّشْمِيرِ[2] وَالِانْكِمَاشِ[3] وَالْفَرَاغِ مِنْهَا . فَجَدُّوا فِي ذَلِكَ وَعَجَّلُوا وَقَرُبَ أَيْضاً وَقْتُ اخْتِيَارِ الْمُنَجِّمِينَ .

فَأَعَادَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رُسُلَهُ إِلَى فُورٍ بِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَالْإِذْعَانِ[4] لِدَوْلَتِهِ فَأَجَابَ جَوَابَ مُصِرٍّ عَلَى مُحَارَبَتِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذُو الْقَرْنَيْنِ عَزِيمَتَهُ ، سَارَ إِلَيْهِ بِأُهْبَتِهِ[5] ، وَقَدَّمَ فُورٌ الْفِيلَةَ أَمَامَهُ وَدَفَعَتِ الرِّجَالُ تِلْكَ الْخَيْلَ وَتَمَاثِيلَ الْفُرْسَانِ ، فَأَقْبَلَتِ الْفِيلَةُ نَحْوَهَا ، وَلَفَّتْ خَرَاطِيمَهَا عَلَيْهَا .

فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِالْحَرَارَةِ أَلْقَتْ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا ، وَدَاسَتْهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهَا ، وَمَضَتْ مَهْزُومَةً هَارِبَةً ، لَا تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ[6] وَلَا تَمُرُّ بِأَحَدٍ إِلَّا وَطِئَتْهُ . وَتَقَطَّعَ[7] فُورٌ وَجَمْعُهُ ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْإِسْكَنْدَرِ ، وَأَثْخَنُوا[8] فِيهِمِ الْجِرَاحَ . وَصَاحَ الْإِسْكَنْدَرُ : يَا مَلِكَ الْهِنْدِ ابْرُزْ إِلَيْنَا ، وَأَبْقِ عَلَى عُدَّتِكَ وَعِيَالِكَ ، وَلَا تَحْمِلْهُمْ عَلَى الْفَنَاءِ . فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَرْمِيَ الْمَلِكُ بِعُدَّتِهِ فِي الْمَهَالِكِ الْمُتْلِفَةِ ، وَالْمَوَاضِعِ الْمُجْحِفَةِ[9] بَلْ يَقِيهِمْ[10] بِمَالِهِ ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ بِنَفْسِهِ . فَابْرُزْ إِلَيَّ وَدَعِ الْجُنْدَ ، فَأَيُّنَا

---

(١) أوعز اليهم أي أمرهم : (٢) الجد (٣) الاسراع (٤) الانقياد والخضوع (٥) الاهبة : العدة التي اعتدها للملاقاة مثله (٦) أي لاتقف ولاتلتفت إلى أي شيء . (٧) تشتت ، وتفرق (٨) أكثروا ، من الاثخان في الشيء وهو المبالغة فيه والاكثار (٩) من أجحف الدهر بالناس : استأصلهم (١٠) يحفظهم .

قَهرَ صَاحِبَهُ فَهُوَ الأَسْعَدُ . فَلَمَّا سَمِعَ فُورٌ مِنْ ذِي القَرْنَيْنِ ذٰلِكَ الكَلاَمَ ، دَعَتْهُ نَفْسُهُ لِمُلاقَاتِهِ طَمَعاً فِيهِ ؛ وَظَنَّ ذٰلِكَ فُرْصَةً .

فَبَرَزَ إِلَيْهِ الإِسْكَنْدَرُ ، فَتَجَاوَلاَ[1] عَلَى ظَهْرَيْ فَرَسَيْهِمَا سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ ، لَيْسَ يَلْقَى أَحَدُهُما مِنْ صَاحِبِهِ فُرْصَةً ، وَلَمْ يَزَالاَ يَتَعَارَكَانِ . فَلَمَّا أَعْيَا[2] الإِسْكَنْدَرَ أَمْرُهُ ، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ فُرْصَةً وَلاَ حِيلَةً ، أَوْقَعَ ذُو القَرْنَيْنِ فِي عَسْكَرِهِ صَيْحَةً عَظِيمَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الأَرْضُ وَالعَسَاكِرُ ؛ فَالْتَفَتَ فُورٌ عِنْدَمَا سَمِعَ الزَّعْقَةَ ، وَظَنَّهَا مَكِيدَةً فِي عَسْكَرِهِ ، فَعَاجَلَهُ ذُو القَرْنَيْنِ بِضَرْبَةٍ أَمَالَتْهُ عَنْ سَرْجِهِ وَتَبِعَهُ بِأُخْرَى ؛ فَوَقَعَ عَلَى الأَرْضِ . فَلَمَّا رَأَتِ الْهِنْدُ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، وَمَا صَارَ إِلَيْهِ مَلِكُهُمْ ، حَمَلُوا عَلَى الإِسْكَنْدَرِ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالاً أَحَبُّوا مَعَهُ الْمَوْتَ ، فَوَعَدَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ الإِحْسَانَ ، وَمَنَحَهُ اللهُ أَكْنَافَهُمْ[3] ، فَاسْتَوْلَى عَلَى بِلاَدِهِمْ ، وَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ رَجُلاً مِنْ ثِقَاتِهِ[4] . وَأَقَامَ بِالْهِنْدِ حَتَّى اسْتَوْسَقَ[5] لَهُ مَا أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَاتَّفَقَ كَلِمَتُهُمْ .

ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِ الْهِنْدِ وَخَلَّفَ ذٰلِكَ الرَّجُلَ عَلَيْهِمْ ، وَمَضَى مُتَوَجِّهاً نَحْوَ مَا قَصَدَ لَهُ . فَلَمَّا بَعُدَ ذُو القَرْنَيْنِ عَنِ الْهِنْدِ بِجُيُوشِهِ ، تَغَيَّرَتِ الْهِنْدُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ الرَّجُلِ الَّذِي خَلَّفَهُ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا :

---

(١) يعني: تقاتلا (٢) أعيا : أعجز (٣) يريد مكنه منهم (٤) اي ممن يثق بهم من جماعته (٥) اجتمع .

لَيْسَ يَصْلُحُ لِلسِّيَاسَةِ ، وَلا تَرْضَى الْخَاصَّةُ وَلا العَامَّةُ أَنْ يُمَلِّكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلاً لَيْسَ هُوَ مِنْهُم ولا مِن أَهْلِ بُيُوتِهِمْ ، فَإِنَّهُ لايَزَالُ يَسْتَذِلُّهُمْ وَيَسْتَقِلُّهُمْ[1] . وَاجْتَمَعُوا يُمَلِّكُونَ عَلَيْهِمْ رَجُلاً مِنْ أَوْلادِ مُلُوكِهِمْ ؛ فَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكاً يُقَالُ لَهُ دَبْشَلِيمُ ؛ وَخَلَعُوا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ خَلَّفَهُ عَلَيْهِمُ الإِسْكَنْدَرُ . فَلَمَّا اسْتَوْسَقَ لَهُ الأَمْرُ وَاسْتَقَرَّ لَهُ الْمُلْكُ ؛ طَغَى وَبَغَى ، وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ ، وَجَعَلَ يَغْزُو مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُلُوكِ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مُؤَيَّداً مُظَفَّراً منصُوراً . فَهَابَتْهُ الرَّعِيَّةِ ، فَلَمَّا رَأَى مَاهُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّطْوَةِ ، عَبِثَ[2] بِالرَّعِيَّةِ ، وَاسْتَصْغَرَ أَمْرَهُمْ ، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ فيهِمْ . وكانَ لايَرْتَقِي حَالُهُ إِلاَّ ازْدَادَ عُتُوّاً[3] . فَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ[4] . وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ فَيْلَسُوفٌ مِنَ البَرَاهِمَةِ فَاضِلٌ حَكِيمٌ يُعْرَفُ بِفَضْلِهِ ، وَيُرْجَعُ فِي الأُمُورِ إِلَى قَوْلِهِ ، يُقَالُ لَهُ بَيْدَبَا فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ لِلرَّعِيَّةِ ، فَكَّرَ فِي وَجْهِ الْحِيلَةِ فِي صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ ، وَرَدِّهِ إِلَى العَدْلِ وَالإِنْصَافِ ، فَجَمَعَ لِذَلِكَ تَلامِيذَهُ ، وَقَالَ : أَتَعْلَمُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُشَاوِرَكُمْ فِيهِ ؟ اعْلَمُوا أَنِّي أَطَلْتُ الْفِكْرَةَ فِي دَبْشَلِيمَ ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ

---

(١) يراهم قليلي القيمة (٢) يريد أفسد أحوال الرعية (٣) العتو : الاستكبار والجور وخروج الانسان عن الحد (٤) البرهة : الزمن الطويل ، وربما جاز فيها ماتفهمه العامة من أنها الوقت القصير .

مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ العَـــدْلِ ، ولُزُومِ الشَّرِّ ، ورَدَاءَةِ السِّيرَةِ ، وسُوءِ العِشْرَةِ مَعَ الرَّعِيَّةِ ، ونَحْنُ مَانَرُوضُ[1] أَنْفُسَنَا لِمِثْلِ هٰذِهِ الأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ الْمُلُوكِ إِلاَّ لِنَرُدَّهُمْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ ، ولُزُومِ العَـــدْلِ ومَتَى أَغْفَلْنَا ذٰلِكَ وأَهْمَلْنَاهُ لَزِمَ وُقُوعُ الْمَكْرُوهِ بِنَا ، وَبُلُوغُ الْمَحْذُورَاتِ إِلَيْنَا[2] ، إِذْ كُنَّا فِي أَنْفُسِ الْجُهَّالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ ، وَفِي الْعُيُونِ عِنْدَهُمْ أَقَلَّ مِنْهُمْ[3] . ولَيْسَ الرَّأْيُ عِنْدِي الْجَـــلاءَ عَنِ الْوَطَنِ ؛ ولاَ يَسَعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيرَةِ وقُبْحِ الطَّرِيقَةِ . ولَا يُمْكِنُنَا مُجَاهَدَتُهُ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِنَا ، ولَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمْ تَتَهَيَّأْ لَنَا مُعَانَدَتُهُ . وإِنْ أَحَسَّ مِنَّا مُخَالَفَتَهُ وإِنْكَارَنَا سُوءَ سِيرَتِهِ كَانَ فِي ذٰلِكَ بَوَارُنَا[4] . وقَدْ تَعْلَمُونَ إِنَّ مُجَاوَرَةَ السَّبُعِ والكَلْبِ والحَيَّةِ والثَّوْرِ عَلَى طِيبِ الوَطَنِ ونَضَارَةِ العَيْشِ[5] ، لَغَدْرٌ[6] بِالنَّفْسِ ، وإِنَّ الفَيْلَسُوفَ لَحَقِيقٌ[7] أَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ مَصْرُوفَةً إِلَى مَايُحَصِّنُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ نَوَازِلِ الْمَكْرُوهِ ولَوَاحِقِ الْمَحْذُورِ ، ويَدْفَعُ الْمَخُوفَ لاسْتِجْلَابِ الْمَحْبُوبِ . ولَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ فَيْلَسُوفاً كَتَبَ لِتِلْمِيذِهِ يَقُولُ : إِنَّ مُجَاوِرَ رِجَالِ السُّوءِ ومُصَاحِبَهُمْ كَرَاكِبِ الْبَحْرِ : إِنْ سَلِمَ مِنَ الْغَرَقِ لَمْ

(١) من قولهم رضت لدابة أروضها : مهدتها وذللتها، ويريد نوطن أنفسنا (٢) يريد وصول الأشياء التي نكرها الينا (٣) يعني ونصبح في نظر الجهال من الناس أشد جهلا منهم (٤) هلاكنا (٥) طيبه (٦) اللام في (لغدر) تسمى لام التعليق ولذا وجب كسر همزة إن السابقة (وتعلمون) حينئذ لم تعمل الا في المحل لتعلقها عن العمل . (٧) لجدير .

يَسْلَمْ مِنَ الْمَخَاوِفِ . فَإِذَا هُوَ أَوْرَدَ نَفْسَهُ مَوَارِدَ الْهَلَكَاتِ[1] ، وَمَصَادِرَ الْمَخُوفَاتِ ، عُدَّ مِنَ الْحَمِيرِ الَّتِي لا نَفْسَ لَهَا[2] ، لأَنَّ الْحَيَوَانَاتِ الْبَهِيمِيَّةَ خُصَّتْ فِي طَبَائِعِهَا[3] بِمَعْرِفَةِ مَا تَكْتَسِبُ بِهِ النَّفْعَ ، وَتَتَوَقَّى الْمَكْرُوهَ : وَذَلِكَ أَنَّنَا لَمْ نَرَهَا تُورِدُ أَنْفُسَهَا مَوْرِداً فِيهِ هَلَكَتُهَا ، وَأَنَّهَا مَتَى أَشْرَفَتْ عَلَى مَوْرِدٍ مُهْلِكٍ لَهَا مَالَتْ بِطَبَائِعِهَا الَّتِي رُكِّبَتْ فِيهَا - شُحًّا[4] بِأَنْفُسِهَا وَصِيَانَةً لَهَا - إِلَى النُّفُورِ وَالتَّبَاعُدِ عَنْهُ . وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهَذَا الأَمْرِ لأَنَّكُمْ أُسْرَتِي وَمَكَانُ سِرِّي ، وَمَوْضِعُ مَعْرِفَتِي ، وَبِكُمْ أَعْتَضِدُ ، وَعَلَيْكُمْ أَعْتَمِدُ فَإِنَّ الْوَحِيدَ فِي نَفْسِهِ ، وَالْمُنْفَرِدَ بِرَأْيِهِ حَيْثُ كَانَ فَهُوَ ضَائِعٌ وَلا نَاصِرَ لَهُ ، عَلَى أَنَّ الْعَاقِلَ قَدْ يَبْلُغُ بِحِيلَتِهِ مَالا يَبْلُغُ بِالْخَيْلِ وَالْجُنُودِ ، وَالْمَثَلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ قُبَّرَةً[5] اتَّخَذَتْ أُدْحِيَّةً[6] وَبَاضَتْ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ الْفِيلِ ، وَكَانَ لِلْفِيلِ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . فَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى عَادَتِهِ لِيَرِدَ مَوْرِدَهُ[7] ، فَوَطِئَ عُشَّ الْقُبَّرَةِ ، وَهَشَّمَ بَيْضَهَا ، وَقَتَلَ فِرَاخَهَا ، فَلَمَّا نَظَرَتْ مَا سَاءَهَا ، عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ لامِنْ غَيْرِهِ . فَطَارَتْ فَوَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ بَاكِيَةً ، ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ

---

(١) اي عرّض نفسه للهلاك (٢) يريد بالنفس هنا العقل والإدراك (٣) غرائزها (٤) الشح مثلثة : الضنّ والبخل (٥) القبّرة على وزن سكرة : نوع من العصافير (٦) الأدحية بضم الهمزة وتكسر : مبيض النعامة في الرمل ، قال الجوهري : لانها تدحوها برجلها أي تفحصها ثم أطلقت هنا على مبيض القبرة (٧) ليأتي مكان شربه .

لِمَ هَشَّمْتَ بَيْضِي ، وقَتَلْتَ فِرَاخِي وَأَنَا فِي جِوَارِكَ ؟ أَفَعَلْتَ هٰذَا اسْتِصْغَاراً مِنْكَ لأَمْرِي ، وَاحْتِقَاراً لِشَأْنِي ؟ قَالَ : هُوَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى ذٰلِكَ[1] فَتَرَكَتْهُ وَانْصَرَفَتْ إِلَى جَمَاعَةِ الطَّيْرِ ، فَشَكَتْ إِلَيْهَا مَا نَالَهَا مِنَ الفِيلِ فَقُلْنَ لَهَا : وَمَا عَسَى أَنْ نَبْلُغَ مِنْهُ[2] ، وَنَحْنُ طُيُورٌ ؟ فَقَالَتْ لِلْعَقَاعِقِ[3] وَالْغِرْبَانِ : أُحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَصِرْنَ مَعِي إِلَيْهِ فَتَفْقَأْنَ عَيْنَيْهِ ، فَإِنِّي أَحْتَالُ لَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِحِيلَةٍ أُخْرَى .

فَأَجَبْنَهَا إِلَى ذٰلِكَ ، وَذَهَبْنَ إِلَى الفِيلِ ، وَلَمْ يَزَلْنَ يَنْقُرْنَ عَيْنَيْهِ حَتَّى ذَهَبْنَ بِهَا . وَبَقِيَ لاَ يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ إِلاَّ مَا يَقْمُهُ مِنْ مَوْضِعِهِ[4] . فَلَمَّا عَلِمَتْ ذٰلِكَ مِنْهُ ، جَاءَتْ إِلَى غَدِيرٍ فِيهِ ضَفَادِعُ كَثِيرَةٌ ، فَشَكَتْ إِلَيْهَا مَا نَالَهَا مِنَ الفِيلِ . قَالَتِ الضَّفَادِعُ : مَا حِيلَتُنَا نَحْنُ فِي عِظَمِ الفِيلِ ؟ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ ؟ قَالَتْ : أُحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَصِرْنَ مَعِي إِلَى وَهْدَةٍ[5] قَرِيبَةٍ مِنْهُ فَتَنْقَقْنَ[6] فِيهَا وَتَضْجِجْنَ[7] . فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُنَّ لَمْ يَشُكَّ فِي المَاءِ[8] فَيَهْوِي فِيهَا . فَأَجَبْنَهَا إِلَى

---

(١) اي استصغاري لك واحتقاري لشأنك هو الذي دفعني لتحطيم عشك وقتل فراخك (٢) ماهو الشيء الذي يمكننا أن نفعله معه ؟ (٣) جمع عقعق وهوطير أبلق بسواد وبياض (٤) قم الشيء كنصر : وقمت الشاة وغيرها أكلت ما على الارض (٥) الوهدة : المنخفض من الارض ومثلها الهوة (٦) النقنقة : صوت الضفادع (٧) من الضجة وهي الصخب (٨) يعني اذا سمع الفيل اصوات الضفادع اعتقد بوجود الماء في مكانها لان العادة أن تعيش في الماء فيأتي ليشرب فيقع في الهوة .

ذلكَ وَٱجتمعنَ في ٱلهاوية ، فسمعَ الفيلُ نقيقَ الضفادعِ وقدْ أجهدهُ العطشُ ، فأقبلَ حتّى وقعَ في الوهدةِ فارتطمَ[1] فيها .

وجاءتِ القبرةُ ترفرفُ على رأسهِ ، وقالتْ أيّها الطاغي المغترُّ بقوّتهِ ، المحتقرُ لأمري ، كيفَ رأيتَ عظمَ حيلتي معَ صغرِ جثّتي عندَ عظمِ جثّتكَ وصغرِ همّتكَ ؟

فليُشرْ كلُّ واحدٍ منكمْ بما يسنحُ لهُ منَ الرأيِ قالوا بأجمعهمْ : أيّها الفيلسوفُ الفاضلُ ، والحكيمُ العادلُ ، أنتَ المقدّمُ فينا ، والفاضلُ علينا . وما عسى أنْ يكونَ مبلغُ رأينا عندَ رأيكَ ، وفهمنا عندَ فهمكَ ؟ غيرَ أنّنا نعلمُ أنّ السباحةَ في الماءِ معَ التمساحِ تغريرٌ[2] ، والذنبُ فيهِ لمنْ دخلَ عليهِ في موضعهِ . والذي يستخرجُ السمَّ منْ بابِ الحيّةِ فيبتلعهُ ليجرّبهُ على نفسهِ ، فليسَ الذنبُ للحيّةِ . ومنْ دخلَ على الأسدِ في غابتهِ لمْ يأمنْ وثبتهُ . وهذا الملكُ لمْ تفزعهُ النوائبُ ، ولمْ تؤدّبهُ التجاربُ ولسنا نأمنُ عليكَ ولا على أنفسنا سطوتهُ وإنّا نخافُ عليكَ منْ سورتهِ[3] ومبادرتهِ[4] بسوءٍ إذا لقيتهُ بغيرِ ما يحبُّ . فقالَ الحكيمُ بيدبا : لعمري لقدْ قلتمْ فأحسنتمْ . لكنَّ ذا الرأيِ الحازمِ لا يدعُ أنْ يشاورَ منْ هوَ دونهُ أوْ فوقهُ في المنزلةِ والرأيُ

(١) تكسّر (٢) يريد : تعريض النفس الى التهلكة (٣) سطوته واعتدائه (٤) اسراعه وسبقه .

ٱلفَرْدُ لا يُكْتَفى بِهِ في الخَاصَّةِ ، ولا يُنْتَفَعُ بِهِ في ٱلعَامَّةِ . وقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتي[1] على لِقَاءِ دَبْشَلِيمَ ، وقَد سَمِعتُ مَقالَتَكُمْ وتَبَيَّنَ لي نَصِيحَتُكُمْ ، والإِشْفَاقُ[2] عَلَيَّ وعَلَيكُمْ . غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيتُ رَأْياً ، وعَزَمْتُ عَزْماً ، وسَتَعْرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ المَلِكِ ، ومُجَاوَبَتِي إِيَّاهُ . فإِذَا ٱتَّصَلَ بِكُمْ خُرُوجِي مِنْ عِنْدِهِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ . وَصَرَفَهُمْ وهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بالسَّلامَةِ .

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبا ٱخْتَارَ يَوْماً لِلدُّخُولِ على المَلِكِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْوَقْتُ أَلقَى عَلَيْهِ مُسُوحَهُ[3] ، وهِيَ لِبَاسُ ٱلبَرَاهِمَةِ ، وقَصَدَ بَابَ المَلِكِ ، وسَأَلَ عَنْ صَاحِبِ إِذْنِهِ[4] ، وأُرْشِدَ إِلَيْهِ ، وسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وأَعْلَمَهُ ، وقَالَ لَهُ : إِنِّي رَجُلٌ قَصَدْتُ المَلِكَ فِي نَصِيحَةٍ فَدَخَلَ الآذِنُ على المَلِكِ فِي وقْتِهِ ، وقَالَ لَهُ : بِالبَابِ رَجُلٌ مِنَ ٱلبَرَاهِمَةِ يُقَالُ لَهُ بَيْدَبا ، ذَكَرَ : أَنَّ مَعَهُ لِلْمَلِكِ نَصِيحَةً . فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ ووَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وكَفَّرَ[5] وسَجَدَ لَهُ ، واسْتَوَى قَائِماً ، وسَكَتَ وفَكَّرَ دَبْشَلِيمُ فِي سُكُوتِهِ وقَالَ : إِنَّ هٰذَا لَمْ يَقْصِدْنَا إِلاَّ لأَمْرَيْنِ : إِمَّا لِالتِمَاسِ[6] شَيْءٍ يُصْلِحُ بِهِ حَالَهُ ، أَوْ لأَمْرٍ لَحِقَهُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ طَاقَةٌ . ثُمَّ قَالَ : إِنْ كَانَ لِلْمُلُوكِ فَضْلٌ فِي مَمْلَكَتِهَا ، فَإِنَّ لِلْحُكَمَاءِ فَضْلاً فِي حِكْمَتِهَا أَعْظَمَ ، لأَنَّ الْحُكَمَاءَ

(١) صممت (٢) الخوف (٣) جمع مِسْح بالكسر : وهو الكساء من الشعر (٤) اي الحاجب الذي يستأذن الملك لمن يريد الدخول عليه من الناس (٥) عظّم : والكفر من معانيه تعظيم الفارس لملكه بإيماء الرأس من غير سجود (٦) طلب

أَغْنِيَاءُ عَنِ الْمُلُوكِ بِالعِلْمِ ، وَلَيْسَ الْمُلُوكُ بِأَغْنِيَاءَ عَنِ الْحُكَمَاءِ بِالمَالِ .
وَقَدْ وَجَدْتُ الْعِلْمَ وَالْحَيَاءَ إِلْفَيْنِ[1] مُتَآلِفَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ ، مَتَى فُقِدَ أَحَدُهُمَا لَمْ يُوجَدِ الآخَرُ ، كَالْمُتَصَافِيَيْنِ[2] إِنْ عُدِمَ مِنْهُمَا أَحَدٌ لَمْ يَطِبْ صَاحِبُهُ نَفْساً بِالبَقَاءِ بَعْدَهُ تَأَسُّفاً عَلَيْهِ . وَمَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَيُكْرِمْهُمْ وَيَعْرِفْ فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَيَصُنْهُمْ عَنِ الْمَوَاقِفِ الْوَاهِنَةِ[3] ، وَيُنَزِّهْهُمْ[4] عَنِ الْمَوَاطِنِ الرَّذْلَةِ ، كَانَ مِمَّنْ حُرِمَ عَقْلَهُ ، وَخَسِرَ دُنْيَاهُ ، وَظَلَمَ الْحُكَمَاءَ حُقُوقَهُمْ ، وَعُدَّ مِنَ الْجُهَّالِ . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى بَيْدَبَا ، وَقَالَ لَهُ : نَظَرْتُ إِلَيْكَ يَا بَيْدَبَا سَاكِتاً لَا تَعْرِضُ حَاجَتَكَ ، وَلَا تَذْكُرُ بُغْيَتَكَ[5] ، فَقُلْتُ : إِنَّ الَّذِي أَسْكَتَهُ هَيْبَةُ سَاوَرَتْهُ[6] أَوْ حَيْرَةٌ أَدْرَكَتْهُ ، وَتَأَمَّلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ طُولِ وُقُوفِكَ ، وَقُلْتُ : لَمْ يَكُنْ لِبَيْدَبَا أَنْ يَطْرُقَنَا[7] عَلَى غَيْرِ عَادَةٍ إِلَّا لِأَمْرٍ حَرَّكَهُ لِذَلِكَ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ ، فَهَلَّا[8] نَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ دُخُولِهِ؟ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ ضَيْمٍ[9] نَالَهُ كُنْتُ أَوْلَى مَنْ أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَسَارَعَ فِي تَشْرِيفِهِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْبُلُوغِ إِلَى مُرَادِهِ وَإِعْزَازِهِ . وَإِنْ كَانَتْ بُغْيَتُهُ

---

(١) رفيقين (٢) المتوادّين (٣) الواهنة : الضعيفة ، والمراد المنحطة (٤) يبعدهم (٥) البغية هي الطلبة (٦) غلبته وأخذت برأسه (٧) يحضر لدينا (٨) هلا : كلمة تحضيض مركبة من هل ولا التحضيض معناه الطلب بشدة من الأعلى للأدنى ، وعكسه العرض وهو الطلب بالرفق من الأدنى أو المساوي في القيمة وأداته : ألا (٩) ظلم أو مصيبة .

غَرَضاً مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنيَا أَمَرْتُ بِإِرْضَائِهِ مِنْ ذٰلِكَ فِيمَا أَحَبَّ . وإِنْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِ المُلْكِ ، وَمِمَّا لا يَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ يَبْذُلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلاَ يَنْقَادُوا إِلَيْهِ ، نَظَرْتُ فِي قَدْرِ عُقُوبَتِهِ . عَلَى أَنَّ مِثْلَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِىءَ عَلَى إِدْخَالِ نَفْسِهِ فِي بَابِ مَسأَلَةِ[1] المُلُوكِ . وإِنْ كَانَ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الرَّعِيَّةِ يَقْصِدُ فِيهِ أَنِّي أَصْرِفُ عِنَايَتِي إِلَيْهِمْ نَظَرْتُ مَاهُوَ ، فَإِنَّ الحُكَمَاءَ لا يُشِيرُونَ إِلاَّ بِالخَيْرِ ، والجُهَّالَ يُشِيرُنَ بِضِدِّهِ . وأَنَا قَدْ فَسَحْتُ[2] لَكَ فِي الكَلامِ . فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدَبَا ذٰلِكَ مِنَ المَلِكِ أَفْرَخَ عَنْهُ رَوْعُهُ[3] وسُرِّيَ[4] عَنْهُ مَا كَانَ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ ، وكَفَّرَ لَهُ وسَجَدَ ثُمَّ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وقَالَ : أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى بَقَاءَ المَلِكِ عَلَى الأَبَدِ ، وَدَوَامَ مُلْكِهِ عَلَى طُولِ الأَمَدِ ؛ لأَنَّ المَلِكَ قَدْ مَنَحَنِي فِي مَقَامِي هٰذَا مَحَلاً جَعَلَهُ شَرَفاً لِي عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدِي مِنَ العُلَمَاءِ ، وذِكْراً بَاقِياً عَلَى الدَّهْرِ عِنْدَ الحُكَمَاءِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى المَلِكِ بِوَجْهِهِ مُسْتَبْشِراً بِهِ فَرِحاً بِمَا بَدَا لَهُ مِنْهُ ، وقَالَ : قَدْ عَطَفَ المَلِكُ عَلَيَّ بِكَرَمِهِ وإِحْسَانِهِ. والأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ عَلَى المَلِكِ ، وَحَمَلَنِي عَلَى المُخَاطَرَةِ لِكَلامِهِ ، والإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، نَصِيحَةٌ اخْتَصَصْتُهُ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ .

(١) بمعنى سؤال (٢) فسحت لك : وسعت من قولهم فسح له المكان : وسع ويقصد أذنت (٣) أفرخ عنه روعه : ذهب خوفه (٤) زال ما كان قد نزل به من الخوف .

وسَيعلَمُ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ ذٰلِك[1] أَنِّي لَمْ أُقَصِّرْ عَنْ غَايَةٍ فِيما يَجِبُ لِلْمَوْلى[2] عَلى الْحُكَماءِ . فَإِنْ فَسَحَ في كَلامِي ووَعاهُ عَنِّي فَهُوَ حَقِيقٌ بِذٰلِكَ وَمَا يَرَاهُ ؛ وإِنْ هُوَ أَلقَاهُ فَقَدْ بَلَّغْتُ مَا يَلْزَمُني، وخَرَجْتُ مِنْ لَوْمِ يَلْحَقُني[3] قَالَ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا تَكَلَّمْ كَيْفَ شِئْتَ ، فَإِنِّي مُصْغٍ إِلَيْكَ ، ومُقْبِلٌ عَلَيْكَ ، وسَامِعٌ مِنْكَ ، حَتّى أَسْتَفْرِغَ مَاعِنْدَكَ إِلى آخِرِهِ ، وأُجَازِيَكَ عَلى ذٰلِكَ بِما أَنْتَ أَهْلُهُ . قَالَ بَيْدَبَا : إِنِّي وَجَدْتُ الْأُمُورَ التِي اخْتَصَّ بِهَا الْإِنْسَانُ[4] مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانِ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ ، وهِيَ جَمَاعُ مَا في الْعَالَمِ[5] : وهِيَ الْحِكْمَةُ ، والْعِفَّةُ[6] ، والْعَقْلُ ، والْعَدْلُ[7] . والْعِلْمُ[8] والأَدَبُ[9] والرَّوِيَّةُ[10] دَاخِلَةٌ في بَابِ الْحِكْمَةِ . والْحِلْمُ[11] والصَّبْرُ[12]

---

(١) أي من يعلم من الناس بخبر نصحي الملك . (٢) المولى هنا بمعنى السيد وقد تأتي بمعنى العبد فهي من الاضداد . (٣) اذا ما قصرت عن واجب النصح . (٤) خصه بها . (٥) جماع الشيء بالكسر : جمعه ، وأما جماع على وزن رمان فهو اخلاط الناس من قبائل شتى . (٦) العفة : هي فضيلة تظهر في الانسان إذا صرف شهواته بحسب الرأي أعني ان يوافق التمييز الصحيح فيصير بذلك حراً غير متعبد لشيء من شهواته . والعفة وسط بين رذيلتين : هما الشره وهو الانهماك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي : والخمود في الشهوات وهو السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة . (٧) العدل : مصدر بمعنى العدالة ، وهي فضيلة للنفس يختار بها صاحبها الانصاف من نفسه أولاً ثم الانصاف والانتصاف من غيره . (٨) العلم عند الحكماء : حصول صورة الشيء في العقل (٩) الأدب : معرفة ما يحترز به من جميع أنواع الخطأ . (١٠) اعمال الفكر والتدبير . (١١) الحلم : هو الطمأنينة عند سورة الغضب . (١٢) الصبر : مقاومة النفس للهوى حتى لاتنقاد للشكوى .

والوَقَارُ [1] دَاخِلَةٌ في بَابِ العَقْلِ . وَالحَيَاءُ [2] والكَرَمُ [3] والصِّيَانَةُ [4] والأَنَفَةُ [5] دَاخِلَةٌ في بَابِ العِفَّةِ . والصِّدْقُ [6] والإِحْسَانُ والمُرَاقَبَةُ وحُسْنُ الخُلُقِ دَاخِلَةٌ في بَابِ العَدْلِ . وهٰذِهِ هِيَ المَحَاسِنُ ، وأَضْدَادُهَا هِيَ المَسَاوِئُ . فَمَتَى كَمُلَتْ هٰذِهِ في وَاحِدٍ ، لَمْ تُخْرِجْهُ الزِّيَادَةُ في نِعْمَةٍ إِلى سُوءِ الحَظِّ مِنْ دُنْيَاهُ ، وَلا إِلى نَقْصٍ في عُقْبَاهُ [7] ، وَلَمْ يَتَأَسَّفْ عَلى مَا لَمْ يُعِنِ التَّوْفِيقُ بِبَقَائِهِ وَلَمْ يُحْزِنْهُ مَا تَجْرِي المَقَادِيرُ في مُلْكِهِ . وَلَمْ يَدْهَشْ عِنْدَ مَكْرُوهٍ ، فَالحِكْمَةُ كَنْزٌ لا يَفْنَى عَلى إِنْفَاقٍ ، وذَخِيرَةٌ لا يَضُرُّ بِهَا الإِمْلاقُ . وَحُلَّةٌ [8] لا تَخْلَقُ جِدَّتُهَا [9] ، ولَذَّةٌ لا تُصْرَمُ [10] مُدَّتُهَا . ولَئِنْ كُنْتُ عِنْدَ مَقَامِي بَيْنَ يَدَيِ المَلِكِ أَمْسَكْتُ عَنِ ابْتِدَائِهِ بِالكَلامِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنِّي إِلاَّ لِهَيْبَتِهِ والإِجْلالِ لَهُ . ولَعَمْرِي [11] إِنَّ المُلُوكَ لأَهْلٌ أَنْ يُهَابُوا لاسِيَّمَا مَنْ هُوَ في المَنْزِلَةِ التي جَلَّ فِيهَا المَلِكُ عَنْ مَنَازِلِ المُلُوكِ قَبْلَهُ ، وقَدْ قَالَتِ العُلَمَاءُ : الزَمِ السُّكُوتَ فَإِنَّ فِيهِ سَلامَةً ، وتَجَنَّبِ الكَلامَ الفَارِغَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ النَّدَامَةُ .

---

(١) الوقار : التأني في التوجه نحو المطالب . (٢) الحياء : انقباض النفس من شيء وتركه حذراً من الذم . (٣) الكرم : انفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي . (٤) الصيانة : حفظ النفس من مثل المعايب . (٥) الأنفة : الترفع عن الدنايا . (٦) الصدق هنا : قول الحق في مواطن الهلاك . (٧) آخرته . (٨) لباس (٩) الجدة : بالكسر فالتشديد : ضد البلى وتخلق : تبلى يعنى حلة لا تزال على بهجة الجديد (١٠) لا تنقضي (١١) اللام في لعمري لتأكيد الابتداء ، وعمري مبتدأ والخبر محذوف وجوباً تقديره (قسمى أو ما أقسم به) ومعنى العمر بالفتح : البقاء .

وحُكِيَ : أنّ أربعةً من العُلَماءِ ضَمَّهُمْ مَجْلِسُ مَلِكٍ . فقالَ لَهُمْ : لِيَتَكَلَّمْ كُلٌّ بِكَلامٍ يَكُونُ أَصْلاً لِلأَدَبِ . فقالَ أَحَدُهُمْ : أَفْضَلُ خَلَّةِ العِلْمِ السُّكُوتُ . وقالَ الثّاني : إنّ مِنْ أَنْفَعِ الأَشْياءِ لِلإِنْسانِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ مَنْزِلَتِهِ مِنْ عَقْلِهِ . وقالَ الثّالثُ : أَنْفَعُ الأَشْياءِ لِلإِنْسانِ أَلاّ يَتَكَلَّمَ بِما لا يَعْنِيهِ . وقالَ الرّابِعُ : أَرْوَحُ الأُمُورِ[1] لِلإِنْسانِ التَّسْلِيمُ لِلْمَقادِيرِ .

واجْتَمَعَ في بَعْضِ الزَّمانِ مُلُوكُ الأَقالِيمِ : مِنَ الصِّينِ والهِنْدِ وفارِسَ والرُّومِ . وقالُوا : يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ واحِدٍ مِنّا بِكَلِمَةٍ تُدَوَّنُ عَنْهُ عَلى غابِرِ الدَّهْرِ[2] فقالَ مَلِكُ الصِّينِ : أَنا عَلى ما لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنّي عَلى رَدِّ ما قُلْتُ[3] . وقالَ مَلِكُ الهِنْدِ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ ؛ فَإِنْ كانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ ، وإن كانَتْ عَلَيْهِ أَوْبَقَتْهُ[4] . وقالَ مَلِكُ فارِسَ : أَنا إِذا تَكَلَّمْتُ بِالكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي ، وإِذا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِها مَلَكْتُها . وقالَ مَلِكُ الرُّومِ : ما نَدِمْتُ عَلى ما لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ ، ولَقَدْ نَدِمْتُ عَلى ما تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيراً . والسُّكُوتُ عِنْدَ المُلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ الهُذْرِ[5] الَّذِي لا يُرْجَعُ مِنْهُ إِلى نَفْعٍ . وأَفْضَلُ[6] ما اسْتَظَلَّ بِهِ

(١) يريد أكثر الأشياء راحة (٢) الغابر : الماضي ويستعمل بمعنى الباقي وهو من الأضداد (٣) اي اني قادر على احتباس الكلام الذي لم أقله ورده غير اني اعجز عن رده بعدما يخرج من فمي ويذاع بين الناس (٤) أهلكته (٥) الهذيان وسقط الكلام (٦) وفي نسخة وأعضل ما استضل به الانسان لسانه .

الإنسانُ لسانُهُ ، غيرَ أنّ المَلِكَ أطالَ اللهُ مُدَّتَهُ لمّا فسحَ لي في الكلامِ وأوسعَ لي فيهِ ، كانَ أولى ما أبدأُ بهِ مِنَ الأمورِ التي هيَ غرضي أنْ يكونَ ثمرةُ ذلكَ لهُ دوني ، وأنْ أختصَّهُ بالفائدةِ قبلي . على أنّ العُقبى[1] هيَ ما أقصدُ في كلامي لهُ ، وإنّما نفعُهُ وشرفُهُ راجعٌ إليهِ ، وأكونُ أنا قدْ قضيتُ فرضاً وجبَ عليَّ فأقولُ :

أيّها المَلِكُ ! إنّكَ في منازلِ آبائكَ وأجدادِكَ مِنَ الجبابرةِ الذينَ أسّسوا المُلْكَ قبلَكَ ، وشيّدوا دونَكَ ، وبنوا القلاعَ والحصونَ ، ومهّدوا البلادَ وقادوا الجيوشَ ، واستجاشوا العُدّةَ[2] ، وطالتْ لهمُ المُدّةُ ، واستكثروا مِنَ السّلاحِ والكُراعِ[3] ، وعاشوا الدُّهورَ ، في الغِبطةِ والسُّرورِ[4] . فلمْ يمنعْهمْ ذلكَ مِنَ اكتسابِ جميلِ الذِّكرِ ، ولا قطعَهمْ مِنَ اغتنامِ الشُّكرِ ، ولا استعمالِ الإحسانِ إلى مَنْ خوّلوهُ ،[5] والرِّفقِ بمَنْ ولُوهُ[6] وحُسنِ السِّيرةِ فيما تقلّدوهُ ، معَ عِظَمِ ما كانوا عليهِ مِنْ غِرّةِ المُلْكِ[7] وسَكْرةِ الاقتدارِ . وإنّكَ أيّها المَلِكُ ــ

---

(١) العاقبة . (٢) يقال استجاش الجيش : جمعه واستجاش فلانا : استثاره وطلب منه جيشاً ومددا يتقوى به . (٣) الكراع بالضم : اسم يجمع الخيل ، وقيل الخيل والسلاح . (٤) الغبطة : بالكسر وهي هنا حسن الحال . (٥) من قولهم خوله الله الشيء تخويلا : ملكه اياه . (٦) تولوا عليه . (٧) الغرة بالكسر : اسم من الاغترار .

السَّعيدُ[1] جَدُّهُ ، الطَّالِعُ كَوْكَبُ سَعْدِهِ ــ قَدْ ورِثتَ أَرْضَهُمْ ، وديارَهُمْ ، وأَمْوالَهُمْ ، ومَنازِلَهُمُ الَّتي كانَتْ عُدَّتَهُمْ . فَأَقْمتَ فِيما خُوِّلتَ مِنَ الْمُلْكِ وورِثتَ مِنَ الأَمْوالِ والْجُنُودِ ، فَلَمْ تَقُمْ في ذلِكَ بِحَقِّ مايَجِبُ عَلَيْكَ . بَلْ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ ، وعَتَوْتَ ، وعَلَوْتَ عَلى الرَّعِيَّةِ ، وأَسأْتَ السِّيرَةَ ، وعَظُمَتْ مِنْكَ الْبَلِيَّةُ . وكانَ الأَوْلى والأَشْبَهَ بِكَ[2] أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ أَسْلافِكَ ، وتَتَّبِعَ آثارَ الْمُلُوكِ قَبْلَكَ ، وتَقْفُوَ[3] مَحاسِنَ مَا أَبْقَوْهُ لَكَ ، وتُقْلِعَ[4] عَمَّا عارُهُ لازِمٌ لَكَ ، وشَيْنُهُ واقِعٌ بِكَ . وتُحْسِنَ النَّظَرَ بِرَعِيَّتِكَ ، وتَسُنَّ لَهُمْ سُنَنَ الْخَيْرِ[6] الَّذِي يَبْقَى بَعْدَكَ ذِكْرُهُ ، ويُعْقِبُكَ[7] الْجَمِيلَ فَخْرُهُ ، ويَكُونُ ذلِكَ أَبْقَى عَلى السَّلامَةِ ، وأَدْوَمَ عَلى الاسْتِقامَةِ. فَإِنَّ الْجاهِلَ الْمُغْتَرَّ مَنِ اسْتَعْمَلَ في أُمُورِهِ الْبَطَرَ والأُمْنِيَةَ[8] ، والْحازِمَ اللَّبِيبَ مَنْ ساسَ الْمُلْكَ بِالْمُداراةِ والرِّفْقِ . فَانْظُرْ أَيُّها الْمَلِكُ مَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ ، ولاَ يَثْقُلَنَّ ذلِكَ عَلَيْكَ . فَلَمْ أَتَكَلَّمْ بِهذَا ابْتِغاءَ عَرَضٍ[9] تُجازِينِي بِهِ ، ولاَ الْتِماسَ مَعْرُوفٍ تُكافِئُنِي فِيهِ . ولَكِنِّي أَتَيْتُكَ نَاصِحاً مُشْفِقاً عَلَيْكَ .

---

(١) الجد بفتح الجيم : الحظ . ويأتي بمعنى والد الأم أو الأب فهو من الالفاظ المشتركة . (٢) من أشبه الولد أباه : اذا شاركه في صفة من صفاته . (٣) تتبع . (٤) تكف وتنزع . (٥) الشين ضد الزين ومعناه القبح . (٦) تختط لهم طرق الخير . (٧) يورثك . (٨) التمني . (٩) العرض محركة : المتاع ، أو حطام الدنيا ، أو المال ، أو الغنيمة .

فَلَمَّا فَرَغَ بَيْدَبَا مِنْ مَقَالَتِهِ وَقَضَى مُنَاصَحَتَهُ ، أَوْغَرَ صَدرَ الْمَلِكِ[1] ، فَأَغْلَظَ لَهُ[2] فِي الْجَوَابِ اسْتِصْغَاراً لأَمْرِهِ . وَقَالَ : لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَداً مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي يَسْتَقْبِلُنِي بِمِثْلِهِ ، وَلاَ يُقْدِمُ عَلَى مَا أَقْدَمْتَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ أَنْتَ مَعَ صِغَرِ شَأْنِكَ ، وَضَعْفِ مُنَّتِكَ[3] ، وَعَجْزِ قُوَّتِكَ ؟ وَلَقَدْ أَكْثَرْتُ إِعْجَابِي مِنْ إِقْدَامِكَ عَلَيَّ وَتَسَلُّطِكَ[4] بِلِسَانِكَ ، فِيمَا جَاوَزْتَ فِيهِ حَدَّكَ ، وَمَا أَجِدُ شَيْئاً فِي تَأْدِيبِ غَيْرِكَ أَبْلَغَ مِنَ التَّنْكِيلِ بِكَ[5] فَذَلِكَ عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَسَاهُ أَنْ يَبْلُغَ وَيَرُومَ[6] مَا رُمْتَ أَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ إِذَا أَوْسَعُوا لَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصْلَبَ .

فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فِيمَا أَمَرَ ، فَكَّرَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ فَأَحْجَمَ عَنْهُ[7] . ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِهِ وَتَقْيِيدِهِ . فَلَمَّا حُبِسَ أَنْفَذَ فِي طَلَبِ تَلَامِيذِهِ ، وَمَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ ، فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ ، وَاعْتَصَمُوا بِجَزَائِرِ الْبِحَارِ[8] . فَمَكَثَ بَيْدَبَا فِي مَحْبِسِهِ أَيَّاماً لاَ يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ ، وَلاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، وَلاَ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ . حَتَّى إِذَا كَانَ[9] لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي سَهِدَ الْمَلِكُ سُهْداً

---

(١) أوغر قلبه : ملأه غيظاً . (٢) أي عنفه (٣) قوتك . (٤) أي التطاول . وهو من السلاطة . والسليط : طويل اللسان ، حاده ، أو اللسن الفصيح ، ولكنها هنا للذم . (٥) يريد : أن أجعلك عبرة ونكالا لغيرك . (٦) يقصد ما قصدت . (٧) رجع عما قد عزم عليه . (٨) اعتصم بالشيء امتنع به وتحصن (٩) كان هنا تامة بمعنى حدث .

شَدِيداً [1] ، فَطَالَ سُهْدُهُ ، ومَدَّ إلى الفَلَكِ [2] بَصَرَهُ ، وتَفَكَّرَ في تَفَلُّكِ [3] الفَلَكِ وحَرَكاتِ الكَواكِبِ ، فَأَغْرَقَ الفِكْرَ فِيهِ [4] ، فَسَلَكَ بِهِ إلى اسْتِنْباطِ [5] شَيْءٍ عَرَضَ لَهُ مِنْ أُمُورِ الفَلَكِ والمَسْأَلَةِ عَنْهُ . فَذَكَرَ عِنْدَ ذٰلِكَ بَيْدَبَا . وتَفَكَّرَ فِيما كَلَّمَهُ بِهِ ، فَارْعَوَى [6] لِذٰلِكَ ، وقَالَ في نَفْسِهِ : لَقَدْ أَسَأْتُ فِيما صَنَعْتُ بِهٰذَا الفَيْلَسُوفِ ، وضَيَّعْتُ واجِبَ حَقِّهِ ، وحَمَلَنِي عَلى ذٰلِكَ سُرْعَةُ الغَضَبِ . وقَدْ قالتِ العُلَمَاءُ : أَرْبَعَةٌ لا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ في المُلُوكِ : الغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ الأَشْياءِ مَقْتاً [7] ، والبُخْلُ فَإِنَّ صاحِبَهُ لَيْسَ بِمَعْذُورٍ مَعَ ذاتِ يَدِهِ [8] . والكَذِبُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يُجاوِرَهُ . والعُنْفُ في المُحاوَرَةِ [9] ، فَإِنَّ السَّفَهَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِها . وإِنِّي أَتَى إِلَيَّ رَجُلٌ نَصَحَ لِي ولَمْ يَكُنْ مُبَلِّغاً [10] ، فَعامَلْتُهُ بِضِدِّ ما يَسْتَحِقُّ ، وكافَأْتُهُ بِخِلافِ ما يَسْتَوْجِبُ . وما كانَ هٰذا جَزاءَهُ مِنِّي بَلْ كانَ الواجِبُ أَنْ أَسْمَعَ كَلامَهُ ، وأَنْقادَ لِما يُشِيرُ بِهِ .

ثُمَّ أَنْفَذَ [11] في ساعَتِهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ . فَلَمَّا مَثُلَ بَيْنَ يَدَيْهِ [12] قالَ لَهُ :

---

(١) يريد أرق وسهر وأقض عليه المضجع فلم ينم . (٢) مدار النجوم . (٣) استدارة . (٤) يريد بالغ وأمعن . (٥) استخراج . (٦) ارتدع ورجع عن عزمه . (٧) بغضا . (٨) يريد : ميسرته وغناه . (٩) المناقشة . (١٠) من البلاغات وهي الوشايات كأنه جمع بلاغة . يقال : لا يفلح أهل البلاغات والفعل بلغ بالتشديد أو بلغ بمعنى وصل . (١١) أرسل . (١٢) وقف وشخص بين يديه ، والفعل كنصر وكرم .

يَا بَيْدَبَا أَلَسْتَ أَنتَ الَّذي قَصَدْتَ إلى تَقْصِيرِ هِمَّتي ؟ وعَجَّزْتَ[1] رَأْيِي في سِيرَتِي بِما تَكَلَّمْتَ بِهِ آنِفاً[2] . قَالَ لَهُ بَيْدَبا : أَيُّهَا المَلِكُ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ ، والصَّادِقُ الرَّفِيقُ ، إنَّما نَبَّأْتُكَ[3] بِما فِيهِ صَلاحٌ لَكَ ولِرَعِيَّتِكَ، ودَوامُ مُلْكِكَ لَكَ . قَالَ لَهُ المَلِكُ : يَا بَيْدَبَا أَعِدْ عَلَيَّ كَلامَكَ كُلَّهُ ، ولاَ تَدَعْ مِنْهُ حَرْفاً إلاَّ جِئْتَ بِهِ . فَجَعَلَ بَيْدَبَا يَنْثُرُ كَلامَهُ والمَلِكُ مُصْغٍ إلَيْهِ . وجَعَلَ دَبْشَلِيمُ كُلَّمَا سَمِعَ مِنْـــهُ شَيْئاً يَنْكُتُ الأَرْضَ بِشَيْءٍ كانَ في يَدِهِ[4] ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ[5] إلى بَيْدَبَا وأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ ، وقَالَ لَهُ : يَا بَيْدَبَا إنِّي قَدِ اسْتَعْذَبْتُ[5] كَلامَكَ ، وحَسُنَ مَوْقِعُهُ في قَلْبِي ، وأَنَا نَاظِرٌ في الَّذي أَشَرْتَ بِهِ ، وعَامِلٌ بِما أَمَرْتَ . ثُمَّ أَمَرَ بِقُيُودِهِ فحُلَّتْ ، وأَلْقَى عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِهِ وتَلَقَّاهُ بِالقَبُولِ . فَقَالَ بَيْدَبَا : يَا أَيُّهَا المَلِكُ إنَّ في دُونِ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ نُهْيَةً[6] لِمِثْلِكَ . قَالَ : صَدَقْتَ أَيُّهَا الحَكِيمُ الفَاضِلُ . وقَدْ وَلَّيْتُكَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إلى جَمِيعِ أَقَاصِي مَمْلَكَتِي. فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا المَلِكُ أَعْفِنِي مِنْ هٰذَا الأَمْرِ فَإِنِّي غَيْرُ مُضْطَلِعٍ بِتَقْوِيمِهِ[7] إلاَّ بِكَ ، فَأَعْفَاهُ مِنْ ذٰلِكَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ عَلِمَ أَنَّ الَّذي فَعَلَهُ لَيْسَ

---

(١) وصمته بالعجز . (٢) سابقاً . (٣) خبرتك . (٤) النكت هنا أن تضرب الأرض بقضيب فتؤثر فيها وهو مما يفعله الفكر المهموم . (٥) بصره . (٦) رأيته عذبا حسن الوقع . (٧) النهية بالضم : اسم من النهي ، ودون بمعنى أقل . (٨) اي اني لا أستطيع القيام باصلاح اعوجاجه .

بِرَأْيِ فَبَعَثَ بِرَدِّهِ . وقَالَ : إِنِّي فَكَّرْتُ في إِعْفَائِكَ مِمَّا عَرَضْتُهُ عَلَيْكَ ، فَوَجَدْتُهُ لا يَقُومُ إِلاَّ بِكَ ، ولا يَنْهَضُ بِهِ غَيْرُكَ ، ولاَ يَضْطَلِعُ بِهِ سِوَاكَ . فَلا تُخَالِفْنِي فِيهِ . فَأَجَابَهُ إِلى ذلِكَ .

وكانَ عَادَةَ مُلُوكِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ إِذَا ٱسْتَوْزَرُوا [1] وَزِيراً أَنْ يَعْقِدُوا عَلى رَأْسِهِ تَاجاً ويَرْكَبَ فِي أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ ، ويُطَافَ بِهِ في الْمَدِينَةِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُفْعَلَ بِبَيْدَبَا ذٰلِكَ . فَوُضِعَ التَّاجُ عَلى رَأْسِهِ ، ورَكِبَ في الْمَدِينَةِ ، ورَجَعَ فَجَلَسَ بِمَجْلِسِ العَدْلِ والإِنْصَافِ ، يَأْخُذُ لِلدَّنِيِّ [2] مِنَ الشَّرِيفِ ، ويُسَاوِي بَيْنَ القَوِيِّ والضَّعِيفِ ، ورَدَّ الظَّالِمَ ، ووَضَعَ سُنَنَ العَدْلِ ، وأَكْثَرَ مِنَ العَطَاءِ والبَذْلِ . وٱتَّصَلَ الْخَبَرُ بِتَلامِيذِهِ فَجَاؤُوا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَرِحِينَ بِمَا جَدَّدَ اللهُ لَهُ مِنْ جَدِيدِ رَأْيِ الْمَلِكِ فِيهِ ، وشَكَرُوا اللهَ تَعَالَى عَلى تَوْفِيقِ بَيْدَبَا في إِزَالَةِ دَبْشَلِيمَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيرَةِ ، وٱتَّخَذُوا ذٰلِكَ اليَومَ عِيداً يُعَيِّدُونَ فِيهِ . فَهُوَ إِلى اليَوْمِ عِيدٌ عِنْدَهُمْ في بِلادِ الْهِنْدِ .

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا لَمَّا أَخْلَى فِكْرَهُ مِنْ ٱشْتِغَالِهِ بِدَبْشَلِيمَ تَفَرَّغَ لِوَضْعِ كُتُبِ السِّيَاسَةِ ونَشِطَ لَهَا [3] . فَعَمِلَ كُتُباً فِيهَا دَقَائِقُ الْحِيَلِ [4] . ومَضَى

---

(١) اي اسندوا اليه امور الوزارة. (٢) الضعيف المغمور . (٣) خف وأسرع اليها . (٤) الحيل الدقيقة التي تحتاج في حلها الى اعمال الفكر .

المَلِكُ عَلى مَارَسَمَ لَهُ بَيْدبَا مِنْ حُسْنِ السِّيرَةِ والعَدْلِ في الرَّعِيَّـــةِ . فَرَغِبَتْ[1] إليهِ المُلُوكُ الَّذِينَ كانُوا في نَواحِيهِ ، وانْقادَتْ لَهُ الأُمُورُ عَلى اسْتِوائِهَا ، وفَرِحَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ وأَهلُ مَمْلَكَتِهِ . ثُمَّ إنَّ بَيْدبَا جَمَعَ تَلامِيذَهُ فَأَحْسَنَ صِلَتَهُمْ ، ووَعَدَهُمْ وَعْداً جَمِيلاً ، وقَالَ لَهُمْ : لستُ أَشُكُّ أَنَّهُ وقَعَ في نُفُوسِكُمْ وقْتَ دُخُولي عَلَى المَلِكِ أَنْ قُلْتُمْ : إنَّ بَيْدبَا قَدْ ضَاعَتْ حِكْمَتُهُ ، وبَطَلَتْ فِكرَتُهُ ، أَذْ عَزَمَ عَلَى الدُّخُولِ عَلَى هٰذَا الجَبَّارِ الطَّاغِي . فَقَدْ عَلِمْتُمْ نَتِيجَةَ رَأْيِي ، وصِحَّةَ فِكْرِي . وإنِّي لَمْ آتِهِ جَهْـــلاً بِهِ ، لأَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ مِنَ الحُكَمَاءِ قَبْلِي تَقُولُ : إنَّ المُلُوكَ لَهَا سَوْرَةٌ كَسَوْرَةِ[2] الشَّرَابِ . فَالمُلُوكُ لا تُفِيقُ مِنَ السَّوْرَةِ إلاَّ بِمَوَاعِظِ العُلَمَاءِ ، وأَدَبِ الحُكَمَاءِ . والوَاجِبُ عَلى المُلُوكِ أَنْ يَتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ العُلَمَاءِ . والوَاجِبُ عَلى العُلَمَاءِ تَقْوِيمُ المُلُوكِ بِأَلْسِنَتِهَا ، وتَأْدِيبُهَا بِحِكْمَتِهَا وإظْهَارُ الحُجَّةِ البَيِّنَةِ اللاَّزِمَةِ لَهُمْ ، لِيَرْتَدِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الاعْوِجَاجِ والخُرُوجِ عَنِ العَدْلِ . فَوَجَدْتُ مَا قَالَتِ الحُكَمَاءُ فَرْضاً واجِباً عَلَى الحُكَمَاءِ لِمُلُوكِهِم ، لِيُوقِظُوهُمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ ، كالطَّبِيبِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ في صِنَاعَتِهِ حِفْظُ الأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا ، أَوْرَدَّهَا إلى الصِّحَّةِ . فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ ، ومَا يَبْقَى عَلَى الأَرْضِ إلاَّ مَنْ

---

(١) أي مالوا اليه عن رغبة منهم فيه . (٢) السورة للخمرة : حدتها وفورتها .

يَقُولُ : إِنَّهُ كانَ بَيْدَبا في زَمانِ دَبْشَليمَ الطّاغي ، فَلَمْ يَرُدَّهُ عَمّا كانَ عَلَيْهِ . فَإِنْ قالَ قائِلٌ : إِنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُ كَلامُهُ خَوفاً عَلى نَفْسِهِ ، قالُوا : كانَ اَلْهَرَبُ مِنْهُ ومِنْ حِوارِهِ أَوْلى بِهِ ، والانْزِعاجُ عَنِ الْوَطَنِ شَديدٌ[1] فَرَأَيْتُ أَنْ أَجُودَ[2] بِحَياتي فَأَكُونَ قَدْ أَتَيْتُ فيما بَيْني وبَيْنَ الْحُكَماءِ بَعْدِي عُذْراً . فَحَمَلْتُها عَلى التَّغْريرِ أَو الظَّفَرِ بِما أُريدُهُ[3] وكانَ مِنْ ذلِكَ ما أَنْتُمْ[4] مُعايِنُوهُ . فَإِنَّهُ يُقالُ في بَعْضِ الْأَمْثالِ : إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مَرْتَبَةً إِلاّ بِإِحْدى ثَلاثٍ : إِمّا بِمَشَقَّةٍ تَنالُهُ في نَفْسِهِ ، وإِمّا بِوَضيعَةٍ[5] في مالِهِ ، أَو وَكْسٍ في دينِهِ[6] ومَنْ لَمْ يَرْكَبِ الأَهْوالَ[7] لَمْ يَنَلِ الرَّغائِبَ . وإِنَّ الْمَلِكَ دَبْشَليمَ قَدْ بَسَطَ لِساني في أَنْ أَضَعَ كِتاباً فيهِ ضُرُوبُ الْحِكْمَةِ[8] . فَلْيَضَعْ كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئاً في أَيِّ فَنٍّ شاءَ ، ولْيَعْرِضْهُ عَلَيَّ لأَنْظُرَ إِلى مِقْدارِ عَقْلِهِ ، وأَيْنَ بَلَغَ مِنَ الْحِكْمَةِ فَهْمُهُ . قالُوا : ـ أَيُّها الْحَكيمُ الْفاضِلُ ، واللَّبيبُ الْعاقِلُ ـ والَّذي[9] وَهَبَ لَكَ ما مَنَحَكَ مِنَ الْحِكْمَةِ والْعَقْلِ والْأَدَبِ والْفَضيلَةِ ، ما خَطَرَ هَذا بِقُلُوبِنا ساعَةً قَطُّ ، وأَنْتَ رَئيسُنا وفاضِلُنا ، وبِكَ شَرُفْنا ، وعَلى

---

(١) الانزعاج : الانقلاع ويريد منه الارتحال . (٢) أتكرم ، وأبذل .
(٣) التغرير : تعريض النفس للهلكة . ويريد : اما أن تقبر واما أن تظفر . (٤) كان : حدث . (٥) الوضيعة : الخسارة . (٦) الوكس : النقص وفعله من باب ضرب يتعدى ويلزم . (٧) من لم يخاطر بنفسه ويصارع المصاعب لا يصل الى ما يرغب فيه . (٨) أنواعها . (٩) الواو للقسم والذي مقسم به .

يَدِكَ أَنتعاشُنا[1] ولكنْ سَنُجْهِدُ[2] أَنفُسَنا فيما أَمَرْتَ ومَكَّنَ المَلِكُ على ذلِكَ مِنْ حُسْنِ السِّيرَةِ زَماناً يَتولَّى ذَلِكَ لَهُ بَيْدَبا ويَقُومُ بِهِ .

ثُمَّ إنَّ المَلِكَ دَبْشَليمَ لَمَّا اسْتَقَرَّ لَهُ المُلْكُ ، وسَقَطَ عَنْهُ النَّظَرُ في أُمورِ الأَعْداءِ[3] بِما قَدْ كَفاهُ بِذَلِكَ بَيْدَبا ، صَرَفَ هِمَّتَهُ إلى النَّظَرِ في الكُتُبِ الَّتي وَضَعَتْها فَلاسِفَةُ الهِنْدِ لآبائِهِ وأَجْدادِهِ ، فَوَقَعَ في نَفْسِهِ[4] أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيْضاً كِتابٌ مَشْرُوحٌ يُنْسَبُ اليْهِ وتُذْكَرُ فِيهِ أَيَّامُهُ كما ذُكِرَ آباؤهُ وأَجْدادُهُ مِنْ قَبْلِهِ .

فَلَمَّا عَزَمَ على ذلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لا يَقُومُ ذلِكَ إلاَّ بِبَيْدَبا . فَدَعاهُ وخَلا بِهِ ، وقالَ لَهُ : يا بَيْدَبا إنَّكَ حَكيمُ الهِنْدِ وفَيْلَسُوفُها ، وإنِّي فَكَّرْتُ ونَظَرْتُ في خَزائِنِ الحِكْمَةِ التي كانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلي ، فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ أَحَداً إلاَّ وقَدْ وَضَعَ كِتاباً يَذْكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وسِيرَتَهُ ، ويُنْبِيءُ عَنْ أَدَبِهِ وأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . فَمِنْها ما وَضَعَتْهُ المُلُوكُ لأَنْفُسِها ، وذَلِكَ لِفَضْلِ حِكْمَةٍ فِيها ، ومِنْها ما وَضَعَهُ حُكَماؤُها . وأَخافُ أَنْ يَلْحَقَني ما لَحِقَ أُولَئِكَ مِمَّا لا حِيلَةَ لي فِيهِ[5] ، ولا يُوجَدُ في خَزائِني كِتابٌ أُذْكَرُ بِهِ بَعْدي ، وأُنْسَبُ إلَيْهِ ، كَما ذُكِرَ مَنْ كانَ قَبْلي بِكُتُبِهِمْ . وقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَضَعَ

---

(١) أي لا ينهض ولا يعلو ذكرنا الا على يديك . (٢) سنكدّ . (٣) يريد ان بيدبا قد كفى الملك متاعب الملك والتدبير في أحواله واطمأن لمن حوله من الاعداء . (٤) اي خطر بباله . (٥) يقصد الموت .

لِي كِتَاباً بَلِيغاً تَسْتَفْرِغُ فِيهِ عَقْلَكَ : يَكُونُ ظَاهِرُهُ سِيَاسَةَ العَامَّةِ وتَأْدِيبَهَا ، وبَاطِنُهُ أَخْلاقَ المُلُوكِ وسِيَاسَتَهَا لِلرَّعِيَّةِ عَلى طَاعَةِ المَلِكِ وخِدْمَتِهِ ، فَيَسْقُطُ بِذٰلِكَ عَنِّي وعَنْهُمْ[1] كَثِيرٌ مِمَّا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَاةِ المُلْكِ[2] ، وأُرِيدُ أَنْ يَبْقَى لِي هٰذَا الكِتَابُ بَعْدِي ذِكْراً عَلى غَابِرِ الدُّهُورِ . فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدَبَا كَلامَهُ خَرَّ لَهُ سَاجِداً[3] ورَفَعَ رَأْسَهُ ، وقَالَ: أَيُّهَا المَلِكُ السَّعِيدُ جَدُّهُ - عَلا نَجْمُكَ ، وغَابَ نَحْسُكَ ، ودَامَتْ أَيَّامُكَ إِنَّ الَّذِي قَدْ طُبِعَ[4] عَلَيْهِ المَلِكُ مِنْ جُودَةِ القَرِيحَةِ[5] ، ووُفُورِ[6] العَقْلِ حَرَّكَهُ إِلى عَالِي الأُمُورِ ، وسَمَتْ بِهِ نَفْسُهُ وهِمَّتُهُ إِلى أَشْرَفِ المَرَاتِبِ مَنْزِلَةً ، وأَبْعَدِهَا غَايَةً - وأَدَامَ اللهُ سَعَادَةَ المَلِكِ وأَعَانَهُ عَلى مَا عَزَمَ مِنْ ذٰلِكَ ، وأَعَانَنِي عَلى بُلُوغِ مُرَادِهِ - فَلْيَأْمُرِ المَلِكُ بِمَا شَاءَ مِنْ ذٰلِكَ ، فَإِنِّي صَائِرٌ إِلى غَرَضِهِ مُجْتَهِدٌ فِيهِ بِرَأْيِي . قَالَ لَهُ المَلِكُ : يَا بَيْدَبَا لَمْ تَزَلْ مَوْصُوفاً بِحُسْنِ الرَّأْيِ وطَاعَةِ المُلُوكِ فِي أُمُورِهِمْ . وقَدْ اخْتَبَرْتُ مِنْكَ ذٰلِكَ ، واخْتَرْتُ أَنْ تَضَعَ هٰذَا الكِتَابَ ، وتُعْمِلَ فِيهِ فِكْرَكَ ، وتُجْهِدَ فِيهِ نَفْسَكَ ، بِغَايَةِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ[7] . ولْيَكُنْ مُشْتَمِلاً عَلى

---

(١) يقصد الملوك الذين سيأتون بعده . (٢) ممارسته . (٣) خر : انكب على الارض . وساجدا : حال مؤكدة . ومثله في القرآن الكريم يخرون للاذقان سجداً . (٤) فطر . (٥) الجودة بالفتح والضم . (٦) مصدر وفر بمعنى كثر واتسع . (٧) الطريق .

الجدّ[1] ، والهزل ، واللّهو[2] ، والحكمة والفلسفة[3] . فكفّر له بيدبا وسجد ، وقال : قد أجبتُ الملكَ أدامَ اللهُ أيّامَهُ إلى ما أمرني به ، وجعلتُ بيني وبينهُ أجلاً[4] . قالَ : وكمْ هوَ الأجلُ ؟ قالَ : سنةٌ . قالَ : قد أجّلتُكَ . وأمرَ لهُ بجائزةٍ سنيّةٍ تُعينُهُ على عملِ الكتابِ . فبقيَ بيدبا مُفكّراً في الأخذِ فيهِ ، وفي أيّ صورةٍ يبتدئ بها فيهِ وفي وضعِهِ .

ثمّ إنّ بيدبا جمعَ تلاميذهُ وقالَ لهُمْ : إنّ الملكَ قد ندبني[5] لأمرٍ فيهِ فخري وفخرُكمْ ، وقد جمعتُكمْ لهذا الأمرِ . ثمّ وصفَ لهمْ ما سألَ الملكُ منْ أمرِ الكتابِ ، والغرضَ الّذي قصدَ فيهِ ، فلمْ يقعْ لهمُ الفكرُ فيهِ[6] . فلمّا لمْ يجدْ عندهمْ ما يريدهُ فكّرَ بفضلِ حكمتِهِ ، وعلمَ أنّ ذلكَ أمرٌ إنّما يتمُّ باستفراغِ العقلِ ، وإعمالِ الفكرِ . وقالَ : أرى السّفينةَ لا تجري في البحرِ إلاّ بالملاحينَ[7] لأنّهمْ

---

(١) الجد : أن يراد باللفظ معناه الحقيقي أو المجازي وهو ضد الهزل .
(٢) هو ما يتلذذ به الانسان . (٣) الفلسفة : ترادف الحكمة اصطلاحا ، ومعناها محبة الحكمة ، وقد يراد بالفلسفة : التأنق في المسائل العلمية والتفنن فيها وربما كان هذا المراد من ذكرها بعد لفظ الحكمة . (٤) جعل بمعنى اتخذ . والاجل : الموعد . (٥) يقال ندبه الى الامر وللأمر : دعاه ورشحه للقيام به وبابه نصر .
(٦) يريد فلم يخطر لهم شيء مما يريد (٧) الملاحون الذين بيدهم سياسة السفينة وتدبيرها .

يُعدِّلُونَها . وإنّما تَسلُكُ اللُّجَّةَ[1] بِمُدبِّرِها الَّذي تَفرَدَ بِإمرَتِها[2] . ومَتى شُحِنَتْ بالرُّكّابِ الكَثيرينَ وكَثُرَ مَلاّحُوها لَمْ يُؤمَنْ عَلَيْها مِنَ الغَرَقِ . ولَمْ يَزَلْ يُفكِّرُ فيما يَعمَلُهُ في بابِ الكِتابِ حَتّى وَضَعَهُ عَلى الانفِرادِ بِنَفْسِهِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ تَلاميذِهِ كانَ يَثِقُ بِهِ ، فَخَلا بِهِ مُنفَرِداً مَعَهُ ، بَعْدَ أنْ أَعَدَّ مِنَ الوَرَقِ الَّذي كانَتْ تُكتَبُ فيهِ الهِنْدُ شَيْئاً ، وجَلَسا في مَقْصُورَةٍ[3] وردَّا عَلَيْهِما البابَ . ثُمَّ بَدأَ في نَظْمِ الكِتابِ وتَصْنيفِهِ ، ولَمْ يَزَلْ هُوَ يُمْلي وتِلْميذُهُ يَكتُبُ ويُرَجِّعُ[4] هُوَ فيهِ ، حَتّى اسْتَقَرَّ الكِتابُ عَلى غايَةِ الإتقانِ والإحكامِ ، ورَتَّبَ فيهِ خَمْسَةَ عَشَرَ باباً[5] : كُلُّ بابٍ مِنْها قائِمٌ بِنَفْسِهِ . وفي كُلِّ بابٍ مَسْأَلَةٌ والجَوابُ عَلَيْها ، لِيَكُونَ لِمَنْ نَظَرَ فيهِ حَظٌّ مِنَ الهِدايَةِ[6] . وضَمَّنَ تِلْكَ الأبْوابَ كِتاباً واحِداً ، وسَمّاهُ (كَليلَةَ ودِمْنَةَ) ثُمَّ جَعَلَ كَلامَهُ عَلى أَلْسُنِ البَهائِمِ والسِّباعِ والطَّيْرِ لِيَكُونَ ظاهِرُهُ لَهْواً لِلخَواصِّ[7] والعَوامِّ ، وباطِنُهُ رِياضَةً[8] لِعُقُولِ الخاصَّةِ . وضَمَّنَهُ أيضاً ما يَحْتاجُ إليهِ الإنسانُ مِنْ سِياسَةِ نَفْسِهِ وأَهْلِهِ وخاصَّتِهِ ، وجَميعِ ما يَحْتاجُ إليهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ ودُنْياهُ ،

---

(١) معظم الماء (٢) الامرة بالكسر : الولاية . (٣) المقصورة : أقل من الدار ولا تسع كثيرين . (٤) أي يراجعه وينقحه . (٥) أكثر النسخ تعد الأبواب خمسة عشر جاعلة باب الفحص عن أمر دمنة بابا مستقلا والمعروف أن أبوابه الاصلية اثنا عشر بابا فقط والباقي دخيل كما مر في التقديم . (٦) الحظ النصيب . (٧) يقصد المتعلمين والبارزين في الأمة . (٨) الرياضة : التدريب والتمرين .

وآخرته وأولاه ، ويحضه على حسن طاعته للملوك ، ويجنبه ما تكون مجانبته خيراً له . ثم جعله باطناً وظاهراً [1] كرسم سائر الكتب التي برسم الحكمة ، فصار الحيوان لهواً وما ينطق به حكماً وأدباً .

فلما ابتدأ بيدبا بذلك جعل أول الكتاب وصف الصديق وكيف يكون الصديقان ، وكيف تقطع المودة الثابتة بينهما بحيلة ذي النميمة . وأمر تلميذه أن يكتب على لسان بيدبا مثل ما كان الملك قد شرطه [2] في أن جعله لهواً وحكمة ، فذكر بيدبا : أن الحكمة متى دخلها كلام النقلة أفسدها [3] ، وجهلت حكمتها ، فلم يزل هو وتلميذه يعملان الفكر فيما سأله الملك حتى فتق [4] لهما العقل أن يكون كلامهما على لسان بهيمتين . فوقع لهما موضع اللهو والهزل بكلام البهائم . وكانت الحكمة ما نطقا به . فأصغت الحكماء إلى حكمه ، وتركوا البهائم واللهو ، وعلموا أنها [5] السبب في الذي وضع لهم ، ومالت إليه الجهال عجباً من محاورة بهيمتين ، ولم يشكوا في ذلك ، واتخذوه لهواً وتركوا معنى الكلام أن يفهموه ، ولم يعلموا

---

(١) فظاهره فيه متعة القصة ، وباطنه فيه فائدة العبرة . (٢) شرط واشترط بمعنى واحد . (٣) يقصد من ينقلها من عامة الناس في المجالس وقد يزاد فيها أو ينقص ، او تحرف وحينئذ يفوت القصد . (٤) شق وكشف . (٥) الضمير يرجع الى الحكم .

الغَرَضَ الَّذِي وضِعَ لَهُ ، لأَنّ الفَيْلَسُوفَ إنّما كانَ غَرَضُهُ في البَابِ الأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ تَوَاصُلِ الإِخْوَانِ كَيْفَ تَتَأَكَّدُ المَوَدَّةُ بَيْنَهُمْ عَلى التَّحَفُّظِ [١] مِنْ أَهْلِ السِّعَايَةِ [٢] ، والتَّحَرُّزِ [٣] مِمَّنْ يُوقِعُ العَداوَةَ بَيْنَ المتَحَابَّيْنِ ، لِيَجُرَّ بذَلِكَ نَفْعاً إلى نَفْسِهِ . فَلَمْ يَزَلْ بَيْدَبا وتِلْمِيذُهُ في المَقْصُورَةِ حَتَّى اسْتَتَمَّا عَمَلَ الكِتَابِ في مُدَّةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا تَمَّ الحَوْلُ [٤] أَنْفَذَ إِلَيْهِ المَلِكُ أَنْ قَدْ جَاءَ الوَعْدُ فَمَاذَا صَنَعْتَ ؟ فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بَيْدَبَا : إِنِّي عَلى مَا وَعَدْتُ المَلِكَ ، فَلْيَأْمُرْنِي بِحَمْلِهِ بَعْدَ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ المَمْلَكَةِ لِتَكُونَ قِرَاءَتِي هذَا الكِتَابَ بِحَضْرَتِهِمْ [٥] فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ إلى المَلِكِ سُرَّ بِذَلِكَ ، ووَعَدَهُ يَوْماً يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ المَمْلَكَةِ . ثُمَّ نَادَوْا في أَقَاصِي الهِنْدِ لِيَحْضُرُوا قِرَاءَةَ الكِتَابِ . فَلَمَّا كانَ ذلِكَ اليَوْمُ أَمَرَ المَلِكُ أَنْ يُنْصَبَ لِبَيْدَبَا سَرِيرٌ مِثْلُ سَرِيرِهِ ، وكَرَاسِيٌّ لأَبْنَاءِ المُلُوكِ والعُلَمَاءِ وأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهُ .

فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَامَ فَلَبِسَ الثِّيَابَ الَّتِي كانَ يَلْبَسُهَا إِذَا دَخَلَ عَلى المُلُوكِ : وهِيَ المُسُوحُ السُّودُ ، وحَمَلَ الكِتَابَ تِلْمِيذُهُ . فَلَمَّا

---

(١) الحذر والحيطة (٢) السعاية : الوشاية . (٣) بمعنى التحفظ . (٤) الحول : (٥) بحضورهم.

دَخَلَ عَلى المَلِكِ وثَبَ الخَلائِقُ بِأَجْمَعِهِمْ وقامَ المَلِكُ شاكِراً . فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ المَلِكِ كَفَّرَ لَهُ وسَجَدَ ، ولَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ . فَقالَ المَلِكُ : يا بَيْدَبا اَرْفَعْ رأسَكَ ، فَإِنَّ هَذا يَوْمُ هَناءَةٍ وفَرَحٍ وسُرُورٍ ، وأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِسَ . فَحِينَ جَلَسَ لِقِراءَةِ الكِتابِ سَأَلَهُ عَنْ مَعْنى كُلِّ بابٍ مِنْ أَبْوابِ الكِتابِ ، وإِلى أَيِّ شَيءٍ قَصَدَ فِيهِ ؟ فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ فِيهِ ، وفي كُلِّ بابٍ . فَازْدادَ المَلِكُ مِنْهُ تَعَجُّباً وسُرُراً . فَقالَ لَهُ : يا بَيْدَبا ما عَدَوْتَ الَّذي في نَفْسِي[1] ، وهَذا الَّذي كُنْتُ أَطْلُبُ . فَاطْلُبْ ما شِئْتَ وتَحَكَّمْ . فَدَعا لَهُ بَيْدَبا بِالسَّعادَةِ وطُولِ الجَدِّ . وقالَ : أَيُّها المَلِكُ ، أَمّا المالُ فَلا حاجَةَ لي فِيهِ ، وأَمّا الكُسْوَةُ فَلا أَخْتارُ عَلى لِباسِي هَذا شَيْئاً ، ولَسْتُ أُخْلِي[2] المَلِكَ مِنْ حاجَةٍ . قالَ المَلِكُ : يا بَيْدَبا ما حاجَتُكَ ؟ فَكُلُّ حاجَةٍ لَكَ قِبَلَنا مَقْضِيَّةٌ . قالَ : يَأْمُرُ المَلِكُ أَنْ يُدَوَّنَ كِتابِي هَذا كَما دَوَّنَ آباؤُهُ وأَجْدادُهُ كُتُبَهُمْ ويَأْمُرَ بِالمُحافَظَةِ عَلَيْهِ . فَإِنِّي أَخافُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بِلادِ الهِنْدِ ، فَيَتَناوَلَهُ أَهْلُ فارِسَ إِذا عَلِمُوا بِهِ . فَالمَلِكُ يَأْمُرُ أَلاَّ يُخْرَجَ مِنْ بَيْتِ الحِكْمَةِ . ثُمَّ دَعا المَلِكُ بِتَلامِيذِهِ ، وأَحْسَنَ لَهُمُ الجَوائِزَ .

---

(١) أي ما تجاوزت الذي أريد وقد وافق . (٢) أعفي .

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا مَلَكَ كِسْرَى أَنُو شِرْوَانُ ، وكَان مُسْتَأْثِراً بِالكُتُبِ [1] والعِلْمِ والأَدَبِ ، والنَّظَرِ في أَخبَارِ الأَوَائِلِ ، وقَعَ لَهُ [2] خَبَرُ الكِتَابِ ، فَلَمْ يَقَرَّ قَرَارُهُ حَتّى بَعَثَ بَرْزَوَيْهِ الطَّبِيبَ ، وتَلَطَّفَ حَتّى أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ الهِنْدِ فَأَقَرَّهُ [3] في خَزَائِنِ فَارِسَ .

---

(١) مستبداً بالكتب حريصاً عليها . (٢) بلغه . (٣) أثبته .

بعثة برزويه إلى بلاد الهند

لاستنساخ الكتاب

أَمَّا بَعْدُ[1] فَإِنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ الخَلْقَ بِرَحْمَتِهِ ، وَمَنَّ على عِبادِهِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ ، ورَزَقَهُمْ ما يَقْدِرُونَ بِهِ على إِصْلاحِ مَعايِشِهِمْ في الدُّنيا ، وَيُدْرِكُونَ بِهِ اسْتِنْقاذَ[2] أَرْواحِهِمْ مِنَ العَذابِ في الآخِرَةِ . وَأَفْضَلُ ما رَزَقَهُمُ اللهُ تعالى وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمُ العَقْلُ الَّذي هُوَ الدِّعامَةُ لِجَميعِ الأَشْياءِ وَالَّذي لا يَقْدِرُ أَحَدٌ في الدُّنيا على إِصْلاحِ مَعيشَتِهِ ، وَلا إِحْرازِ نَفْعٍ[3] ، وَلا دَفْعِ ضَرَرٍ إِلاّ بِهِ . وَكَذلِكَ طالِبُ الآخِرَةِ المُجْتَهِدُ في العَمَلِ ، المُنْجِي بِهِ رُوحَهُ ، لا يَقْدِرُ على إِتْمامِ عَمَلِهِ وَإِكْمالِهِ إِلاّ بِالعَقْلِ ، الَّذي هُوَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْتاحُ كُلِّ سَعادَةٍ . فَلَيْسَ لِأَحَدٍ غِنىً عَنِ العَقْلِ . وَالعَقْلُ مُكْتَسَبٌ بِالتَّجارِبِ وَالأَدَبِ . وَلَهُ غَريزَةٌ مَكْنُونَةٌ[4] في الإِنْسانِ ، كامِنَةٌ كالنّارِ في الحَجَرِ : لا تَظْهَرُ وَلا يُرَى ضَوْؤُها حَتّى يَقْدَحَها قادِحٌ مِنَ النّاسِ[5] . فَإِذا قُدِحَتْ ظَهَرَتْ

---

(١) في صدر هذا الباب زيادات في بعض النسخ على هذه النسخة غير ان المؤدى واحد
(٢) تخليص . (٣) يقال : أحرزت المال حصلت عليه . (٤) مستقرة . (٥) القادح : الذي يحك الزند ليخرج الشرر .

طَبيعَتُها . وَكَذٰلِكَ ٱلعَقْلُ كامِنٌ في الإِنْسانِ لا يَظْهَرُ حَتّى يُظْهِرَهُ الأَدَبُ، وَتُقَوِّيَهُ التَّجارِبُ . وَمَنْ رُزِقَ ٱلعَقْلَ وَمُنَّ بِهِ عَلَيْهِ ، وَأُعِينَ عَلى صِدْقِ قَرِيحَتِهِ بِالأَدَبِ ، حَرِصَ عَلى سَعْدِ جَدِّهِ ، وَأَدْرَكَ في الدُّنيا أَمَلَهُ ، وَحازَ في الآخِرَةِ ثَوابَ الصّالِحِينَ . وَقَدْ رَزَقَ اللهُ ٱلْمَلِكَ السَّعِيدَ أَنُوشِرْوانَ مِنَ ٱلعَقْلِ أَفْضَلَهُ ، وَمِنَ ٱلعِلْمِ أَجْزَلَهُ[1] ، وَمِنَ ٱلْمَعْرِفَةِ بِالأُمُورِ أَصْوَبَها ، وَمِنَ الأَفْعالِ أَسَدَّها[2] ، وَمِنَ ٱلبَحْثِ عَنِ الأُصُولِ وَٱلفُرُوعِ أَنْفَعَهُ ، وَبَلَّغَهُ مِنْ فُنُونِ اخْتِلافِ ٱلعِلْمِ وَبُلُوغِ مَنْزِلَةِ ٱلفَلْسَفَةِ ما لَمْ يَبْلُغْهُ مَلِكٌ قَطُّ مِنَ ٱلْمُلُوكِ قَبْلَهُ حَتّى كانَ فيما طَلَبَ وَبَحَثَ عَنْهُ مِنَ ٱلعِلْمِ أَنْ بَلَغَهُ عَنْ كِتابٍ بِالهِنْدِ ، عَلِمَ أَنَّـــهُ أَصْلُ كُلِّ أَدَبٍ ، وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ ، وَالدَّلِيلُ عَلى كُلِّ مَنْفَعَةٍ ، وَمِفْتاحُ عَمَلِ الآخِرَةِ وَعِلْمِها ، وَمَعْرِفَةِ النَّجاةِ مِنْ هَوْلِها . فَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ وَزِيرَهُ بُزُرْجَمِهْرَ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ أَدِيبٍ عاقِلٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بَصِيرٍ بِالفارِسِيَّةِ ، ماهِرٍ في كَلامِ الهِنْدِ ، وَيَكُونُ بَلِيغاً في اللِّسانَيْنِ جَمِيعاً[3] ، حَرِيصاً عَلى ٱلعِلْمِ ، مُبادِراً في طَلَبِـــهِ ، مُجْتَهِداً في اسْتِعْمالِ الأَدَبِ ، وَٱلبَحْثِ عَنْ كُتُبِ ٱلفَلْسَفَةِ . فَأَتاهُ بِرَجُلٍ أَدِيبٍ ، كامِلِ ٱلعَقْلِ وَالأَدَبِ مَعْرُوفٍ بِصِناعَةِ الطِّبِّ ، ماهِرٍ في ٱلفارِسِيَّةِ وَالهِنْدِيَّةِ ، يُقالُ لَهُ : بَرْزَوَيْهِ . فَلَمّا دَخَلَ عَلَيْهِ كَفَّرَ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

(١) أعظمه . (٢) يريد : أكثرها صوابا . (٣) يقصد اللغتين الهندية والفارسية .

فقالَ لَهُ المَلِكُ : يا بَرْزَوَيْهِ إنِّي قَدِ اخْتَرْتُكَ لِما بَلَغَني مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ وَحِرْصِكَ عَلى طَلَبِ العِلْمِ حَيْثُ كانَ . وَقَدْ بَلَغَني عَنْ كِتابٍ بِالهِنْدِ ، مَخْزُونٍ في خَزائِنِهِمْ . وَقَصَّ عَلَيْهِ ما بَلَغَهُ عَنْهُ ، وَقالَ لَهُ : تَجَهَّزْ[1] فَإنِّي مُرَحِّلُكَ إلى أَرْضِ الهِنْدِ ؛ فَتَلَطَّفْ بِعَقْلِكَ ، وَحُسْنِ أَدَبِكَ ، وَنافِذِ[2] رَأْيِكَ ، لاسْتِخْراجِ هٰذا الكِتابِ مِنْ خَزائِنِهِمْ ، وَمِنْ قِبَلِ عُلَمائِهِمْ ؛ فَتَسْتَفيدَ بِذٰلِكَ وَتُفيدَنا . وَما قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ الهِنْدِ مِمّا لَيْسَ في خَزائِنِنا مِنْهُ شَيْءٌ ، فَاحْمِلْهُ مَعَكَ ؛ وَخُذْ مَعَكَ مِنَ المالِ ما تَحْتاجُ إلَيْهِ ؛ وَعَجِّلْ ذٰلِكَ وَلا تُقَصِّرْ في طَلَبِ العُلُومِ وَإنْ أَكْثَرْتَ فيهِ النَّفَقَةَ ؛ فَإنَّ جَميعَ ما في خَزائِني مَبْذُولٌ لَكَ في طَلَبِ العُلُومِ . وَأَمَرَ بِإحْضارِ المُنَجِّمينَ فَاخْتارُوا لَهُ يَوْماً يَسيرُ فيهِ ، وَساعَةً صالِحَةً يَخْرُجُ فيها ، وَحَمَلَ مَعَهُ مِنَ المالِ عِشْرينَ جِراباً[3] : كُلُّ جِرابٍ فيهِ عَشَرَةُ آلافِ دينارٍ . فَلَمّا قَدِمَ بَرْزَوَيْهِ بِلادَ الهِنْدِ ، طافَ بِبابِ المَلِكِ وَمَجالِسِ السُّوقَةِ[4] ، وَسَأَلَ عَنْ خَواصِّ المَلِكِ[5] ، وَالأَشْرافِ وَالعُلَماءِ وَالفَلاسِفَةِ . فَجَعَلَ يَغْشاهُمْ في مَنازِلِهِمْ[6] وَيَتَلَقّاهُمْ بِالتَّحِيَّةِ وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ

---

(١) تهيأ للسفر فاني باعثك الى الهند . (٢) صائب رأيك . (٣) الجراب وعاء من جلد توضع فيه النقود . (٤) السوقة : من الناس ، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وقيل : سموا كذلك لان الملك يسوقهم الى ما شاء . (٥) المقربين اليه . (٦) أي يزورهم ويطرق دورهم .

رَجُلٌ غَرِيبٌ : قَدِمَ بِلادَهُمْ لِطَلَبِ ٱلْعُلُومِ وَالأَدَبِ ، وَأَنَّهُ مُحْتاجٌ إِلى مُعاوَنَتِهِمْ فِي ذٰلِكَ . فَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ زَماناً طَوِيلاً ، يَتَأَدَّبُ[1] عَنْ عُلَماءِ الهِنْدِ بِما هُوَ عالِمٌ بِجَمِيعِهِ ، وَكَأَنَّهُ لا يَعْلَمُ مِنْهُ شَيْئاً . وَهُوَ فِيما بَيْنَ ذٰلِكَ يَسْتُرُ بُغْيَتَهُ[2] وَحاجَتَهُ . وَاتَّخَذَ فِي تِلْكَ الحالَةِ لِطُولِ مُقامِهِ أَصْدِقاءَ كَثِيرِينَ : مِنَ الأَشْرافِ وَٱلْعُلَماءِ وَٱلْفَلاسِفَةِ وَالسُّوقَةِ وَمِنْ أَهْلِ كُلِّ طَبَقَةٍ وَصِناعَةٍ . وَكانَ قَدِ اتَّخَذَ مِنْ بَيْنِ أَصْدِقائِهِ رَجُلاً واحِداً قَدِ اخْتارَهُ لِسِرِّهِ ، وَما يُحِبُّ مُشاوَرَتَهُ فِيهِ ، لِلَّذِي ظَهَرَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَدَبِهِ ، وَاسْتِبانَ[3] لَهُ مِنْ صِحَّةِ إِخائِهِ ، وَكانَ يُشاوِرُهُ فِي الأُمُورِ ، وَيَرْتاحُ إِلَيْهِ[4] فِي جَمِيعِ ما أَهَمَّهُ ، إِلاَّ أَنَّهُ كانَ يَكْتُمُ مِنْهُ ٱلأَمْرَ الَّذِي قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ ، لِكَيْ يَبْلُوَهُ[5] وَيَخْبُرَهُ ، وَيَنْظُرَ : هَلْ هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلى سِرِّهِ ، فَقالَ لَهُ يَوْماً وَهُما جالِسانِ : يا أَخِي ما أُرِيدُ أَنْ أَكْتُمَكَ مِنْ أَمْرِي فَوْقَ الَّذِي كَتَمْتُكَ ، فَاعْلَمْ أَنِّي لِأَمْرٍ قَدِمْتُ ، وَهُوَ غَيْرُ الَّذِي يَظْهَرُ مِنِّي . وَالعاقِلُ يَكْتَفِي مِنَ الرَّجُلِ بِالْعَلاماتِ مِنْ نَظَرِهِ حَتَّى يَعْلَمَ سِرَّ نَفْسِهِ وَما يُضْمِرُهُ قَلْبُهُ . قالَ لَهُ الهِنْدِيُّ : إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بَدَأْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِما جِئْتَ لَهُ ، وَإِيَّاهُ تُرِيدُ ، وَأَنَّكَ تَكْتُمُ أَمْراً تَطْلُبُهُ وَتُظْهِرُ غَيْرَهُ ، ما خَفِيَ عَلَيَّ ذٰلِكَ مِنْكَ ؛ وَلٰكِنِّي لِرَغْبَتِي

---

(١) يطلب الآداب. (٢) طلبته. (٣) وضح. (٤) تنبسط اليه نفسه. (٥) يجربه

في إخائك كَرِهْتُ أَنْ أُواجِهَكَ بِهِ . وَإِنَّهُ قَدِ اسْتَبانَ ما تُخْفيهِ عَلَيَّ . فَأَمَّا[1] إِذْ قَدْ أَظْهَرْتَ ذٰلِكَ ، وَأَفصَحْتَ بِهِ[2] ، وَبِالْكَلامِ فيهِ ، فَإِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَمُظْهِرٌ لَكَ سَرِيرَتَكَ ، وَمُعْلِمُكَ بِحالِكَ الَّتي قَدِمْتَ لَها . فَإِنَّكَ قَدِمْتَ بِلادَنا لِتَسْلُبَنا كُنُوزَنا النَّفيسَةَ ، فَتَذْهَبَ بِها إِلَى بِلادِكَ ، وَتَسُرَّ بِها مَلِكَكَ . وَكانَ قُدُومُكَ بِالْمَكْرِ وَالْخَديعَةِ . وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صَبْرَكَ وَمُواظَبَتَكَ عَلى طَلَبِ حاجَتِكَ ، وَالتَّحَفُّظَ[3] مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْكَ الْكَلامُ مَعَ طُولِ مُكْثِكَ[4] عِنْدَنا ، بِشَيْءٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلى سَرِيرَتِكَ[5] وَأُمُورِكَ ، ازْدَدْتُ رَغْبَةً في إِخائِكَ وَثِقَةً بِعَقْلِكَ ، فَأَحْبَبْتُ مَوَدَّتَكَ . فَإِنِّي لَمْ أَرَ في الرِّجالِ رَجُلاً هُوَ أَرْصَنُ[6] مِنْكَ عَقْلاً ، وَلا أَحْسَنُ أَدَباً ، وَلا أَصْبَرُ عَلى طَلَبِ الْعِلْمِ وَلا أَكْتَمُ لِسِرٍّ مِنْكَ ، وَلا سِيَّما في بِلادِ غُرْبَةٍ ، وَمَمْلَكَةٍ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ ، عِنْدَ قَوْمٍ لا تَعْرِفُ سُنَّتَهُمْ[7] . وَإِنَّ عَقْلَ الرَّجُلِ لَيَبِينُ[8] في ثَماني خِصالٍ : الأُولى الرِّفْقُ . وَالثّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَيَحْفَظَها . وَالثّالِثَةُ طاعَةُ الْمُلُوكِ ، وَالتَّحَرِّي[9] لِما يُرْضِيهِمْ . وَالرّابِعَةُ مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ مَوْضِعَ سِرِّهِ ، وَكَيْفَ يَنْبَغي أَنْ يُطْلِعَ عَلَيْهِ صَديقَهُ . وَالْخامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلى أَبْوابِ الْمُلُوكِ

---

(١) أما حرف : شرط وتفصيل وتوكيد . (٢) بينته (٣) الاحتياط .
(٤) بقائك . (٥) طوية نفسك . (٦) أثبت . (٧) طريقتهم في الحياة .
(٨) ليظهر . (٩) البحث والتثبت .

أديباً مَلِقَ اللِّسانِ[1] . والسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ لِسِرِّهِ وَسِرِّ غَيْرِهِ حافِظاً . والسَّابِعَةُ أَنْ يَكُونَ عَلى لِسانِهِ قادِراً ، فَلا يَتَكَلَّمُ إِلاَّ بِما يَأْمَنُ تَبِعَتَهُ[2] . والثَّامِنَةُ إِنْ كانَ بِالْمَحْفِلِ[3] لا يَتَكَلَّمُ إِلاَّ بِما يُسْأَلُ عَنْهُ . فَمَنِ اجْتَمَعَتْ فيه هٰذِهِ الخِصالُ كانَ هُوَ الدَّاعِيَ الخَيْرِ إِلى نَفْسِهِ[4] . وَهٰذِهِ الخِصالُ كُلُّها قَدِ اجْتَمَعَتْ فيكَ ، وَبانَتْ لي مِنْكَ . فَاللهُ تَعالَى يَحْفَظُكَ ، وَيُعينُكَ عَلى ما قَدِمْتَ لَهُ . فَمُصادَقَتُكَ إِيَّايَ وَإِنْ كانَتْ لَتَسْلُبُني كَنْزي وَفَخْري وَعِلْمي ، تَجْعَلُكَ أَهْلاً لِأَنْ تُسْعَفَ[5] بِحاجَتِكَ ، وَتُشْفَعَ بِطِلْبَتِكَ[6] ، وَتُعْطَى سُؤْلَكَ[7] . فَقالَ لَهُ بَرْزَوَيْهِ : إِنِّي قَدْ كُنْتُ هَيَّأْتُ كَلاماً كَثيراً وَشَعَّبْتُ لَهُ شُعُوباً[8] ، وَأَنْشَأْتُ لَهُ أُصولاً وَطُرُقاً ، فَلَمَّا انْتَهَيْتَ إِلى ما بَدَأْتَني بِهِ مِنِ اطِّلاعِكَ عَلى أَمْري وَالَّذي قَدِمْتُ لَهُ ، وَأَلْقَيْتَهُ عَلَيَّ مِنْ ذاتِ نَفْسِكَ ، وَرَغْبَتِكَ فيما أَلْقَيْتَ مِنَ الْقَوْلِ ، اكْتَفَيْتُ بِالْيَسيرِ مِنَ الخِطابِ مَعَكَ ، وَعَرَفْتُ الْكَبيرَ مِنْ أُمُوري بِالصَّغيرِ مِنَ الْكَلامِ وَاقْتَصَرْتُ بِهِ مَعَكَ عَلى الإِيجازِ[9] ، وَرَأَيْتُ مِنْ إِسْعافِكَ إِيَّايَ بِحاجَتي ما دَلَّني عَلى كَرَمِكَ وَحُسْنِ وَفائِكَ ، فَإِنَّ الكَلامَ إِذا أُلْقِيَ إِلى الْفَيْلَسُوفِ ، وَالسِّرَّ إِذا اسْتُودِعَ إِلى

---

(١) متوددا متلطفاً . (٢) التبعة بفتح فكسر ما يطلب من ظلامة ونحوها والعاقبة .
(٣) اسم مكان من حفل وهو المجلس . (٤) اي الطالب الخير لنفسه . (٥) تساعد
(٦) من شفعت الشيء بالشيء : ضممته اليـــه ، والطلبة : المطلوب . (٧) ما تسأله .
(٨) وخططت له طرقاً . (٩) الاختصار .

اللَّبيبِ[1] الحافِظِ ، فَقَدْ حُصِّنَ وَبُلِغَ بِهِ نِهايَةُ أَمَلِ صاحِبِهِ ، كَما يُحصَّنُ الشَّيْءُ النَّفيسُ في القِلاعِ الحَصينَةِ . قالَ لَهُ الهِنْدِيُّ : لا شَيْءَ أَفْضَلُ مِنَ المَوَدَّةِ . وَمَنْ خَلَصَتْ[2] مَوَدَّتُهُ كانَ أَهْلاً أَنْ يَخْلِطَهُ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَلا يَدَّخِرَ عَنْهُ شَيْئاً ، وَلا يَكْتُمُهُ سِرًّا : فَإِنَّ حِفْظَ السِّرِّ رَأْسُ الأَدَبِ . فَإِذا كانَ السِّرُّ عِنْدَ الأَمينِ الكَتومِ فَقَدِ احْتُرِزَ[3] مِنَ التَّصْنيعِ ، مَعَ أَنَّهُ خَليقٌ أَلاَّ يَتَكَلَّمَ بِهِ ، وَلا يَتِمُّ سِرٌّ بَيْنَ اثْنَيْنِ قَدْ عَلِماهُ وَتَفاوَضاهُ . فَإِذا تَكَلَّمَ بِالسِّرِّ اثْنانِ فَلا بُدَّ مِنْ ثالِثٍ مِنْ جِهَةِ أَحَدِهِما ، فَإِذا وَصَلَ إِلَى الثَّلاثَةِ فَقَدْ شاعَ وَذاعَ ، حَتَّى لا يَسْتَطيعَ صاحِبُهُ أَنْ يَجْحَدَهُ[4] وَيُكابِرَ عَنْهُ ، كالغَيْمِ إِذا كانَ مُتَقَطِّعاً في السَّماءِ فَقالَ قائِلٌ : هٰذا غَيْمٌ مُتَقَطِّعٌ ، لا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلى تَكْذيبِهِ . وَأَنا قَدْ يُداخِلُني مِنْ مَوَدَّتِكَ وَخِلْطَتِكَ[5] سُرورٌ لا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ . وَهٰذا الأَمْرُ الَّذي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ الأَسْرارِ الَّتي لا تُكْتَمُ ، فَلا بُدَّ أَنْ يَفْشُوَ وَيَظْهَرَ ، حَتَّى يَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ . فَإِذا فَشا فَقَدْ سَعَيْتُ في هَلاكي هَلاكاً لا أَقْدِرُ عَلى الفِداءِ مِنْهُ بِالمالِ وَإِنْ كَثُرَ ، لِأَنَّ مَلِكَنا فَظٌّ[6] غَليظٌ يُعاقِبُ عَلى الذَّنْبِ الصَّغيرِ أَشَدَّ العِقابِ ، فَكَيْفَ مِثْلُ هٰذا الذَّنْبِ العَظيمِ ! وَإِذا حَمَلَتْني المَوَدَّةُ الَّتي بَيْني وَبَيْنَكَ ، فَأَسْعَفْتُكَ بِحاجَتِكَ ، لَمْ يَرُدَّ عِقابَهُ عَنِّي شَيْءٌ . قالَ بَرْزَوَيْهِ :

---

(١) العاقل الفهم . (٢) نقت من الشوائب (٣) صين . (٤) ينكره (٥) عشرتك
(٦) الفظ : الشديد ، الغليظ القلب .

إنَّ ٱلعُلَماءَ قَدْ مَدَحتِ الصَّديقَ إذا كَتَمَ سِرَّ صَديقِهِ، وَأَعانَهُ عَلى ٱلفَوْزِ . وَهٰذا الأَمْرُ الَّذي قَدِمْتُ لَهُ لِمِثْلِكَ ذَخَرْتُهُ[1] ، وَبِكَ أَرْجُو بُلُوغَهُ وَأَنا واثِقٌ بِكَرَمِ طِباعِكَ وَوُفُورِ عَقْلِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لا تَخْشى مِنّي ، وَلا تَخافُ أَنْ أُبْدِيَهُ ، بَلْ تَخْشى أَهْلَ بَيْتِكَ الطّائِفينَ بِكَ[2] وَبِالْمِلْكِ أَنْ يَسْعَوْا بِكَ إِلَيْهِ . وَأَنا أَرْجُو أَلاّ يَشيعَ[3] شَيْءٌ مِنْ هٰذا الأَمْرِ وَأَنا ظاعِنٌ[4] وَأَنْتَ مُقيمٌ . وَما أَقَمْتُ[5] فَلا ثالِثَ بَيْنَنا . فَتَعاهَدا عَلى هٰذا جَميعاً . وَكانَ الهِنْدِيُّ خازِنَ الْمِلْكِ ، وَبِيَدِهِ مَفاتيحُ خَزائِنِهِ . فَأَجابَهُ إِلى ذٰلِكَ ٱلكِتابِ وَإِلى غَيْرِهِ مِنَ ٱلكُتُبِ ، فَأَكَبَّ عَلى تَفْسيرِهِ[6] ، وَنَقْلِهِ مِنَ اللِّسانِ الهِنْدِيِّ إِلى اللِّسانِ ٱلفارِسِيِّ . وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ ، وَأَنْصَبَ بَدَنَهُ[7] لَيْلاً وَنَهاراً . وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ وَجِلٌ[8] وَفَزِعٌ مِنْ مَلِكِ الهِنْدِ ، خائِفٌ عَلى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ الْمِلْكُ ٱلكِتابَ في وَقْتٍ ، وَلا يُصادِفَهُ في خَزائِنِهِ . فَلَمّا فَرَغَ مِنِ ٱنْتِساخِ ٱلكِتابِ[9] وَغَيْرِهِ : مِمّا أَرادَ مِنْ سائِرِ ٱلكُتُبِ ، كَتَبَ إِلى أَنُوشِرْوانَ يُعْلِمُهُ بِذٰلِكَ . فَلَمّا وَصَلَ إِلَيْهِ ٱلكِتابُ سُرَّ سُرُوراً شَديداً . ثُمَّ تَخَوَّفَ مُعاجَلَةَ الْمَقاديرِ أَنْ تُنَغِّصَ عَلَيْهِ فَرَحَهُ[10] ، فَكَتَبَ إِلى بَرْزَوَيْهِ : يَأْمُرُهُ بِتَعْجيلِ ٱلْقُدُومِ . فَسارَ بَرْزَوَيْهِ مُتَوَجِّهاً نَحْوَ كِسْرى . فَلَمّا رَأَى الْمِلْكُ ما قَدْ مَسَّهُ[11] مِنَ الشُّحُوبِ[12] وَالتَّعَبِ

(١) ادّخرته . (٢) المحيطين بك . (٣) ينتشر ويذاع . (٤) راحل .
(٥) اي مدة اقامتي . (٦) اكب على الشيء لازمه . (٧) أتعب جسمه .
(٨) خائف . (٩) نقله . (١٠) تكدّره . (١١) أصابه . (١٢) تغير اللون من هزال أو جوع أو غيره .

قالَ لَهُ : أَيُّها ٱلْعَبْدُ النَّاصِحُ الَّذي يَأْكُلُ ثَمَرَةَ ما قَدْ غَرَسَ ، أَبْشِرْ وَقَرَّ[1] عَيْناً . فَإِنِّي مُشَرِّفُكَ وَبالِغٌ بِكَ أَفْضَلَ دَرَجَةٍ . وَأَمَرَهُ أَنْ يُرِيحَ بَدَنَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . فَلَمَّا كانَ ٱلْيَوْمُ الثَّامِنُ أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يَجْتَمِعَ إِلَيْهِ الأُمَراءُ وَٱلْعُلَماءُ . فَلَمَّا ٱجْتَمَعُوا أَمَرَ بَرْزَوَيْهِ بِالْحُضُورِ فَحَضَرَ وَمَعَهُ ٱلْكُتُبُ ، فَفَتَحَها وَقَرَأَها عَلى مَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ . فَلَمَّا سَمِعُوا ما فيها مِنَ ٱلْعِلْمِ فَرِحُوا فَرَحاً شَديداً وَشَكَرُوا اللهَ عَلى ما رَزَقَهُمْ ، وَمَدَحُوا بَرْزَوَيْهِ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ . وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ تُفْتَحَ لِبَرْزَوَيْهِ خَزائِنُ اللُّؤْلُؤِ وَالزَّبَرْجَدِ[2] وَٱلْياقُوتِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْخَزائِنِ ما شاءَ مِنْ مالٍ أَوْ كِسْوَةٍ . وَقالَ : يا بَرْزَوَيْهِ إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ أَنْ تُجْلَسَ عَلى مِثْلِ سَريري هٰذا ، وَتُلْبَسَ تاجاً ، وَتَتَرَأَّسَ عَلى جَميعِ الأَشْرافِ . فَسَجَدَ بَرْزَوَيْهِ لِلْمَلِكِ وَدَعا لَهُ ، وَطَلَبَ مِنَ اللهِ ، وَقالَ : أَكْرَمَ اللهُ تَعالى الْمَلِكَ كَرامَةَ الدُّنيا وَالآخِرَةِ ، وَأَحْسَنَ عَنِّي ثَوابَهُ وَجَزاءَهُ . فَإِنِّي بِحَمْدِ اللهِ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْمالِ بِما رَزَقَنِي اللهُ عَلى يَدِ الْمَلِكِ السَّعيدِ الْجَدِّ ، الْعَظيمِ الْمُلْكِ ، فَلا حاجَةَ لي بِالْمالِ . لٰكِنْ لَمَّا كَلَّفَنِي الْمَلِكُ ذٰلِكَ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسُرُّهُ ، فَأَنا أَمْضي الْخَزائِنَ ، فَآخُذُ مِنْها طَلَباً لِمَرْضاتِهِ ،

---

(١) قرت العين : بردت ثم اطلقت العبارة للتعبير عن الاطمئنان النفسي (٢) الزبرجد والياقوت حجران كريمان يستعملان في الحلي .

وَامْتِثالاً[1] لِأَمْرِهِ . ثُمَّ قَصَدَ خِزانَةَ الثِّيابِ فَأَخَـذَ مِنْها تَخْتاً[2] مِنْ طَرائِفِ خُراسانَ مِنْ مَلابِسِ الْمُلُوكِ . فَلَمّا قَبَضَ بَرْزَوَيْهِ ما اخْتارَهُ وَرَضِيَهُ مِنَ الثِّيابِ قالَ : ــ أَكْرَمَ اللهُ الْمَلِكَ ، وَمَدَّ في عُمُرِهِ أَبَداً لا بُدَّ أَنَّ الإِنْسانَ إِذا أُكْرِمَ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ ، وَإِنْ كانَ قَدِ اسْتَوْجَبَهُ[3] تَعَباً وَمَشَقَّةً فَقَدْ كانَ فيهِما رِضاءُ الْمَلِكِ ، وَأَمّا أَنا فَما لَقيتُهُ مِنْ عَناءٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ لِما أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فيهِ الشَّرَفَ يا أَهْلَ هٰذا الْبَيْتِ ، فَإِنّي لَمْ أَزَلْ إِلى هٰذا الْيَوْمِ تابِعاً رِضاكُمْ ، أَرَى الْعَسيرَ فيهِ يَسيراً ، وَالشَّاقَّ هَيِّناً ، وَالنَّصَبَ[4] وَالْأَذى سُرُوراً وَلَذَّةً ، لِما أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فيهِ رِضاءً وَقُرْبَـةً عِنْدَكُمْ[5] ، وَلٰكِنّي أَسْأَلُكَ أَيُّها الْمَلِكُ حاجَةً تُسْعِفُني بِها ، وَتُعْطيني فيها سُؤْلي ، فَإِنَّ حاجَتي يَسيرَةٌ ، وَفي قَضائِها فائِدَةٌ كَثيرَةٌ . قالَ أَنُوشِرْوانُ : قُلْ فَكُلُّ حاجَةٍ لَكَ قِبَلَنا مَقْضِيَّةٌ ، فَإِنَّكَ عِنْدَنا عَظيمٌ ، وَلَوْ طَلَبْتَ مُشارَكَتَنا في مُلْكِنا لَفَعَلْنا ، وَلَمْ نَرُدَّ طِلْبَتَكَ ، فَكَيْفَ ما سِوى ذٰلِكَ ، فَقُلْ وَلا تَحْتَشِمْ[6] ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّها مَبْذُولَةٌ لَكَ . قالَ بَرْزَوَيْهِ : أَيُّها الْمَلِكُ لا تَنْظُرْ إِلى عَنائي في رِضاكَ وَانْكِماشي[7] في طاعَتِكَ ، فَإِنَّما أَنا عَبْدُكَ يَلْزَمُني بَذْلُ مُهْجَتي[8] في

---

(١) تلبية وخضوعاً . (٢) التخت : وعاء تصان فيه الثياب، ويطلق أيضاً على السرير من خشب وغيره وقد استعمل غالباً في سرير الملك وهو فارسي معرب وأصله : تختة أي خشب ، والمراد ما في التخت . (٣) استحقه بسبب التعب والمشقة . (٤) التعب . (٥) أصل القربة ما يتقرب به الى الله من البر وعمل الصالحات . (٦) يريد : لا تستحي (٧) اسراعي فيها بجد . (٨) المهجة : دم القلب ، الروح .

رِضاكَ ، ولَوْ لَمْ تجزني[1] لَمْ يَكُنْ ذٰلكَ عِندي عَظيماً ، ولا واجباً على المَلِك ، ولٰكِنْ لِكَرَمِهِ وشَرَفِ مَنصِبِهِ عَمَدَ إلى مُجازاتي ، وخَصَّني وأَهلَ بَيْتي بِعُلُوِّ المَرْتَبَةِ ورَفْعِ الدَّرَجَة ، حَتَّى لَوْ قَدَرَ أَنْ يَجْمَعَ لَنا بَيْنَ شَرَفِ الدُّنيا والآخِرَةِ لَفَعَلَ ، فَجَزاهُ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ الجَزاءِ . قالَ أَنُوشِرْوانُ : اذْكُرْ حاجَتَكَ فَعَلَيَّ ما يَسُرُّكَ . فَقالَ بَرْزَوَيْهِ : حاجَتي أَنْ يَأْمُرَ المَلِكُ — أَعلاهُ اللهُ تعالى — وَزيرَهُ بُزُرْجَمِهْرَ بْنَ البَخْتَكانِ ، وَيُقْسِمَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْمِلَ فِكْرَهُ ، وَيَجْمَعَ رَأْيَهُ وَيَجْهَدَ طاقَتَهُ ، وَيُفْرِغَ قَلْبَهُ[2] في نَظْمِ تَأْليفِ كَلامٍ مُتْقَنٍ مُحْكَمٍ ، وَيَجْعَلَهُ باباً يَذْكُرُ فيهِ أَمْري وَيَصِفُ حالي ، وَلا يَدَعَ مِنَ المُبالَغَةِ في ذٰلكَ أَقْصى[3] ما يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَيَأْمُرَهُ إذا اسْتَتَمَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ الأَبْوابِ الَّتي تُقْرَأُ قَبْلَ بابِ الأَسَدِ وَالثَّوْرِ ، فَإِنَّ المَلِكَ إذا فَعَلَ فَقَدْ بَلَغَ بي وَبِأَهْلي غايَةَ الشَّرَفِ وَأَعْلى المَراتِبِ ، وَأَبْقى لَنا ما لا يَزالُ ذِكْرُهُ باقِياً عَلى الأَبَدِ ، حَيْثُما قُرِئَ هٰذا الكِتابُ .

فَلَمّا سَمِعَ كِسْرى أَنُوشِرْوانُ وَالعُظَماءُ مَقالَتَهُ ، وَما سَمَتْ[4] إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ مَحَبَّةِ إِبْقاءِ الذِّكْرِ ، وَاسْتَحْسَنُوا طَلِبَتَهُ وَاخْتِيارَهُ ، قالَ كِسْرى : حُبّاً وَكَرامَةً لَكَ يا بَرْزَوَيْهِ ، إِنَّكَ لَأَهْلٌ أَنْ تُسْعَفَ بِحاجَتِكَ ، فَما أَقَلَّ ما قَنِعْتَ بِهِ ، وَأَيْسَرَهُ عِنْدَنا ! وَإِنْ كانَ خَطَرُهُ[5] عِنْدَكَ عَظيماً . ثُمَّ أَقْبَلَ

(١) تكافئني . (٢) ويبذل طاقته . (٣) أبعد . (٤) ارتفعت ، وطمحت .
(٥) الخطر هنا ، القدر والشرف .

أَنوشِرْوانُ عَلى وَزيرِهِ بُزُرْجمِهْرَ فَقالَ لَهُ: قَدْ عَرَفْتَ مُناصَحَةَ بَرْزَوَيْهِ لَنا، وَتَجَشُّمَهُ[1] المَخاوِفَ وَالمَهالِكَ فيما يُقَرِّبُهُ مِنَّا، وَإِتْعابَهُ بَدَنَهُ فيما يَسُرُّنا، وَما أَتى بِهِ إِلَيْنا مِنَ المَعْرُوفِ، وَما أَفادَنا اللهُ عَلى يَدِهِ مِنَ الحِكْمَةِ وَالأَدَبِ الباقي لَنا فَخْرُهُ، وَما عَرَضْنا عَلَيْهِ مِنْ خَزائِنِنا لِنَجْزِيَهُ بِذلِكَ عَلى ما كانَ مِنْهُ، فَلَمْ تَمِلْ نَفْسُهُ إِلى شَيْءٍ مِنْ ذلِكَ، وَكانَ بُغْيَتُهُ وَطِلْبَتُهُ مِنَّا أَمْراً يَسيراً رَآهُ هُوَ الثَّوابَ مِنَّا لَهُ، وَالكَرامَةَ الجَليلَةَ عِنْدَهُ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ في ذلِكَ وَتُسْعِفَهُ بِحاجَتِهِ وَطِلْبَتِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ ذلِكَ مِمَّا يَسُرُّني، وَلا تَدَعْ شَيْئاً مِنَ الاجْتِهادِ وَالمُبالَغَةِ إِلاَّ بَلَغْتَهُ، وَإِنْ نالَتْكَ فيهِ مَشَقَّةٌ: وَهُوَ أَنْ تَكْتُبَ باباً مُضارِعاً[2] لِتِلْكَ الأَبْوابِ الَّتي في الكِتابِ، وَتَذْكُرَ فيهِ فَضْلَ بَرْزَوَيْهِ، وَكَيْفَ كانَ ابْتِداءُ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ، وَتَنْسُبَهُ إِلَيْهِ وَإِلى حَسَبِهِ وَصِناعَتِهِ، وَتَذْكُرَ فيهِ بَعْثَتَهُ إِلى بِلادِ الهِنْدِ في حاجَتِنا، وَما أَفَدْنا عَلى يَدَيْهِ مِنْ هُنالِكَ وَشَرُفْنا بِهِ وَفُضِّلْنا عَلى غَيْرِنا، وَكَيْفَ كانَ حالُ بَرْزَوَيْهِ وَقُدُومِهِ مِنْ بِلادِ الهِنْدِ فَقُلْ ما تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْريظِ[3] وَالإِطْنابِ في مَدْحِهِ، وَبالِغْ في ذلِكَ أَفْضَلَ المُبالَغَةِ، وَاجْتَهِدْ في ذلِكَ اجْتِهاداً يَسُرُّ بَرْزَوَيْهِ وَأَهْلَ المَمْلَكَةِ. وَإِنَّ بَرْزَوَيْهِ أَهْلٌ لِذلِكَ مِنِّي،

---

(١) من قولهم: تجشم الامر: تكلفه على مشقة. (٢) مشابهاً ومماثلاً (٣) التقريظ: المدح، والاطناب: المبالغة في القول.

وَمِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَمِنْكَ أَيْضاً لِمَحَبَّتِكَ لِلْعُلُومِ . وَاجْتَهِدْ أَنْ يَكُونَ غَرَضُ هٰذا الْكِتابِ الَّذي يُنْسَبُ إِلى بَرْزَوَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ أَغْراضِ تِلْكَ الأَبْوابِ عِنْدَ الْخاصِّ وَالْعامِّ ، وَأَشَدَّ مُشاكَلَةً[1] لِحالِ هٰذا الْعِلْمِ ، فَإِنَّكَ أَسْعَدُ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِذٰلِكَ لانْفِرادِكَ بِهٰذا الْكِتابِ . وَاجْعَلْهُ أَوَّلَ الأَبْوابِ . فَإِذا أَنْتَ عَمِلْتَهُ وَوَضَعْتَهُ في مَوْضِعِهِ فَأَعْلِمْني لأَجْمَعَ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ وَتَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ ، فَيَظْهَرَ فَضْلُكَ وَاجْتِهادُكَ في مَحَبَّتِنا فَيَكُونَ لَكَ بِذٰلِكَ فَخْرٌ . فَلَمَّا سَمِعَ بُزُرْجُمِهْرُ مَقالَةَ الْمَلِكِ خَرَّ لَهُ ساجِداً ، وَقالَ :

ــ أَدامَ اللهُ لَكَ أَيُّها الْمَلِكُ الْبَقاءَ وَبَلَّغَكَ أَفْضَلَ مَنازِلِ الصَّالِحينَ في الآخِرَةِ وَالأُولى ــ لَقَدْ شَرَّفْتَني بِذٰلِكَ شَرَفاً باقِياً إِلى الأَبَدِ . ثُمَّ خَرَجَ بُزُرْجُمِهْرُ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ ، فَوَصَفَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَفَعَهُ أَبَواهُ إِلى الْمُعَلِّمِ وَمُضِيَّهُ إِلى بِلادِ الْهِنْدِ في طَلَبِ الْعَقاقِيرِ[2] وَالأَدْوِيَةِ ، وَكَيْفَ تَعَلَّمَ خُطُوطَهُمْ وَلُغَتَهُمْ إِلى أَنْ بَعَثَهُ أَنُوشِرْوانُ إِلى الْهِنْدِ في طَلَبِ الْكِتابِ ، وَلَمْ يَدَعْ مِنْ فَضائِلِ بَرْزَوَيْهِ وَحِكْمَتِهِ وَخَلائِقِهِ[3] وَمَذْهَبِهِ أَمْراً إِلاَّ نَسَّقَهُ[4] وَأَتى بِهِ بِأَجْوَدِ ما يَكُونُ مِنَ الشَّرْحِ : ثُمَّ أَعْلَمَ الْمَلِكَ بِفَراغِهِ[5] مِنْهُ . فَجَمَعَ أَنُوشِرْوانُ أَشْرافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ مَمْلَكَتِهِ ،

---

(١) مشابهة . (٢) العقاقير : هي الادوية أو أصولها واحدها عقاربالفتح فالتشديد ومنه يقال (حديد جيد العقاقير أي كريم الطبع) . (٣) طبائعه . (٤) رتبه ونظمه (٥) انتهائه .

وَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ بُزُرْجِمِهْرَ بِقِراءَةِ الْكِتابِ ، وَبَرْزَوَيْهِ قائِمٌ إِلى جانِبِ بُزُرْجِمِهْرَ . وَابْتَدَأَ بِوَصْفِ بَرْزَوَيْهِ حَتَّى انْتَهى إِلى آخِرِهِ ، فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِما أَتى بُزُرْجِمِهْرُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ ، ثُمَّ أَثْنى الْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَهُ عَلى بُزُرْجِمِهْرَ ، وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ ، وَأَمَرَ لَهُ الْمَلِكُ بِمالٍ جَزِيلٍ[1] وَكُسْوَةٍ وَحُلىً[2] وَأَوانٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئاً غَيْرَ كُسْوَةٍ كانَتْ مِنْ ثِيابِ الْمُلُوكِ ، ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذٰلِكَ بَرْزَوَيْهِ ، وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ . وَأَقْبَلَ بَرْزَوَيْهِ عَلى الْمَلِكِ . وَقالَ : — أَدامَ اللهُ لَكَ الْمُلْكَ وَالسَّعادَةَ — فَقَدْ بَلَغْتَ بي وَبِأَهْلي غايَةَ الشَّرَفِ بِما أَمَرْتَ بِهِ بُزُرْجِمِهْرَ مِنْ صَنْعَةِ الْكِتابِ[3] في أَمْري وَإِبْقاءِ ذِكْري .

---

(١) كثير . (٢) جمع حلى وهو مايزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة .
(٣) يريد الكتابة ، وهي مصدر لفعل كتب .

برزويه المتطبّب

بقلم : بزرجمهر بن البختكان

قالَ بَرْزَوَيْهِ رَأْسُ أَطِبَّاءِ فارِسَ ، وَهُوَ الَّذي تَوَلَّى انْتِساخَ هٰذا الْكِتابِ وَتَرْجَمَهُ مِنْ كُتُبِ الْهِنْدِ « وقد مضى ذكر ذلك من قبل » : إِنَّ أَبي كانَ مِنَ الْمُقاتِلَةِ[1] وَكانَتْ أُمّي مِنْ عُظَماءِ بُيُوتِ الزَّمازِمَةِ[2] وَكانَ مَنْشَئي في نِعْمَةٍ كامِلَةٍ ، وَكُنْتُ أُكْرَمُ وَلَدٍ أَبَوَيَّ عَلَيْهِما ، وَكانا أَبي أَشَدَّ احْتِفاظاً مِنْ دُونِ إِخْوَتي. حَتّى إِذا بَلَغْتُ سَبْعَ سِنينَ أَسْلَماني إِلَى الْمُؤَدِّبِ، فَلَمّا حَذِقْتُ[3] في الْكِتابَةِ شَكَرْتُ أَبَوَيَّ ، وَنَظَرْتُ في الْعِلْمِ ، فَكانَ أَوَّلَ ما ابْتَدَأْتُ بِهِ وَحَرَصْتُ عَلَيْهِ عِلْمُ الطِّبِّ ، لِأَنّي كُنْتُ عَرَفْتُ فَضْلَهُ . وَكُلَّما سَدَّدْتُ مِنْهُ[1] عِلْماً ازْدَدْتُ فيهِ حِرْصاً وَلَهُ اتِّباعاً ، فَلَمّا هَمَّتْ نَفْسي بِمُداواةِ الْمَرْضى ، وَعَزَمْتُ عَلى ذٰلِكَ آمَرْتُها[2] ، ثُمَّ خَيَّرْتُها بَيْنَ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ الَّتي يَطْلُبُها النّاسُ وَفيها يَرْغَبُونَ ، وَلَهـا يَسْعَوْنَ ،

---

(١) المقاتلة هم الجند أهل القتال . (٢) طائفة من عظماء المجوس ، وهي لفظة مأخوذة من الزمزمة وهي : تراطن العلوج على أكلهم وهم صموت لا يستعملون لساناً ولا شفة لكنه صوت يديرونه في خياشيمهم وحلوقهم فيفهم بعضهم عن بعض . (٣) مهرت . (١) أتقنت (٢) شاورتها .

فَقُلْتُ : أيَّ هٰذِهِ الخِلالِ أَبتَغي في عَمَلي ؟ وَأَيُّها أَحرَى[1] بي ؟ فَأُدرِكَ مِنها حاجَتي (المالُ ؟ أَمِ الذِّكرُ[2] ؟ أَمِ اللَّذّاتُ ؟ أَمِ الآخِرَةُ ؟) وَكُنتُ وَجَدتُ في كُتُبِ الطِّبِّ أَنَّ أَفضَلَ الأَطِبّاءِ مَنْ واظَبَ عَلى طِبِّهِ ، لا يَبتَغي إلاّ الآخِرَةَ . فَرَأَيتُ أَنْ أَطلُبَ الاشتِغالَ بِالطِّبِّ ابتِغاءَ الآخِرَةِ ، لِئَلاَّ أَكُونَ كالتّاجِرِ الَّذي باعَ ياقُوتَةً ثَمينَةً بِخَرَزَةٍ لا تُساوي شَيئاً . مَعَ أَنّي قَدْ وَجَدتُ في كُتُبِ الأَوَّلينَ أَنَّ الطَّبيبَ الَّذي يَبتَغي بِطِبِّهِ أَجرَ الآخِرَةِ لا يَنقُصُهُ ذٰلِكَ حَظَّهُ مِنَ الدُّنيا . وَأَنَّ مَثَلَهُ مَثَلُ الزّارِعِ الَّذي يَعمُرُ أَرضَهُ[3] ابتِغاءَ الزَّرعِ ، لا ابتِغاءَ العُشبِ[4] ، ثُمَّ هِيَ لا مَحالَةَ[5] نابِتٌ فيها أَلوانُ العُشبِ مَعَ يانِعِ الزَّرعِ[6] . فَأَقبَلتُ عَلى مُداواةِ المَرضى ابتِغاءَ أَجرِ الآخِرَةِ . فَلَمْ أَدَعْ مَريضاً أَرجُو لَهُ البُرءَ ، وَآخَرَ لا أَرجُو لَهُ ذٰلِكَ إلاّ أَنّي أَطمَعُ أَنْ يَخِفَّ عَنهُ بَعضُ المَرَضِ[7] ، إلاّ بالَغتُ في مُداواتِهِ[8] مَا أَمكَنَني القِيامُ عَلَيهِ بِنَفسي ، وَمَنْ لَمْ أَقدِرْ عَلى القِيامِ عَلَيهِ وَصَفتُ لَهُ ما يُصلِحُ ، وَأَعطَيتُهُ مِنَ الدَّواءِ ما يُعالَجُ بِهِ ، وَلَمْ أُرِدْ

---

(١) أولى . (٢) الشهرة . (٣) يصلحها ويعتني بها . (٤) العشب : الكلأ الرطب في أول الربيع قالوا ولا يقال له حشيش حتى يهيج ويدخل فيه أحرار البقول وذكورها (٥) لا محالة : كلمة توضع موضع لا بد ولا حيلة . (٦) يريد الزرع الناضج . (٧) أي انني لا أتوقع له الشفاء ولكن اتوقع له تخفيف المرض . (٨) بذلت أقصى الجهود .

بِمَنْ فَعَلْتُ مَعَهُ ذٰلِكَ جَزاءً وَلا مُكافأَةً ، وَلَمْ أَغْبِطْ[1] أَحداً مِنْ نُظَرائي[2] الَّذينَ هُمْ دُوني في ٱلعِلْمِ ، وَفَوْقي في الجاهِ وَالمالِ وَغَيْرِهِما ، مِمَّا لا يَعُودُ بِصَلاحٍ وَلا حُسْنِ سيرَةٍ قَوْلاً وَلا عَمَلاً . وَلَمَّا تاقَتْ نَفْسي[3] إِلى غِشْيانِهِم[4] وَتَمَنَّتْ مَنازِلَهُمْ ، أَثْبَتُّ لَها الخُصُومَةَ . فَقُلْتُ لَها : يا نَفْسِ[5] أَما[6] تَعْرِفينَ نَفْعَكِ مِنْ ضُرِّكِ ! أَلا تَنْتَهِينَ عَنْ تَمَنِّي ما لا يَنالُهُ أَحَدٌ إِلاَّ قَلَّ ٱنْتِفاعُهُ بِهِ ! وَكَثُرَ عَناؤُهُ فيهِ ، وَٱشْتَدَّتِ المُؤُونَةُ[7] عَلَيْهِ ، وَعَظُمَتِ المَشَقَّةُ لَدَيْهِ بَعْدَ فِراقِهِ . يَا نَفْسِ أَما تَذْكُرينَ ما بَعْدَ هٰذِهِ الدَّارِ ! فَيُنْسِيكِ ما تَشْرَهينَ[8] إِلَيْهِ مِنْها ، أَلا تَسْتَحْيينَ مِنْ مُشارَكَةِ ٱلفُجَّارِ[9] في حُبِّ هٰذِهِ ٱلعاجِلَةِ ٱلفانِيَةِ الَّتي مَنْ كانَ في يَدِهِ شَيْءٌ مِنْها فَلَيْسَ لَهُ ، وَلَيْسَ بِباقٍ عَلَيْهِ ، فَلا يَأْلَفُها إِلاَّ المُغْتَرُّونَ الجاهِلُونَ : يا نَفْسِ ٱنْظُرِي في أَمْرِكِ ، وَٱنْصَرِفي عَنْ هٰذا السَّفَهِ[10] ، وَٱقْبِلي بِقُوَّتِكِ وَسَعْيِكِ

---

(١) يقال غبط فلاناً بما ناله غبطاً بالفتح وغبطة بالكسر وفعله كضرب وعلم : تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوالها عنه لما أعجبه منه وعظم عنده وهذا جائز وليس بحسد ، فان تمنيت زوال ما عنده فهو الحسد . (٢) أمثالي من الأطباء (٣) مالت واشتاقت (٤) غشيهم : نزل عليهم وحل دارهم (٥) نفس منادي مضاف الى ياء المتكلم ثم حذفت الياء وكسر ما قبلها دليلاً عليها أو قلبت ألفاً وحذفت وفتح ما قبلها دليلاً على الالف المحذوف . (٦) أما هنا حرف عرض (وهو الطلب برفق ولين) وقيل الهمزة للاستفهام وما نافية . (٧) الثقل والشدة . (٨) الشره شدة الميل الى الطعام ومعناها هنا الطمع . (٩) جمع فاجر وهو المتجاوز لحدود العقل والشرع . (١٠) الخفة ونقص العقل .

عَلى تَقْدِيمِ الخَيْرِ ، وَإِيَّاكِ وَالشَّرَّ[1] . وَاذْكُرِي أَنَّ هٰذا الحَسَدَ مَوْجُودٌ لِآفاتٍ ، وَأَنَّهُ مَمْلُوءٌ أَخلاطاً فاسِدَةً قَذِرَةً ، تَعْقِدُها الحَياةُ ، وَالحَياةُ إِلى نَفادٍ[2] ، كالصَّنَمِ[3] المُفَصَّلَةِ أَعضاؤُهُ ، إِذا رُكِّبَتْ وَوُضِعَتْ يَجْمَعُها مِسْمارٌ واحِدٌ وَيَضُمُّ بَعْضَها إِلى بَعْضٍ ، فَإِذا أُخِذَ ذٰلِكَ المِسْمارُ تَساقَطَتِ الأَوْصالُ. يا نَفْسِ لا تَغْتَرِّي بِصُحْبَةِ أَحِبَّائِكِ وَأَصْحابِكِ وَلا تَحْرِصي عَلى ذٰلِكَ كُلَّ الحِرْصِ ، فَإِنَّ صُحْبَتَهُمْ على[4] ما فيها مِنَ السُّرُورِ كَثيرَةُ المَؤونَةِ ، وَعاقِبَةُ ذٰلِكَ الفِراقُ . وَمَثَلُها مَثَلُ المِغْرَفَةِ الَّتي تُسْتَعْمَلُ في جِدَّتِها[5] لِسُخونَةِ المَرَقِ ، فَإِذا انْكَسَرَتْ صارَتْ وَقُوداً : يا نَفْسِ لا يَحْمِلَنَّكِ أَهْلُكِ وَأَقارِبُكِ عَلى جَمْعِ ما تَهْلَكينَ فيهِ إِرادَةَ صِلَتِهِمْ ، فَإِذا أَنْتِ[6] كالدُّخْنَةِ الأَرِجَةِ[7] الَّتي تَحْتَرِقُ وَيَذْهَبُ آخَرُونَ بِرِيحِها[8] . يا نَفْسِ لا يَبْعُدْ عَلَيْكِ أَمْرُ الآخِرَةِ ، فَتَميلي إِلى العاجِلَةِ[9] في اسْتِعْجالِ القَليلِ ، وَبَيْعِ الكَثيرِ بِاليَسيرِ ،

---

(١) اياك : محذر والشر محذر منه ، وفي اعراب مثل هذا التركيب أقوال أسهلها أنها معمولان لعاملين واجب حذفهما وتقدير الجملة (اياك باعد واحذر الشر) .
(٢) انتهاء . (٣) الصنم تمثال على هيئة انسان أو حيوان . (٤) على هنا بمعنى مع .
(٥) الجدة بالكسر : ضد البلى وفعلها كضرب : صار جديداً . (٦) اذا هنا حرف مفاجأة تختص بالجملة الاسمية ولا تحتاج الى جواب . (٧) الدخنة بالضم : ذريرة يبخر بها البيوت : والارجة : ذات الرائحة الطيبة . (٨) أي لا يدفعك الحرص على ارضاء الأهل والاقارب الى جمع حطام الدنيا والاندفاع وراء المادة مما يسبب تعب المرء وهلاكه .
(٩) الحياة الدنيا .

كالتَّاجرِ الَّذي كانَ لَهُ مِلْءُ بَيْتٍ مِنَ الصَّنْدَلِ[1] ، فَقالَ : إنْ بِعْتُهُ وَزْناً طالَ عَلَيَّ ، فَباعَهُ جُزافاً[2] بِأَبْخَسِ الثَّمَنِ[3] . وَقَدْ وَجَدْتُ آراءَ النَّاسِ مُخْتَلِفَةً ، وَأَهْواءَهُمْ مُتَباينَةً[4] ، وَكُلٌّ عَلى كُلِّ رادٌّ[5] ، وَلَهُ عَدُوٌّ وَمُغْتابٌ[6] وَلِقَوْلِهِ مُخالِفٌ . فَلَمّا رَأَيْتُ ذٰلِكَ لَمْ أَجِدْ إلى مُتابَعَةِ[7] أَحَدٍ مِنْهُمْ سَبيلاً ، وَعَرَفْتُ أَنّي إنْ صَدَّقْتُ أَحَداً مِنْهُمْ لا عِلْمَ لي بِحالِهِ كُنْتُ في ذٰلِكَ كالْمُصَدِّقِ الْمَخْدُوعِ الَّذي زَعَمُوا في شَأْنِهِ : أَنَّ سارِقاً عَلا ظَهْرَ بَيْتِ رَجُلٍ مِنَ الأَغْنِياءِ ، وَكانَ مَعَهُ جَماعَةٌ مِنْ أَصْحابِهِ ، فَاسْتَيْقَظَ صاحِبُ الْمَنْزِلِ مِنْ حَرَكَةِ أَقْدامِهِمْ ، فَعَرَّفَ امْرَأَتَهُ ذٰلِكَ ، فَقالَ لَها : رُوَيْداً[8] إنّي لَأَحْسَبُ اللُّصُوصَ عَلَوُا الْبَيْتَ ، فَأَيْقِظيني بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ اللُّصُوصُ ،

---

(١) الصندل : شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز وله حب أخضر وعناقيد ، وأما الصندل الاحمر فهو مسحوق قشر هذا الشجر يستعمل لتلوين بعض المستحضرات ، وأما الاصفر فهو شجر يستخرج من قشره عطر هذا المستعمل في الطب كما أنه المراد في هذا المقام . (٢) الجزاف : بيع الشيء لايعلم كيله ولا وزنه . (٣) بأقل الثمن . (٤) أي ميولهم متباعدة . (٥) أي كل منهم مشتغل بالرد على الآخر . (٦) اسم فاعل من اغتاب والغيبة هي ذكرك الانسان بما يكرهه . (٧) مرافقة . (٨) رويداً مصدر أرود مصغراً تصغير الترخيم بطرح جميع الزوائد تقول رويداً أي مهلا وهو المعنى هنا . وهو يستعمل في أربعة أوجه : اسم فعل ، وصفة ، وحال ، ومصدر ، فالاسم نحو رويداً عمراً بمعنى أمهله والصفة نحو ساروا سيراً رويداً والمصدر نحو رويد عمرو بالاضافة وتلحقه كاف الخطاب فتتصرف فتقول رويدك ورويدكما الخ .

وَقُولي : أَلا[1] تُخبِرُني أَيُّها الرَّجُلُ عَنْ أَموالِكَ هٰذه ٱلكَثيرَةِ ، وَكُنُوزِكَ ٱلعَظيمَةِ ، فَإِذا نَهَيْتُكَ عَنْ هٰذا السُّؤالِ فَأَلِحِّي عَلَيَّ بِالسُّؤالِ . فَفَعَلَتِ ٱلمَرْأَةُ ذٰلِكَ ، وَسَأَلَتْهُ كَما أَمَرَها ، وَأَنْصَتَتِ اللُّصُوصُ إِلى سَماعِ قَوْلِها. فَقالَ لَها الرَّجُلُ : أَيَّتُها ٱلمَرْأَةُ[2] قَدْ ساقَكِ ٱلقَدَرُ إِلى رِزْقٍ واسِعٍ كَثيرٍ ، فَكُلي وَٱسْكُتي ، وَلا تَسْأَلي عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَخْبَرْتُكِ بِهِ لَمْ آمَنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ ، فَيَكُونَ في ذٰلِكَ ما أَكْرَهُ وَتَكْرَهينَ . فَقالَتِ ٱلمَرْأَةُ : أَخْبِرْني أَيُّها الرَّجُلُ ، فَلَعَمْري[3] ما بِقُرْبِنا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلامَنا . فَقالَ لَها فَإِنِّي أُخْبِرُكِ أَنِّي لَمْ أَجْمَعْ هٰذِهِ الأَمْوالَ إِلاّ مِنَ السَّرِقَةِ . قالَتْ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟! وَما كُنْتَ تَصْنَعُ ؟! قالَ : ذٰلِكَ لِعِلْمٍ أَصَبْتُهُ في السَّرِقَةِ ، وَكانَ الأَمْرُ عَلَيَّ يَسيراً وَأَنا آمِنٌ مِنْ أَنْ يَتَّهِمَني أَحَدٌ أَوْ يَرْتابَ[4] فِيَّ . قالَتْ : فَاذْكُرْ لي ذٰلِكَ . قالَ : كُنْتُ أَذْهَبُ في اللَّيْلَةِ ٱلمُقْمِرَةِ أَنا وَأَصْحابي ، حَتّى أَعْلُوَ دارَ بَعْضِ الأَغْنِياءِ مِثْلِنا ، فَأَنْتَهِيَ إِلى ٱلكُوَّةِ[5] الَّتي يَدْخُلُ مِنْها الضَّوْءُ فَأَرْقى بِهٰذِهِ الرُّقْيَةِ[6] وَهِيَ (شَوْلَمْ شَوْلَمْ) سَبْعَ مَرّاتٍ

---

(١) ألا هنا للعرض كالسابقة . (٢) المرأة بدل من لفظ أي لانه جامد .
(٣) الفاء : فاء الفصيحة وهي الواقعة في جواب شرط مقدر فكأنها قالت اذا شئت أن تفصح عن حالك فوالله ما قربنا أحد يسمعنا واللام على ذلك للابتداء . وعمري مبتدأ خبره محذوف وجوباً تقديره قسمي (٤) يشك . (٥) الكوة الخرق في الحائط .
(٦) اي اعوذ بالله بهذه الكلمات .

وأَعْتَنِقُ[1] الضَّوْءَ ، فَلا يُحِسُّ وُقُوعِيَ أَحَدٌ ، فَلا أَدَعُ مالاً وَلا مَتاعاً إلاّ أَخَذْتُهُ . ثُمَّ ارْقِي بِتِلْكَ الرُّقْيَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَأَعْتَنِقُ الضَّوْءَ ، فَيَجْذِبُني فَأَصْعَدُ إلى أَصْحابي ، فَنَمْضي سالِمينَ آمِنينَ . فَلَمّا سَمِعَ اللُّصُوصُ ذٰلِكَ قالُوا : قَدْ ظَفِرْنا اللَّيْلَةَ بِما نُرِيدُ مِنَ الْمالِ . ثُمَّ إِنَّهُمْ أَطالُوا الْمُكْثَ[2] حَتّى ظَنُّوا أَنَّ صاحِبَ الدّارِ وَزَوْجَتَهُ قَدْ هَجَعا[3] . فَقامَ قائِدُهُمْ إلى مَدْخَلِ الضَّوْءِ وَقالَ : (شَوْلَمْ شَوْلَمْ) سَبْعَ مَرَّاتٍ . ثُمَّ اعْتَنَقَ الضَّوْءَ لِيَنْزِلَ إلى أَرْضِ الْمَنْزِلِ ، فَوَقَعَ عَلى أُمِّ رَأْسِهِ مُنَكَّساً[4] ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ بِهِراوَتِهِ[5] ، وَقالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قالَ : أَنا الْمُصَدِّقُ الْمَخْدُوعُ الْمُغْتَرُّ بِما لا يَكُونُ أَبَداً ، وَهٰذِهِ ثَمَرَةُ رُقْيَتِكَ — فَلَمّا تَحَرَّزْتُ[6] مِنْ تَصْدِيقِ ما لا يَكُونُ وَلَمْ آمَنْ إِنْ صَدَّقْتُهُ أَنْ يُوقِعَني في مَهْلَكَةٍ ، عُدْتُ إلى طَلَبِ الأَدْيانِ وَالْتِماسِ الْعَدْلِ مِنْها فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ كَلَّمْتُهُ جَواباً فيما سَأَلْتُهُ عَنْهُ فيها ، وَلَمْ أَرَ فيما كَلَّمُوني بِهِ شَيْئاً يَحِقُّ لي في عَقْلي أَنْ أُصَدِّقَ بِهِ وَلا أَنْ أَتَّبِعَهُ . فَقُلْتُ[7] لَمّا لَمْ أَجِدْ ثِقَةً[8] آخُذُ مِنْهُ

---

(١) بمعنى أعانق وأضم . (٢) البقاء . (٣) ناما . (٤) مقلوباً . (٥) بعصاه .
(٦) احتطت . (٧) قلت هنا يجوز أن تكون بمعنى أحببت من قول العرب قال به : بمعنى أحبه ، وحينئذ يكون المعنى (فأحببت) أن ألزم دين آبائي ، والباء محذوفة مع أن ألزم قياساً ، أو تكون قلت بمعنى (رأيت) وليس هنا حذف : والمعنى على كليهما مقبول . (٨) انسانا موثوقاً صادق الرأي .

الرَّأْيَ أَنْ أَلْزَمَ دِينَ آبائِي وَأَجْدادِي الَّذينَ وَجَدْتُهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمّا ذَهَبْتُ أَلْتَمِسُ الْعُذْرَ لِنَفْسي في لُزُومِ[1] دينِ الآباءِ وَالأَجْدادِ لَمْ أَجِدْ لَها عَلى الثُّبُوتِ عَلى دينِ الآباءِ طاقَةً ، بَلْ وَجَدْتُها تُرِيدُ أَنْ تَتَفَرَّغَ لِلْبَحْثِ عَنِ الأَدْيانِ[2] وَالْمَسْأَلَةِ عَنْها[3] وَلِلنَّظَرِ فيها . فَهَجَسَ[4] في قَلْبي وَخَطَرَ عَلى بالي قُرْبُ الأَجَلِ وَسُرْعَةُ انْقِطاعِ الدُّنيا وَاغْتِباطُ[5] أَهْلِها وَتَخَرُّمُ الدَّهْرِ حَياتَهُمْ[6] ، فَفَكَّرْتُ في ذٰلِكَ . فَلَمّا خِفْتُ مِنَ التَّرَدُّدِ وَالتَّحَوُّلِ رَأَيْتُ أَلاّ أَتَعَرَّضَ لِما أَتَخَوَّفُ مِنْهُ الْمَكْرُوهَ ، وَأَنْ أَقْتَصِرَ عَلى عَمَلٍ تَشْهَدُ النَّفْسُ أَنَّهُ يُوافِقُ كُلَّ الأَدْيانِ ، فَكَفَفْتُ يَدِي عَنِ الْقَتْلِ وَالضَّرْبِ وَطَرَحْتُ نَفْسي عَنِ الْمَكْرُوهِ وَالْغَضَبِ[7] وَالسَّرِقَةِ وَالْخِيانَةِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتانِ[8] وَالْغِيبَةِ وَأَضْمَرْتُ في نَفْسي أَلاّ أَبْغِيَ عَلى أَحَدٍ ، وَلا أُكَذِّبَ بِالْبَعْثِ ، وَلا الْقِيامَةِ ، وَلا الثَّوابِ وَلا الْعِقابِ . وَزايَلْتُ الأَشْرارَ بِقَلْبي[9] ، وَحاوَلْتُ الْجُلُوسَ مَعَ الأَخْيارِ[10] بِجَهْدي ، وَرَأَيْتُ الصَّلاحَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ[11] صاحِبٌ وَلا قَرِينٌ ، وَوَجَدْتُ مَكْسَبَهُ — إِذا وَفَّقَ اللهُ وَأَعانَ — يَسيراً ،

---

(١) بمعنى ملازمة . (٢) أي تنصرف كلياً للبحث عن الأديان . (٣) السؤال . (٤) بمعنى خطر . (٥) الاغتباط : الموت . (٦) أصل التخرم : القطع والاستئصال أي أهلكهم جميعاً . (٧) الغضب : تغير يحصل عند تحرك الدم ليحصل عنه التشفي للصدر . (٨) أن تتهم غيرك بما لم يفعله . (٩) اى ابتعدت عنهم بكل استطاعتي . (١٠) الطيبين الصالحين . (١١) الكاف . زائدة والمعنى ليس شيء مثله فهي داخلة على الخبر المقدم وقد منع ظهور فتحته حركة الكاف .

وَوَجَدْتُهُ يَدُلُّ عَلى الخَيْرِ، وَيُشيرُ بِالنُّصْحِ، فِعْلَ[1] الصَّديقِ بِالصَّديقِ، وَوَجَدْتُهُ لا يَنْقُصُ عَلى الإِنْفاقِ مِنْهُ، بَلْ يَزْدادُ جِـدَّةً[2] وَحُسْناً، وَوَجَدْتُهُ لا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنَ السُّلْطانِ أَنْ يَغْصِبَـهُ، وَلا مِنَ الماءِ أَنْ يُغْرِقَهُ، وَلا مِنَ النّارِ أَنْ تُحْرِقَهُ، وَلا مِنَ السِّباعِ وَجَوارِحِ الطَّيْرِ أَنْ تُمَزِّقَهُ، وَوَجَدْتُ الرَّجُلَ السّاهِيَ اللّاهِيَ المُؤْثِرَ[3] اليَسيرَ يَنالُهُ في يَوْمِهِ وَيَعْدَمُهُ في غَدِهِ عَلى الكَثيرِ الباقي نَعيمَهُ يُصيبُهُ ما أَصابَ التّاجِرَ الَّذي زَعَموا أَنَّهُ كانَ لَهُ جَوْهَرٌ نَفيسٌ[4]، فَاسْتَأْجَرَ لِثَقْبِهِ رَجُلاً في اليَوْمِ بِمِائَةِ دينارٍ، وَانْطَلَقَ بِهِ إِلى مَنْزِلِهِ لِيَعْمَلَ، وَإِذا في ناحِيَةِ البَيْتِ صَنْجٌ مَوْضُوعٌ[5] فَقالَ التّاجِرُ لِلصّانِعِ: هَلْ تُحْسِنُ أَنْ تَلْعَبَ بِالصَّنْجِ؟ قالَ: نَعَمْ. وَكانَ بِلَعِبِهِ ماهِراً. فَقالَ التّاجِرُ: دُونَكَ وَالصَّنْجَ[6] فَأَسْمِعْنا ضَرْبَكَ بِهِ. فَأَخَذَ الرَّجُلُ الصَّنْجَ، وَلَمْ يَزَلْ يُسْمِعُ التّاجِرَ الضَّرْبَ الصَّحيحَ وَالصَّوْتَ الرَّفيعَ، وَالتّاجِرُ يُشيرُ بِيَدِهِ وَرَأْسِهِ طَرَباً، حَتّى أَمْسى[7]. فَلَمّا حانَ الغُرُوبُ قالَ الرَّجُلُ لِلتّاجِرِ: مُرْ لي بِالأُجْرَةِ فَقالَ لَهُ التّاجِرُ: وَهَلْ عَمِلْتَ شَيْئاً تَسْتَحِقُّ

---

(١) فعل: يرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف يقدر بقوله و (ذلك فعل)، وأما النصب فلأنه مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره (يفعل فعل). (٢): تجددا. (٣) المفضل. (٤) قيم غالي الثمن. (٥) الصنج بالفتح: صحيفة مدورة من النحاس يضرب بها على أخرى فتحدث صوتاً يطرب منه سامعوه اذا كان للضارب به مهارة فيه. (٦) دون: اسم فعل بمعنى خذ، والواو زائدة. (٧) أي دخل في المساء وعم الظلام.

بِهِ الأُجرَةَ ؟ فقالَ لَهُ : عَمِلْتُ ما أَمَرْتَني بِهِ ، وَأَنا أَجيرُكَ ، وَما اسْتَعْمَلْتَني عَمِلْتُ. وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى اسْتَوْفى مِنْهُ مِائَةَ دِينارٍ وَبَقِيَ جَوْهَرُهُ غَيْرَ مَثْقُوبٍ. فَلَمْ أَزْدَدْ في الدُّنيا وَشَهَواتِها نَظَراً إلاّ ازْدَدْتُ فيها زَهادَةً ، وَمِنْها هَرَباً . وَوَجَدْتُ النُّسْكَ[1] هُوَ الَّذي يُمَهِّدُ لِلْمَعـادِ[2] ، كَما يُمَهِّدُ الْوالِدُ لِوَلَدِهِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ[3] الْبابَ الْمَفْتُوحَ إِلى النَّعيمِ الْمُقيمِ . وَوَجَدْتُ النّاسِكَ قَدْ تَدَبَّرَ فَعْلَتَهُ بِالسَّكينَةِ ، فَشَكَرَ وَتَواضَعَ ، وَقَنِعَ فَاسْتَغْنى ، وَرَضِيَ وَلَمْ يَهْتَمَّ ، وَخَلَعَ الدُّنيا فَنَجا مِنَ الشُّرُورِ ، وَرَفَضَ الشَّهَواتِ فَصارَ طاهِراً ، وَاطَّرَحَ الْحَسَدَ فَوَجَبَتْ لَهُ الْمَحَبَّةُ ، وَسَخَتْ نَفْسُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَاسْتَعْمَلَ الْعَقْلَ وَأَبْصَرَ الْعاقِبَةَ ، فَأَمِنَ النَّدامَةَ ، وَلَمْ يَخَفِ النّاسَ ، وَلَمْ يَدِبَّ إِلَيْهِمْ[4] ، فَسَلِمَ مِنْهُمْ . فَلَمْ أَزْدَدْ في أَمْرِ النُّسْكِ نَظَراً إلاّ ازْدَدْتُ فيهِ رَغْبَةً ، حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ . ثُمَّ تَخَوَّفْتُ أَلاّ أَصْبِرَ عَلى عَيْشِ النّاسِكِ ، وَلَمْ آمَنْ — إِنْ تَرَكْتُ الدُّنيا وَأَخَذْتُ في النُّسْكِ — أَنْ أَضْعُفَ عَنْ ذٰلِكَ ، وَرَفَضْتُ أَعْمالاً كُنْتُ أَرْجُو عائِدَتَها[5] وَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُها فَأَنْتَفِعُ بِها في الدُّنْيا ، فَيَكُونُ مَثَلي في ذٰلِكَ مَثَلَ الْكَلْبِ الَّذي مَرَّ بِنَهْرٍ وَفي فيهِ[6] ضِلَعٌ ، فَرَأَى ظِلَّها[7] في الْماءِ ، فَهَوَى لِيَأْخُذَها ، فَأَتْلَفَ ما كانَ مَعَهُ ، وَلَمْ يَجِدْ في

---

(١) التعبد . (٢) المعاد اعادة الاجسام في اليوم الآخر . (٣) هو : ضمير فصل ليس له محل من الاعراب ، والباب : المفعول الثاني لوجد . (٤) ولم يسع اليهم في حاجة من حاجاته . (٥) منفعتها (٦) فمه (٧) لأن الضلع مؤنثة .

الْماءِ شَيْئاً . فَهِبْتُ[1] النُّسْكَ مَهابَةً شَديدَةً ، وَخِفْتُ مِنَ الضَّجَرِ وَقِلَّةِ الصَّبْرِ ، وَأَرَدْتُ الثُّبُوتَ عَلى الَّتي كُنْتُ عَلَيْها . ثُمَّ بَدا لي أَنْ أَسْبُرَ[2] ما أَخافُ أَلاّ أَصْبِرَ عَلَيْهِ مِنَ الأَذى وَالضِّيقِ وَالْخُشُونَةِ في النُّسْكِ ، وَما يُصيبُ صاحِبَ الدُّنيا مِنَ الْبَلاءِ . وَكانَ عِنْدي أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ شَهَواتِ الدُّنيا وَلَذّاتِها إِلاّ وَهُوَ مُتَحَوِّلٌ إِلى الأَذى وَمُوَلِّدٌ لِلْحُزْنِ . فَالدُّنيا كالْماءِ الْمِلْحِ الَّذي لا يَزْدادُ شارِبُهُ شُرْباً إِلاّ ازْدادَ عَطَشاً . وَهِيَ كالْعَظْمِ الَّذي يُصيبُهُ الْكَلْبُ[3] فَيَجِدُ فيهِ رِيحَ اللَّحْمِ ، فَلا يَزالُ يَطْلُبُ ذٰلِكَ اللَّحْمَ حَتّى يُدْمِيَ فاهُ . وَكالْحِدَأَةِ[4] الَّتي تَظْفَرُ بِقِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْها الطَّيْرُ ، فَلا تَزالُ تَدورُ وَتَدْأَبُ[5] حَتّى تَعْيا وَتَتْعَبَ ، فَإِذا تَعِبَتْ أَلْقَتْ ما مَعَها . وَكالْكُوزِ مِنَ الْعَسَلِ الَّذي في أَسْفَلِهِ السُّمُّ الَّذي يُذاقُ مِنْهُ حَلاوَةٌ عاجِلَةٌ ، وَآخِرُهُ مَوْتٌ زُعافٌ[6] وَكَأَحْلامِ النّائِمِ[7] الَّتي يَفْرَحُ بِها الإِنْسانُ في نَوْمِهِ ، فَإِذا اسْتَيْقَظَ ذَهَبَ الْفَرَحُ . فَلَمّا فَكَّرْتُ في هٰذِهِ الأُمُورِ رَجَعْتُ إِلى طَلَبِ النُّسْكِ ، وَهَزَّني الاشْتِياقُ إِلَيْهِ . ثُمَّ خاصَمْتُ نَفْسي إِذْ هِيَ في شُرُورِها سارِحَةٌ ، وَقَدْ لا تَثْبُتُ عَلى أَمْرٍ تَعْزِمُ عَلَيْهِ كَقاضٍ سَمِعَ مِنْ خَصْمٍ واحِدٍ فَحَكَمَ لَهُ ، فَلَمّا حَضَرَ الْخَصْمُ

---

(١) تهيبت وخفت (٢) أختبر (٣) يعثر عليه (٤) الحدأة بكسر ففتح هي طائر من الجوارح وهي إما سوداء أو رمداء وتخطف فريستها خطفاً .
(٥) تثابر على الهرب بالعظمة من الطيور (٦) قاتل (٧) الاحلام جمع حلم وهو ما يراه النائم في منامه خيراً أو شراً ، وربما فرقوا بينهما فجعلوا الحلم للشر والرؤيا للخير .

الثّاني عادَ إلى الأوّلِ وقضى عليه . ثُمَّ نظرتُ في الّذي أكابدُهُ من احتمالِ النُّسكِ وضيقِهِ ، فقلتُ ما أصغرَ هذهِ المشقّةَ في جانبِ روحِ[1] الأبدِ وراحتِهِ ! ثُمَّ نظرتُ فيما تشرهُ إليهِ النّفسُ من لذّةِ الدُّنيا ، فقلتُ : ما أمرَّ هذا وأوجعَهُ ! وهو يدفعُ إلى عذابِ الأبدِ وأهوالِهِ ، وكيفَ لا يستحلي[2] الرّجلُ مرارةً قليلةً تعقبُها حلاوةٌ طويلةٌ ؟ ! وكيفَ لا تمرُّ[3] عليهِ حلاوةٌ قليلةٌ تعقبُها مرارةٌ دائمةٌ ؟ ! وقلتُ : لو أنَّ رجلاً عُرِضَ عليهِ أنْ يعيشَ مائةَ سنةٍ لا يأتي عليهِ يومٌ واحدٌ إلاّ بُضِعَ منهُ بضعةٌ[4] ، ثُمَّ أُعيدَ عليهِ من الغدِ ، غيرَ أنّهُ يُشرطُ لهُ إذا استوفى السّنينَ المائةَ نجا من كلِّ ألمٍ وأذى ، وصارَ[5] إلى الأمنِ والسّرورِ كانَ حقيقاً ألا يرى تلكَ السّنينَ شيئاً . وكيفَ يأبى الصّبرَ على أيّامٍ قلائلَ يعيشُها في النُّسكِ ، وأذى تلكَ الأيّامِ قليلٌ يُعقبُ خيراً كثيراً ؟ ! فلنعلمْ أنَّ الدُّنيا كلَّها بلاءٌ[6] وعذابٌ أو ليسَ الإنسانُ إنّما يتقلّبُ في عذابِ الدُّنيا من حينِ يكونُ جنيناً إلى أنْ يستوفيَ أيّامَ حياتِهِ[7] ؟ ! فإذا كانَ طفلاً ذاقَ من العذابِ ألواناً : إنْ جاعَ فليسَ بهِ استطعامٌ[8] ، أو عطشَ فليسَ بهِ استسقاءٌ ، أو وجعَ[9] فليسَ بهِ استغاثةٌ ،

---

(١) الرحمة والعدل . (٢) استحلى المرارة رآها حلوة (٣) مرّ هنا بمعنى صار مرّاً (٤) بضع : قطع ، والبضعة بالفتح وتكسر : القطعة من اللحم (٥) صار هنا بمعنى انتقل فهي تامة لا تعمل . (٦) مصائب (٧) أي إلى أن يعيش ما كتب له من العمر (٨) أي ليس به قوة طلب الطعام ، والاستقاء كذلك معناه طلب السقي (٩) أصابه وجع .

مَعَ ما يَلْقى مِنَ الْوَضعِ وَالحَمْلِ وَاللَّفِّ وَالدَّهنِ وَالمَسْحِ[1] . إنْ أُنيمَ على ظَهْرِهِ لَمْ يَستَطِعْ تَقَلُّباً ، ثُمَّ يَلْقى أَصْنافَ العَذابِ ما دامَ رَضيعاً ، فَإذا أُفلَتَ مِنْ عَذابِ الرَّضاعِ أَخَذَ في عَذابِ الأَدَبِ[2] ؛ فَأُذيقَ مِنْهُ أَلْواناً مِنْ عُنْفِ المُعَلِّمِ وَضَجَرِ الدَّرْسِ وَسآمَةِ الكِتابَةِ . ثُمَّ لَهُ مِنَ الدَّواءِ وَالحُمَيَّةِ وَالأَسْقامِ وَالأَوْجاعِ أَوْفى[3] حَظٍّ . فَإذا أَدْرَكَ كانَتْ هِمَّتُهُ في جَمْعِ المالِ وَتَرْبِيَةِ الوَلَدِ وَمُخاطَرَةِ الطَّلَبِ ، وَالسَّعْيِ وَالكَدِّ وَالتَّعَبِ . وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ يَتَقَلَّبُ مَعَ أَعدائِهِ البَاطِنِيَّةِ اللَّازِمَةِ لَهُ: وَهِيَ الصَّفْراءُ وَالسَّوْداءُ وَالرِّيحُ وَالبَلْغَمُ وَالدَّمُ[4] وَالسُّمُّ المُمِيتُ وَالحَيَّةُ اللَّاذِعَةُ ، مَعَ الخَوْفِ مِنَ السِّباعِ وَالهَوامِّ مَعَ تَقَلُّبِ الفُصُولِ مِنَ الحَرِّ وَالبَرْدِ وَالمَطَرِ وَالرِّياحِ . ثُمَّ أَنْواعُ عَذابِ الهَرَمِ لِمَنْ يَبْلُغُهُ[5] . فَلَوْ لَمْ يَخَفْ مِنْ هٰذِهِ الأُمُورِ شَيْئاً وَكانَ قَدْ أَمِنَ وَوَثِقَ بِالسَّلامَةِ مِنْها فَلَمْ يُفَكِّرْ فيها ، لَوَجَبَ أَنْ يَعْتَبِرَ بِالسَّاعَةِ الَّتي يَحْضُرُهُ فيها المَوْتُ فَيُفارِقُ الدُّنيا وَيَتَذَكَّرُ ما هُوَ نازِلٌ بِهِ في تِلْكَ السَّاعَةِ مِنْ فِراقِ الأَهْلِ وَالأَقارِبِ وَكُلِّ مَضْنُونٍ بِهِ[6] مِنَ الدُّنيا ، وَالإِشْرافُ عَلى الهَوْلِ عَلى العَظيمِ بَعْدَ المَوْتِ . فَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ لَكانَ حَقيقاً أَنْ يُعَدَّ عاجِزاً مُفَرِّطاً مُحِبّاً لِلدَّناءَةِ

---

(١) أي مع ما يلاقيه من آلام في هذه الأمور (٢) المراد من الادب هنا التعليم .
(٣) أوفر نصيب (٤) وتسمى الأخلاط الأربعة في عرف الطب القديم ، ولكل تعريف خاص به ومركز من جسم الانسان (٥) ولذا قال تعالى في حقه (ثم يرد إلى أرذل العمر) بعد ان عدد المراحل التي يتطور اليها عمر الانسان (٦) اسم مفعول من ضنّ بمعنى بخل ومعناه كل عزيز في الدنيا .

مُسْتَحِقًّا لِلَّوْمِ . فَمَنْ ذا الَّذي يَعْلَمُ وَلا يَحْتالُ لِغَدِ جُهْدَهُ في الحِيلَةِ ، وَيَرْفُضُ ما يَشْغَلُهُ وَيُلْهِيهِ مِنْ شَهَواتِ الدُّنيا وَغُرُورِها ، وَلاسِيَّما[1] في هٰذا الزَّمانِ الشَّبيهِ بِالصَّافي وَهُوَ كَدِرٌ فَإِنَّهُ وَإِنْ كانَ المَلِكُ حازِماً ، عَظيمَ المَقْدِرَةِ ، رَفيعَ الهِمَّةِ ، بَليغَ الفَحْصِ[2] ، عَدْلاً مَرْجُوًّا صَدُوقاً شَكُوراً ، رَحْبَ الذِّراعِ[3] مُفْتَقِداً[4] مُواظِباً مُسْتَمِرًّا عالِماً بِالنَّاسِ وَالأُمُورِ ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَالخَيْرِ وَالأَخْيارِ ، شَديداً عَلى الظَّلَمَةِ ، غَيْرَ جَبانٍ وَلا خَفيفٍ[5] القِيادِ ، رَفيقاً بِالتَّوَسُّعِ عَلى الرَّعِيَّةِ فيما يُحِبُّونَ وَالدَّفْعِ لِما يَكْرَهُونَ . فَإِنَّا قَدْ نَرَى الزَّمانَ مُدْبِراً بِكُلِّ مَكانٍ . فَكَأَنَّ أُمُورَ الصِّدْقِ قَدْ نُزِعَتْ مِنَ النَّاسِ فَأَصْبَحَ ما كانَ عَزيزاً فَقْدُهُ مَفْقُوداً ، وَمَوْجُوداً ما كانَ ضائِراً وُجُودُهُ[6] . وَكَأَنَّ الخَيْرَ أَصْبَحَ ذا بِلًى ! وَالشَّرَّ ناضِراً ! وَكَأَنَّ الفَهْمَ أَصْبَحَ قَدْ زالَتْ سُبُلُهُ ! وَكَأَنَّ الحَقَّ قَدْ وَلَّى كَسيراً[7] ! وَأَقْبَلَ الباطِلُ تابِعَهُ ! وَكَأَنَّ اتِّباعَ

---

(١) وهي تركيب يدل على أن ما بعده مفضل على ما قبله في الحكم وهو مؤلف من الواو الاعتراضية ولا النافية للجنس وسيّ وهي بمعنى مثل وما وهي زائدة أو موصولة أو نكرة بمعنى شيء (٢) أي اكثر التحري والنظر في عواقب الامور . (٣) أي واسع الخلق ، ويراد من الذراع أيضاً : النفس (٤) افتقد الشيء : طلبه في غيبته ، والمراد أنه بحاثة . (٥) لا ينقاد سريعاً للآخرين (٦) أي أصبح الشيء الهام الذي يحزن الانسان لفقده مفقوداً ، بينما ما هو غير مرغوب وضار أصبح كثير الوجود (٧) الكسير : المكسور ، والمراد المهزوم .

الهوى وإضاعة الحكم أصبح بالحكام موكلاً[1]، وأصبح المظلوم بالحيف[2] مُقرًّا، والظالم لنفسه مُستطيلاً[3] ! وكأنّ الحرص أصبح فاغراً فاه[4] من كلّ جهة يتلقّف[5] ما قرب منه وما بعد ! وكأنّ الأشرار يقصدون السماء صعوداً ! وكأنّ الأخيار يريدون بطن الأرض ! وأصبحت المروءة مقذوفاً بها من أعلى شرف إلى أسفل درك[6]، وأصبحت الدناءة مكرّمة ممكّنة ؛ وأصبح السلطان منتقلاً عن أهل الفضل إلى أهل النقص ! وكأنّ الدنيا جذلة[7] مسرورة، تقول : قد غيّبت الخيرات، وأظهرت السيّئات.

فلمّا فكّرت في الدنيا وأمورها وأنّ الإنسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله، ثمّ هو لا يتقلّب إلاّ في الشرور والهموم، عرفت أنّه ليس إنسان ذو عقل يعلم ذلك ثمّ لا يحتال لنفسه في النجاة، فعجبت من ذلك كلّ العجب. ثمّ نظرت فإذا الإنسان لا يمنعه عن الاحتيال إلاّ لذّة صغيرة حقيرة غير كبيرة من الشمّ والذوق والنظر والسمع واللمس، لعلّه يصيب منها الطفيف[8]، أو يقتني[9] منها اليسير. فإذا ذلك يشغله ويذهب به عن الاهتمام لنفسه وطلب النجاة لها.

---

(١) منوطاً ومعلقاً. (٢) الجور. (٣) متطاولاً. (٤) أي فاتحاً فمه.
(٥) أي يتناول ما قرب منه وما بعد بسرعة. (٦) الدرك أقصى قعر الشيء.
(٧) فرحة. (٨) القليل. (٩) يجمع.

فَالْتَمَسْتُ لِلإِنْسانِ مَثَلاً ، فَإِذا مَثَلُهُ مَثَلُ رَجُلٍ نَجا مِنْ خَوْفِ فيلٍ هائِجٍ إِلى بِئْرٍ ، فَتَدَلّى فيها ، وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ كانا عَلى سَمائِها ، فَوَقَعَتْ رِجْلاهُ عَلى شَيْءٍ في طَيِّ ٱلْبِئْرِ ، فَإِذا حَيّاتٌ أَرْبَعٌ ، قَدْ أَخْرَجْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ أَجْحارِهِنَّ[1] . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذا في قاعِ ٱلْبِئْرِ تِنِّينٌ[2] فاتِحٌ فاهُ ، مُنْتَظِرٌ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذَهُ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلى ٱلْغُصْنَيْنِ ، فَإِذا في أَصْلِهِما جُرَذانِ[3] : أَسْوَدُ وَأَبْيَضُ ، وَهُما يَقْرِضانِ ٱلْغُصْنَيْنِ دائِبَيْنِ لا يَفْتُرانِ ، فَبَيْنَما هُوَ في النَّظَرِ لأَمْرِهِ ، وَٱلاهْتِمامِ لِنَفْسِهِ ، إِذْ[4] أَبْصَرَ قَرِيباً مِنْهُ كِوارَةً[5] فيها عَسَلُ نَحْلٍ ، فَذاقَ العَسَلَ ، فَشَغَلَتْهُ حَلاوَتُهُ وَأَلْهَتْهُ لَذَّتُهُ عَنِ الفِكْرَةِ في شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَأَنْ يَلْتَمِسَ ٱلْخَلاصَ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ عَلى حَيّاتٍ أَرْبَعٍ ، لا يَدْرِي مَتى يَقَعُ عَلَيْهِنَّ ، وَلَمْ يَذْكُرْ

---

(١) جمع جحر وهو للهوام أو السباع كالوكر للطير . (٢) التنين من الحيوانات التي كثر فيها القال واختلف في وجودها ، فمن المؤرخين من يقول : إنه حيوان خرافي وهمي ليس له صورة في الوجود . ومنهم من ذكر له أوصافاً وقوة وضخامة ومسكنا . أما الأوصاف : فتارة يجعلونه أفعى هائلة ، وطوراً يجعلونه حيواناً ذا أرجل يسكن الصحارى أو يسكن الانهار أو بلا أرجل ويقوى على السباحة وربما سبح أسراباً أسراباً ، ويقولون : إن له صفيراً حاداً وبطشاً يصرع الفيل الشديد ويلتذ بسماع الانغام . على أن مسافة الخلف واسعة لا طائل تحتها ، والمسألة هنا مسألة فرض وتمثيل . (٣) مثنى جرذ وهو حيوان قراض ينطوي تحته جميع أنواع الجرذان والفئران التي تعيث في البيوت والحقول . وأنواعه كثيرة منها الأسود والأسمر والأبيض وبها من القوة ما تقرض به الخشب والعظم . (٤) إذ (هنا) للمفاجأة . (٥) الكوارة ، بالضم وتكسر وتشدد الواو : شيء يتخذ بيتاً للنحل من القضبان أو الطين .

أَنَّ الْجُرَذَيْنِ دَائِبَانِ[1] فِي قَطْعِ الْغُصْنَيْنِ ، وَمَتَى انْقَطَعَا وَقَعَ عَلَى التِّنِّينِ فَلَمْ يَزَلْ لاهِياً غَافِلاً مَشْغُوفاً[2] بِتِلْكَ الْحَلاوَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي فَمِ التِّنِّينِ فَهَلَكَ ، فَشَبَّهْتُ بِالْبِئْرِ[3] الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُوراً ، وَمَخَافَاتٍ وَعَاهَاتٍ . وَشَبَّهْتُ بِالْحَيَّاتِ الْأَرْبَعِ الْأَخْلاطَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي فِي الْبَدَنِ ، فَإِنَّهَا مَتَى هَاجَتْ أَوْ أَحَدُهَا كَانَتْ كَحُمَةِ[4] الْأَفَاعِي وَالسُّمِّ الْمُمِيتِ . وَشَبَّهْتُ بِالْغُصْنَيْنِ الْأَجَلَ الَّذِي لا بُدَّ مِنِ انْقِطَاعِهِ . وَشَبَّهْتُ بِالْجُرَذَيْنِ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اللَّذَيْنِ هُمَا دَائِبَانِ فِي إِفْنَاءِ الْأَجَلِ . وَشَبَّهْتُ بِالتِّنِّينِ الْمَصِيرَ الَّذِي لا بُدَّ مِنْهُ . وَشَبَّهْتُ بِالْعَسَلِ هٰذِهِ الْحَلاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي يَنَالُ مِنْهَا الإِنْسَانُ فَيَطْعَمُ وَيَسْمَعُ وَيَشَمُّ وَيَلْمِسُ وَيَتَشَاغَلُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَيَلْهُو عَنْ شَأْنِهِ ، وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ قَصْدِهِ ، فَحِينَئِذٍ صَارَ أَمْرِي إِلَى الرِّضَا بِحَالِي وَإِصْلاحِ مَا اسْتَطَعْتُ إِصْلاحَهُ مِنْ عَمَلِي ، لَعَلِّي أُصَادِفُ بَاقِيَ أَيَّامِي زَمَاناً أُصِيبُ فِيهِ دَلِيلاً عَلَى هُدَايَ ، وَسُلْطَاناً[5] عَلَى نَفْسِي وَقِوَاماً لأَمْرِي[6] . فَأَقَمْتُ عَلَى هٰذِهِ الْحَالِ[7] ، وَانْتَسَخْتُ كُتُباً كَثِيرَةً ، وَانْصَرَفْتُ مِنْ بِلادِ الْهِنْدِ وَقَدْ نَسَخْتُ هٰذَ الْكِتَابَ . .

---

(١) مجدان . (٢) متلذذاً . (٣) أي شبه الدنيا مع شرورها بهذه البئر المخيفة ، وشبه الأخلاط الأربعة : الصفراء والسوداء والدم والبلغم وهي الموجودة في بدن الانسان بالحيات الأربع الخ . . . (٤) الحمة بالضم : الإبرة التي تضرب بها العقرب ونحوها . (٥) سيطرة . (٦) تقويماً له من الاعوجاج . (٧) أي داومت على ما أخذت به من الرأي .

الباب الأول

الأسد والثور

« مثل المتحابين يقطع بينهما الكذوب »

الأسد والثور

قَالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبَا الفَيْلَسُوفِ وهُوَ رأْسُ البَرَاهِمَةِ : اضْرِبْ لي مَثَلاً لِمُتَحَابَّيْنِ يَقْطَعُ بَيْنَهُما الكَذُوبُ المُحْتَالُ حَتَّى يَحْمِلَهُما عَلى العَدَاوَةِ والبَغْضَاءِ . قَالَ بَيْدَبَا : إِذَا ٱبْتُلِيَ المُتَحَابَّانِ بِأَنْ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا الكَذُوبُ المُحْتَالُ لَمْ يَلْبَثَا أَنْ يَتَقَاطَعَا ويَتَدَابَرَا[1] : وَمِنْ أَمْثَالِ ذٰلِكَ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ (دَسْتَاوَنْدَ) رَجُلٌ شَيْخٌ ، وَكَانَ لَهُ ثَلاَثَةُ بَنِينَ ، فَلَمَّا بَلَغُوا أَشُدَّهُمْ أَسْرَفُوا فِي مَالِ أَبِيهِمْ[2] ، وَلَمْ يَكُونُوا ٱحْتَرَفُوا حِرْفَةً يَكْسِبُونَ لأَنْفُسِهِمْ بِهَا خَيْراً فَلاَمَهُمْ أَبُوهُمْ ووَعَظَهُمْ عَلى سُوءِ فِعْلِهِمْ . وكَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ : يَا بَنِيَّ[3] إِنَّ صَاحِبَ الدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلاَثَةَ أُمُورٍ ، لَنْ يُدْرِكَهَا إِلاَّ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ : أَمَّا الثَّلاَثَةُ التِي يَطْلُبُ فَالسَّعَةُ فِي الرِّزْقِ ، والمَنْزِلَةُ فِي النَّاسِ ، والزَّادُ للآخِرَةِ : أَمَّا الأَرْبَعَةُ التِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي دَرْكِ[4] هٰذِهِ الثَّلاَثَةِ فَاكْتِسَابُ المَالِ مِنْ أَحْسَنِ وَجْهٍ يَكُونُ ، ثُمَّ حُسْنُ القِيَامِ عَلى مَا ٱكْتَسَبَ مِنْهُ ثُمَّ ٱسْتِثْمَارُهُ ثُمَّ إِنْفَاقُهُ فِيمَا يُصْلِحُ المَعِيشَةَ ويُرْضِي الأَهْلَ والإِخْوَانَ ، فَيَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي

---

(١) يتباعدان ، وأن الفعل بعدها يؤلان بمصدر يعرب مجروراً بمن أو بفي المحذوفة ويمكن «أن» نعتبر أنْ هنا بمعنى حتى . (٢) أي فرطوا به وبددوه . (٣) بني منادى أصله بنين لي حذفت اللام للتخفيف والنون للاضافة والياء الأولى علامة النصب لانه ملحق بجمع المذكر السالم ، والياء الثانية المدغمة فيها الاولى في محل جر مضافاً اليه . (٤) بمعنى ادراك .

الآخرة . فمن ضيّع شيئاً من هذه الأحوال لم يدرك ما أراد من حاجته ، لأنه إن لم يكتسب لم يكن له من مال يعيش به . وإن هو كان ذا مال واكتساب ثم هو لم يحسن القيام عليه أوشك المال أن يفنى ويبقى معدماً[1] . وإن هو وضعه ولم يستثمره لم تمنعه قلة الإنفاق من سرعة الذهاب كالكحل الذي لا يؤخذ منه إلا غبار الميل[2] ، ثم هو مع ذلك سريع فناؤه . وإن أنفقه في غير وجهه ووضعه في غير موضعه ، وأخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له ثم لا يمنع ذلك ماله من التلف بالحوادث والعلل[3] التي تجري عليه ، كمحبس[4] الماء الذي لا تزال المياه تنصب فيه ، فإن لم يكن له مخرج ومفيض ومتنفس يخرج الماء منه بقدر ماينبغي خرب وسال ، ونز من نواح كثيرة ، وربما انبثق[5] البثق العظيم ، فذهب الماء ضياعاً . ثم إن بني الشيخ اتعظوا بقول أبيهم ، وأخذوا به ، وعلموا أن فيه الخير ، وعولوا عليه . فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها (ميّون) ، فأتى في طريقه على مكان فيه وحل كثير ،

---

(١) شديد الفقر . (٢) الميل بالكسر : المكحول بضم الميمين وتسكين ما بينهما : هو الذي يكتحل به البصر . وقال الاصمعي : قول العامة : الميل ما تكحل به العين خطأ وانما هو المكحول . (٣) الأسباب . (٤) الحوض الذي يحبس به الماء . (٥) انفجر .

وكانَ مَعَهُ عَجَلَةٌ يَجُرُّهَا ثَوْرَانِ ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا شَتْرَبَةُ[1] ، وللآخَرِ بَنْدَبَةُ ، فَوَحَلَ[2] شَتْرَبَةُ فِي ذٰلِكَ المكانِ ، فَعَالَجَهُ الرَّجُلُ وأَصْحَابُهُ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمُ الجُهْدُ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلى إِخْرَاجِهِ . فَذَهَبَ الرَّجُلُ وَخَلَّفَ عِنْدَهُ رَجُلاً يُشَارِفُهُ[3] لَعَلَّ الْوَحْلَ يَنْشَفُ فَيَتْبَعَه بِهِ ، فَلَمَّا بَاتَ الرَّجُلُ بِذَلِكَ المَكَانِ تَبَرَّمَ[4] بِهِ واسْتَوْحَشَ ، فَتَرَكَ الثَّوْرَ واَلْتَحَقَ بِصَاحِبِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الثَّوْرَ قَدْ مَاتَ . وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا انْقَضَتْ مُدَّتُهُ وَحَانَتْ[5] مَنِيَّتُهُ ، فَهُوَ وإِنِ اجْتَهَدَ فِي التَّوَقِّي[6] مِنَ الأُمُورِ التِي يَخَافُ فِيهَا عَلى نَفْسِهِ الهَلاَكَ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ عَنْهُ شَيْئاً ، وربَّما عَادَ اجْتِهَادُهُ فِي تَوَقِّيهِ وَحَذَرُهُ وَبَالاً عَلَيْهِ .

كالَّذي قيلَ إِنَّ رَجُلاً سَلَكَ مَفَازَةً[7] فيها خَوْفٌ مِنَ السِّبَاعِ ، وَكَانَ الرَّجُلُ خَبِيراً بِوَعْثِ[8] تِلْكَ الأَرْضِ وَخَوْفِهَا . فَلَمَّا سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ اعْتَرَضَ لَهُ ذِئْبٌ مِنْ أَحَدِّ الذِّئَابِ وَأَضْرَاهَا[9] . فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ أَنَّ الذِّئْبَ قَاصِدٌ نَحْوَهُ خَافَ مِنْهُ وَنَظَرَ يَمِيناً وَشِمَالاً لِيَجِدَ مَوْضِعاً يَتَحَرَّزُ فِيهِ مِنَ الذِّئْبِ[10] . فَلَمْ يَرَ إِلاَّ قَرْيَةَ خَلْفَ وَادٍ ، فَذَهَبَ مُسْرِعاً نَحْوَ الْقَرْيَةِ . فَلَمَّا أَتَى الْوَادِيَ لَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَنْطَرَةً ، وَرَأَى الذِّئْبَ قَدْ أَدْرَكَهُ ،

---

(١) شترية نائب فاعل يقال (٢) أي غاص في الوحل . (٣) يراقبه . (٤) سئم . (٥) حلّت . (٦) التحفظ (٧) المفازة : الصحراء المخوفة وسميت مفازة تفاؤلاً . (٨) الوعث مثلثة : الطريق الوعر المسلك . (٩) أي أشدها حدة وافتراساً . (١٠) يتوقى شره .

فَأَلْقَى نَفْسَهُ في الْماءِ وَهُوَ لايُحْسِنُ السِّباحَةَ ، وَكادَ يَغْرَقُ لَوْلا أَنْ بَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَتَواقَعُوا[1] لِإِخْراجِهِ ، فَأَخْرَجُوهُ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلى الْهَلاكِ . فَلَمّا حَصَلَ الرَّجُلُ عِنْدَهُمْ ، وَأَمِنَ عَلى نَفْسِهِ مِنْ غائِلَةِ[2] الذِّئْبِ رَأى عَلى عَدْوَةِ الْوادي[3] بَيْتاً مُفْرَداً ، فَقالَ : أَدْخُلُ هٰذا الْبَيْتَ فَأَسْتَرِيحُ فيهِ ، فَلَمّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَماعَةً مِنَ اللُّصُوصِ قَدْ قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلى رَجُلٍ مِنَ التُّجّارِ ، وَهُمْ يَقْتَسِمونَ مالَهُ ، وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ . فَلَمّا رَأى الرَّجُلُ ذٰلِكَ خافَ عَلى نَفْسِهِ وَمَضى نَحْوَ الْقَرْيَةِ ، فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلى حائِطٍ مِنْ حيطانِها لِيَسْتَرِيحَ مِمّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْإِعْياءِ إِذْ سَقَطَ الْحائِطُ عَلَيْهِ فَماتَ . قالَ التّاجِرُ : صَدَقْتَ ، قَدْ بَلَغَني هٰذا الْحَديثُ . وَأَمّا الثَّوْرُ فَإِنَّهُ خَلَصَ مِنْ مَكانِهِ وَانْبَعَثَ ، فَلَمْ يَزَلْ في مَرْجٍ مُخْصِبٍ كَثيرِ الْماءِ وَالْكَلَإِ[4] . فَلَمّا سَمِنَ وَأَمِنَ جَعَلَ يَخُورُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْخُوارِ وَكانَ قَريباً مِنْهُ أَجَمَةٌ[5] فيها أَسَدٌ عَظيمٌ ، وَهُوَ مَلِكُ تِلْكَ النّاحِيَةِ وَمَعَهُ سِباعٌ[6]

---

(١) تعاونوا على انتشاله . (٢) اغتيال . (٣) عدوة الوادي بالضم والكسر : جانبه . (٤) العشب رطباً أو يابساً . (٥) الأجمة : الشجر الكثيف الملتف ، ج أجم وأجمات جج آجام . (٦) السباع وكذلك الأسبع جمع سبع بفتح الأول وضم الثاني وفتحه وتسكينه : وهو المفترس من الحيوان مطلقاً ويقال من الطير أيضاً .

كَثيرَةٌ وَذِئابٌ وَبَناتُ آوى[1] وَثَعالِبُ وَفُهُودٌ وَنُمُورٌ[2] .
وَكانَ هٰذا الْأَسَدُ مُنْفَرِداً بِرَأْيِهِ دُونَ أَخْذٍ بِرَأْيِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحابِهِ .
فَلَمّا سَمِعَ خُوارَ الثَّوْرِ[3] وَلَمْ يَكُنْ رَأى ثَوْراً قَطُّ وَلا سَمِعَ خُوارَهُ ،
خامَرَهُ[4] مِنْهُ هَيْبَةٌ وَخَشْيَةٌ ، وَكَرِهَ أَنْ يُشْعِرَ بِذٰلِكَ جُنْدَهُ . فَكانَ مُقيماً
مَكانَهُ لا يَبْرَحُ وَلا يَنْشَطُ بَلْ يُؤْتى بِرِزْقِهِ كُلَّ يَوْمٍ عَلى يَدِ جُنْدِهِ .
وَكانَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ السِّباعِ ابْنا آوى يُقالُ لِأَحَدِهِما (كَلِيلَةُ) وَلِلآخَرِ
(دِمْنَةُ) وَكانا ذَوَيْ دَهاءٍ وَعِلْمٍ وَأَدَبٍ . فَقالَ دِمْنَةُ لِأَخِيهِ كَلِيلَةَ :
يا أَخِي ، مَا شَأْنُ الْأَسَدِ مُقِيماً[5] مَكانَهُ لا يَبْرَحُ وَلا يَنْشَطُ ؟! قالَ لَهُ
كَلِيلَةُ : مَا شَأْنُكَ أَنْتَ وَالْمَسْأَلَةَ عَنْ هٰذا[6] نَحْنُ عَلى بابِ مَلِكِنا آخِذَيْنِ
بِما أَحَبَّ ، وَتارِكَيْنِ ما يَكْرَهُ . وَلَسْنا مِنْ أَهْلِ الْمَرْتَبَةِ الَّتي يَتَناوَلُ
أَهْلُها كَلامَ الْمُلُوكِ وَالنَّظَرَ في أُمُورِهِمْ . فَأَمْسِكْ عَنْ هٰذا[7] . وَاعْلَمْ أَنَّهُ

---

(١) بنات آوى جمع لابن آوى وهو جمع قياسي اذ كل ما صدر بابن أو ذي من أسماء ما لا يعقل يجمع جمع مؤنث سالم مثل ابن عرس وابن المخاض وذي القعدة فيجمع على بنات عرس وبنات مخاض وذوات القعدة . أما ابن آوى فهو من أكلة اللحوم ، وهو من فصيلة الكلب وشبيهه وفي جرم الثلعب ويتميز من الاخير بكروية الحدقة . (٢) جمع نمر حيوان مفترس قوي الوثب والجرأة . (٣) الخوار صوت البقر (٤) خالجه وداخل قلبه . (٥) مقيما حال من الاسد (٦) المسألة مفعول معه بفعل كون محذوف وما خبر مقدم وشأن مبتدأ مؤخر وأنت توكيد للكاف . (٧) اتركه .

مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَٱلْفِعْلِ ما لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَصابَهُ ما أَصابَ ٱلْقِرْدَ مِنَ النَّجَّارِ .

قالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟ قالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قِرْداً رَأَى نَجَّاراً يَشُقُّ خَشَبَةً بَيْنَ وَتِدَيْنِ وَهُوَ راكِبٌ عَلَيْها ، فَأَعْجَبَهُ ذٰلِكَ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ فَقامَ ٱلْقِرْدُ وَتَكَلَّفَ[1] ما لَيْسَ مِنْ شُغْلِهِ ، فَرَكِبَ الْخَشَبَةَ وَجَعَلَ ظَهْرَهُ قِبَلَ الْوَتِدِ[2] ، وَوَجْهَهُ قِبَلَ الْخَشَبَةِ ، فَتَدَلَّى ذَنَبُهُ فِي الشَّقِّ ، وَنَزَعَ الْوَتِدَ ، فَلَزِمَ[3] الشَّقُّ عَلَيْهِ ، فَخَرَّ[4] مَغْشِيّاً عَلَيْهِ مِنَ الْأَلَمِ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ وافاهُ[5] فَرَآهُ عَلَى تِلْكَ الْحالَةِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ . فَكانَ ما لَقِيَ مِنَ النَّجَّارِ أَشَدَّ مِمَّا أَصابَهُ مِنَ الْخَشَبَةِ . قالَ دِمْنَةُ : قَدْ سَمِعْتُ ما ذَكَرْتَ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَدْنُو مِنَ الْمُلُوكِ يَقْدِرُ عَلَى صُحْبَتِهِمْ وَيَفُوزُ بِقُرْبِهِمْ . وَلٰكِنِ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْنُو مِنَ الْمُلُوكِ لَيْسَ يَدْنُو مِنْهُمْ لِبَطْنِهِ فَإِنَّ ٱلْبَطْنَ مَحْشًى[6] لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَإِنَّما يَدْنُو مِنْهُمْ لِيَسُرَّ الصَّدِيقَ ، وَيَكْبِتَ[7] الْعَدُوَّ . وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لا مُرُوءَةَ لَهُ : وَهُمُ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِالْقَلِيلِ ، وَيَرْضَوْنَ بِالدُّونِ : كَالْكَلْبِ الَّذِي يُصِيبُ عَظْماً يابِساً فَيَفْرَحُ بِهِ . وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْفَضْلِ وَالْمُرُوءَةِ فَلا يُقْنِعُهُمُ ٱلْقَلِيلُ وَلا يَرْضَوْنَ بِهِ دُونَ أَنْ تَسْمُوَ بِهِ نُفُوسُهُمْ إِلَى ما هُمْ

---

(١) مارس عملاً ليس من اختصاصه . (٢) ناحيته . (٣) ضغط . (٤) وقع (٥) وصل اليه . (٦) اسم مكان من فعل حشا وهو موضع الطعام في البطن . (٧) يذل ويقهر .

أَهْلٌ لَهُ وَهُوَ أَيْضاً لَهُمْ أَهْلٌ . كَالْأَسَدِ الَّذي يَفْتَرِسُ الأَرْنَبَ فَإِذا رَأَى الْبَعيرَ تَرَكَها وَطَلَبَ الْبَعيرَ . أَلاَ تَرَى أَنَّ الْكَلْبَ يُبَصْبِصُ بِذَنَبِهِ[1] حَتَّى تَرْمِيَ لَهُ الْكِسْرَةَ مِنَ الْخُبْزِ فَتُقْنِعَهُ وَتُرْضِيَهُ مِنْكَ . وَأَنَّ الْفيلَ الْمُعْتَرِفَ بِفَضْلِهِ وَقُوَّتِهِ إِذا قُدِّمَ إِلَيْهِ عَلَفُهُ لا يَعْتَلِفُهُ[2] حَتَّى يُمْسَحَ وَجْهُهُ وَيُتَمَلَّقَ[3] لَهُ . فَمَنْ عاشَ ذا مالٍ وَكانَ ذا فَضْلٍ وَإِفْضالٍ عَلى أَهْلِهِ وَإِخْوانِهِ فَهُوَ وَإِنْ قَلَّ عُمْرُهُ طَويلُ الْعُمُرِ ، وَمَنْ كانَ في عَيْشِهِ ضيقٌ وَقِلَّةٌ وَإِمْساكٌ عَلى نَفْسِهِ وَذَويهِ[4] فَالْمَقْبُورُ أَحْيا[5] مِنْهُ . وَمَنْ عَمِلَ لِبَطْنِهِ وَشَهْوَتِهِ وَقَنِعَ وَتَرَكَ ما سِوَى ذٰلِكَ عُدَّ مِنَ الْبَهائِمِ .

قالَ كَليلَةُ : قَدْ عَرَفْتُ مَقالَتَكَ ، فَراجِعْ عَقْلَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسانٍ مَنْزِلَةً وَقَدْراً ، فَإِذا كانَ في مَنْزِلَتِهِ الَّتي هُوَ فيها مُتَماسِكَ الْحالِ في طَبَقَتِهِ كانَ حَقيقاً أَنْ يَقْنَعَ . وَلَيْسَ لَنا مِنَ الْمَنْزِلَةِ ما يَحُطُّ حالَنا الَّتي نَحْنُ عَلَيْها . قالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الْمَنازِلَ مُتَنازَعَةٌ مُشْتَرَكَةٌ عَلى قَدْرِ الْمُرُوءَةِ ، فَالْمَرْءُ تَرْفَعُهُ مُرُوءَتُهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الْوَضيعَةِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الرَّفيعَةِ . وَمَنْ لا مُرُوءَةَ لَهُ يَحُطُّ نَفْسَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفيعَةِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الْوَضيعَةِ وَالارْتِفاعِ مِنْ صِغَرِ الْمَنازِلِ إِلَى أَشْرَفِها شَديدٌ ، وَمُؤونَةُ الانْحِطاطِ مِنَ الشَّرَفِ

---

(١) يحركه . (٢) لا يأكله . (٣) يلاطف . (٤) أهله وأصحابه (٥) أي أن الميت أحق بالحياة منه .

إلى الضَّعَةِ[1] هَيِّنٌ : كالحَجَرِ الثَّقيلِ ، رَفْعُه مِنَ الأَرْضِ إلى العاتِقِ[2] عَسِرٌ ، وَطَرْحُهُ إلى الأَرْضِ هَيِّنٌ . فَنَحْنُ أَخوانِ نَرُومُ[3] ما فَوْقَنا مِنَ المَنازِلِ ، وَطاقَتُنا أَنْ نَلْتَمِسَ ذٰلِكَ بِمُرُوءَتِنا . ثُمَّ كَيْفَ نَقْنَعُ بِها وَنَحْنُ نَسْتَطيعُ التَّحَوُّلَ عَنْها ! قالَ كَليلَةُ : فَما الَّذي أَنْتَ فيهِ الآنَ مُجْمِعٌ[4] ؟ قالَ دِمْنَةُ : أُريدُ أَنْ أَتَعَرَّضَ لِلأَسَدِ عِنْدَ هٰذِهِ الفُرْصَةِ ، فَإِنَّ الأَسَدَ قَدْ ظَهَرَ لي أَنَّهُ ضَعيفُ الرَّأْيِ ، وَقَدِ الْتَبَسَ[5] عَلَيْهِ وَعَلى جُنُودِهِ أَمْرُهُمْ . وَلَعَلِّي عَلى هٰذِهِ الحالِ أَدْنُو مِنْهُ بِنَصيحَةٍ فَأُصيبَ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً وَجاهاً . قالَ كَليلَةُ : وَما يُدْريكَ أَنَّ الأَسَدَ قَدِ الْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ؟ قالَ دِمْنَةُ : بِالحِسِّ وَالرَّأْيِ أَعْلَمُ ذٰلِكَ مِنْهُ . فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الرَّأْيِ يَعْرِفُ حالَ صاحِبِهِ وَباطِنَ أَمْرِهِ ، بِما يَظْهَرُ لَهُ مِنْ دَلِّهِ[6] وَشَكْلِهِ . قالَ كَليلَةُ : فَكَيْفَ تَرْجُو المَنْزِلَةَ عِنْدَ الأَسَدِ وَلَسْتَ بِصاحِبِ السُّلْطانِ ، وَلا لَكَ عِلْمٌ بِخِدْمَةِ السَّلاطينِ ؟ ! قالَ دِمْنَةُ : الرَّجُلُ الشَّديدُ القَوِيُّ لا يُعْجِزُهُ الحِمْلُ الثَّقيلُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عادَتُهُ الحَمْلَ ، وَالرَّجُلُ الضَّعيفُ لا يَسْتَقِلُّ بِهِ[7] وَإِنْ كانَ ذٰلِكَ مِنْ صِناعَتِهِ . قالَ كَليلَةُ : فَإِنَّ السُّلْطانَ لا يَتَوَخَّى[8] بِكَرامَتِهِ أَفْضَلَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ ، وَلٰكِنَّهُ يُؤْثِرُ[9] بِذٰلِكَ مَنْ دَنا مِنْهُ . وَيُقالُ إِنَّ

---

(١) الحقارة والذل . (٢) العاتق ما بين المنكب والعنق . (٣) نقصد .
(٤) معتمد على رأي (٥) أشكل . (٦) افتخاره ، وجرأته . (٧) أي لا يحمله ولا يرفعه . (٨) يتحرى ويقصد . (٩) يفضل .

مَثَلَ السُّلْطانِ في ذٰلِكَ مَثَلُ شَجَرِ الكَرْمِ الَّذي لا يَتَعلَّقُ بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ . انَّما يَتَعلَّقُ بِما دَنا مِنْهُ[1] . وَكَيْفَ تَرْجُو المَنْزِلَةَ عِنْدَ الأَسَدِ وَلَمْ تَكُنْ دَنَوْتَ مِنْهُ ؟ ! قالَ دِمْنَةُ : قَدْ فَهِمْتُ كَلامَكَ جَميعَهُ وَما ذَكَرْتَ ، وَأَنْتَ صادِقٌ . لٰكِنِ اعْلَمْ أَنَّ الَّذينَ هُمْ أَقْرَبُ الى السُّلْطانِ مِنَّا قَدْ كانُوا وَلَيْسَتْ تِلْكَ مَنازِلَهُمْ ثُمَّ دَنَوْا مِنْهُ بَعْدَ البُعْدِ فَبَلَغُوا ، فَأَنَا مُلْتَمِسٌ بُلُوغَ مَنازِلِهِمْ وَمَكانَتِهِمْ جُهْدي بِالدُّنُوِّ مِنْهُ . وَقَدْ كانَ يُقالُ : لا يُواظِبُ عَلى بابِ السُّلْطانِ أَحَدٌ فَيَطْرَحُ مِنْهُ الأَنَفَةَ[2] ، وَيَحْتَمِلُ الأَذى ، وَيَكْظِمُ الغَيْظَ[3] وَيَرْفُقُ بِالنّاسِ ، الاّ وَصَلَ الى أَعْلى دَرَجَةٍ مِنَ السُّلْطانِ . قالَ كَلِيلَةُ : هَبْكَ[4] قَدْ وَصَلْتَ الى الأَسَدِ فَما تَوْفيقُكَ الَّذي تَنالُ بِهِ المَنْزِلَةَ عِنْدَهُ وَالحُظْوَةَ لَدَيْهِ[5] ؟ قالَ دِمْنَةُ : لَوْ قَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ عَرَفْتُ أَخْلاقَهُ ثُمَّ انْحَطَطْتُ الى هَواهُ بِمُتابَعَتِهِ وَقِلَّةِ الخِلافِ لَهُ . وَاذا أَرادَ أَمْراً هُوَ في نَفْسي صَوابٌ زَيَّنْتُهُ لَهُ ، وَبَصَّرْتُهُ ما فيهِ[6] ، وَشَجَّعْتُهُ عَلَيْهِ حَتّى يَزْدادَ بِهِ سُرُوراً . وَإِذا أَرادَ أَمْراً أَخافُ عَلَيْهِ ضُرَّهُ وَشَيْنَهُ[7] بَصَّرْتُهُ بِما فيهِ مِنَ الضُّرِّ وَالشَّيْنِ وَما في تَرْكِهِ مِنَ النَّفْعِ وَالزَّيْنِ ، بِحَسَبِ ما أَجِدُ

---

(١) هذه هي الرواية التي يفهم منها المراد . (٢) عزة النفس . (٣) يكبته (٤) هب بمعنى احسب وافرض وهو ملازم للأمرية ولا يجوز أن يقال : هب أنك وصلت فان ذلك من الخطأ المشهور . (٥) الحظوة بالضم وتفتح : المكانة والمنزلة . (٦) أي أطلعته على واقعه (٧) عيبه .

اليهِ السَّبيلَ ، وَأَنَا أَرْجو أَنْ أَزْدادَ بذلكَ عِنْدَ الأَسَدِ مَكانَةً ، وَيَرَى مِنِّي ما لا يَراهُ مِنْ غَيْري ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الأَديبَ الرَّفيقَ لَوْ شاءَ أَنْ يُبْطِلَ حَقًّا أَوْ يُحِقَّ باطِلاً أَحْياناً لَفَعَلَ : كالْمُصَوِّرِ الْماهِرِ الَّذي يُصَوِّرُ في الْجِدارِ تَصاويرَ كَأَنَّها خارِجَةٌ مِنَ الْجِدارِ وَلَيْسَتْ بِخارِجَةٍ ، وَأُخْرَى كَأَنَّها داخِلَةٌ فيهِ وَلَيْسَتْ بِداخِلَةٍ . فَإِذا أَبْصَرَ الأَسَدُ فَضْلي وَعَرَفَهُ وَعَرَفَ ما عِنْدي كانَ هُوَ أَحْرَصَ عَلى كَرامَتي وَتَقْريبي مِنْهُ .

قالَ كَليلَةُ ، أَمَّا إِنْ كانَ هٰذا رَأْيَكَ فَإِنِّي أُحَذِّرُكَ صُحْبَةَ السُّلْطانِ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ أَمْرٌ عَظيمٌ . وَقَدْ قالَتِ الْعُلَماءُ : إِنَّ أُموراً ثَلاثَةً لا يَجْتَرِىءُ عَلَيْهِنَّ إِلاَّ أَهْوَجُ [1] ، وَلا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ إِلاَّ الْقَليلُ : وَهِيَ صُحْبَةُ السُّلْطانِ ، وَائْتِمانُ النِّساءِ على الأَسْرارِ ، وَشُرْبُ السُّمِّ لِلتَّجْرِبَةِ . وَإِنَّما شَبَّهَ الْعُلَماءُ السُّلْطانَ بِالْجَبَلِ الْوَعِرِ الصَّعْبِ الْمُرْتَقى [2] الَّذي فيهِ الثِّمارُ الطَّيِّبَةُ ، وَالْجَواهِرُ النَّفيسَةُ ، وَالأَدْوِيَةُ النَّافِعَةُ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ مَعْدِنُ [3] السِّباعِ وَالنُّمورِ وَالذِّئابِ وَكُلِّ سَبُعٍ مَخُوفٍ . فَالارْتِقاءُ إِلَيْهِ شَديدٌ ، وَالْمُقامُ فيهِ أَخْوَفُ . قالَ دِمْنَةُ : صَدَقْتَ فيما وَصَفْتَ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الأَهْوالَ [4] لَمْ يَنَلِ الرَّغائِبَ . وَمَنْ تَرَكَ الأَمْرَ الَّذي لَعَلَّهُ

---

(١) الاهوج : الطائش الاحمق وفعله من باب فرح . (٢) اي الذي يصعب صعوده . (٣) مكان وجود السباع والنمور الخ .. (٤) اي من لم يصارع المخاوف لا يصل الى رغباته .

يَبْلُغْ فِيهِ حَاجَتَهُ هَيْبَةً وَمَخَافَةً لِمَا لَعَلَّهُ يَتَوَقَّي ، فَلَيْسَ بِبَالِغٍ جَسِيماً[1] وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ خِصالاً ثَلاثاً لَنْ يَسْتَطِيعَهَا أَحَدٌ إِلاَّ بِمَعُونَةٍ مِنْ اَرْتِفَاعِ الْهِمَّةِ وَعَظِيمِ الْخَطَرِ : مِنْهَا عَمَلُ السُّلْطَانِ ، وَتِجَارَةُ الْبَحْرِ ، وَمُنَاجَزَةُ الْعَدُوِّ[2] . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ فِي الرَّجُلِ الْفَاضِلِ الْمُرُوءَةِ : إِنَّهُ لاَيُرَى إِلاَّ فِي مَكَانَيْنِ ، وَلا يَلِيقُ بِهِ غَيْرُهُمَا : إِمَّا مَعَ الْمُلُوكِ مُكَرَّماً ، أَوْ مَعَ اَلنُّسَّاكِ مُتَبَتِّلاً[3] : كَالْفِيلِ إِنَّمَا جَمَالُهُ وَبَهَاؤُهُ فِي مَكَانَيْنِ : إِمَّا فِي الْبَرِّيَّةِ وَحْشِيّاً ، أَوْ مَرْكَباً لِلْمُلُوكِ[4] . قَالَ كَلِيلَةُ : خَارَ اَللهُ لَكَ فِيمَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ[5] . وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي مُخَالِفُكَ فِي رَأْيِكَ هٰذَا .

ثُمَّ انَّ دِمْنَةَ اَنْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الأَسَدِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ الأَسَدُ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : فُلانُ بْنُ فُلانٍ[6] . قَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَبَاهُ . ثُمَّ سَأَلَهُ : أَيْنَ تَكُونُ ؟ قَالَ : لَمْ أَزَلْ مُلازِماً بَابَ الْمَلِكِ رَجَاءَ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرٌ فَأُعِينَ الْمَلِكَ فِيهِ بِنَفْسِي وَرَأْيِي . فَإِنَّ

---

(١) اي ومن ترك الاقدام في رغبته بسبب تهيبه اياه أو الخوف من أشياء موهومة قد تقع له فانه لا يصل أيضاً إلى ما يطمح اليه. (٢) مقاتلته . (٣) متعبداً ، متخشعاً . (٤) اي أن الفيل أما أن يعيش في البرية كوحش مخيف . واما أن تقتنيه الملوك وتجعله مطية لها . (٥) جعل الله لك فيه الخير . (٦) فلان وفلانة بغير ألف ولام يكنى بهما عن العلم العاقل وهما يجريان مجرى الأعلام في امتناع دخول الالف واللام للفرق ، وانما قال ابن المقفع فلان دون ألف ولام مع أن المعني به ما لا يعقل لأنه نزل الجميع منزلة العقلاء في المحاورات كافة .

أَبْوَابَ الْمُلُوكِ تَكْثُرُ فِيهَا الأُمُورُ الَّتِي رُبَّمَا اُحْتِيجَ فِيهَا الى مَنْ لا يُؤْبَهُ له فإنه لا يكادُ يَخْلُو أَحَدٌ - وانْ كانَ صَغِيرَ القَدْرِ والْمَنْزِلَةِ - أَنْ تَكُونَ عِنْدَهُ مَنْفَعَةٌ وانْ صَغُرَتْ ، فَانَّ العُودَ الْمَقْبُورَ الْمُلْقَى في الأَرْضِ رُبَّما انْتُفِعَ بِهِ فَيَأْخُذُهُ الرَّجُلُ تَأْكُلُهُ أُذُنُهُ فَيَحُكُّها بِهِ . فَالحيوانُ الْعَالِمُ بالضُّرِّ والنَّفْعِ أَحْرَى أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ الأَسَدُ قَوْلَ دِمْنَةَ أَعْجَبَهُ وظَنَّ أَنْ عِنْدَهُ نَصِيحَةً ورأْياً . فَأَقْبَلَ عَلى مَنْ حَضَرَ ، فَقَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ ذَا العِلْمِ وَذَا الْمُرُوءَةِ يَكُونُ خَامِلَ الذِّكْرِ[1] ، خَافِضَ الْمَنْزِلَةِ فَتَأْبَى مَنْزِلَتُهُ إِلاَّ أَنْ تَشُبَّ وتَرْتَفِعَ : كَالشُّعْلَةِ مِنَ النَّارِ الَّتِي يَضْرُبُهَا صَاحِبُهَا وتَأْبَى الاَّ ارْتِفَاعاً . فَلَمَّا عَرَفَ دِمْنَةُ أَنَّ الأَسَدَ قَدْ أُعْجِبَ بِهِ قَالَ : إِنَّ رَعِيَّةَ الْمَلِكِ تَحْضُرُ بَابَ الْمَلِكِ رَجَاءَ أَنْ يَعْرِفَ مَاعِنْدَهَا مِنْ عِلْمٍ وَافِرٍ . وقَدْ يُقَالُ إِنَّ الفَضْلَ في أَمْرَيْنِ : فَضْلِ الْمُقَاتِلِ عَلى الْمُقَاتِلِ ، والعَالِمِ عَلى العَالِمِ : وَإِنَّ كَثْرَةَ الأَعْوَانِ إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُخْتَبَرِينَ رُبَّمَا تَكُونُ مَضَرَّةً عَلى العَمَلِ ، فَإِنَّ العَمَلَ لَيْسَ رَجَاؤُهُ بِكَثْرَةِ الأَعْوَانِ ولَكِنْ بِصَالِحِي الأَعْوَانِ[2] : وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَحْمِلُ الْحَجَرَ الثَّقِيلَ فَيُثْقِلُ بِهِ نَفْسَهُ وَلا يَجِدُ لَهُ ثَمَناً .

---

(١) مغمور ، لا شهرة له . (٢) أي ليست العبرة في نجاح العمل بكثرة المعاونين ولكن بمهارتهم فيه وكفاءتهم له .

والرَّجلُ الَّذي يَحتَاجُ إلى الجُذُوعِ [1] لا يُجزِئُهُ [2] القَصَبُ وإنْ كَثُرَ . فَأَنتَ الآنَ - أيُّها المَلِكُ - حَقِيقٌ ألاَّ تُحَقِّرَ مُرُوءَةَ أنتَ تَجِدُهَا عِندَ رَجُلٍ صَغِيرِ المَنزِلَةِ . فإنَّ الصَّغِيرَ رُبَّما عَظُمَ : كَالعَصَبِ يُؤخَذُ مِنَ المَيتَةِ فإذَا عُمِلَ مِنهُ القَوسُ [3] أُكرِمَ ، فَتَقبِضُ عَلَيهِ المُلوكُ وتَحتَاجُ إلَيهِ في البَأسِ واللَّهوِ .

وَأَحبَّ دِمنَةُ أنْ يُرِيَ القَومَ أنَّ مَا نَالَهُ مِنْ كَرَامَةِ المَلِكِ إنَّمَا هُوَ لِرَأيِهِ ومُرُوءَتِهِ وعَقلِهِ ، لأنَّهُمْ عَرَفُوا قَبلَ ذلِكَ أنَّ ذلِكَ لِمَعرِفَتِهِ أبَاهُ ، فَقَالَ : إنَّ السُّلطَانَ لا يُقَرِّبُ الرِّجَالَ لِقُربِ آبَائِهِمْ ، ولا يُبعِدُهُمْ لِبُعدِهِمْ ولَكِنْ يَنبَغِي أنْ يَنظُرَ إلى كُلِّ رَجُلٍ بِمَا عِندَهُ لأنَّهُ لاشَيءَ أقرَبُ إلى الرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ ، ومِنْ جَسَدِهِ مَا يَدوَى [4] حَتى يُؤذِيَهُ ولا يُدفَعُ ذلِكَ عَنهُ إلاَّ بالدَّوَاءِ الَّذي يَأتِيهِ مِنْ بُعدٍ .

فَلَمَّا فَرَغَ دِمنَةُ مِنْ مَقَالَتِهِ هذِهِ أُعجِبَ المَلِكُ بِهِ إعجَاباً شَدِيداً [5] .

---

(١) جمع جذع وهو ساق النخلة . (٢) لا يكفيه . (٣) القوس : آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام تؤنث وتذكر . أما الاحتياج إلى القوس في البأس ففي مثل الطعان . وأما اللهو ففي مثل الصيد أو التفاخر بتسديد الرماية واظهار التفوق ونحو ذلك . (٤) يقال دوى الرجل يدوى كعلم يعلم دوى بالقصر : مرض . (٥) أعجب ملازم للبناء للمجهول ، ومنه المثل المشهور (كل فتاة بأبيها معجبة) بصيغة اسم المفعول .

وأحسنَ الرَّدَ عليه، وزادَ في كرامتِهِ. ثمَّ قالَ لجُلسائِهِ: ينبغي للسُّلطانِ ألا يلجَّ[1] في تضييعِ حقِّ ذوي الحقوقِ. والنَّاسُ في ذلكَ رجلانِ: رجلٌ طبعُهُ الشَّراسةُ: فهوَ كالحيَّةِ إنْ وطئَها[2] الواطيءُ فلمْ تلدغهُ لمْ يكنْ جديراً أنْ يغرَّهُ ذلكَ منها فيعودَ إلى وطئِها ثانيةً فتلدغهُ. ورجلٌ أصلُ طباعِهِ السُّهولةُ[3]: فهوَ كالصَّندلِ[4] الباردِ الَّذي إذا أفرطَ في حكِّهِ صارَ حارًّا مؤذياً.

ثمَّ إنَّ دِمنةَ استأنسَ بالأسدِ وخلابهِ. فقالَ لهُ يوماً: أرى الملكَ قدْ أقامَ في مكانٍ واحدٍ لا يبرحُ منهُ[5]، فما سببُ ذلكَ؟! فبينَما هُما في هذا الحديثِ إذْ خارَ[6] شترَبةُ خُواراً شديداً، فهاجَ الأسدُ، وكرِهَ أنْ يُخبرَ دِمنةَ بما نالَهُ. وعلمَ دِمنةُ أنَّ ذلكَ الصَّوتَ قدْ أدخلَ على الأسدِ ريبةً وهيبةً، فسألَهُ هلْ رابَ[7] الملكَ سماعُ هذا الصَّوتِ؟ قالَ لمْ يربني شيءٌ سوى ذلكَ. قالَ دِمنةُ ليسَ الملكُ بحقيقٍ[8] أنْ يدعَ مكانَهُ لأجلِ صوتٍ. فقدْ قالتِ العلماءُ: إنَّهُ ليسَ منْ كلِّ الأصواتِ تجبُ الهيبةُ. قالَ الأسدُ: وما مثلُ ذلكَ؟!

---

(١) يلحّ. (٢) داسها. (٣) الليونة والمرونة. (٤) نوع من الخشب. «٥» لا يغادره. «٦» صاح بصوته المعروف «الخوار». «٧» أدخل في نفسه الريبة والشك. «٨» بجدير وخليق.

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَباً أَتَى أَجَمَةً فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى شَجَرَةٍ وَكُلَّمَا هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ حَرَّكَتْهَا ، فَضَرَبَتِ الطَّبْلَ فَسُمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ ، فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ [1] نَحْوَهُ لأَجْلِ مَاسَمِعَ مِنْ عَظِيمِ صَوْتِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ وَجَدَهُ ضَخْماً ، فَأَيْقَنَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ الشَّحْمِ واللَّحْمِ ، فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهُ فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ لاشَيْءَ فِيهِ ، قَالَ : لاأَدْرِي لَعَلَّ أَفْشَلَ [2] الأَشْيَاءِ أَجْهَرُهَا صَوْتاً ، وأَعْظَمُهَا جُثَّةً .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ هٰذا الصَّوْتَ الَّذي راعَنا لَوْ وَصَلْنا إِلَيْهِ لَوَجَدْنَاهُ أَيْسَرَ مِمَّا فِي أَنْفُسِنا . فَإِنْ شاءَ الْمَلِكُ بَعَثَنِي وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ حَتَّى آتِيَهُ بِبَيَانِ [3] هٰذا الصَّوْتِ . فَوافَقَ الأَسَدَ قَوْلُهُ ، فَأَذِنَ لَهُ بِالذَّهابِ نَحْوَ الصَّوْتِ ، فَانْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى الْمَكانِ الَّذي فِيهِ شَتْرَبَةُ . فَلَمَّا فَصَلَ [4] دِمْنَةُ مِنْ عِنْدِ الأَسَدِ فَكَّرَ الأَسَدُ فِي أَمْرِهِ ، وَنَدِمَ عَلَى إِرْسالِ دِمْنَةَ حَيْثُ أَرْسَلَهُ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : ما أَصَبْتُ فِي ائْتِمانِي دِمْنَةَ ، وَقَدْ كانَ بِبابِي مَطْرُوحاً . فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذا كانَ يَحْضُرُ بابَ الْمَلِكِ وَقَدْ

« ١ » الثعلب حيوان بري من أكلة اللحوم ويميز من الكلب والذئب ونظيرهما بانخفاض قامته وتدبب فمه وقصر عنقه وطول ذنبه ، وحدقة عينه بشكل شق عمودي ، وأما أسنانه فكالذئب والكلب ، يضرب به المثل في التخلص من أعدائه بالمكر والخديعة . « ٢ » أكثرها وأشدها فشلا . « ٣ » بخبر وحقيقة .
« ٤ » فصل فلان من البلد يفصل فصولا من باب قعد : خرج منه .

أُبطِلَتْ حُقُوقُهُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ[1] كانَ مِنْهُ ، أَوْ كانَ مَبْغِيًّا عَلَيْهِ[2] عِنْدَ سُلْطانِهِ ، أَوْ كانَ عِنْدَهُ مَعْرُوفاً بِالشَّرَهِ وَالحِرْصِ ، أَوْ كانَ قَدْ أَصابَهُ ضُرٌّ وَضِيقٌ فَلَمْ يُنْعِشْهُ[3] ، أَوْ كانَ قَدِ اجْتَرَمَ جُرْماً[4] فَهُوَ يَخافُ العُقُوبَةَ مِنْهُ ، أَوْ كانَ يَرْجُو شَيْئاً يَضُرُّ المَلِكَ وَلَهُ مِنْهُ نَفْعٌ ، أَوْ يَخافُ في شَيْءٍ مِمَّا يَنْفَعُهُ ضُرًّا ، أَوْ كانَ لِعَدُوِّ المَلِكِ مُسالِماً ، وَلِمُسالِمِهِ مُحارِباً ، فَلَيْسَ السُّلْطانُ بِحَقِيقٍ أَنْ يُعَجِّلَ بِالاسْتِرْسالِ إِلَيْهِ[5] وَالثِّقَةِ بِهِ ، وَالاطْمِئْنانِ لَهُ ، فَإِنَّ دِمْنَةَ داهِيَةٌ[6] أَرِيبٌ ، وَقَدْ كانَ بِبابِي مَطْرُوحاً مَخْفُوًّا[7] ، وَلَعَلَّهُ قَدِ احْتَمَلَ عَلَيَّ بِذٰلِكَ ضِغْناً[8] ، وَلَعَلَّ[9] ذٰلِكَ يَحْمِلُهُ على خِيانَتِي وَإِعانَةِ عَدُوِّي وَنَقِيصَتِي[10] عِنْدَهُ ، وَلَعَلَّهُ صادَفَ صاحِبَ الصَّوْتِ أَقْوَى سُلْطاناً مِنِّي ، فَيَرْغَبَ بِهِ عَنِّي[11] وَيَمِيلَ مَعَهُ عَلَيَّ . ثُمَّ قامَ مِنْ مَكانِهِ فَمَشَى غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَبَصُرَ بِدِمْنَةَ مُقْبِلاً نَحْوَهُ ، فَطابَتْ نَفْسُهُ بِذٰلِكَ[12] ،

« ١ » ذنب . « ٢ » مظلوماً . « ٣ » ينهضه من عثرته . « ٤ » ارتكب ذنباً . « ٥ » الاطمئنان اليه . « ٦ » من الدهاء وجودة الرأي يقال : رجل داهٍ ودهٍ وداهية والأريب : الذكي . « ٧ » حفاه من الشيء ، منعه منه . « ٨ » حقداً . « ٩ » لعل حرف عامل عمل الفعل ناصب للمبتدأ رافع للخبر على رأي الجمهور . ولها جملة معان : أحدها التوقع وهو ترجي المحبوب والاشفاق من المكروه « كما هو المراد هنا » والثاني : التعليل في مثل « فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى » وربما فهم منها في الآية الرجاء . « ١٠ » أي والانتقاص من قدري عند عدوي . « ١١ » يقال : رغب به عنه : فضله عليه ، ورغب اليه : ابتهل ، ورغب فيه : أحبه وحرص عليه . « ١٢ » ارتاح لذلك وسر به .

ورَجَعَ إلى مَكانِهِ ، ودَخَلَ دِمْنَةُ على الأَسَدِ . فقالَ لَهُ : ماذا صَنَعْتَ ؟ وماذا رأَيتَ ؟ قالَ : رأَيتُ ثَوْراً هُوَ صاحِبُ الخُوارِ والصَّوْتِ الَّذي سَمِعْتَهُ . قالَ : فما قُوَّتُهُ ؟ قالَ : لاشَوْكَةَ[1] لَهُ ، وقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ ، وحاوَرْتُهُ مُحاوَرَةَ الأَكْفاءِ[2] فَلَمْ يَسْتَطِعْ لي شَيْئاً . قالَ الأَسَدُ : لا يَغُرَّنَّكَ ذٰلِكَ مِنْهُ ، ولا يَصْغُرَنَّ عِنْدَكَ أَمْرُهُ . فَإِنَّ الرِّيحَ الشَّديدَةَ لا تَعْبَأُ بِضَعيفِ الحَشيشِ ، لٰكِنَّها تُحَطِّمُ طِوالَ النَّخْلِ وعَظيمَ الشَّجَرِ[3] . قالَ دِمْنَةُ : لاتَهابَنَّ — أَيُّها المَلِكُ — مِنْهُ شَيْئاً ، ولا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ أَمْرُهُ ، فَأَنا آتيكَ بِهِ لِيَكُونَ لَكَ عَبْداً سامِعاً مُطيعاً . قالَ الأَسَدُ : دُونَكَ وما بَدا لَكَ[4] .

فَانْطَلَقَ دِمْنَةُ إلى الثَّوْرِ ، فَقالَ لَهُ غَيْرَ هائِبٍ ولا مُكْتَرِثٍ : إنَّ الأَسَدَ أَرْسَلَني إلَيْكَ لآتِيَهُ بِكَ ، وأَمَرَني إنْ أَنْتَ عَجَّلْتَ إلَيْهِ طائِعاً أَنْ أُؤَمِّنَكَ على ما سَلَفَ مِنْ ذَنْبِكَ في التَّأَخُّرِ عَنْهُ وتَرْكِكَ لِقاءَهُ ، وإنْ أَنْتَ تَأَخَّرْتَ عَنْهُ وأَحْجَمْتَ[5] أَنْ أُعَجِّلَ الرَّجْعَةَ إلَيْهِ فَأُخْبِرَهُ . قالَ

«١» أي أنه لا خطر منه . «٢» الاكفاء ومثله الكفاء بالكسر : جمعان للكفء مثلثة ، وهو النظير . «٣» أما النخل : فهو المعروف وأصله من جزيرة العرب وهو طويل العمر وقد تعيش النخلة قرناً «٤» تقدم نظيره وفيه ، أن الواو زائدة ، ودون اسم فعل أمر بمعنى خذ ، والمراد : افعل ما تراه صواباً . «٥» امتنعت .

شَتْرَبَةُ : وَمَنْ هُوَ هٰذا الأَسَدُ الَّذي أَرْسَلَكَ اليَّ ؟ وَأَيْنَ هُوَ ؟ وَما حالُهُ ؟ قالَ دِمْنَةُ : هُوَ مَلِكُ السِّباعِ ، وَهُوَ بِمَكانِ كَذا [1] وَمَعَهُ جُنْدٌ كَثيرٌ مِنْ جِنْسِهِ . فَرَعَبَ [2] شَتْرَبَةُ مِنْ ذِكْرِ الأَسَدِ وَالسِّباعِ . وَقالَ إِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ لِيَ الأَمانَ عَلى نَفْسي أَقْبَلْتُ مَعَكَ إِلَيْهِ . فَأَعْطاهُ دِمْنَةُ مِنَ الأَمانِ ما وَثِقَ بِهِ [3] . ثُمَّ أَقْبَلَ وَالثَّوْرُ مَعَهُ حَتّى دَخَلا عَلى الأَسَدِ ، فَأَحْسَنَ الأَسَدُ الى الثَّوْرِ وَقَرَّبَهُ . وَقالَ لَهُ : مَتى قَدِمْتَ هٰذِهِ البِلادَ ؟ وَما أَقْدَمَكَها [4] ؟ فَقَصَّ شَتْرَبَةُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقالَ لَهُ الأَسَدُ : اصْحَبْني وَالْزَمْني فَإِنّي مُكْرِمُكَ . فَدَعا لَهُ الثَّوْرُ وَأَثْنى عَلَيْهِ .

ثُمَّ إِنَّ الأَسَدَ قَرَّبَ شَتْرَبَةَ [5] وَأَكْرَمَهُ وَأَنِسَ بِهِ ، وَائْتَمَنَهُ عَلى أَسْرارِهِ وَشاوَرَهُ في أَمْرِهِ ، وَلَمْ تَزِدْهُ الأَيّامُ الاّ عَجَباً [6] بِهِ ، وَرَغْبَةً فيهِ ، وَتَقْريباً مِنْهُ ، حَتّى صارَ أَخَصَّ أَصْحابِهِ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً . فَلَمّا رَأى دِمْنَةُ أَنَّ الثَّوْرَ قَدِ اخْتَصَّ بِالْمَلِكِ دُونَهُ وَدُونَ أَصْحابِهِ . وَأَنَّهُ قَدْ صارَ صاحِبَ رَأْيِهِ وَخَلَواتِهِ وَلَهْوِهِ حَسَدَهُ حَسَداً عَظيماً ، وَبَلَغَ مِنْهُ غَيْظُهُ كُلَّ مَبْلَغٍ ، فَشَكا ذٰلِكَ إِلى أَخيهِ كَليلَةَ ، وَقالَ لَهُ : أَلا تَعْجَبُ

« ١ » كذا : كلمة يكنى بها عن غير العدد وقيل يكنى بها عنه أيضاً وتمييزها يجب أن يكون منصوباً ولا تلزم الصدارة . وأما استعمالها فلا يكون غالباً إلا معطوفاً عليها مثلها . « ٢ » يقال : رعب الرجل يرعب بفتح العين فيها : خاف ، لازم ويتعدى أيضاً فيقال : رعبه . « ٤ » ما صدقه بيقين . « ٣ » أي وما هو السبب الذي جعلك تأتي اليها ؟ « ٥ » جعله من المقربين اليه . « ٦ » استحساناً .

يا أخي مِنْ عَجْزِ[1] رأْيي ، وَصُنْعِي بِنَفْسي ، وَنَظَرِي فيما يَنْفَعُ الأَسَدَ ، وَأَغْفَلْتُ نَفْعَ نَفْسي ، حَتَّى جَلَبْتُ إلى الأَسَدِ ثَوْراً غَلَبَني عَلى مَنْزِلَتي .

قالَ كَليلَةُ : أَخبِرْني عَنْ رَأْيِكَ وَما تُريدُ أَنْ تَعْزِمَ عَلَيْهِ[2] في ذٰلِكَ قالَ دِمْنَةُ : أَمَّا أَنا فَلَسْتُ اليَوْمَ أَرْجو أَنْ تَزْدادَ مَنْزِلَتي عِنْدَ الأَسَدِ فَوْقَ ما كانَتْ عَلَيْهِ . وَلٰكِنْ أَلْتَمِسُ[3] أَنْ أَعودَ إلى ما كُنْتُ.[4] فَإِنَّ أُموراً ثَلاثَةً العاقِلُ جَديرٌ بِالنَّظَرِ فيها وَالاحْتِيالِ لَها بِجُهْدِهِ : مِنْها النَّظَرُ فيما مَضى مِنَ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ ، فَيَحْتَرِسُ مِنَ الضَّرِّ الَّذي أَصابَهُ فيما سَلَفَ[5] لِئَلاَّ يَعُودَ إلى ذٰلِكَ الضَّرَرِ ، وَيَلْتَمِسُ النَّفْعَ الَّذي مَضى وَيَحْتالُ لِمُعاوَدَتِهِ . وَمِنْها النَّظَرُ فيما هُوَ مُقيمٌ فيهِ مِنَ المَنافِعِ وَالمَضارِّ . وَالاسْتيثاقُ[6] بِما يَنْفَعُ ، وَالهَرَبُ مِمَّا يَضُرُّ . وَمِنْها النَّظَرُ في مُسْتَقْبَلِ ما يَرْجو مِنْ قِبَلِ النَّفْعِ[7] وَما يَخافُ مِنْ قِبَلِ الضَّرِّ ، لِيَسْتَتِمَّ[8] ما يَرْجو ، وَيَتَوَقّى ما يَخافُ بِجُهْدِهِ . وَإِنّي لَمّا نَظَرْتُ في الأَمْرِ الَّذي بِهِ أَرْجو أَنْ تَعودَ مَنْزِلَتي وَما غُلِبْتُ عَلَيْهِ مِمَّا كُنْتُ فيهِ لَمْ أَجِدْ حيلَةً وَلا وَجْهاً إلاّ الاحْتِيالَ لآكِلِ العُشْبِ[9] هٰذا ، حَتَّى أُفَرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَياةِ ، فَإِنَّهُ إِنْ فارَقَ الأَسَدَ

« ١ » ضعف رأيي . « ٢ » عزم الأمر وعليه من باب ضرب : عقد ضميره على فعله . « ٣ » آمل وأرجو . « ٤ » أي آمل أن أعود الى مكانتي الاولى عنده . « ٥ » مضى . « ٦ » التأكد . « ٧ » من جانب النفع . « ٨ » ليتم ما يريد . « ٩ » يقصد الثور « شترية » .

عادَتْ لي مَنْزِلَتي ، وَلَعَلَّ ذٰلِكَ يَكُونُ خَيْراً لِلأَسَدِ ، فَإِنَّ إِفْراطَهُ[1] في تَقْرِيبِ الثَّوْرِ خَلِيقٌ[2] أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ في أَمْرِهِ . قالَ كَلِيلَةُ : ما أَرَى عَلى الأَسَدِ في رَأْيِهِ في الثَّوْرِ وَمَكانِهِ مِنْهُ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ شَيْناً وَلا شَرّاً . قالَ دِمْنَةُ : إِنَّما يُؤْتَى السُّلْطانُ[3] وَيَفْسُدُ أَمْرُهُ مِنْ قِبَلِ سِتَّةِ أَشْياءَ : الحِرْمانِ ، وَالفِتْنَةِ ، وَالهَوَى[4] ، وَالفَظاظَةِ ، وَالزَّمانِ ، وَالخُرْقِ[5] .

فَأَمَّا الحِرْمانُ فَأَنْ يُحْرَمَ صالِحَ الأَعْوانِ وَالنُّصَحاءِ وَالسِّياسَةِ[6] مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ وَالأَمانَةِ ، وَتَرْكُ التَّفَقُّدِ لِمَنْ هُوَ كَذٰلِكَ . وَأَمّا الفِتْنَةُ فَهُوَ تَحارُبُ النّاسِ وَوُقُوعُ الحَرْبِ بَيْنَهُمْ . وَأَمّا الهَوَى فَالإِغْرامُ[7] بِالحَدِيثِ وَاللَّهْوِ وَالشَّرابِ وَالصَّيْدِ وَما أَشْبَهَ ذٰلِكَ . وَأَمّا الفَظاظَةُ فَهِيَ إِفْراطُ الشِّدَّةِ حَتّى يَجْمَحَ[8] اللِّسانُ بِالشَّتْمِ ، وَاليَدُ بِالبَطْشِ في غَيْرِ مَوْضِعِها . وَأَمّا الزَّمانُ فَهُوَ ما يُصِيبُ النّاسَ مِنَ السِّنِينَ[9] وَالمَوْتِ وَنَقْصِ الثَّمَراتِ وَالغَزَواتِ وَأَشْباهِ ذٰلِكَ . وَأَمّا الخُرْقُ فَإِعْمالُ الشِّدَّةِ في مَوْضِعِ اللِّينِ ، وَاللِّينِ في مَوْضِعِ الشِّدَّةِ . وَإِنَّ الأَسَدَ قَدْ أُغْرِمَ[10] بِالثَّوْرِ إِغْراماً شَدِيداً هُوَ الَّذي ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ في

« ١ » مبالغته . « ٢ » جدير . « ٣ » يغرر به . « ٤ » الميل الشديد . « ٥ » الحمق والجهل . « ٦ » جمع سائس : المسهم في تدبير سياسة الدولة . « ٧ » الولع . « ٨ » يقال جمحت الفرس اذا عاندت من يركبها في السير وخرجت عن قياده . « ٩ » السنين : جمع سنة وهي الجدب والقحط . « ١٠ » أغرم به : أولع وهو من الالفاظ التي لازمت البناء للمجهول .

أمرِهِ . قالَ كَليلَةُ : وَكَيْفَ تُطيقُ الثَّورَ وَهُوَ أَشدُّ مِنْكَ وَأَكْرَمُ عَلى الأَسَدِ مِنْكَ وَأَكْثَرُ أَعواناً ؟ قالَ دِمْنَةُ : لا تَنْظُرْ إلى صِغَري وَضَعْفي ، فَإِنَّ الأُمورَ لَيْسَتْ بِالضَّعْفِ وَلا القُوَّةِ وَلا الصِّغَرِ وَلا الكِبَرِ في الجُثَّةِ ، فَرُبَّ صَغيرٍ ضَعيفٍ قَدْ بَلَغَ بِحيلَتِهِ وَدَهائِهِ وَرَأْيِهِ ما يَعْجِزُ عَنْهُ كَثيرٌ مِنَ الأَقْوِياءِ . أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّ غُراباً[1] ضَعيفاً احْتالَ لِأَسْوَدَ[2] حَتَّى قَتَلَهُ ؟ قالَ كَليلَةُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟ !

قالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ غُراباً كانَ لَهُ وَكْرٌ في شَجَرَةٍ عَلى جَبَلٍ ، وَكانَ قَريباً مِنْهُ جُحْرُ ثُعْبانٍ أَسْوَدَ ، فَكانَ الغُرابُ إِذا فَرَّخَ عَمَدَ الأَسْوَدُ إلى فِراخِهِ فَأَكَلَها ، فَبَلَغَ ذٰلِكَ مِنَ الغُرابِ وَأَحْزَنَهُ ، فَشَكا ذٰلِكَ إلى صَديقٍ لَهُ مِنْ بَناتِ آوىٰ ، وَقالَ لَهُ : أُريدُ مُشاوَرَتَكَ في أَمْرٍ قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْهِ[3] . قالَ : وَما هُوَ ؟ قالَ الغُرابُ : قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَذْهَبَ إلى الأَسْوَدِ إِذا نامَ فَأَنْقُرَ عَيْنَيْهِ فَأُفْقِئَهُما لَعَلِّي أَسْتَريحُ مِنْهُ . قالَ ابْنُ آوىٰ : بِئْسَ الحيلَةُ الَّتي احْتَلْتَ[4] فَالْتَمِسْ أَمْراً تُصيبُ فيهِ بُغْيَتَكَ[5] مِنَ الأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُغَرِّرَ بِنَفْسِكَ[6] وَتُخاطِرَ بِها ، وَإِيَّاكَ أَنْ

«١» الغراب : أربعة أنواع : أسود حالك ، وأبلق ، ومطرف ببياض ، لطيف الجرم يأكل الحب ، وأسود طاووسي براق الريش ورجلاه كلون المرجان ويعرف بالزاغ «٢» ثعبان أسود اللون ، ضخم الجثة «٣» صممت على فعله «٤» بئس فعل ماض جامد للذم والحيلة فاعل والتي مبتدأ خبره الجملة من الفعل والفاعل المتقدمين أو خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره « هو » التي احتلتها «٥» حاجتك «٦» تعرضها للهلاك .

يَكُونَ مَثَلُكَ مَثَلُ ٱلْعُلْجُومِ[1] ٱلَّذي أَرادَ قَتْلَ السَّرَطانِ[2] فَقَتَلَ نَفْسَهُ ؟ قالَ ٱلْغُرابُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟ !

قَالَ ابْنُ آوىٰ : زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُوماً عَشَّشَ في أَجَمَةٍ كَثِيرَةِ السَّمَكِ ، فَعَاشَ بِهَا مَاعَاشَ ، ثُمَّ هَرِمَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْداً ، فَأَصَابَهُ جُوعٌ وَجَهْدٌ[3] شَدِيدٌ . فَجَلَسَ حَزِيناً يَلْتَمِسُ الحِيلَةَ في أَمْرِهِ ، فَمَرَّ بِهِ سَرَطَانٌ ، فَرَأَى حَالَتَهُ ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الكَآبَةِ وَالحُزْنِ ، فَدَنَا مِنْهُ ، وَقَالَ : مَالِي أَرَاكَ أَيُّهَا الطَّائِرُ هٰكَذَا حَزِيناً كَئِيباً ؟! قَالَ العُلْجُومُ : وَكَيْفَ لا أَحْزَنُ وَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ مِنْ صَيْدِ مَا هَاهُنَا مِنْ ٱلسَّمَكِ !. وإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ ٱلْيَوْمَ صَيَّادَيْنِ قَدْ مَرَّا بِهٰذَا المَكَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : إِنَّ هَاهُنَا سَمَكاً كَثِيراً ، أَفَلا نَصِيدُهُ أَوَّلاً ؟ فَقَالَ الآخَرُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ في مَكَانِ كَذَا سَمَكاً أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا السَّمَكِ ، فَلْنَبْدَأْ بِذَلِكَ ، فَإِذَا فَرَغْنَا مِنْهُ جِئْنَا الى هٰذَا فَأَفْنَيْنَاهُ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا إِذَا فَرَغَا مِمَّا هُنَاكَ انْتَهَيَا الى هٰذِهِ الأَجَمَةِ فَاصْطَادَا مَا فِيهَا ، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ فَهُوَ هَلاكِي وَنَفَادُ[4] مُدَّتِي . فَانْطَلَقَ السَّرَطَانُ مِنْ سَاعَتِهِ[5]

« ١ » العلجوم : ذكر البط . « ٢ » السرطان : حيوان مائي ذو مخالب وأظفاره حداد صلب الظهر كثير الاسنان يسبح على جنب واحد ويسمى عقرب الماء يعيش في الماء العذب والملح ويقضي كثيراً من حياته في البر . « ٣ » مشقة . « ٤ » انتهاء . « ٥ » ذهب مسرعاً .

إلى جَمَاعَةِ السَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ بِذَلِكَ . فَأَقْبَلْنَ إِلَى ٱلْعُلْجُومِ فَاسْتَشَرْنَهُ وَقُلْنَ لَهُ : إِنَّا أَتَيْنَاكَ لِتُشِيرَ عَلَيْنَا فَإِنَّ ذَا العَقْلِ لَا يَدَعُ مُشَاوَرَةَ عَدُوِّهِ قَالَ العُلْجُومُ : أَمَّا مُكَابَرَةُ[1] الصَّيَّادَيْنِ فَلَا طَاقَةَ لِي بِهَا ، وَلَا أَعْلَمُ حِيلَةً إِلَّا المَصِيرَ[2] إِلَى غَدِيرٍ قَرِيبٍ مِنْ هَاهُنَا ، فِيهِ سَمَكٌ وَمِيَاهٌ عَظِيمَةٌ وَقَصَبٌ. فَإِنِ ٱسْتَطَعْتُنَّ الٱنْتِقَالَ إِلَيْهِ كَانَ فِيهِ صَلَاحُكُنَّ وَخِصْبُكُنَّ . فَقُلْنَ لَهُ : مَا يَمُنُّ[3] عَلَيْنَا بِذَلِكَ غَيْرُكَ . فَجَعَلَ العُلْجُومُ يَحْمِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَمَكَتَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِمَا إِلَى بَعْضِ التِّلَالِ فَيَأْكُلُهُمَا . حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ لِأَخْذِ السَّمَكَتَيْنِ فَجَاءَهُ السَّرَطَانُ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَيْضاً قَدْ أَشْفَقْتُ[4] مِنْ مَكَانِي هٰذَا وَٱسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ ، فَاذْهَبْ بِي إِلَى ذٰلِكَ الغَدِيرِ ، فَٱحْتَمَلَهُ وَطَارَ بِهِ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ التَّلِّ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ السَّمَكَ فِيهِ ، نَظَرَ السَّرَطَانُ فَرَأَى عِظَامَ السَّمَكِ مَجْمُوعَةً هُنَاكَ ، فَعَلِمَ أَنَّ العُلْجُومَ هُوَ صَاحِبُهَا ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ بِهِ مِثْلَ[5] ذٰلِكَ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ عَدُوَّهُ فِي المَوَاطِنِ الَّتِي يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا هَالِكٌ سَوَاءٌ قَاتَلَ أَوْ لَمْ يُقَاتِلْ[6] ، كَانَ حَقِيقاً أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ كَرَماً وَحِفَاظاً[7] .

« ١ » بمعنى : ان مقاومة الصيادين لاقدرة لي عليها . « ٢ » الانتقال « ٣ » يعطي ويتفضل . « ٤ » خفت . « ٥ » أي يريد أكله كما أكل السمك قبله . « ٦ » سواء هنا للتسوية . « ٧ » يقال : رجل ذو حفاظ ومحافظة اذا كان عنده أنفة وهو من قولهم حافظ على الامر : ذبّ عنه وزاد .

ثُمَّ أَهْوَى بِكَلْبَتَيْهِ[1] عَلى عُنُقِ العُلْجُومِ فَعَصَرَهُ فَمَاتَ . وتَخَلَّصَ السَّرَطَانُ إلى جَمَاعَةِ السَّمَكِ[2] ، فَأَخْبَرَهُنَّ بِذَلِكَ . وإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هذَا المَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الحِيلَةِ مَهْلَكَةٌ لِلْمُحْتَالِ ، ولَكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ إِن أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهِ كَانَ فِيهِ هَلاكُ الأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُهْلِكَ بِهِ نَفْسَكَ . وتَكُونُ فِيهِ سَلامَتُكَ . قَالَ الغُرَابُ : وما ذَاكَ ؟

قَالَ ابْنُ آوى : تَنْطَلِقُ فَتَبَصَّرُ فِي طَيَرَانِكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَظْفَرَ[3] بِشَيءٍ مِنْ حُلِيِّ النِّسَاءِ فَتَخْطَفَهُ ، ولا تَزَالُ طَائِراً واقِعاً بِحَيْثُ لا تَفُوتُ العُيُونَ[4] حَتَّى تَأْتِيَ جُحْرَ الأَسْوَدِ فَتَرْمِي بِالحُلِيِّ عِنْدَهُ . فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَخَذُوا حُلِيَّهُمْ وأَرَاحُوكَ مِنَ الأَسْوَدِ . فَانْطَلَقَ الغُرَابُ مُحَلِّقاً فِي السَّمَاءِ ، فَوَجَدَ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ العُظَمَاءِ فَوْقَ سَطْحٍ تَغْتَسِلُ ، وقَدْ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا وحُلِيَّهَا نَاحِيَةً . فَانْقَضَّ واخْتَطَفَ مِنْ حُلِيِّهَا عِقْداً ، وطَارَ بِهِ : فَتَبِعَهُ النَّاسُ ، ولَمْ يَزَلْ طَائِراً واقِعاً بِحَيْثُ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى انْتَهَى إِلى جُحْرِ الأَسْوَدِ ، فَأَلْقَى العِقْدَ عَلَيْهِ ، والنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا أَتَوْهُ أَخَذُوا العِقْدَ وقَتَلُوا الأَسْوَدَ .

وإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا المَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الحِيلَةَ تُجْزِيءُ مالا تُجْزِيءُ

« ٢ » يريد من الكلبتين فكي العلجوم . « ٢ » أي ذهب بعد خلاصه من الهلاك اليهم . « ٣ » لعل هنا محمولة على معنى عسى ولذلك جاء في خبرها أنْ . « ٤ » اي ولا تزال ترتفع تارة وتهبط أخرى بشكل يسهل معه ملاحقة عيون الناس لك .

ٱلقُوَّةُ[1] . قَالَ كَلِيلَةُ : إِنَّ الثَّوْرَ لَوْ لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ شِدَّتِهِ رَأْيُهُ لَكَانَ كَمَا تَقُولُ ، ولٰكِنَّ لَهُ مَعَ شِدَّتِهِ وقُوَّتِهِ حُسْنَ الرَّأْيِ والعَقْلِ . فَمَاذَا تَسْتَطِيعُ لَهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الثَّوْرَ لَكَمَا ذَكَرْتَ فِي قُوَّتِهِ ورَأْيِهِ ، ولٰكِنَّهُ مُقِرٌّ لِي بالفَضْلِ ، وأَنَا خَلِيقٌ[2] أَنْ أَصْرَعَهُ كَمَا صَرَعَتِ الأَرْنَبُ الأَسَدَ . قَالَ كَلِيلَةُ : وكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟!

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَداً كَانَ فِي أَرْضٍ كَثِيرَةِ المِيَاهِ والعُشْبِ. وكَانَ فِي تِلْكَ الأَرْضِ مِنَ الوُحُوشِ[3] فِي سِعَةِ المِيَاهِ والمَرْعَى شَيْءٌ كَثِيرٌ . إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذٰلِكَ لِخَوْفِهَا مِنَ الأَسَدِ[4] ، فَاجْتَمَعَتْ وأَتَتْ إِلَى الأَسَدِ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ لَتُصِيبُ[5] مِنَّا الدَّابَّةَ بَعْدَ الجَهْدِ والتَّعَبِ ، وقَدْ رَأَيْنَا لَكَ رَأْياً فِيهِ صَلاحٌ لَكَ وأَمْنٌ لَنَا ، فَإِنْ أَنْتَ أَمَّنْتَنَا ولَمْ تُخِفْنَا فَلَكَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نُرْسِلُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ[6] . فَرَضِيَ الأَسَدُ بِذٰلِكَ ، وصَالَحَ الوُحُوشَ عَلَيْهِ ، ووَفَيْنَ لَهُ بِهِ . ثُمَّ إِنَّ أَرْنَباً أَصَابَتْهَا القُرْعَةُ[7] ، وصَارَتْ غَدَاءَ الأَسَدِ .

« ١ » اي ان الحيلة تفعل من الامور ما لا تستطيعه القوة . « ٢ » اي انا جدير بأن أهلكه . « ٣ » الوحوش جمع وحش وهو ما لا يستأنس من دواب البر . « ٤ » باعتباره ملكها وأقواها . « ٥ » أي انك تظفر بدابة منا لتأكلها بعد ان تبذل جهداً كبيراً في ذلك بسبب سعة المياه والمرعى . « ٦ » الغداء بالفتح : طعام الغدوة وهو ضد العشاء « ٧ » القرعة بالضم : حيلة يتعين بها سهم الانسان ونصيبه .

فَقالتْ لِلوُحوشِ : إنْ أنتنَّ رفقتنَّ[1] بي فيما لا يضرُّكنَّ رجوتُ أنْ أُريحكنَّ منَ الأسدِ : فقالتِ الوُحوشُ : وما الذي تُكلِّفيننا من الأُمورِ ؟ قالتْ تأمُرْنَ الذي ينطلقُ بي إلى الأسدِ أن يُهملني رَيْثما[2] أُبطِئُ عليهِ بعضَ الإبطاءِ . فقُلْنَ لها ذلكِ[3] لكِ . فانطلقتِ الأرنبُ متباطئةً حتى جاوزتِ الوقتَ الذي كانَ يتغذّى فيهِ الأسدُ ، ثمَّ تقدَّمتْ إليهِ وحدَها رُويداً ، وقدْ جاعَ ، فغضبَ وقامَ منْ مكانهِ نحوَها . فقالَ لها : منْ أينَ أقبلتِ ؟ قالتْ : أنا رسولُ[4] الوُحوشِ اليكَ ، بعثْنني ومعي أرنبٌ لكَ ، فتبعني أسدٌ في بعضِ تلكَ الطَّريقِ فأخذَها منّي وقالَ : أنا أولى بهذهِ الأرضِ وما فيها منَ الوَحشِ . فقُلْتُ : إنَّ هذا غذاءُ الملكِ أرسلني بهِ الوُحوشُ اليهِ ، فلا تغصبنَّهُ[5] ، فسبَّكَ وشتمَكَ . فأقبلتُ مُسرعةً لأُخبرَكَ . فقالَ الأسدُ : انطلقي معي ،

«١» اي ان لقيت منكن الرفق أرجو ان أخلصكن من الاسد . «٢» الريث : مقدار المهلة من الزمان ، يقال : ما قعد عنده الا ريثما فعل كذا وكذا أي مقدار ما فعل ، وهو في الاصل مصدر أجروه ظرفاً كما أجروا مقدم الحج وخفوق النجم في نحو قولك : « جئت مقدم الحج وذهبت خفوق النجم » أي في وقتها . وأكثر ما يستعمل مستثنى في كلام منفى نحو : ما قعدت عنده الا ريثما فرغنا من السلام . «٣» أي سوف نحقق لك ذلك «٤» رسول يستوي فيه المذكر والمؤنث وهو على خلاف القياس لان فعول الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث يكون بمعنى فاعل وأما هنا فبمعنى « مرسَل » بفتح السين . «٥» أي لا تأخذه مني اغتصابا .

فَأَرِيني مَوْضِعَ هٰذَا الأَسَدِ . فَانْطَلَقَتِ الأَرْنَبُ إِلى جُبٍّ [1] فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ صَافٍ ، فَاطَّلَعَتْ [2] فِيهِ وقَالَتْ : هٰذَا المَكَانُ ، فَاطَّلَعَ الأَسَدُ ، فَرَأَى ظِلَّهُ وظِلَّ الأَرْنَبِ فِي الماءِ فَلَمْ يَشُكَّ فِي قَوْلِهَا ، ووَثَبَ اليْهِ لِيُقَاتِلَهُ ، فَغَرِقَ فِي الجُبِّ . فَأَقْبَلَتِ [3] الأَرْنَبُ إِلى الْوُحُوشِ فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَنِيعَهَا بِالأَسَدِ .

قالَ كَلِيلَةُ : إِنْ قَدَرْتَ عَلى هَلاكِ الثَّوْرِ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ مَضَرَّةٌ لِلأَسَدِ فَشَأْنُكَ [4] ، فَإِنَّ الثَّوْرَ قَدْ أَضَرَّ بِي وَبِكَ وَبِغَيْرِنا مِنَ الْجُنْدِ . وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلى ذٰلِكَ إِلاَّ بِهَلاكِ الأَسَدِ فَلا تُقْدِمْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ غَدْرٌ مِنِّي وَمِنْكَ . ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ تَرَكَ الدُّخُولَ عَلى الأَسَدِ أَيَّاماً كَثِيرَةً ، ثُمَّ أَتَاهُ عَلى خَلْوَةٍ [5] مِنْهُ . فَقالَ لَهُ الأَسَدُ : ما حَبَسَكَ [6] عَنِّي ، مُنْذُ زَمانٍ لَمْ أَرَكَ ؟ أَلاَ لِخَيْرٍ كانَ انْقِطاعُكَ ؟ قالَ دِمْنَةُ : فَلْيَكُنْ خَيْراً أَيُّها المَلِكُ . قالَ الأَسَدُ : وَهَلْ حَدَثَ أَمْرٌ ؟ قالَ دِمْنَةُ : حَدَثَ ما لَمْ يَكُنِ المَلِكُ يُرِيدُهُ وَلا أَحَدٌ مِنْ جُنْدِهِ . قالَ : وَما ذاكَ ؟ قالَ : كَلامٌ فَظِيعٌ . قالَ : أَخْبِرْنِي بِهِ . قالَ دِمْنَةُ : إِنَّهُ كَلامٌ يَكْرَهُهُ سامِعُهُ ، وَلا يَشْجُعُ [7] عَلَيْهِ قائِلُهُ . وَإِنَّكَ — أَيُّها المَلِكُ — لَذُو فَضِيلَةٍ [8] — وَرَأْيُكَ يَدُلُّكَ عَلى

«١» الجب : البئر ذات الماء الكثير . «٢» نظرت فيه . «٣» رجعت . «٤» اي افعل ما تشاء . «٥» أي في وقت كان فيه الاسد لوحده . «٦» ما منعك وحجبك عني ؟ . «٧» يجرؤ . «٨» صاحب فضل .

أنْ يُوجِعَني أنْ أقولَ ما تكرَهُ[1]، وأثِقُ بكَ أنْ تعرِفَ نُصحي وإيثاري إيّاكَ على نفسي وأنهُ ليعرِضُ لي أنكَ غيرُ مُصدِّقي فيما أُخبِرُكَ بهِ، ولكنّي اذا تذكّرتُ وتفكّرتُ أنَّ نُفوسَنا ــ معاشِرَ[2] الوُحوشِ ــ مُتعلِّقةٌ بكَ لَمْ أجِدْ بُدًّا[3] مِنْ أداءِ الحقِّ الذي يلزَمُني، وانْ أنتَ لَمْ تسألْني وخِفتُ ألاّ تقبَلَ مِنّي. فإنهُ يُقالُ: مَنْ كَتَمَ السُّلطانَ نصيحتَهُ والإخوانَ[4] رأيَهُ فقدْ خانَ نفسَهُ. قالَ الأسدُ: فما ذاكَ؟

قالَ دِمنَةُ: حدّثني الأمينُ الصَّدوقُ[5] عِندي أنَّ شَتْرَبَةَ خلا برؤوسِ[6] جُندِكَ، وقالَ: قدْ خبَرْتُ[7] الأسدَ، وبلَوْتُ رأيَهُ ومَكيدتَهُ وقوّتَهُ، فاستبانَ[8] لي أنَّ ذلِكَ يؤولُ[9] منهُ الى ضعفٍ وعجزٍ، وسيكونُ لي ولَهُ شأنٌ مِنَ الشُّؤونِ[10]. فلمّا بلَغني ذلِكَ علِمتُ أنَّ شَتْرَبَةَ خوّانٌ غدّارٌ، وأنكَ أكرَمتَهُ الكرامةَ كلَّها، وجعلْتَهُ نظيرَ نفسِكَ[11]، وهُوَ يظُنُّ أنهُ مثلُكَ، وأنكَ متى زُلتَ عنْ مكانِكَ صارَ لهُ مُلكُكَ، ولا يدَعُ جُهداً[12] الاّ بلَغَهُ فيكَ. وقدْ كانَ يُقالُ: اذا عرَفَ المَلِكُ مِنَ الرَّجُلِ أنهُ قدْ ساواهُ في المَنزِلةِ والحالِ فلْيصرَعْهُ، فإنْ لَمْ يفعَلْ

«١» اي ان حصافة رأيك تشعرك بانني لا أريد ان أتفوه أمامك بما تكره. «٢» مفعول لفعل محذوف وجوبا تقديره: أخص معاشر الوحوش. «٣» مفراً. «٤» اي من ضن بنصيحته ورأيه على السلطان والاصحاب. «٥» الصادق. «٦» رؤساء. «٧» امتحنته. «٨» ظهر لي. «٩» بمعنى يرجع. «١٠» سيكون بيني وبينه حادثة ما. «١١» شبيه نفسك. «١٢» طاقة.

بِهِ ذٰلِكَ كانَ هُوَ الْمَصْرُوعَ . وَشَتْرَبَةُ أَعْلَمُ بِالأُمورِ وَأَبْلَغُ[1] فيها . وَالْعاقِلُ الَّذي يَحْتالُ لِلأَمْرِ قَبْلَ تَمامِهِ وَوُقُوعِهِ ، فَإِنَّكَ لا تَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ[2] وَلا تَسْتَدْرِكُهُ ، فَإِنَّهُ يُقالُ : الرِّجالُ ثَلاثَةٌ حازِمٌ ، وَأَحْزَمُ مِنْهُ ، وَعاجِزٌ . فَأَحَدُ الْحازِمَيْنِ مَنْ إِذا نَزَلَ بِهِ الأَمْرُ لَمْ يَدْهَشْ لَهُ ، وَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبُهُ شَعاعاً[3] ، وَلَمْ تَعْيَ[4] بِهِ حيلَتُهُ وَمَكيدَتُهُ الَّتي يَرْجُو بِها الْمَخْرَجَ مِنْهُ . وَأَحْزَمُ مِنْ هٰذا الْمُتَقَدِّمِ ذُو الْعُدَّةِ[5] الَّذي يَعْرِفُ الابْتِلاءَ قَبْلَ وُقُوعِهِ فَيُعْظِمُهُ إِعْظاماً وَيَحْتالُ لَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ لَزِمَهُ[6] ، فَيَحْسِمُ الدّاءَ قَبْلَ أَنْ يُبْتَلَى بِهِ ، وَيَدْفَعُ الأَمْرَ قَبْلَ وُقُوعِهِ . وَأَمّا الْعاجِزُ فَهُوَ في تَرَدُّدٍ وَتَمَنٍّ وَتَوانٍ[7] حَتَّى يَهْلِكَ . وَمِنْ أَمْثالِ ذٰلِكَ مَثَلُ السَّمَكاتِ الثَّلاثِ . قالَ الأَسَدُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟

قالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ غَديراً كانَ فيهِ ثَلاثُ سَمَكاتٍ : كَيِّسَةٌ[8] ، وَأَكْيَسُ مِنْها ، وَعاجِزَةٌ . وَكانَ ذٰلِكَ الْغَديرُ بِنَجْوَةٍ[9] مِنَ الأَرْضِ ، لا يَكادُ يَقْرَبُهُ أَحَدٌ ، وَبِقُرْبِهِ نَهْرٌ جارٍ . فَاتَّفَقَ[10] أَنَّهُ اجْتازَ بِذٰلِكَ النَّهْرِ صَيّادانِ ، فَأَبْصَرا الْغَديرَ ، فَتَواعَدا أَنْ يَرْجِعا إِلَيْهِ بِشِباكِهِما ،

«١» أكثر الناس فهما لها . «٢» اي ان العاقل هو الذى يحترس من الامر قبل ان يقع لانه يصعب تلافي خطره بعد وقوعه . «٣» فرقاوخوفا . «٤» تعجز . «٥» الاستعداد «٦» كأنه قد وقع فيه . «٧» تقصير . «٨» حازمة . «٩» النجوة بالفتح : ما ارتفع من الارض . «١٠» صادف .

فَيَصيدا ما فيهِ مِنَ السَّمَكِ ، فَسَمِعَ السَّمَكاتُ الثَّلاثُ قَوْلَهُما : فَأَمَّا أَكْيَسُهُنَّ لَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُما ارْتابَتْ بِهِما ، وَتَخَوَّفَتْ مِنْهُما ، فَلَمْ تُعَرِّجْ[1] عَلى شَيْءٍ حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ الْمَكانِ الَّذي يَدْخُلُ فيهِ الْماءُ مِنَ النَّهْرِ إِلى الْغَديرِ . وَأَمَّا الْكَيِّسَةُ فَإِنَّها مَكَثَتْ مَكانَها حَتَّى جاءَ الصَّيَّادانِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُما وَعَرَفَتْ ما يُريدانِ ذَهَبَتْ لِتَخْرُجَ مِنْ حَيْثُ يَدْخُلُ الْماءُ ، فَإِذا بِهِما قَدْ سَدَّا ذٰلِكَ الْمَكانَ ، فَحينَئِذٍ قالَتْ : فَرَّطْتُ[2] ، وَهٰذِهِ عاقِبَةُ التَّفْريطِ ، فَكَيْفَ الْحيلَةُ عَلى هٰذِهِ الْحالِ ؟ وَقَلَّما[3] تَنْجَحُ حيلَةُ الْعَجَلَةِ وَالإِرْهاقِ . غَيْرَ أَنَّ الْعاقِلَ لا يَقْنَطُ[4] مِنْ مَنافِعِ الرَّأْيِ ، وَلا يَيْأَسُ عَلى حالٍ . وَلا يَدَعُ الرَّأْيَ وَالْجُهْدَ . ثُمَّ إِنَّها تَماوَتَتْ[5] ، فَطَفَتْ عَلى وَجْهِ الْماءِ مُنْقَلِبَةً عَلى ظَهْرِها تارَةً ، وَتارَةً عَلى بَطْنِها ، فَأَخَذَها الصَّيَّادانِ فَوَضَعاها عَلى الأَرْضِ بَيْنَ النَّهْرِ وَالْغَديرِ ، فَوَثَبَتْ إِلى النَّهْرِ فَنَجَتْ . وَأَمَّا الْعاجِزَةُ فَلَمْ تَزَلْ في إِقْبالٍ[6] وَإِدْبارٍ حَتَّى صيدَتْ .

قالَ الأَسَدُ : قَدْ فَهِمْتُ ذٰلِكَ وَلا أَظُنُّ الثَّوْرَ يَغُشُّني ، وَيَرْجو لِيَ الْغَوائِلَ[7] ، وَكَيْفَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ وَلَمْ يَرَ مِنّي سُوءاً قَطُّ ، وَلَمْ أَدَعْ خَيْراً إِلاّ فَعَلْتُهُ مَعَهُ ، وَلا أُمْنِيَّةً إِلاّ بَلَّغْتُهُ إِيّاها ؟ قالَ دِمْنَةُ : إِنَّ اللَّئيمَ

---

(١) فلم تمل الى شيء . (٢) قصّرت . (٣) أي قليلًا ما تنجح الحيلة مع العجلة والتعب . (٤) لا ييأس . (٥) تظاهرت بالموت . (٦) تردد في الرأي والحركة . (٧) الغوائل : الدواهي ، جمع غائلة .

لا يَزالُ نافعاً ناصحاً حَتَّى يُرْفَعَ إلى المَنْزِلَةِ التي لَيْسَ لَها بِأَهْلٍ ، فَإذا بَلَغَها ٱلْتَمَسَ ما فَوْقَها[1] ، وَلا سِيَّما أَهْلُ الخِيانَةِ وَٱلْفُجُورِ ، فَإِنَّ اللَّئيمَ ٱلفاجِرَ لا يَخْدُمُ السُّلْطانَ وَلا يَنْصَحُ لَهُ إلاّ مِنْ فَرَقٍ[2] ، فإذا اسْتَغْنَى وَذَهَبَتِ الهَيْبَةُ عادَ إلى جَوْهَرِهِ[3] ، كَذَنَبِ الكَلْبِ الَّذي يُرْبَطُ لِيَسْتَقيمَ ، فَلا يَزالُ مُسْتَوِياً ما دامَ مَرْبُوطاً ، فَإذا حُلَّ انْحَنَى وَاعْوَجَّ كَما كانَ . وَاعْلَمْ — أَيُّها المَلِكُ — أَنَّهُ : مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ نُصَحائِهِ ما يَثْقُلُ[4] عَلَيْهِ مِمّا يَنْصَحُونَ لَهُ بِهِ لَمْ يُحْمَدْ رَأْيُهُ : كالمَريضِ الَّذي يَدَعُ ما يَبْعَثُ لَهُ الطَّبيبُ وَيَعْمِدُ إلى ما يَشْتَهيهِ . وَحَقٌّ[5] عَلى مُؤازِرِ السُّلْطانِ[6] أَنْ يُبالِغَ في التَّحْضيضِ[7] لَهُ عَلى ما يَزيدُ سُلْطانَهُ قُوَّةً وَيَزينُهُ ، وَٱلْكَفِّ عَمّا يَضُرُّهُ وَيَشينُهُ . وَخَيْرُ الإِخْوانِ وَالأَعْوانِ أَقَلُّهُمْ مُداهَنَةً[8] في النَّصيحَةِ . وَخَيْرُ الأَعْمالِ أَحْلاها عاقِبَةً . وَخَيْرُ النِّساءِ المُوافِقَةُ لِبَعْلِها . وَخَيْرُ الثَّناءِ ما كانَ عَلى أَفْواهِ الأَخْيارِ . وَأَشْرَفُ المُلُوكِ مَنْ لَمْ يُخالِطْهُ بَطَرٌ[9] . وَخَيْرُ الأَخْلاقِ أَعْوَنُها عَلى الوَرَعِ[10] ، وَقَدْ قيلَ لَوْ أَنَّ امْرَأً تَوَسَّدَ[11] النّارَ وَافْتَرَسَ[12] الحَيّاتِ كانَ أَحَقَّ أَلاّ يَهْنِئَهُ[13] النَّوْمُ . وَالرَّجُلُ إذا أَحَسَّ مِنْ صاحِبِهِ

---

(١) طلب ما هو أرفع منهـــا . (٢) خوف . (٣) جوهر الشيء : أصله .
(٤) ما يصعب . (٥) واجب . (٦) مؤازر : معاون . (٧) الحمل على الشيء .
(٨) الداهنة : المراءاة . (٩) استهتار وغرور . (١٠) التقوى . (١١) جعلها كالوسادة .
(١٢) جعلها كالفراش ونامَ فوقها . (١٣) أي يشعر بالهناءة في نومه .

عداوةً يُريدُهُ بها لا يَطْمَئِنُّ إليهِ . وأعجزُ المُلوكِ آخذُهُمْ بالهُوَيْنا[1] ، وأقلُّهُمْ نظراً في مُستقبَلِ الأُمورِ ، وأشبهُهُمْ بالفيلِ الهائجِ الذي لا يَلْتفتُ إلى شيءٍ ، فإنْ حزَبَهُ[2] أمرٌ تهاوَنَ بهِ ، وإنْ أضاعَ الأُمورَ حَمَلَ ذلكَ على قُرنائِهِ[3] . قالَ الأسدُ : لقدْ أغلظْتَ في القولِ . وقولُ الناصحِ مقبولٌ محمولٌ ، وإنْ كانَ شَتْرَبَةُ مُعادِياً لي كما تقولُ فإنَّهُ لا يَستطيعُ لي ضرًّا . وكيفَ يقدرُ على ذلكَ وهوَ آكلُ عُشبٍ وأنا آكلُ لحمٍ ؟! وإنَّما هوَ لي طعامٌ ، وليسَ عليَّ منهُ مخافةٌ . ثمَّ ليسَ إلى الغدرِ بهِ سبيلٌ بعدَ الأمانِ الذي جعلْتُهُ لهُ ، وبعدَ إكرامي لهُ ، وثنائي عليهِ . وإنْ غيَّرْتُ ما كانَ منِّي وبدَّلْتُهُ سفَّهْتُ رأيي ، وجهَّلْتُ نفسي ، وغدرْتُ بذمَّتي . قالَ دِمْنَةُ : لا يغرَّنَّكَ قولُكَ « هوَ لي طعامٌ وليسَ عليَّ منهُ مخافةٌ » فإنَّ شَتْرَبَةَ إنْ لمْ يستطعْكَ[4] بنفسِهِ احتالَ لكَ منْ قِبَلِ غيرِهِ . ويُقالُ : إنِ اسْتَضافَكَ[5] ضيفٌ ساعةً منْ نهارٍ وأنتَ لا تعرفُ أخلاقَهُ فلا تأمَنْهُ على نفسِكَ ، ولا تأمَنْ أنْ يَصِلَكَ منهُ أو بسببِهِ ما أصابَ القَمْلَةَ منَ البُرغوثِ . قالَ الأسدُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟! قالَ دِمْنَةُ :

---

(١) آخذهم بالهوينا : أكثرهم أخذاً بالرفق واللين . (٢) أصابه واشتد عليه .
(٣) جمع قرين وهو الصاحب . (٤) أي وان لم يستطع التغلب عليك بقوته .
(٥) نزل في ضيافتك .

زَعَموا أنَّ قَمْلَةً لَزِمَتْ فِراشَ رَجُلٍ مِنَ الأَغْنِياءِ دَهْراً ، فَكانَتْ تُصيبُ مِنْ دَمِهِ وَهُوَ نائِمٌ لا يَشْعُرُ ، وَتَدَبُّ دَبيباً[1] رَفيقاً ، فَمَكَثَتْ كَذٰلِكَ حيناً ، حَتَّى اسْتَضافَها لَيْلَةً مِنَ اللَّيالي بُرْغُوثٌ فَقالَتْ لَهُ : بِتِ اللَّيْلَةَ عِنْدَنا في دَمٍ طَيِّبٍ وَفِراشٍ لَيِّنٍ . فَأَقامَ ٱلْبُرْغُوثُ عِنْدَها ، حَتَّى إذا آوَى الرَّجُلُ إلى فِراشِهِ وَثَبَ عَلَيْهِ ٱلْبُرْغُوثُ فَلَدَغَهُ لَدْغَةً أَيْقَظَتْهُ ، وَأَطارَتْ النَّوْمَ عَنْهُ . فَقامَ الرَّجُلُ وَأَمَرَ أَنْ يُفَتَّشَ فِراشُهُ ، فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ إلاَّ ٱلْقَمْلَةَ ، فَأُخِذَتْ فَقُصِعَتْ[2] وَفَرَّ ٱلْبُرْغُوثُ . وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ صاحِبَ الشَّرِّ لا يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهِ أَحَدٌ . وَإِنْ هُوَ ضَعُفَ عَنْ ذٰلِكَ جاءَ الشَّرُّ بِسَبَبِهِ . وَإِنْ كُنْتَ لا تَخافُ مِنْ شَتْرَبَةَ فَخَفْ غَيْرَهُ مِنْ جُنْدِكَ الَّذينَ قَدْ حَمَلَهُمْ عَلَيْكَ[3] وَعَلى عَداوَتِكَ . فَوَقَعَ في نَفْسِ الأَسَدِ كَلامُ دِمْنَةَ . فَقالَ : ما الَّذي تَرَى إذاً ؟ وَبِماذا تُشيرُ ؟ قالَ دِمْنَةُ : إنَّ الضِّرْسَ الْمَكْسُورَ الْمَأْكُولَ لا يَزالُ صاحِبُهُ مِنْهُ في أَلَمٍ وَأَذًى حَتَّى يُفارِقَهُ . وَالطَّعامُ الَّذي قَدْ غَثَتْ[4] النَّفْسُ عَنْهُ وَتَقَلْقَلَتْ مِنْهُ ، الرَّاحَةُ في قَذْفِهِ[5] . وَٱلْعَدُوُّ الْمَخُوفُ دَواؤُهُ قَتْلُهُ . قالَ الأَسَدُ : لَقَدْ تَرَكْتَني أَكْرَهُ مُجاوَرَةَ شَتْرَبَةَ إيَّايَ ، وَأَنا مُرْسِلٌ إلَيْهِ ، وَذاكِرٌ لَهُ ما وَقَعَ[6]

---

(١) وتدخل دخولاً لطيفاً . (٢) من القصع وهو قتل القملة بالظفر . (٣) أي أوغر صدرهم وأثار حقدهم عليك . (٤) تقززت . (٥) أي إنما تكون الراحة من هذا النوع من الطعام بطرحه . (٦) أي اصارحه بما خالج نفسي من ظنون فيه بعد الذي سمعت .

في نَفْسي مِنْهُ ، ثُمَّ آمُرُهُ باللَّحاقِ حَيْثُ أَحَبَّ ، فَكَرِهَ دِمْنَةُ ذٰلِكَ ، وَعَلِمَ أَنَّ الأَسَدَ مَتَى كَلَّمَ شَتْرَبَةَ في ذٰلِكَ وَسَمِعَ مِنْهُ جواباً عَرَفَ باطِلَ ما أُتِيَ بِهِ ، وَاطَّلَعَ عَلى غَدْرِهِ وَكَذِبِهِ ، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَقالَ لِلأَسَدِ أَمَّا إِرْسالُكَ إِلى شَتْرَبَةَ فَلا أَراهُ لَكَ رَأْياً وَلا حَزْماً . فَلْيَنْظُرِ الْمَلِكُ في ذٰلِكَ ، فَإِنَّ شَتْرَبَةَ مَتَى شَعَرَ بِهٰذا الأَمْرِ خِفْتُ أَنْ يُعاجِلَ الْمَلِكَ بِالْمُكابَرَةِ[1] . وَهُوَ إِنْ قاتَلَكَ قاتَلَكَ مُسْتَعِدًّا ، وَإِنْ فارَقَكَ فارَقَكَ فِراقاً يَليكَ[2] مِنْهُ النَّقْصُ . وَيَلْزَمُكَ مِنْهُ الْعارُ . مَعَ أَنَّ ذَوي الرَّأْيِ مِنَ الْمُلُوكِ لا يُعْلِنُونَ عُقُوبَةَ مَنْ لَمْ يُعْلِنْ ذَنْبَهُ . وَلٰكِنْ لِكُلِّ ذَنْبٍ عِنْدَهُمْ عُقُوبَةٌ : فَلِذَنْبِ الْعَلانِيَةِ عُقُوبَةُ الْعَلانِيَةِ ، وَلِذَنْبِ السِّرِّ عُقُوبَةُ السِّرِّ . قالَ الأَسَدُ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذا عاقَبَ أَحَداً عَنْ ظِنَّةٍ[3] ظَنَّها مِنْ غَيْرِ تَيَقُّنٍ بِجُرْمِهِ فَنَفْسُهُ عاقَبَ ، وَإِيَّاها ظَلَمَ . قالَ دِمْنَةُ : أَمَّا إِذا كانَ هٰذا رَأْيَ الْمَلِكِ فَلا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ شَتْرَبَةُ إِلاَّ وَأَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لَهُ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُصيبَكَ مِنْهُ غِرَّةٌ[4] أَوْ غَفْلَةٌ ، فَإِنِّي لا أَحْسَبُ[5] الْمَلِكَ حينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلاَّ سَيَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ بِعَظيمَةٍ[6] . وَمِنْ عَلاماتِ ذٰلِكَ أَنَّكَ تَرَى لَوْنَهُ مُتَغَيِّراً ، وَتَرَى أَوْصالَهُ[7] تُرْعَدُ ، وَتَراهُ مُلْتَفِتاً يَميناً وَشِمالاً ، وَتَراهُ

---

(١) المعاندة . (٢) يلحقك . (٣) تهمة . (٤) الغرة : الغفلة . (٥) لا أظنُّ
(٦) أي بفعلة شنعاء . (٧) الأوصال : الاعضاء أو المفاصل : جمع وصل بكسر الواو .

يَهُزُّ قَرْنَيْهِ : فِعْلَ الَّذي هَمَّ بِالنِّطاحِ وَالْقِتالِ . قالَ الأَسَدُ : سَأَكُونُ مِنْهُ عَلى حَذَرٍ ، وَإِنْ رَأَيْتُ مِنْهُ ما يَدُلُّ عَلى ما ذَكَرْتَ عَلِمْتُ أَنَّ ما في أَمْرِهِ شَكٌّ .

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ حَمْلِ الأَسَدِ عَلى الثَّوْرِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ في نَفْسِهِ مَا كانَ يَلْتَمِسُ[1] ، وأَنَّ الأَسَدَ سَيَتَحَذَّرُ الثَّوْرَ وَيَتَهَيَّأُ لَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ الثَّورَ لِيُغْرِيَهُ[2] بالأَسَدِ ، وأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِتْيانُهُ[3] مِنْ قِبَلِ الأَسَدِ مَخافَةَ أَنْ يَبلُغَهُ ذلِكَ فَيَتَأَذّى بِهِ . فقالَ : أَيُّها المَلِكُ ، أَلا آتِي شَتْرَبَةَ فَأَنظُرَ إِلى حالِهِ وأَمْرِهِ واسْمَعَ كَلامَهُ، لَعَلِّي أَطَّلِعُ عَلى سِرِّهِ فَأُطْلِعَ المَلِكَ على ذَلِكَ وعَلى ما يَظْهَرُ لي مِنْهُ. فَأَذِنَ لَهُ الأَسَدُ في ذَلِكَ، فَانْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلى شَتْرَبَةَ كالكَئِيبِ الحَزِينِ ، فَلَمَّا رآهُ الثَّوْرُ رَحَّبَ بِهِ وقالَ : مَا كانَ سَبَبُ انْقِطاعِكَ عَنِّي[4] ، فَإِنِّي لَمْ أَرَكَ مُنْذُ أَيّامٍ ، ولَعَلَّكَ في سَلامَةٍ ، قالَ دِمْنَةُ : ومَتى كانَ مِنْ أَهْلِ السَّلامَةِ مَنْ لا يَمْلِكُ نَفْسَهُ ، وأَمْرُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ مِمَّنْ لا يُوثَقُ بِهِ ، ولا يَنْفَكُّ عَلى خَطَرٍ وَخَوْفٍ حَتَّى مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ وَيَأْمَنُ فيها عَلى نَفْسِهِ ! قالَ شَتْرَبَةُ : وَمَا الَّذي حَدَثَ ؟ قالَ

---

(١) أي تيقن بأنه استطاع أن يقنع الأسد بما يريده . (٢) ليهيجه عليه .
(٣) أي أحب أن يكون ذهابه الى مشتربة بإذن الاسد وعلمه . (٤) يجوز أن تكون (كان) زائدة وما مبتدأ وسبب خبره ويجوز أن تكون ناقصة واسمها يعود على (ما) وسبب خبرها .

دِمْنَةُ : حَدَثَ مَاقُدِّرَ وهُوَ كائِنٌ . ومَنْ ذَا الَّذي غَالَبَ القَدَرَ ؟ ومَنْ ذَا الَّذي بَلَغَ مِنَ الدُّنيا جَسيمـــاً مِن الأُمُورِ فَلَمْ يَبْطَرْ[1] ؟ ومَنْ ذَا الَّذي بَلَغَ مُناهُ[2] فَلَمْ يَغْتَرَّ ؟ ومَنْ ذَا الَّذي تَبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ يَخْسَرْ ؟ ومَنْ ذَا الَّذي طَلَبَ مِنَ اللِّئَامِ فَلَمْ يُحْرَمْ ؟ ومَن ذَا الَّذي خَـــالَطَ الأَشْرَارَ فَسَلِمَ ؟ ومَنْ ذَا الَّذي صَحِبَ السُّلْطَانَ فَدَامَ لَهُ مِنْهُ الأَمْنُ والاحْسَانُ ؟ قَالَ شَتْرَبَةُ : إِنِّي اسمَعُ مِنْكَ كَلاماً يَدُلُّ عَلى أَنَّهُ قَدْ رَابَكَ[3] مِنَ الأَسَدِ رِيْبُ وهَالَكَ[4] مِنْهُ أَمْرٌ قَالَ دِمْنَةُ : اجَلْ[5]، لَقَدْ رَابَنِي مِنْهُ ذلكَ ، وليْسَ هُوَ فِي أَمْرِ[6] نَفْسِي . قَالَ شَتْرَبَةُ : فَفِي نَفْسِ مَنْ رَابَكَ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ تَعْلَمُ مَا بَيْنِي وبَيْنَكَ ، وتَعْلَمُ حَقُّكَ عَلَيَّ ، ومَا كُنْتُ جَعَلْتُ لَكَ مِنَ العَهْدِ والمِيثاقِ أَيَّامَ أَرْسَلَنِي الأَسَدُ إِلَيْكَ ، فَلَمْ أَجِدْ بُداً مِنْ حِفْظِكَ وإِطْلاعِكَ عَلى مَا اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ . قَالَ شَتْرَبَةُ : وَمَا الَّذي بَلَغَكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَنِي الخَبِيرُ الصَّدُوقُ الَّذي لامِرِيَةَ[7] فِي قَوْلِهِ أَنَّ الأَسَدَ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وجُلَسَائِهِ: قَدْ أَعْجَبَنِي

---

(١) يقال : بطر فلان كفرح : أخذته دهشة وحيرة عند هجوم النعمة فلم يقم بحقها ، أو طغى بالنعمة . (٢) ما يتمناه . (٣) أحدث في نفسك ريبـــة وشكاً . (٤) هاله الأمر يهوله : أفزعه وعظم عليه (٥) أجل : حرف جواب بمعنى نعم فمعناه التصديق إن وقع بعد الماضي ، والوعد ان وقع بعـد المستقبل . (٦) أي ليست الريبة لسبب يخصني وإنما يخص غيري . (٧) المرية بالكسر وتضم : الشك والجدل

سِمْنُ الثَّورِ ، وليْسَ لِي إلى حَيَاتِهِ حَاجَةٌ . فَأَنَا آكِلُهُ ومُطْعِمُ أَصْحَابِي مِنْ لَحْمِهِ . فَلَمَّا بَلَغَنِي هٰذَا القَوْلُ وعَرَفْتُ غَدْرَهُ ونَقْضَ عَهْدِهِ أَقْبَلْتُ إليْكَ لأَقْضِيَ حَقَّكَ ، وتَحْتَالَ أَنْتَ[1] لأَمْرِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ شَتْرُبَةُ كلامَ دِمْنَةَ وتَذَكَّرَ مَا كانَ دِمْنَةُ جَعَلَ لَهُ مِنَ العَهْدِ والمِيثَاقِ وفَكَّرَ في أَمْرِ الأَسَدِ ، ظَنَّ أَنَّ دِمْنَةَ قَدْ صَدَقَهُ ونَصَحَ لَهُ ، ورَأَى أَنَّ الأَمْرَ شَبِيهٌ بِمَا قَالَ دِمْنَةُ ، فأَهَمَّهُ ذٰلِكَ وقَالَ : مَا كانَ للأَسَدِ أَنْ يَغْدُرَ بِي ولَمْ آتِ إليْهِ ذَنْباً ، ولا إلى أَحَدٍ مِنْ جُنْدِهِ مُنْذُ صَحِبْتُهُ ، ولا أَظُنُّ الأَسَدَ إلاَّ قَدْ حُمِلَ عَلَيَّ بالكَذِبِ[2] وشُبِّهَ عَلَيْهِ أَمْرِي[3] ، فإنَّ الأَسَدَ قَدْ صَحِبَهُ قَوْمُ سُوءٍ ، وَجَرَّبَ مِنْهُمُ الكَذِبَ وأُمُوراً تُصَدِّقُ عِنْدَهُ مَا بَلَغَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ . فَإِنَّ صُحْبَةَ الأَشْرَارِ رُبَّمَا أَوْرَثَتْ صَاحِبَهَا سُوءَ ظَنٍّ بالأَخْيَارِ ، وحَمَلَتْهُ تَجْرِبَتُهُ عَلَى الخَطَإِ ، كَخَطَإِ البَطَّةِ التي زَعَمُوا أَنَّهَا رأَتْ في المَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً ، فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا ، فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذٰلِكَ مِرَاراً عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ ، فَتَرَكَتْهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْ غَدِ ذٰلِكَ اليَوْمِ سَمَكَةً فَظَنَّتْ أَنَّهَا مِثْلَ الَّذي رأَتْهُ بالأَمْسِ فَتَرَكَتْهَا ولَمْ تَطْلُبْ صَيْدَهَا . فَإِنْ كانَ الأَسَدُ بَلَغَهُ عَنِّي كَذِبٌ فَصَدَّقَهُ عَلَيَّ وسَمِعَهُ

---

(١) أي تفكر في خلاص نفسك . (٢) أي حمل عليّ وأوغر صدره بسبب كذب افتري عليّ . (٣) شبه عليه الامر . بالبناء المجهول . اشتبه عليه والتبس بغيره .

فِيَّ ، فَما جَرَى عَلى غَيْرِي يَجْري عَلَيَّ ، وإنْ كَانَ لَمْ يَبْلُغْهُ شَيءٌ وارَادَ السُّوءَ بِي مِنْ غَيْرِ[1] عِلَّةٍ فَإنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ اعْجَبِ الأُمُورِ . وقَدْ كَانَ يُقَالُ : إنَّ مِنَ العَجَبِ انْ يَطْلُبَ الرَّجُلُ رِضاءَ صَاحِبِهِ ولا يَرْضَى ، واعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ انْ يَلْتَمِسَ رِضَاهُ فَيَسْخَطَ ، فَإذَا كانَتِ المَوْجِدَةُ[2] عَنْ عِلَّةٍ كانَ الرِّضاءُ مَوْجُوداً ، والعَفْوُ مأْمُولاً . وإذَا كانَتْ عَنْ غَيرِ عِلَّةٍ انقَطَعَ الرَّجاءُ ، لأَنَّ العِلَّةَ إذَا كانَتِ المَوْجِدَةُ في وُرُودِهَا كانَ الرِّضاءُ مَأْمُولاً في صُدُورِهَا[3] .

قَدْ نَظَرْتُ فَلا اعْلَمُ بَيْني وبَيْنَ الأَسَدِ جُرْماً ولا صَغيرَ ذَنْبٍ ولا كَبِيرَهُ . ولَعَمْرِي[4] مَا يَسْتَطِيعُ أَحدٌ أَطَالَ صُحْبَةَ صَاحِبٍ أَن يَحْتَرِسَ في كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، ولا أَنْ يَتَحَفَّظَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ صَغِيرَةٌ أَوْ كَبِيرَةٌ يَكْرَهُهَا صَاحِبُهُ . ولٰكِنَّ الرَّجُلَ ذَا العَقْلِ وذَا الوَفَاءِ إذَا سَقَطَ عِنْدَهُ صَاحِبُهُ سَقْطَةً[4] نَظَرَ فِيهَا وعَرَفَ قَدْرَ مَبْلَغِ خَطِئِهِ عَمْداً كانَ أَوْ خَطَأً . ثُمَّ يَنْظُرُ : هَلْ في الصَّفْحِ عَنْهُ أَمْرٌ يُخَافُ ضَرَرُهُ وشَيْنُهُ فَلا يُؤاخِذُ صَاحِبَهُ بِشَيءٍ يَجِدُ فِيهِ إلى الصَّفْحِ عَنْهُ سَبِيلاً ؟ . فإنْ كان

---

(١) من غير سبب . (٢) أصل الورود: ورود الماء . والصدور : الرجوع عنه . أي اذا كان هذا الموقف من الأسد نحوي لسبب أغضبه فيمكن أن يزول هذا الغضب بإزالة السبب .. (٣) الغضب (٤) تركيب يفيد القسم . (٥) أي اذا وقع منه خطأ مع صاحبه .

الأَسَدُ قد اعْتَقَدَ عليَّ ذَنْباً فلَسْتُ أَعلَمُهُ إلاَّ أَنِّي خالفْتُهُ في بَعْضِ رأْيِهِ نَصيحةً لَهُ ، فَعَساهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَنْزَلَ أَمْرِي[1] على الْجُرأَةِ عَلَيْهِ والمُخالفةِ لَهُ ، ولا أَجِدُ لي في هٰذا المحضرِ[2] إثْماً ما[3] ، لانِّي لَمْ أُخالِفْهُ في شَيْءٍ إلاَّ ماقَدْ نَدِمَ[4] مِنْ مُخالَفَةِ الرُّشْدِ والمَنْفَعَةِ والدِّينِ ، ولَمْ أُجاهِرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ عَلى رؤوسِ جُنْدِهِ وعِنْدَ أَصْحابِه . ولٰكِنِّي كُنْتُ أَخْلُوبِهِ وأُكَلِّمُهُ سِراً كلامَ الهائِبِ[5] المُوَقِّر ، وعَلِمْتُ أَنَّهُ مَنِ التَمَسَ الرُّخَصَ[6] مِنَ الإِخْوانِ عِنْدَ المُشاوَرَةِ ، وَمِنَ الأَطِبَّاءِ عِنْدَ المَرَضِ ، ومِنَ الفُقَهاءِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ أَخْطَأَ مَنافِعَ الرَّأْيِ ، وازْدادَ فيما وقَعَ فيهِ مِنْ ذٰلِكَ تَوَرُّطاً[7] وحَمْلَ الوِزْرِ[8] . وإنْ لَمْ يَكُنْ هٰذا فَعَسى أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ مِنْ بَعْضِ سَكَراتِ السُّلْطانِ . فَإِنَّ مُصاحَبَةَ السُّلْطانِ خَطِرَةٌ وإنْ صُوحِبَ بالسَّلامَةِ والثِّقَةِ والمَوَدَّةِ وحُسْنِ الصُّحْبَةِ . وأَنْ لَمْ يَكُنْ[9] هٰذا فَبَعْضُ ما أُتِيتُ

---

(١) أي يمكن أن يكون عدّ نصيحتي له نوعاً من التجرؤ عليه والمخالفة له .
(٢) المشهد ، السجل ، والجمع محاضر ، والمحضر أيضاً القوم الحاضرون . (٣) (ما) هنا : نكرة ناقصة وتسمى الابهامية ومعناها : أي شيء ، وهنا معناها إثماً أي إثم . (٤) قلّ .
(٥) المتهيب . (٦) الرخص : جمع رخصة وهي اليسر والسهولة ، وفي الشروع ما أقيم على أعذار العباد . (٧) التورط : الدخول في الورطة وهي الهلاك . (٨) الاثم .
(٩) أي وأن لم يكن غضبه عليّ سبب ما تقدم فبسبب بعض ما أوتيت من الفضل الخ .

مِنَ الفَضْلِ قَدْ جُعِلَ لِي فيهِ الهَلاكُ [1] . وإنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا ولا هٰذَا فَهُوَ إذاً مِنْ مَوَاقِعِ القَضَاءِ والقَدَرِ الَّذي لا يُدْفَعُ . والقَدَرُ هُوَ الَّذي يَسْلُبُ الأَسَدَ قُوَّتَهُ وشِدَّتَهُ ويُدْخِلُهُ القَبْرَ وهُوَ الَّذي يَحْمِلُ الرَّجُلَ الضَّعِيفَ عَلى ظَهْرِ الفِيلِ الهَائِجِ . وهُوَ الَّذي يُسَلِّطُ على الحَيَّةِ ذَاتِ الحُمَةِ مَنْ يَنْزَعُ حُمَتَهَا ويَلْعَبُ بِهَا . وهُوَ الَّذي يَجْعَلُ العَاجِزَ حَازِماً ، ويُثَبِّطُ [3] الشَّهْمَ ، ويُوَسِّعُ عَلى المُقْتِرِ [4] ، ويُشَجِّعُ الجَبَانَ ، ويَجْبُنُ الشُّجَاعَ عِنْدَمَا تَعْتَرِيهِ المَقَادِيرُ مِنَ العِلَلِ التي وُضِعَتْ عَلَيْهَا الأَقْدَارُ .

قَالَ دِمْنَةُ : إنَّ إرَادَةَ الأَسَدِ بِكَ لَيْسَتْ مِنْ تَحْمِيلِ [5] الأَشْرَارِ ولا سَكْرَةِ السُّلْطَانِ ولا غَيرِ ذلِكَ ، ولٰكِنَّهَا الغَدْرُ والفُجُورُ مِنْهُ [6] ، فَإِنَّهُ فَاجِرٌ خَوَّانٌ غَدَّارٌ ، لِطَعَامِهِ حَلاوَةٌ ، وآخِرُهُ سُمٌّ مُمِيتٌ . قَالَ شَتْرَبَةُ : فَأَرَانِي [7] قَدِ اسْتَلْذَذْتُ الحَلاوَةَ إذْ ذُقْتُهَا ، وقَدْ انْتَهَيْتُ إلى آخِرِهَا الَّذي هُوَ المَوْتُ . ولَوْلا الحَيْنُ [6] مَا كَانَ مُقَامِي عِنْدَ الأَسَدِ ، وهُوَ آكِلُ لَحْمٍ وأَنَا آكِلُ عُشْبٍ . فَأَنَا في هٰذِهِ الوَرْطَةِ كَالنَّحْلَةِ [8] التي تَجْلِسُ على

---

(١) بسبب حسد الآخرين وغيرتهم . (٢) السم أو يقصد الناب الذي تعض به الحية فيسري السم فيما جرحه . (٣) يقترق همته . (٤) المقتر الفقير . (٥) تحامل . (٦) الفجور الانبعاث في المعاصي (٧) فأراني على صيغة المبنى للمجهول بمعنى : أظنني . (٨) أي لولا أن اجلي قدحان .

نَوْرِ [1] النِّيلوفَرِ [2] إذْ تَسْتَلِذُّ ريحَهُ وطَعْمَهُ ، فَتَحْبِسُها تِلْكَ اللَّذةُ ، فَإذَا جَاءَ اللَّيْلُ يَنْضَمُّ عَلَيْهَا ، فَتَلِجُ فِيهِ وتَمُوتُ . ومَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِالكَفَافِ [3] الَّذِي يُغْنِيهِ ، وطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إلى مَا سِوَى ذلِكَ [4] ولَمْ يَتَخَوَّفْ عَاقِبَتَهَا كانَ كالذُّبابِ الَّذي لا يَرْضَى بِالشَّجَرَةِ والرَّيَاحِينِ ، ولا يُقْنِعُهُ ذلِكَ حَتَّى يَطْلُبَ المَاءَ الَّذي يَسِيلُ مِنْ أُذُنِ الفِيلِ ، فَيَضْرِبُهُ الفِيلُ بِأُذُنَيْهِ فَيُهْلِكُهُ ، ومَنْ يَبْذُلْ وُدَّهُ ونَصِيحَتَهُ لِمَنْ لا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ يَبْذُرُ في السِّبَاخِ [5] . ومَنْ يُشِرْ عَلى المُعْجَبِ [6] فَهُوَ كَمَنْ يُشَاوِرُ المَيِّتَ أو يُسَارُّ الأَصَمَّ [7] . قَالَ دِمْنَةُ : دَعْ عَنْكَ هٰذَا الكَلامَ واحْتَلْ لِنَفْسِكَ . قَالَ شَتْرَبَةُ : بأَيِّ شَيْءٍ أَحْتَالُ لِنَفْسِي إذَا أَرَادَ الأَسَدُ أَكْلِي مَعَ مَا عَرَّفْتَنِي مِنْ رَأْيِ الأَسَدِ وسُوءِ أَخْلاقِهِ ؟ واعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرِدْ بِي إلاَّ خَيْراً ثُمَّ أَرَادَ أَصْحَابُهُ بِمَكْرِهِمْ وفُجُورِهِمْ هَلاكِي لَقَدَرُوا عَلى ذلِكَ

---

(١) النور : زهر الشجر . (٢) النيلوفر بفتح النون وكسرها وتبدل لامه نوناً : من النباتات التي تنبت في المياه الراكدة له أصل يشبه أصل الجزر وساقه ملساء ، أما طوله فبحسب عمق الماء لأنه لا يورق تحت سطحه فاذا ماطال وساوى سطحه أورق وأزهر ورقه عريض يقرب من الدائرة . وأما زهره فمتسع له رونق وجمال . ولفظه ليس بعربي . (٣) القليل . (٤) طمح بصره الى الشيء كقطع طمحاً وطموحاً وطماحاً بالكسر : ارتفع نظره شديداً . (٥) السباخ من الارض : ما لم يحرث ولم يعمر لما فيه من النز والملح (٦) اعجب الرجل (مبنياً للمجهول) بنفسه وبما عنده زها واستكبر وكان ذا عجب بالضم . (٧) الاصم : ذو الصمم وهو الذي لا يسمع . وسارّه : ناجاه .

فَإِنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ الْمَكَرَةُ[1] الظَّلَمَةُ عَلَى الْبَرِيءِ الصَّحِيحِ كَانُوا خُلَقَاءَ أَنْ يُهْلِكُوهُ وَإِنْ كَانُوا ضُعَفَاءَ وَهُوَ قَوِيٌّ : كَمَا أَهْلَكَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى الْجَمَلَ حِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْخِيَانَةِ. قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

قَالَ شَتْرَبَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَداً كَانَ فِي أَجَمَةٍ مُجَاوِرَةٍ لِطَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ النَّاسِ ، وَكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ ، وَغُرَابٌ ، وَابْنُ آوَى ، وَأَنَّ رُعَاةً مَرُّوا بِذَلِكَ الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جِمَالٌ ، فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجَمَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَوْضِعِ كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ. قَالَ : تُقِيمُ عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخِصْبِ . فَأَقَامَ الْأَسَدُ وَالْجَمَلُ مَعَهُ زَمَناً طَوِيلاً . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِطَلَبِ الصَّيْدِ، فَلَقِيَ فِيلاً عَظِيماً ، فَقَاتَلَهُ قِتَالاً شَدِيداً ، وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلاً مُثْخَناً بِالْجِرَاحِ[2] يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ ، وَقَدْ خَدَشَهُ الْفِيلُ بِأَنْيَابِهِ[3] فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَانِهِ وَقَعَ لَا يَسْتَطِيعُ حَرَاكاً وَلَا يَقْدِرُ عَلَى طَلَبِ الصَّيْدِ. فَلَبِثَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى أَيَّاماً لَا يَجِدُونَ طَعَاماً ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ

---

(١) جمع ماكر : الخادع . (٢) مثقلا بمعنى ثقيلا من كثرة ماأصابه . ويقال : أثخنته الجراحة : أوهنته وأضعفته (٣) الانياب : جمع ناب (مؤنثاً)هى السن خلف الرباعية وكذلك يجمع على أنيب ونيوب وأنابيب .

الأَسَدِ وَطعامِه ، فَأَصابَهُمْ جُوعٌ شَديدٌ وَهُزالٌ وَعَرَفَ الأَسَدُ ذٰلِكَ مِنْهُمْ ، فَقالَ : لَقَدْ جَهِدْتُمْ[1] وَاحْتَجْتُمْ إِلى ما تَأْكُلُونَ . فَقالُوا : لا تَهُمَّنا أَنْفُسُنا ، لٰكِنَّا نَرَى المَلِكَ عَلى ما نَراهُ ، فَلَيْتَنا نَجِدُ ما يَأْكُلُهُ وَيُصْلِحُهُ . قالَ الأَسَدُ : ما أَشُكُّ في نَصيحَتِكُمْ ، وَلٰكِنِ انْتَشِرُوا لَعَلَّكُمْ تُصيبُونَ صَيْداً تَأْتُوني بِهِ ، فَيُصيبَني وَيُصيبَكُمْ مِنْهُ رِزْقٌ فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالغُرابُ وَابْنُ آوىٰ مِنْ عِنْدِ الأَسَدِ ، فَتَنَحَّوْا ناحِيَةً ، وَتَشاوَرُوا فيما بَيْنَهُمْ ، وَقالُوا : ما لَنا وَلِهٰذا الآكِلِ العُشْبِ الَّذي لَيْسَ شَأْنُهُ[2] مِنْ شَأْنِنا ! وَلا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنا ! أَلا نُزَيِّنُ لِلأَسَدِ فَيَأْكُلَهُ ، وَيُطْعِمَنا مِنْ لَحْمِهِ ؟ قالَ ابْنُ آوىٰ : هٰذا مِمّا لا نَسْتَطيعُ ذِكْرَهُ لِلأَسَدِ ، لِأَنَّهُ قَدْ أَمَّنَ الجَمَلَ ، وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ عَهْداً . قالَ الغُرابُ : أَنا أَكْفيكُمْ أَمْرَ الأَسَدِ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلى الأَسَدِ ، فَقالَ لَهُ الأَسَدُ : هَلْ أَصَبْتَ شَيْئاً ؟ قالَ الغُرابُ : إِنَّما يُصيبُ مَنْ يَسْعى وَيُبْصِرُ . وَأَمّا نَحْنُ فَلا سَعْيَ لَنا وَلا بَصَرَ لِما بِنا مِنَ الجُوعِ . وَلٰكِنْ قَدْ وُفِّقْنا لِرَأْيٍ وَاجْتَمَعْنا عَلَيْهِ ، وَإِنْ وافَقَنا المَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجيبُونَ . قالَ الأَسَدُ : وَما ذاكَ ؟ قالَ الغُرابُ : هٰذا الجَمَلُ آكِلُ العُشْبِ ، المُتَمَرِّغُ بَيْنَنا مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ

---

(١) يقال جهد كسمع جهداً : نكد واشتد ، ويقال جهد بالبناء للمفعول : غم ومنه قولهم ، (أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهداً شديداً) . (٢) أي ليس من فصيلتنا أكلة اللحوم .

لَنا مِنْهُ ، وَلا رَدَّ عائِدَةٍ[1] ، وَلا عَمَلٍ يُعْقِبُ مَصْلَحَةً . فَلَمّا سَمِعَ الأَسَدُ ذٰلِكَ غَضِبَ ، وَقالَ : ما أَخْطَأَ رَأْيَكَ ! وَما أَعْجَزَ مَقالَكَ وَأَبْعَدَكَ مِنَ الْوَفاءِ وَالرَّحْمَةِ ! وَما كُنْتَ حَقيقاً أَنْ تَجْتَرِىءَ عَلَيَّ بِهٰذِهِ الْمَقالَةِ ، وَتَسْتَقْبِلَني بِهٰذا الْخِطابِ ، مَعَ ما عَلِمْتَ مِنْ أَنّي قَدْ أَمَّنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ ذِمَّتي[2] . أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ ! أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْراً مِمَّنْ آمَنَ نَفْساً خائِفَةً وَحَقَنَ دَماً مُهْدَراً ! وَقَدْ آمَنْتُهُ وَلَسْتُ بِغادِرٍ بِهِ . قالَ الْغُرابُ : إِنّي لَأَعْرِفُ ما يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلٰكِنَّ النَّفْسَ الْواحِدَةَ يُفْتَدى بِها أَهْلُ الْبَيْتِ[3] ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ تُفْتَدى بِهِمُ الْقَبيلَةُ ، وَالْقَبيلَةُ يُفْتَدى بِها أَهْلُ الْمِصْرِ فِداءُ الْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِالْمَلِكِ الْحاجَةُ . وَأَنا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجاً عَلى أَلّا يَتَكَلَّفَ الْمَلِكُ ذٰلِكَ[4] وَلا يَلِيَهُ بِنَفْسِهِ ، وَلا يَأْمُرَ بِهِ أَحَداً ، وَلٰكِنّا نَحْتالُ بِحيلَةٍ لَنا وَلَهُ[5] فيها إِصْلاحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ الأَسَدُ عَنْ جَوابِ الْغُرابِ عَنْ هٰذا الْخِطابِ ، فَلَمّا عَرَفَ الْغُرابُ إِقْرارَ[6] الأَسَدِ أَتى أَصْحابَهُ ، فَقالَ لَهُمْ: قَدْ كَلَّمْتُ الأَسَدَ في أَكْلِهِ الْجَمَلَ عَلى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ عِنْدَ الأَسَدِ،

---

(١) أي ولا رد مصيبة . (٢) أي جعلت له عهداً من ذمتي فحذف المفعول للعلم به . (٣) أي تجعل لهم فداء يتخلصوا به من الهلاك . (٤) أي انا اكفيه مؤونة التملص من هذا العهد بدون أن يجد حرجاً في ذلك أو يباشر الغاءه بنفسه . (٥) الضمير هنا يعود الى الملك لا الجمل . (٦) موافقته على رأي الغراب .

فَنَذْكُرَ ما أَصابَهُ ، وَنَتَوَجَّعَ لَهُ اهْتِماماً مِنَّا بِأَمْرِهِ ، وَحِرْصاً عَلى صَلاحِهِ ، وَيَعْرِضُ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ تَجَمُّلاً[1] لِيَأْكُلَهُ ، فَيَرُدُّ الآخَرانِ عَلَيْهِ ، وَيُسَفِّهانِ رَأْيَهُ ، وَيُبَيِّنانِ الضَّرَرَ في أَكْلِهِ . فَإِذا فَعَلْنا ذٰلِكَ سَلِمْنا كُلُّنا ، وَرَضِيَ الأَسَدُ عَنَّا فَفَعَلُوا ذٰلِكَ ، وَتَقَدَّمُوا إِلى الأَسَدِ . فَقالَ الغُرابُ : قَدِ احْتَجْتَ — أَيُّها المَلِكُ — إِلى ما يُقَوِّيكَ ، وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنا لَكَ ، فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ ، فَإِذا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقاءٌ بَعْدَكَ ، وَلا لَنا في الحَياةِ مِنْ خَيْرَةٍ ، فَلْيَأْكُلْنِي المَلِكُ ، فَقَدْ طِبْتُ بِذٰلِكَ نَفْساً . فَأَجابَهُ الذِّئْبُ وَابْنُ آوىٰ أَنِ اسْكُتْ[2] ، فَلا خَيْرَ[3] لِلْمَلِكِ في أَكْلِكَ ، وَلَيْسَ فيكَ شِبَعٌ . قالَ ابْنُ آوىٰ : لٰكِنْ أَنا أُشْبِعُ المَلِكَ ، فَلْيَأْكُلْنِي ، فَقَدْ رَضِيتُ بِذٰلِكَ ، وَطِبْتُ عَنْهُ نَفْساً ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّئْبُ وَالغُرابُ بِقَوْلِهِما : إِنَّكَ لُمْنَتِنٌ قَذِرٌ . قالَ الذِّئْبُ إِنِّي لَسْتُ كَذٰلِكَ فَلْيَأْكُلْنِي المَلِكُ ، فَقَدْ سَمَحْتُ بِذٰلِكَ ، وَطِبْتُ عَنْهُ نَفْساً . فَاعْتَرَضَهُ الغُرابُ وَابْنُ آوىٰ ، وَقالا . قَدْ قالَتِ الأَطِبَّاءُ : مَنْ أَرادَ قَتْلَ نَفْسِهِ فَلْيَأْكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ . فَظَنَّ الجَمَلُ أَنَّهُ إِذا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلى الأَكْلِ الْتَمَسُوا لَهُ عُذْراً كَما الْتَمَسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ الأَعْذارَ ، فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى الأَسَدُ عَنْهُ

---

(١) مجاملة . (٢) أن هنا : هي ما تسمى المفسرة لأنها وقعت بعد ما فيه معنى القول وهو فأجابه . (٣) لا نفع .

بِذٰلِكَ ، وَيَنجُو مِنَ الْمَهالِكِ . فَقالَ : لٰكِنْ أنا فِيَّ لِلْمَلِكِ شِبَعٌ وَرِيٌّ ، وَلَحمي طَيِّبٌ هَنِيٌّ ، وَبَطْني نَظيفٌ ، فَلْيَأْكُلْني الْمَلِكُ وَيُطْعِمْ أَصْحابَهُ وَخَدَمَهُ ، فَقَدْ رَضِيتُ بِذٰلِكَ وَطابَتْ نَفْسي عَنْهُ ، وَسَمَحْتُ بِهِ . فَقالَ الذِّئْبُ وَالْغُرابُ وَابْنُ آوىٰ : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَكَرُمَ[1] ، وَقالَ ما عَرَفَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَمَزَّقُوهُ .

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ كانَ أَصْحابُ الأَسَدِ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلى هَلاكي ، فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَمْتَنِعَ مِنْهُمْ وَلا أَحْتَرِسَ ، وَإِنْ كانَ رَأْيُ الأَسَدِ لي عَلى غَيْرِ ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ فِيَّ فَلا يَنْفَعُني ذٰلِكَ ، وَلا يُغْني عَنِّي شَيْئاً . وَقَدْ يُقالُ : خَيْرُ السَّلاطينِ مَنْ عَدَلَ في النّاسِ . وَلَوْ أَنَّ الأَسَدَ لَمْ يَكُنْ في نَفْسِهِ لي إِلاَّ الْخَيْرُ وَالرَّحْمَةُ لَغَيَّرَتْهُ كَثْرَةُ الأَقاويلِ ، فَإِنَّها إِذا كَثُرَتْ لَمْ تَلْبَثْ دُونَ أَنْ تُذْهِبَ الرَّقَّةَ وَالرَّأْفَةَ . أَلا تَرَى أَنَّ الْماءَ لَيْسَ كَالْقَوْلِ ، وَأَنَّ الْحَجَرَ أَشَدُّ مِنَ الإِنْسانِ . فَالْماءُ إِذا دامَ انْحِدارُهُ عَلى الْحَجَرِ لَمْ يَلْبَثْ حَتّىٰ يَثْقُبَهُ وَيُؤَثِّرَ فيهِ ، وَكَذٰلِكَ الْقَوْلُ في الإِنْسانِ . قالَ دِمْنَةُ : فَماذا تُريدُ أَنْ تَصْنَعَ الآنَ ؟ قالَ شَتْرَبَةُ : ما أَرىٰ إِلاَّ الاجْتِهادَ وَالْمُجاهَدَةَ[2] بِالْقِتالِ . فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْمُصَلِّي في صَلاتِهِ ، وَلا لِلْمُتَصَدِّقِ في صَدَقَتِهِ ، وَلا لِلْوَرِعِ في وَرَعِهِ مِنَ الأَجْرِ ما لِلْمُجاهِدِ عَنْ نَفْسِهِ إِذا كانَتْ مُجاهَدَتُهُ عَلى الْحَقِّ . قالَ دِمْنَةُ :

(١) وتكرّم بنفسه . (٢) المدافعة .

لا يَنْبَغي لِأحدٍ أنْ يُخاطِرَ بِنَفْسِهِ وَهُوَ يَسْتَطيعُ غَيْرَ ذٰلِكَ . وَلٰكِنْ ذَا الرَّأْيِ جاعِلٌ ٱلْقِتالَ آخِرَ الحِيَلِ ، وَبادِئٌ قَبْلَ ذٰلِكَ بِما اسْتَطاعَ مِنْ رِفْقٍ وَتَمَحُّلٍ[1] ، وَقَدْ قيلَ : لا تَحْقِرَنَّ الضَّعيفَ المُهينَ[2] ، وَلا سِيَّما إذا كانَ ذا حِيلَةٍ وَيَقْدِرُ عَلى الأعْوانِ ، فَكَيْفَ بِالأسَدِ عَلى جَراءَتِهِ وَشِدَّتِهِ ؟ ! فَإنَّ مَنْ حَقَّرَ عَدُوَّهُ لِضَعْفِهِ أصابَهُ ما أصابَ وَكيلَ ٱلْبَحْرِ[3] مِنَ الطِّيطَوَى[4] . قالَ شَتْرَبَةُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟

قالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أنَّ طائِراً مِنْ طُيُورِ البَحْرِ يُقالُ لَهُ الطِّيطَوَى كانَ وَطَنُهُ عَلى ساحِلِ البَحْرِ ، وَمَعَهُ زَوْجَةٌ لَهُ . فَلَمَّا جاءَ أوَانُ تَفْرِيخِها قالَتِ الأُنْثَى لِلذَّكَرِ : لَوِ التَمَسْنا مَكاناً حَريزاً نُفَرِّخُ فِيهِ ، فَإنِّي أخْشَى مِنْ وَكيلِ البَحْرِ إذا مَدَّ[5] المَاءُ أنْ يَذْهَبَ بِفِراخِنا . فَقالَ لَهـا أفْرِخي مَكانَكِ ، فَإنَّهُ مُوافِقٌ لَنا والمَاءُ والزَّهَرُ مِنَّا قَريبٌ . قالَتْ لَهُ : يَاغافِلُ ! لِيَحْسُنْ نَظَرُكَ فَإنِّي أخافُ وَكيلَ البَحْرِ أنْ يَذْهَبَ بِفِراخِنا .

---

(١) التمحل : طلب الشيء بحيلة وتكلف . (٢) المهين : الحقير . (٣) وكيل البحر ، وفي بعض النسخ الموكل بالبحر ، يؤخذ من سياق المثل أنـه حيوان بحري أو خرافي لا وجود له (٤) الطيطوي : من الطيور التي لا تفارق الآجام والمياه لأنه لا ينال قوته إلا في شاطىء الغياض والآجام من دود نتن . وقيل يطعن هذا الطائر ويصيح ولا ينفر من موضعه إلا اذا طلبه البازي فيهرب ، فاذا كان في الليل صاح وأما في النهار فيكمن في الحشيش ولا يصيح . (٥) المد اتساع الماء على الشاطىء وضده الجزر وهو انحساره عنه .

فَقَالَ لَهَا : أَفْرِخِي مَكَانَكِ ، فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا أَشَدَّ تَعَنُّتَكَ[1] ! أَمَا تَذْكُرُ وَعِيدَهُ وَتَهَدُّدَهُ إِيَّاكَ ! أَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ ؟! فَأَبَى أَنْ يُطِيعَهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهَا قَالَتْ لَهُ : إِنَّ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ النَّاصِحِ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ السُّلَحْفَاةَ[2] حِينَ لَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ البَطَّتَيْنِ . قَالَ الذَّكَرُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ !

قَالَتِ الأُنْثَى : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيراً كَانَ عِنْدَهُ عُشْبٌ ، وَكَانَ فِيهِ بَطَّتَانِ وَكَانَ فِي الغَدِيرِ سُلَحْفَاةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ البَطَّتَيْنِ مَوَدَّةٌ وَصَدَاقَةٌ ، فَاتَّفَقَ أَنْ غِيضَ[3] ذَلِكَ المَاءُ ، فَجَاءَتِ البَطَّتَانِ لِوَدَاعِ السُّلَحْفَاةِ ، وَقَالَتَا : السَّلَامُ عَلَيْكِ ، فَإِنَّنَا ذَاهِبَتَانِ عَنْ هٰذَا المَكَانِ لِأَجْلِ نُقْصَانِ المَاءِ عَنْهُ فَقَالَتْ إِنَّمَا يَبِينُ[4] نُقْصَانُ المَاءِ عَلَى مِثْلِي ، فَإِنِّي كَأَنِّي السَّفِينَةُ لَا أَقْدِرُ عَلَى العَيْشِ إِلَّا بِالمَاءِ . فَأَمَّا أَنْتُمَا فَتَقْدِرَانِ عَلَى العَيْشِ حَيْثُ كُنْتُمَا ، فَاذْهَبَا بِي مَعَكُمَا . قَالَتَا لَهَا : نَعَمْ . قَالَتْ : كَيْفَ السَّبِيلُ[5] إِلَى حَمْلِي ؟ قَالَتَا : نَأْخُذُ بِطَرَفَيْ عُودٍ وَتَتَعَلَّقِينَ بِوَسَطِهِ ، وَنَطِيرُ بِكِ فِي الجَوِّ . وَإِيَّاكِ إِذَا

---

(١) عنادك . (٢) السلحفاة بضم ففتحتين بينهما سكون وقد تكسر السين وقد تحذف التاء : كلمة معربة عن الفارسية ومعناها : دابة من جنس الزواحف . وهي أنواع ثلاثة : برية ، ونهرية ، وبحرية ، وهي معطاة بجلد قاس متين . وعنقها طويل ابن ورأسها مخروطي جلدي طويل ، قوائمها قصيرة عريضة وقوية وهي ذات خمس أصابع متلاصقة تماماً . (٣) نقص . (٤) يؤثر ويظهر تأثيره . (٥) ماهي الوسيلة ؟

سَمِعتِ النَّاسَ يَتكلَّمُونَ أَنْ تَنطِقي . ثُمَّ أَخذَتَاهَا وطَارَا بِهَا في الجوِّ . فَقَالَ النَّاسُ : عَجبٌ سُلَحْفَاةٌ بَيْنَ بَطَّتَيْنِ قَدْ حَمَلتَاهَا ! فَلَمَّا سَمِعَتْ ذٰلِكَ قَالتْ : فَقأَ اللهُ أَعْيُنَكُمْ أَيُّها النَّاسُ ! فَلَمَّا فَتَحَتْ فَاهَا بالنُّطْقِ وقَعَتْ على الأَرْضِ ومَاتَتْ . قَالَ الذَّكرُ : قَد سَمِعْتُ مَقَالَتَكِ فَلا تَخَافي وكِيلَ البَحْرِ . فَلَمَّا مَدَّ الماءُ ذَهَبَ بِفِرَاخِهَا . فَقَالتِ الأُنثَى : قَدْ عَرَفْتُ في بَدْءِ الأَمْرِ أَنَّ هذَا كَائِنٌ . قَالَ الذَّكَرُ : سَوْفَ أَنْتَقِمُ مِنهُ . ثُمَّ مَضَى إِلى جَمَاعَةِ الطَّيرِ فَقَالَ لَهُنَّ : إِنَّكُنَّ أَخَواتِي وثِقَاتِي[1] ، فَأَعِنَّني . قُلْنَ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ ؟ قَالَ : تَجْتَمِعْنَ وتَذْهَبْنَ مَعِي إِلى سَائِرِ الطَّيْرِ فَنَشْكُو إِلَيْهِنَّ مَالقِيتُ مِنْ وكِيلِ البَحْرِ ، ونَقُولُ لَهُنَّ : إِنَّكُنَّ طَيْرٌ مِثْلُنَا فَأَعِنَّنَا ، فَقَالتْ لَهُ جَمَاعَةُ الطَّيرِ : إِنَّ العَنْقَاءَ[2] هِيَ سَيِّدَتُنَا ومَلِكَتُنا ، فَاذْهَبْ بِنَا إِلَيْهَا حَتَّى نَصِيحَ بِهَا ، فَتَظْهَرَ لَنَا فَنَشْكُوَ إِلَيْهَا مَانَالكَ مِنْ وكِيلِ البَحْرِ ، ونَسْأَلَهَا أَنْ تَنْتَقِمَ لَنَا مِنْهُ بِقُوَّةِ مُلْكِهَا . ثُمَّ

---

(١) موضع ثقتي . (٢) العنقاء : من الطيور التي بلغ الخلف فيها غايته . فمن الناس من جعلها طيراً غريباً يبيض بيضاً كالجبال . وزعم القزويني أنها أعظم الطير جثة واكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفار فاذا طارت سمع لأجنحتها دوي كدوي الرعد القاصف وتعيش مائتي سنة ثم أطال في وصفها . وذكر أرسطاطاليس أنها تصاد فيصنع من مخالبها القداح للشرب ، تخطف الثور وهي من أعظم سباع الطير . وقيل سميت العنقاء لطول عنقها أو لبياض كان في عنقها كالطوق . ويقول الزمخشري : إن العنقاء قد انقطع نسلها فلا توجد اليوم في الدنيا الى آخر ما جاء من الاختلاف فيها .
«٣» طلبن منها الإغاثة والمساعدة . «٤» ظهرت

إنَّهنَّ ذهبنَ إليها مع الطيطوي فاستغثنها[1] وصحنَ بها ، فتراءت[2] لهنَّ فأخبرنها بقصتهنَّ وسألنها أنْ تسير معهنَّ إلى محاربة وكيل البحر . فلمَّا علم وكيل البحر أنَّ العنقاء قد قصدته في جماعة الطير خاف من محاربة ملك لا طاقة له به ، فردَّ فراخ الطيطوي وصالحه ، فرجعت العنقاء عنه .

وإنَّما حدَّثتك بهذا الحديث لتعلم أنَّ القتال مع الأسد لا أراه لك رأياً . قال شتربة : فما أنا بمقاتل الأسد ، ولا ناصب له العداوة سراً ولا علانية ، ولا متغير له عمَّا كنت عليه حتى يبدو لي منه ما أتخوَّف فأغالبه . فكره دمنة قوله ، وعلم انَّ الأسد إنْ لم ير من الثور العلامات التي كان ذكرها[3] له اتَّهمه وأساء به الظنَّ . فقال دمنة لشتربة : اذهب إلى الأسد ، فستعرف حين ينظر إليك ما يريد منك قال شتربة : وكيف أعرف ذلك ؟ قال دمنة : سترى الأسد حين تدخل عليه مقعياً[4] على ذنبه ، رافعاً صدره اليك ، مادًّا بصره نحوك ، قد صرَّ أذنيه[5] . وفغر[6] فاه ، واستوى[7] للوثبة . قال شتربة : إنْ رأيت هذه العلامات من الأسد عرفت صدقك في قولك . ثمَّ إنَّ دمنة لمَّا فرغ من حمل الأسد على الثور[8] والثور على الأسد

« ١ » طلبن منها الإغاثة والمساعدة « ٢ » ظهرت « ٣ » من تغير لونه وارتعاد أوصاله وتلفته يميناً وشمالاً وهز قرنيه فعل الذي همّ بالنطاح والقتال . « ٤ » جالساً على مؤخرته كجلوس الكلب . « ٥ » نصبهما للاستماع . «٦» فتح فمه . «٧» تهيأ للوثوب . «٨» اي انتهى من إيغار صدر كل منهما على الآخر .

تَوَجَّهَ إلى كَلِيلَةَ . فَلَمَّا التَقَيَا قَالَ كَلِيلَةُ : إلَامَ أنتهى عَمَلُكَ الَّذي كُنْتَ فِيهِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَرِيبٌ مِنَ الفَرَاغِ على مَـا أُحِبُّ وتُحِبُّ . ثُمَّ إنَّ كَلِيلَةَ ودِمْنَةَ انْطَلَقَا جَمِيعاً لِيَحْضُرَا قِتَالَ الأَسَـدِ والثَّوْرِ ، ويَنْظُرَا مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا ، ويُعايِنَا مَا يَؤُولُ إلَيْهِ أَمْرُهُما . وجَاءَ شَتْرَبَةُ ، فَدَخل على الأَسَدِ فَرَآهُ مُقْعِياً كما وَصَفَهُ لَهُ دِمْنَةُ . فقَالَ : مَاصَاحِبُ السُّلْطَانِ إلاَّ كَصَاحِبِ الحَيَّةِ التي فِي صَدْرِه ، لا يَدْرِي مَتى تَهِيجُ بِهِ[1] . ثُمَّ إنَّ الأَسَدَ نَظَرَ إلى الثَّوْرِ فَرَأَى الدَّلَالَاتِ التي ذَكَرَهَا لَهُ دِمْنَةُ . فَلَمْ يَشُكَّ أَنَّهُ جَاءَ لِقِتَالِه ، فَوَاثَبَهُ ، ونَشَأَتْ بَيْنَهُما الحَرْبُ واشْتَدَّ قِتَالُ الثَّوْرِ والأَسَدِ وطَالَ ، وسَالَتْ بَيْنَهُما الدِّمَاءُ . فَلَمَّا رَأَى كَلِيلَةُ أَنَّ الأَسَدَ قَدْ بَلَغَ مِنْهُ مَا قَدْ بَلَغَ قَالَ لِدِمْنَةَ : أَيُّها الفَسْلُ[2] مَا أَنكَرَ[3] جَهْلَتَكَ وأَسْوأَ عَاقِبَتَكَ في تَدْبِيرِكَ ! قَالَ دِمْنَةُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَـالَ كَلِيلَةُ : جُرِحَ الأَسَدُ وهَلَكَ الثَّوْرُ . وإنَّ أَخْرَقَ الخُرْقِ[4] مَنْ حَمَلَ صَاحِبَهُ على سُوءِ الخُلُقِ والمُبَارَزَةِ والقِتَالِ وهُوَ يَجِدُ إلى غَيرِ ذَلِكَ سَبِيلاً . وإنَّ العَاقِلَ يُدَبِّرُ الأَشْيَاءَ ويَقِيسُهَا قَبْلَ مُبَاشَرَتِها « فَمَا رَجَا[5] أَنْ يَتِمَّ لَهُ مِنْهَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ ، ومَا خَافَ أَنْ يَتَعَذَّرَ[6] عَلَيْهِ مِنْهَا انْحَرَفَ عَنْهُ ولَمْ

« ١ » تثور عليه وتغدر به . « ٢ » الفسل بالفتح : الضعيف الرذل الذي لا مروءة له ولا جلد وبالكسر : الأحمق . « ٣ » ما أشد جهلك . « ٤ » أحمق الحمقى . « ٥ » توقع . « ٦ » يصعب .

يَلْتَفِتْ إليْهِ . وإنِّي لأَخافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ بَغْيِكَ هَذَا . فَإِنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ القَوْلَ وَلَمْ تُحْسِنِ العَمَلَ . أَيْنَ مُعَاهَدَتُكَ إِيَّايَ أَنَّكَ لا تَضُرُّ بالأَسَدِ في تَدْبِيرِكَ ؟ وقَدْ قِيلَ : لاخَيْرَ في القَوْلِ إلاَّ مَعَ العَمَلِ ، ولا في الفِقْهِ إلاَّ مَعَ الوَرَعِ [1] ، ولا في الصَّدَقَةِ إلاَّ مَعَ النِّيَّةِ ، ولا فِي المالِ إلاَّ مَعَ الجُودِ ولا فِي الصِّدْقِ إلاَّ مَعَ الوفَاءِ ، ولا في الحَيَاةِ إلاَّ مَعَ الصِّحَّةِ ، ولا فِي الأَمْنِ إلاَّ مَعَ السُّرُورِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الأَدَبَ يُذْهِبُ عَنِ العَاقِلِ الطَّيْشَ ، ويَزِيدُ الأَحْمَقَ طَيْشاً ، كما أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كلَّ ذِي بَصَرٍ نَظَراً ، ويَزِيدُ الخُفَّاشَ [2] سُوءَ النَّظَرِ .

وَقَدْ أَذْكَرَنِي أَمْرُكَ شَيْئاً سَمِعْتُهُ . فَإِنَّهُ يُقالُ : إنَّ السُّلْطانَ إِذا كانَ صالِحاً وَوُزَراؤُهُ وُزَراءَ سُوءٍ مَنَعُوا خَيْرَهُ ، فَلا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُ : وَمَثَلُهُ في ذَلِكَ مَثَلُ المَاءِ الطَّيِّبِ الَّذي فيهِ التَّماسيحُ [3] لا يَقْدِرُ

« ١ » أي لاقيمة للعلم بدون تقوى لانه يكون حينئذ مساعداً على الشر .

« ٢ » الخفاش بضم فتشديد : واحد الخفافيش التي تطير في الليل ويسمى أيضاً خفاشاً ووطواطاً . ولما كان لا يبصر نهاراً التمس الوقت الذي لايكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قبيل غروب الشمس اذ يكون وقت هيجان البعوض فيخرج طالباً للطعام .

« ٣ » واحدها تمساح وهو حيوان قوي كامر يسطو على الانسان أحياناً يقيم في الأنهار الكبيرة والبحيرات يزحم زحفاً في خط مستقيم ويألف الاقطار الشديدة الحرارة ويتغذى بما يصطاده من الحيوانات الصغيرة والطيور المائية والاسماك .

أَحدٌ أَنْ يَتناولَهُ وَإِنْ كانَ إلى المَاءِ مُحْتاجاً[1] . وَأَنتَ يا دِمْنَةُ أَرَدْتَ أَلاَّ يَدنُوَ مِنَ الأَسَدِ أَحدٌ سِواكَ ، وَهٰذا أَمرٌ لا يَصِحُّ وَلا يَتِمُّ أَبداً ، وَذٰلِكَ لِلْمَثَلِ المَضْرُوبِ : إِنَّ البَحْرَ بِأَمْواجِهِ ، وَالسُّلْطانَ بِأَصْحابِهِ . وَمِنَ الحُمْقِ الحِرْصُ عَلى الْتِماسِ الإِخْوانِ بِغَيْرِ الْوَفاءِ لَهُمْ ، وَطَلَبِ الآخِرَةِ بِالرِّياءِ[2] ، وَنَفْعِ النَّفْسِ بِضَرِّ الْغَيْرِ ، وَما عِظَتي[3] وَتأْديبي إِيَّاكَ إِلاَّ كَما قالَ الرَّجُلُ لِلطَّائِرِ : لا تَلْتَمِسْ تَقْويمَ ما لا يَسْتَقِيمُ ، وَلا تُعالِجْ تأْديبَ مَنْ لا يَتأَدَّبُ . قالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟!

قالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ جَماعَةً مِنَ الْقِرَدَةِ كانُوا سُكَّاناً في جَبَلٍ ، فَالْتَمَسُوا في لَيْلَةٍ بارِدَةٍ ذاتِ رِياحٍ وَأَمْطارٍ ناراً ، فَلَمْ يَجِدُوا ، فَرَأَوْا يَراعَةً[4] تَطيرُ كَأَنَّها شَرارَةُ نارٍ ، فَظَنُّوها ناراً ، وَجَمَعُوا حَطَباً كَثيراً ، فَأَلْقَوْهُ عَلَيْها ، وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ طَمَعاً أَنْ يُوقِدُوا ناراً يَصْطَلُونَ[5] بِها مِنَ الْبَرْدِ . وَكانَ قَريباً مِنْهُمْ طائِرٌ عَلى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ رَأَى ما صَنَعُوا ، فَجَعَلَ يُناديهِمْ وَيَقُولُ : لا تَتْعَبُوا ، فَإِنَّ الَّذي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنارٍ . فَلَمَّا طالَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ عَزَمَ عَلى الْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيَنْهاهُمْ عَمَّا هُمْ فيهِ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ ما عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَقالَ لَهُ :

« ١ » يعني بسبب الخوف من التماسيح . « ٢ » التظاهر الكاذب بالورع والتقوى . « ٣ » وعظي . « ٤ » اليراعة : طائر صغير جداً يكون كسائر الطيور اذا كان النهار حتى اذا جاء الليل رأيته كالشهاب الثاقب . « ٥ » أي يستدفئون بها .

لا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ ما لا يَسْتَقِيمُ ، فَإِنَّ الْحَجَرَ الْمانِعَ[1] الَّذي لا يَنْقَطِعُ، لا تُجَرَّبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ ، وَالْعُودُ الَّذي لا يَنْحَنِي لا تُعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ ، فَلا تَتْعَبْ . فَأَبَى الطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِرَدَةِ لِيُعَرِّفَهُمْ أَنَّ الْيَراعَةَ لَيْسَتْ بِنارٍ . فَتَناوَلَهُ بَعْضُ الْقِرَدَةِ فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ ، فَماتَ. فَهٰذا مَثَلِي مَعَكَ في ذٰلِكَ ، ثُمَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ الْخَبُّ[2] وَالْفُجُورُ ، وَهُما خَلَّتا سُوءٍ ، وَالْخَبُّ شَرُّهُما عاقِبَةً . وَلِهٰذا مَثَلٌ . قالَ دِمْنَةُ : وَما ذٰلِكَ الْمَثَلُ ؟ !

قالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ خَبًّا[3] وَمُغَفَّلاً[4] اشْتَرَكا في تِجارَةٍ ، وَسافَرا فَبَيْنَما[5] هُما في الطَّرِيقِ إِذْ تَخَلَّفَ الْمُغَفَّلُ لِبَعْضِ حاجَتِهِ فَوَجَدَ كِيساً فيهِ أَلْفُ دِينارٍ فَأَخَذَهُ ، فَأَحَسَّ بِهِ الْخَبُّ ، فَرَجَعا إِلَى بَلَدِهِما . حَتَّى إِذا دَنَوا مِنَ الْمَدِينَةِ قَعَدا لاقْتِسامِ الْمالِ ، فَقالَ الْمُغَفَّلُ : خُذْ نِصْفَهُ وَأَعْطِنِي نِصْفَهُ ، وَكانَ الْخَبُّ قَدْ قَرَّرَ في نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِالأَلْفِ جَمِيعِهِ . فَقالَ لَهُ : لا نَقْتَسِمُ . فَإِنَّ الشَّرِكَةَ وَالْمُفاوَضَةَ أَقْرَبُ إِلَى الصَّفاءِ وَالْمُخالَطَةِ . وَلٰكِنْ آخُذُ نَفَقَةً وَتَأْخُذُ مِثْلَها ، وَنَدْفِنُ الْباقِيَ في أَصْلِ[6] هٰذِهِ الشَّجَرَةِ، فَهُوَ مَكانٌ حَرِيزٌ ، فَإِذا احْتَجْنا جِئْنا أَنا وَأَنْتَ فَنَأْخُذُ حاجَتَنا مِنْهُ ،

« ١ » المانع : الصلد . « ٢ » الخب بالفتح والكسر : الغش والخبث والخداع . « ٣ » خداعاً . « ٤ » قليل الفطنة والذكاء . « ٥ » « ما » في بينما : زائدة وهي أحد أنواع ما الكافة عن الجر . « ٦ » جذر .

وَلا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنا أَحَدٌ . فَأَخَذا مِنْهُ يَسِيراً[1] ، وَدَفَنا الْباقِيَ في أَصْلِ دَوْحَةٍ[2] ، وَدَخَلا الْبَلَدَ . ثُمَّ إِنَّ الْخَبَّ خالَفَ الْمُغَفَّلَ إِلى الدَّنانيرِ فَأَخَذَها[3] ، وَسَوَّى الأَرْضَ كَما كانَتْ[4] وَجاءَ الْمُغَفَّلُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِأَشْهُرٍ. فَقالَ لِلْخَبِّ : قَدِ احْتَجْتُ إِلى نَفَقَةٍ فَانْطَلِقْ بِنا نَأْخُذْ حاجَتَنا . فَقامَ الْخَبُّ مَعَهُ ، وَذَهَبا إِلى الْمَكانِ ، فَحَفَرا ، فَلَمْ يَجِدا شَيْئاً ، فَأَقْبَلَ الْخَبُّ عَلى وَجْهِهِ يَلْطِمُهُ ، وَيَقُولُ : لا تَغْتَرَّ بِصُحْبَةِ صاحِبٍ : خالَفْتَني إِلى الدَّنانيرِ فَأَخَذْتَها . فَجَعَلَ الْمُغَفَّلُ يَحْلِفُ وَيَلْعَنُ آخِذَها . وَلا يَزْدادُ الْخَبُّ إِلاّ شِدَّةً في اللَّطْمِ ، وَقالَ : ما أَخَذَها غَيْرُكَ ، وَهَلْ شَعَرَ بِها أَحَدٌ سِواكَ ! ثُمَّ طالَ ذٰلِكَ بَيْنَهُما . فَتَرافَعا إِلى الْقاضي ، فَاقْتَصَّ الْقاضي قِصَّتَهُما[5] : فَادَّعَى الْخَبُّ أَنَّ الْمُغَفَّلَ أَخَذَها ، وَجَحَدَ الْمُغَفَّلُ[6] . فَقالَ لِلْخَبِّ : أَلَكَ عَلى دَعْواكَ بَيِّنَةٌ ؟ قالَ : نَعَمْ ، الشَّجَرَةُ الَّتي كانَتِ الدَّنانيرُ عِنْدَها تَشْهَدُ لي أَنَّ الْمُغَفَّلَ أَخَذَها . وَكانَ الْخَبُّ قَدْ أَمَرَ أَباهُ أَنْ يَذْهَبَ فَيَتَوارَى[7] في الشَّجَرَةِ ، بِحَيْثُ إِذا سُئِلَتْ أَجابَ . فَذَهَبَ أَبُو الْخَبِّ فَدَخَلَ جَوْفَ الشَّجَرَةِ . ثُمَّ إِنَّ الْقاضيَ لَمّا سَمِعَ ذٰلِكَ مِنَ الْخَبِّ أَكْبَرَهُ[8]

«١» قليلًا . «٢» الشجرة العظيمة . «٣» اي انه استغل ابتعاد المغفل وعاد فأخذها .
«٤» مهّدها . «٥» طلب منهما ان يقصا قصتها . «٦» أنكر ولم يعترف .
«٧» يختبيء «٨» أكبره : أعظمه واستغربه .

وَانْطَلَقَ هُوَ وَأَصْحابُهُ ، وَالخَبُّ وَالْمُغَفَّلُ مَعَهُ ، حَتَّى وافَى[1] الشَّجَرَةَ فَسَأَلَها عَنِ الخَبَرِ ، فَقالَ الشَّيْخُ مِنْ جَوْفِها : نَعَمْ ! الْمُغَفَّلُ أَخَذَها . فَلَمَّا سَمِعَ الْقاضي ذٰلِكَ اشْتَدَّ تَعَجُّبُهُ . فَدَعا بِحَطَبٍ ، وَأَمَرَ أَنْ تُحْرَقَ الشَّجَرَةُ فَأُضْرِمَتْ حَوْلَها النِّيرانُ ، فَاسْتَغاثَ أَبُو الخَبِّ عِنْدَ ذٰلِكَ ، فَأُخْرِجَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلى الْهَلاكِ . فَسَأَلَهُ الْقاضي عَنِ الْقِصَّةِ ، فَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ ، فَأَوْقَعَ بِالخَبِّ ضَرْباً وَبِأَبِيهِ صَفْعاً[2] ، وَأَرْكَبَهُ مَشْهُوراً[3] . وَغَرَّمَ الخَبَّ الدَّنانيرَ[4] ، فَأَخَذَها وَأَعْطاها الْمُغَفَّلَ . وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الخَبَّ وَالخَديعَةَ رُبَّما كانَ صاحِبُها هُوَ الْمَغْبُونُ[5] . وَأَنَّكَ يادِمْنَةُ جامِعٌ لِلْخِبِّ وَالخَديعَةِ وَالْفُجُورِ وَإِنِّي أَخْشى عَلَيْكَ ثَمَرَةَ عَمَلِكَ ، مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ بِناجٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، لِأَنَّكَ ذُو لَوْنَيْنِ وَلِسانَيْنِ . وَإِنَّما عُذُوبَةُ ماءِ الأَنْهارِ ما لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْبِحارِ . وَصَلاحُ أَهْلِ الْبَيْتِ ما لَمْ يَكُنْ فيهِمُ الْمُفْسِدُ . وَإِنَّهُ لا شَيْءَ أَشْبَهُ بِكَ مِنَ الْحَيَّةِ ذاتِ اللِّسانَيْنِ الَّتي فيها السُّمُّ ، فَإِنَّهُ قَدْ يَجْري مِنْ لِسانِكَ كَسُمِّها[6] . وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ

«١» وصلها . «٢» صفعه : ضرب قفاه أو بدنه بكفه مبسوطة . «٣» أي أركبه ركبة يشهّر به فيها ويفضح بين الناس وذلك بأن جعل وجهه قبل ذيل الحمار وقفاه باتجاه رأسه . «٤» ألزمه أداءها . «٥» الخاسر . «٦» الكاف هنا : اسم بمعنى مثل ، أي قد يجري من لسانك مثل سمّها .

لِذٰلكَ السُّمَّ مِنْ لِسانِكَ خائفاً ، وَلِما يَحِلُّ[1] بِكَ مُتَوَقِّعاً . وَالْمُفْسِدُ بَيْنَ الإِخْوانِ وَالأَصْحابِ كَالْحَيَّةِ يُرَبِّيها الرَّجُلُ وَيُطْعِمُها ، وَيُمَسِّحُها ، وَيُكْرِمُها ، ثُمَّ لا يَكُونُ لَهُ مِنْها غَيْرُ اللَّدْغِ . وَقَدْ يُقالُ : الْزَمْ[2] ذا الْعَقْلِ وَذا الْكَرَمِ ، وَاسْتَرْسِلْ إِلَيْهِما ، وَإِيَّاكَ وَمُفارَقَتَهُما . وَاصْحَبِ الصَّاحِبَ إِذا كانَ عاقِلاً كَرِيماً ، أَوْ عاقِلاً غَيْرَ كَرِيمٍ ، فَالْعاقِلُ الْكَرِيمُ كامِلٌ ، وَالْعاقِلَ غَيْرَ الْكَرِيمِ اصْحَبْهُ ، وَإِنْ كانَ غَيْرَ مَحْمُودِ الْخَلِيقَةِ[3] . وَاحْذَرْ مِنْ سُوءِ أَخْلاقِهِ ، وَانْتَفِعْ بِعَقْلِهِ . وَالْكَرِيمَ غَيْرَ الْعاقِلِ الْزَمْهُ وَلا تَدَعْ مُواصَلَتَهُ[4] ، وَإِنْ كُنْتَ لا تَحْمَدُ عَقْلَهُ ، وَانْتَفِعْ بِكَرَمِهِ ، وَانْفَعْهُ بِعَقْلِكَ . وَالْفِرارَ[5] كُلَّ الْفِرارِ مِنَ اللَّئِيمِ الأَحْمَقِ . وَإِنِّي بِالْفِرارِ مِنْكَ لَجَدِيرٌ ، وَكَيْفَ يَرْجُو إِخْوانُكَ عِنْدَكَ كَرَماً وَوُدّاً ؟! وَقَدْ صَنَعْتَ بِمَلِكِكَ الَّذي أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ ما صَنَعْتَ . وَإِنَّ مَثَلَكَ مَثَلُ التّاجِرِ الَّذي قالَ : إِنَّ أَرْضاً تَأْكُلُ جِرْذانُها مِائَةَ مَنٍّ[6] حَدِيداً ، لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ عَلى بُزاتِها[7] أَنْ تَخْتَطِفَ الأَفْيالَ . قالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟!

«١» اي اني أتوقع لك أن يحل بك الشر جزاء لؤمك . «٢» عاشر . «٣» الخليقة : الطبيعة والخلق . «٤» الاتصال به . «٥» منصوب على التحذير : أي الزم الفرار «٦» المن : رطلان . «٧» جمع بازي وهو طائر معروف من الجوارح يصطاد العصافير والطيور الصغيرة .

قالَ كَليلَةُ : زَعَموا أَنَّهُ كانَ بِأَرْضِ كَذا تاجِرٌ ، فَأَرادَ الْخُروجَ إلى بَعْضِ الْوُجُوهِ[1] لابْتِغاءِ الرِّزْقِ ، وَكانَ عِنْدَهُ مِائَةُ مَنٍّ حَديداً . فَأَوْدَعَها رَجُلاً مِنْ إِخْوانِهِ ، وَذَهَبَ في وَجْهِهِ . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِمُدَّةٍ فَجاءَ وَالْتَمَسَ الْحَديدَ . فَقالَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ أَكَلَتْهُ الْجِرْذانُ . فَقالَ : قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ لا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيابِها لِلْحَديدِ . فَفَرِحَ الرَّجُلُ بِتَصْديقِهِ عَلى ما قالَ وَادَّعى . ثُمَّ إِنَّ التّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ ابْناً لِلرَّجُلِ ، فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلى مَنْزِلِهِ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ مِنَ الْغَدِ ، فَقالَ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِابْني ؟ فَقالَ لَهُ التّاجِرُ : إِنِّي لَمّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِالأَمْسِ رَأَيْتُ بازِياً قَدِ اخْتَطَفَ صَبِيًّا . وَلَعَلَّهُ ابْنُكَ . فَلَطَمَ الرَّجُلُ عَلى رَأْسِهِ ، وَقالَ : يا قَوْمُ ، هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُزاةَ تَخْطَفُ الصِّبْيانَ ؟ فَقالَ : نَعَمْ ، إِنَّ أَرْضاً تَأْكُلُ جِرْذانُها مِائَةَ مَنٍّ حَديداً لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَخْتَطِفَ بُزاتُها الْفيلَةَ . فَقالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَنا أَكَلْتُ حَديدَكَ وَهٰذا ثَمَنُهُ ، فَارْدُدْ عَلَيَّ ابْني .

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّكَ إِذا غَدَرْتَ بِصاحِبِكَ فَلا شَكَّ أَنَّكَ بِمَنْ سِواهُ أَغْدَرُ وَأَنَّهُ إِذا صاحَبَ أَحَدٌ صاحِباً وَغَدَرَ بِمَنْ سِواهُ فَقَدْ عَلِمَ صاحِبُهُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْمَوَدَّةِ مَوْضِعٌ . فَلا شَيْءَ أَضْيَعُ

« ١ » الأقطار .

مِنْ مَوَدَّةٍ تُمْنَحُ مَنْ لا وَفاءَ لَهُ ، وَحِباءٍ[1] يُصْطَنَعُ عِنْدَ مَنْ لا شُكْرَ لَهُ ، وَأَدَبٍ يُحْمَلُ إلى مَنْ لا يَتَأَدَّبُ بِهِ وَلا يَسْمَعُهُ ، وَسِرٍّ يُسْتَوْدَعُ عِنْدَ مَنْ لا يَحْفَظُهُ ، فَإِنَّ صُحْبَةَ الأَخْيارِ تُورِثُ الخَيْرَ ، وَصُحْبَةَ الأَشْرارِ تُورِثُ الشَّرَّ : كالرِّيحِ إذا مَرَّتْ بِالطِّيبِ حَمَلَتْ طِيباً ، وَإذا مَرَّتْ بِالنَّتْنِ[2] حَمَلَتْ نَتْناً ، وَقَدْ طالَ وَثَقُلَ كَلامي عَلَيْكَ . فَانْتَهى كَلِيلَةُ مِنْ كَلامِهِ إلى هٰذا المَكانِ . وَقَدْ فَرَغَ الأَسَدُ مِنَ الثَّوْرِ[3] ، ثُمَّ فَكَّرَ في قَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ[4] ، وَذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ ، وَقالَ : لَقَدْ فَجَعَنِي[5] شَتْرَبَةُ بِنَفْسِهِ ، وَقَدْ كانَ ذا عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ وَلا أَدْري لَعَلَّهُ كانَ بَرِيئاً أَوْ مَكْذُوباً عَلَيْهِ . فَحَزِنَ وَنَدِمَ عَلى ما كانَ مِنْهُ ، وَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ في وَجْهِهِ . وَبَصُرَ بِهِ دِمْنَةُ . فَتَرَكَ مُحاوَرَةَ كَلِيلَةَ ، وَتَقَدَّمَ إلى الأَسَدِ ، فَقالَ لَهُ : لِيَهْنِكَ الظَّفَرُ إذْ أَهْلَكَ اللهُ أَعْداءَكَ ! فَما دا يُحْزِنُكَ أَيُّها المَلِكُ ؟. قالَ : أَنا حَزِينٌ عَلى عَقْلِ شَتْرَبَةَ وَرَأْيِهِ وَأَدَبِهِ . قالَ لَهُ دِمْنَةُ : لا تَرْحَمْهُ أَيُّها المَلِكُ ، فَإِنَّ العاقِلَ لا يَرْحَمُ مَنْ يَخافُهُ . وَإِنَّ الرَّجُلَ الحازِمَ رُبَّما أَبْغَضَ الرَّجُلَ وَكَرِهَهُ ، ثُمَّ قَرَّبَهُ وَأَدْناهُ لِما يَعْلَمُ عِنْدَهُ مِنَ الغَناءِ[6]

« ١ » الحباء بكسر ، العطـــاء . « ٢ » الشيء الفاسد الرائحة . « ٣ » أي فرغ من قتله . « ٤ » أي فكر بقتله وبالاسباب الدافعة لذلك . « ٥ » من الفاجعة وهي المصيبة . « ٦ » الغناء بفتح الغين : النفع .

وَالْكِفايَةِ ، فِعْلَ الرَّجُلِ الْمُتَكارِهِ[1] عَلى الدَّواءِ الشَّنيعِ رَجاءَ مَنْفَعَتِهِ . وَرُبَّما أَحَبَّ الرَّجُلَ وَعَزَّ عَلَيْهِ فَأَقْصاهُ[2] وَأَهْلَكَهُ مَخافَةَ ضَرَرِهِ ، كَالَّذي تَلْدَغُهُ الْحَيَّةُ في إِصْبَعِهِ ، فَيَقْطَعُها وَيَتَبَرَّأُ مِنْها مَخافَةَ أَنْ يَسْرِيَ سُمُّها إِلى بَدَنِهِ . فَرَضِيَ الأَسَدُ بِقَوْلِ دِمْنَةَ . ثُمَّ عَلِمَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِكَذِبِهِ وَغَدْرِهِ وَفُجُورِهِ . فَقَتَلَهُ شَرَّ قِتْلَةٍ .

« ١ » المتحامل على نفسه في شرب الدواء . « ٢ » أبعده .

الباب الثاني

الفحص عن أمر دمنة

«معاذيره وحججه عند الأسد وأصحابه حين راجع الأسد رأيه في الثور»

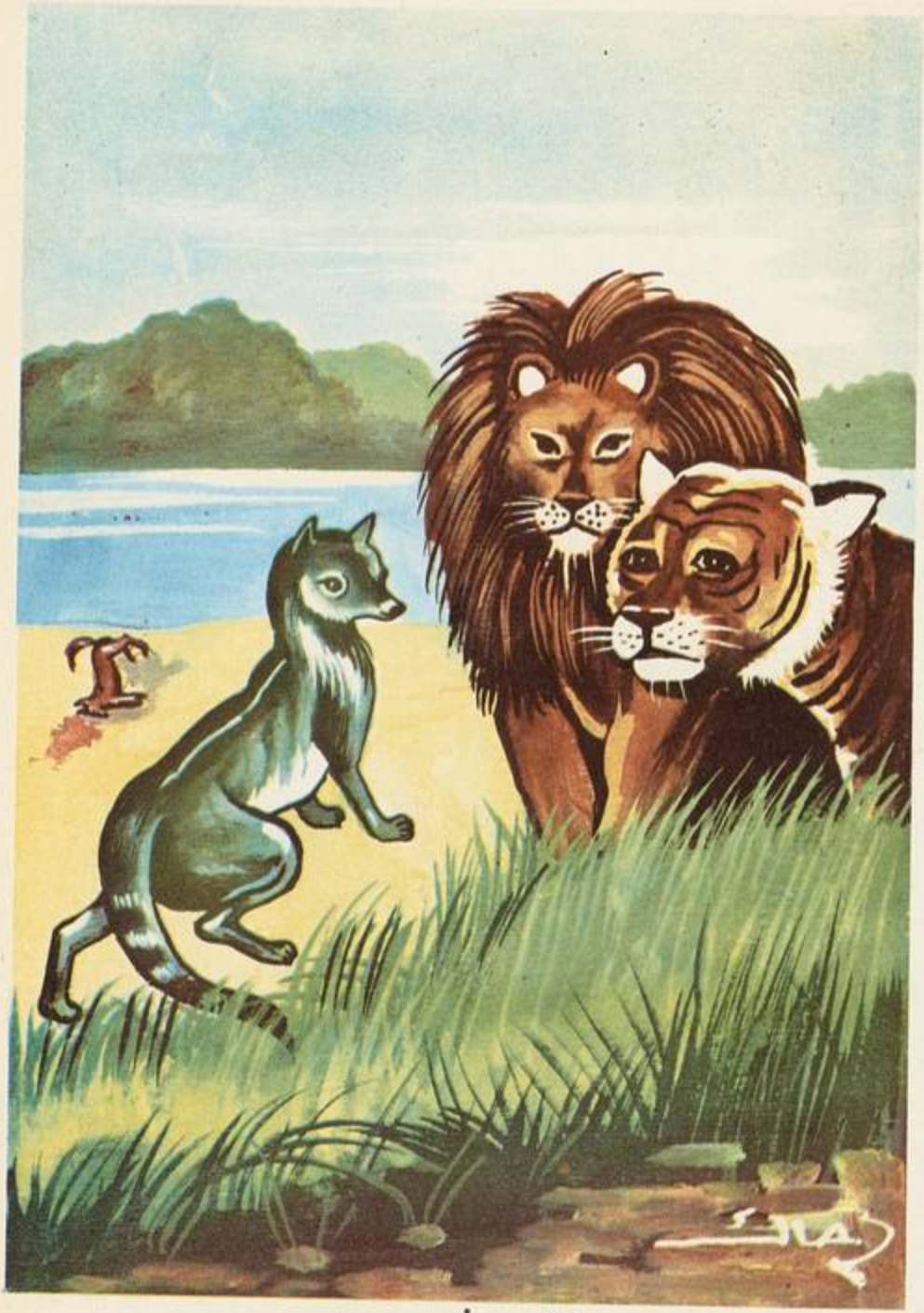

الفحص عن أمر دمنة

دِمْنَةَ عَلى مَا كانَ مِنْهُ وَيلومُهُ عَلى النَّميمَةِ وَٱستِعمالِها ، خُصوصاً[1] مَعَ الكَذِبِ والبُهْتانِ في حَقِّ الخاصَّةِ ، وعَرَفَ النَّمِرُ عِصيانَ دِمْنَةَ ، وتَرْكَ القَبولِ لَهُ فَوَقَفَ يَستَمِعُ مايَجْري بَيْنَهُما ، فَكانَ فيما قالَ كَليلَةُ لِدِمْنَةَ: لَقَدِ ٱرْتَكَبْتَ مَرْكَباً[2] صَعْباً ، ودَخَلْتَ مَدْخَلاً ضَيِّقاً ، وَجَنَيْتَ على نَفْسِكَ جِنايَةً مُوبِقَةً[3] وعاقِبَتُها وخيمَةٌ ، وسَوْفَ يَكونُ مَصْرَعُكَ شَديداً إذا ٱنكشَفَ للأَسَدِ أَمْرُكَ وٱطَّلَعَ عَلَيْهِ ، وعَرَفَ غَدْرَكَ ومَحالَكَ[4] وبَقيتَ لاناصِرَ لَكَ ، فيَجْتَمِعُ عَلَيْكَ الهَوانُ[5] والقَتْلُ مَخافَةَ شَرِّكَ ، وحَذَراً مِنْ غَوائِلِكَ[6] . فَلَسْتُ بِمتَّخِذِكَ بَعْدَ اليَوْمِ خَليلاً[7] ، ولا مُفْشٍ إلَيْكَ سِراً ، لأنَّ العُلَماءَ قَدْ قالُوا : تَباعَدْ عَمَّنْ لارَغْبَةَ فيهِ ، وأَنا جَديرٌ بِمباعَدَتِكَ ، والتِماسِ الخَلاصِ لي مِمَّا وقَعَ في نَفْسِ الأَسَدِ مِنْ هٰذا الأَمْرِ .

فَلَمَّا سَمِعَ النِّمْرُ هٰذا مِنْ كَلامِهِما قَفَلَ راجِعاً[8] فَدَخَلَ على أُمِّ الأَسَدِ فَأَخَذَ عَلَيْها العُهودَ والمَواثيقَ أَنَّها لاتُفْشي مَا يُسِرُّ إلَيْها . فَعاهَدَتْهُ على ذٰلِكَ . فَأَخْبَرَها بِما سَمِعَ مِنْ كَلامِ كَليلَةَ ودِمْنَةَ فَلَمَّا أَصْبَحَتْ دَخَلَتْ على

«١» خصوصاً : بمعنى لا سيما منصوباً على الحالية أو المصدرية . «٢» لقد وقعت في ورطة صعبة . «٣» مهلكة «٤» يقال: محل به السلطان محلا بالفتح ومحالا بالكسر: كاده سعاية اليه . «٥» الذل «٦» جمع غائلة وهي الشر والمكيدة . «٧» صديقاً حميماً «٨» راجعا حال لتأكيد الحدث المراد من الفعل لأن (قفل) معناها عاد .

الأسد فوجدته كئيباً حزيناً مهموماً لما ورد عليه من قتل شترَبة . فقالت له : ما هذا الهمّ الذي قد أخذ منك[1] وغلب عليك ؟ . قال : يحزنني قتل شترَبة ، إذ تذكرت صحبته ومواظبته[2] على خدمتي ، وما كنت أسمع من نصيحته ، وأسكن إليه[3] من مشاورته ، وأقبل من مناصحته . قالت أم الأسد : إنّ من أشدّ الحوادث ماشهد به امرؤ على نفسه ، وهذا خطأ عظيم . كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم ولا يقين ؟! ولولا ماقالت العلماء في إذاعة الاسرار وما فيها من الإثم والشنار لذكرت لك[4] ، وأخبرتك بما علمت . قال الاسد : إنّ أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ، ومعان مختلفة . إني لا أعلم صواب ما تقولين . وإن كان عندك رأي فلا تطويه[5] عني . وإن كان قد أسرّ اليك أحدٌ سراً فأخبريني به . وأطلعيني عليه ، وعلى جملة الامر . فأخبرته بجميع ما ألقاه اليها النمر من غير أن تخبره باسمه ، وقالت : إني لم أجهل قول العلماء في تعظيم العقوبة وتشديدها ، وما يدخل على الرجل من العار في إذاعة الاسرار . ولكني أحببت أن أخبرك بما فيه المصلحة لك ، وإن وصل خطؤه وضرره إلى العامّة ، فإصرارهم على خيانة الملك

«١» نال منك . «٢» مداومته . «٣» اطمئن . «٤» المفعول محذوف وتريد : لذكرت لك أخباراً علمتها . «٥» تخفيه .

مِمَّا لا يَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْهُم ، وبِهِ يَحْتَجُّ السُّفَهَاءُ » وَيَسْتَحْسِنُونَ مَا يَكُونُ مِنْ أَعْمَالِهِمُ القَبِيحَةِ وأَشَدُّ مَعَارِّهِمْ [1] إِقْدَامُهُمْ عَلى ذِي الحَزْمِ فَلَمَّا قَضَتْ أُمُّ الأَسَدِ هٰذَا الكَلامَ ، اسْتَدْعَى أَصْحَابَهُ وجُنْدَهُ فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةَ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَي الأَسَدِ ورَأَى مَاهُوَ عَلَيْهِ مِن الحُزْنِ والكَآبَةِ الْتَفَتَ إلى بَعْضِ الحَاضِرِينَ ، فَقَالَ : مَا الَّذي حَدَثَ؟ ومَا الَّذي أَحْزَنَ المَلِكَ ؟ فَالتَفَتَتْ أُمُّ الأَسَدِ إليْهِ ، وقَالَتْ : قَدْ أَحْزَنَ المَلِكَ بَقَاؤُكَ ولوْ طَرْفَةَ عَيْنٍ [2] . ولنْ يَدَعَكَ بَعْدَ اليَوْمِ حَيًّا . قَالَ دِمْنَةُ : مَا تَرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِرِ شَيْئاً ، لأَنَّهُ يُقَالُ : أَشَدُّ النَّاسِ فِي تَوَقِّي الشَّرِّ [3] يُصِيبُهُ الشَّرُّ قَبْلَ المُسْتَسْلِمِ [4] لَهُ . فَلا يَكُونَنَّ المَلِكُ وخَاصَّتُهُ وجُنُودُهُ المَثَلَ السَّوْءَ [5] . وقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ قِيلَ : مَنْ صَحِبَ الأَشْرَارَ وهُوَ يَعْلَمُ حَالَهُمْ كَانَ أَذَاهُ مِنْ نَفْسِهِ . ولِذلِكَ انْقَطَعَتِ [6] النُّسَّاكُ بِأَنْفُسِهَا عَنِ الخَلْقِ ، واخْتَارَتِ الوَحْدَةَ على المُخَالَطَةِ ، وحُبَّ العَمَلِ لِلّهِ على حُبِّ الدُّنيَا وأَهْلِهَا : ومَنْ يَجْزِي بالخَيْرِ خَيْراً وبالإِحْسَانِ إِحْسَاناً إِلاَّ اللهُ » ومَنْ طَلَبَ الجَزَاءَ على الخَيْرِ مِنَ النَّاسِ كَانَ حَقِيقاً أَنْ يَحْظَى بالحِرْمَانِ ، إِذْ يُخْطِئُ الصَّوابَ فِي خُلوصِ [7] العَمَلِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالى ،

«١» معارهم : جمع معرة وهي الاثم والخيانة . «٢» طرفة : خبر لكان حذفت مع اسمها والتقدير ولو كان البقاء طرفة عين . «٣» الاحتراس منه . «٤» المنقاد . «٥» المثل القبيح . «٦» بمعنى اعتزلت . «٧» اخلاص .

وطَلَبِ الجَزَاءِ مِنَ النَّاسِ . وإنَّ أَحقَّ مَارَغِبْتَ فيه رَعِيَّةُ المَلِكِ هُوَ مَحَاسِنُ الأَخلاقِ ومَوَاقِعُ الصَّوابِ وجَميلُ السِّيَرِ . وقَدْ قالتِ العُلَمَاءُ : مَنْ صَدَّقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُكَذَّبَ وكَذَّبَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُصَدَّقَ خَرَجَ مِنْ مَصَافِّ العُقَلاءِ ، وكانَ جَديراً بالازْدِرَاءِ [1] .

فَيَنْبَغِي أَلاَّ يُعَجِّلَ المَلِكُ في أَمْرِي بِشُبْهَةٍ . ولَسْتُ أَقُولُ هٰذَا كَرَاهَةً لِلْمَوتِ ، فَإِنَّهُ وإِنْ كانَ كَرِيهاً لامَنْجَى مِنْهُ ، وكُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ ولَوْ كانَتْ لِي مِائَةُ نَفْسٍ وأَعْلَمُ أَنَّ هَوَى المَلِكِ في إِتْلافِهِنَّ لَطِبْتُ لَهُ بِذَلِكَ [2] نَفْساً . فَقَالَ بَعْضُ الجُنْدِ : لَمْ يَنْطِقْ بِهٰذَا لِحُبِّهِ المَلِكَ ، ولٰكِنْ لِخَلاصِ نَفْسِهِ والتِماسِ العُذْرِ لَهَا . فَقالَ لَهُ دِمْنَةُ : وَيْلَكَ [3] وهَلْ عَلَيَّ في التِماسِ العُذْرِ لِنَفْسِي عَيْبٌ ؟ وهَلْ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلى الإِنسَانِ مِنْ نَفْسِهِ ؟ وإِذَا لَمْ يَلْتَمِسْ لَهَا العُذْرَ فَمَنْ يَلْتَمِسُهُ ؟ لَقَدْ ظَهَرَ مِنْكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ كِتْمَانَهُ مِنَ الحَسَدِ والبَغْضَاءِ ، ولَقَدْ عَرَفَ مَنْ سَمِعَ مِنْكَ ذٰلِكَ [4] أَنَّكَ لاتُحِبُّ لأَحَدٍ خَيْراً ، وأَنَّكَ عَدُوُّ نَفْسِكَ ، فَمَنْ سِوَاهَا بِالأَوْلَى ؟ فَمِثْلُكَ لا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَ البَهَائِمِ فَضْلاً عَنْ أَنْ

«١» الاحتقار . «٢» سرّت نفسي واطمأنت . «٣» ويل : كلمة عذاب ويقال « ويلم وويلك ـ بفتح اللام وويلي وويل لزيد ـ بضم اللام ـ وويلا له » فالنصب . على إضمار الفعل والرفع على الابتداء ، هذا اذا لم تضف أما اذا أضيفت فليس الا النصب لانك لو رفعته لم يكن له خبر ويقال في الندبة ويلاه والهاء للسكت . «٤» من الحاضرين .

يَكُونَ بِبَابِهِ . فَلَمَّا أَجَابَهُ دِمْنَةُ بِذَلِكَ خَرَجَ مُكْتَئِباً حَزِيناً مُسْتَحِياً . فَقَالَتْ أُمُّ الأَسَدِ لِدِمْنَةَ : لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْكَ — أَيُّها المُحْتَالُ — فِي قِلَّةِ حَيَائِكَ وَكَثْرَةِ وَقَاحَتِكَ ، وَسُرْعَةِ جَوَابِكَ لِمَنْ كَلَّمَكَ . قَالَ دِمْنَةُ : لأَنَّكِ تَنْظُرِينَ إِلَيَّ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ ، وَتَسْمَعِينَ مِنِّي بِأُذُنٍ وَاحِدَةٍ مَعَ أَنَّ شَقَاوَةَ جَدِّي قَدْ زَوَتْ[1] عَنِّي كُلَّ شَيْءٍ ، حَتَّى لَقَدْ سَعَوْا إِلَى المَلِكِ بِالنَّمِيمَةِ عَلَيَّ . وَلَقَدْ صَارَ مَنْ بِبَابِ المَلِكِ لاسْتِخْفَافِهِمْ[2] بِهِ وَطُولِ كَرَامَتِهِ إِيَّاهُمْ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ العَيْشِ وَالنِّعْمَةِ لا يَدْرُونَ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَنْبَغِي لَهُمُ الكَلامُ ، وَلا مَتَى يَجِبُ عَلَيْهِمُ السُّكُوتُ . قَالَتْ : أَلا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الشَّقِيِّ مَعَ عِظَمِ ذَنْبِهِ كَيْفَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ بَرِيئاً كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ غَيْرَ أَعْمَالِهِمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ . كَالَّذِي يَضَعُ الرَّمَادَ[3] مَوْضِعاً يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَ فِيهِ الرَّمْلَ وَيَسْتَعْمِلَ فِيهِ السِّرْحِينَ[4] ، وَالرَّجُلِ الَّذِي يَلْبَسُ لِبَاسَ المَرْأَةِ ، وَالمَرْأَةِ الَّتِي تَلْبَسُ لِبَاسَ الرَّجُلِ ، وَالضَّيْفِ الَّذِي يَقُولُ : أَنَا رَبُّ البَيْتِ ، وَالَّذِي يَنْطِقُ بَيْنَ الجَمَاعَةِ بِمَا لا يُسْأَلُ عَنْهُ . وَإِنَّمَا الشَّقِيُّ مَنْ لا يَعْرِفُ الأُمُورَ وَلا أَحْوَالَ النَّاسِ ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلا يَسْتَطِيعُ

«١» زوت : نحت وأبعدت . «٢» لاستهانتهم به واستقلال أمره «٣» صفوة النار .
«٤» السرحين بالكسر ويقال له السرقين أيضاً وهو الزبل .

ذَلِكَ . قَالتْ أُمُّ الأَسَدِ : أَتظُنُّ ــ أَيُّها الغادرُ المُحْتَالُ ــ بقَوْلِكَ هٰذا أَنكَ تَخْدَعُ المَلِكَ ولا يَسْجُنُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : الغَــادرُ الَّذي لا يَأْمَنُ عَدُوُّهُ مَكْرَهُ ، وإِذَا اسْتَمْكَنَ مِنْ عَدُوِّهِ قَتَلَهُ عَلى غَيْرِ ذَنْبٍ . قَالتْ أُمُّ الأَسَدِ : ــ أَيُّها الغَادِرُ الكَذُوبُ ــ أَتظُنُّ أَنكَ نَاجٍ مِنْ عَاقِبَةِ كَذِبِكَ ؟ وأَنَّ مِحَالَكَ[1] هٰذَا يَنْفَعُكَ مَعَ عِظَمِ جُرْمِكَ[2] ؟ قَالَ دِمْنَةُ: الكَذُوبُ الَّذي يَقُولُ مَا لَمْ يَكُنْ ، ويأْتِي بِمَــا لَمْ يُقَلْ ولَمْ يُفْعَلْ ، وكلامِي واضِحٌ مُبِينٌ . قَالتْ أُمُّ الأَسَدِ : العُلَمَاءُ مِنكُمْ هُمُ الَّذينَ يُوَضِّحُونَ أَمْرَهُ بِفَصْلِ الخِطَابِ[3] . ثُمَّ نَهَضَتْ فَخَرَجَتْ . فَدَفَعَ الأَسَدُ دِمْنَةَ إِلى القَاضِي . فَأَمَرَ القَاضِي بِحَبْسِه ، فَأُلقِيَ في عُنُقِهِ حَبْلٌ ، وانْطَلَقَ إِلى السِّجْنِ .

فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أُخْبِرَ كَلِيلَةُ أَنَّ دِمْنَةَ في الحَبْسِ . فَأَتَاهُ مُسْتَخْفِياً . فَلَمَّا رَآهُ ومَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ ضِيقِ القُيُودِ وحَرَجِ المَكَانِ ، بَكَى وقَالَ لَهُ مَا وَصَلْتَ إِلى مَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ إِلاَّ لاسْتِعْمَالِكَ الخَدِيعَةَ والمَكْرَ ، وإِضْرَابِكَ عَنِ العِظَةِ . ولَكِنْ لَمْ يَكُنْ لي بُدٌّ فِيمَا مَضَى مِن إِنْذَارِكَ والنَّصِيحَةِ لَكَ ، والمُسَارَعَةِ إِلَيْكَ في خُلُوصِ الرَّغْبَةِ فيكَ ، فإِنَّهُ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ ، ولِكُلِّ مَوْضِعٍ مَجَالٌ . ولَوْ كُنْتُ قَصَّرْتُ في عِظَتِكَ حِــينَ كُنْتَ في

«١» كيدك . «٢» ذنبك . «٣» يعني بالكلام الواضح الصريح .

عَافِيَةٍ لكُنْتُ اليَوْمَ شَرِيكَكَ فِي ذَنْبِكَ . غَيْرَ أَنَّ العَجَبَ[1] دَخَلَ مِنْكَ مَدْخَلاً قَهَرَ رَأْيَكَ ، وغَلَبَ عَلَى عَقْلِكَ . وكُنْتُ أَضْرِبُ لَكَ الأَمْثَالَ كَثِيراً ، وأُذَكِّرُكَ قَوْلَ العُلَمَاءِ وقَدْ قَالَتِ العُلَمَاءُ : إِنَّ المُحْتَالَ يَمُوتُ قَبْلَ أَجَلِهِ . قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ عَرَفْتُ صِدْقَ مَقَالَتِكَ ، وقَدْ قَالَتِ العُلَمَاءُ : لاتَجْزَعْ[2] مِنَ العَذَابِ إِذَا وَقَفْتَ مِنْكَ عَلَى خَطِيئَةٍ . ولأَنْ تُعَذَّبَ فِي الدُّنْيَا بِجُرْمِكَ خَيرٌ مِن أَنْ تُعَذَّبَ فِي الآخِرَةِ بِجَهَنَّمَ[3] مَعَ الإِثْمِ . قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ فَهِمْتُ كَلامَكَ ، ولكِنَّ ذَنْبَكَ عَظِيمٌ ،وعِقَابَ الأَسَدِ شَدِيدٌ أَلِيمٌ . وكَانَ بِقُرْبِهِمَا فِي السِّجْنِ فَهْدٌ مُعْتَقَلٌ[4] ، يَسْمَعُ كَلامَهُمَا ولايَرَيَانِهِ . فَعَرَفَ مُعَاتَبَةَ كَلِيلَةَ لِدِمْنَةَ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ ، ومَا كَانَ مِنْهُ ، وأَنَّ دِمْنَةَ مُقِرٌّ[5] بِسُوءِ عَمَلِهِ وعَظِيمِ ذَنْبِهِ ، فَحَفِظَ المُحَاوَرَةَ بَيْنَهُمَا، وكَتَمَهَا لِيَشْهَدَ بِهَا إِنْ سُئِلَ عَنْهَا . ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، ودَخَلَتْ أُمُّ الأَسَدِ حِينَ أَصْبَحَتْ[6] عَلَى الأَسَدِ . وقَالَتْ لَهُ : ــ يَاسَيِّدَ الوُحُوشِ ــ حُوشِيتَ[7] أَنْ تَنْسَى مَا قُلْتَ بِالأَمْسِ ، وأَنَّكَ أَمَرْتَ بِهِ

«١» الكبر ، والغرور . «٢» لا تخف . «٣» جهنم : مكان العقاب الأخروي . «٤» الفهد بالفتح : حيوان من فصيلة الكلب البري له مزاج كمزاج النمر وفي طبعه مشابهة لطباع الكلاب ، ولذلك زعم « أرسطو » أنه يتولد بين نمر وأسد . كثير النمو ثقيل الجثة ومن خلقه الغضب وله وثبات شديدة . ومعتقل مقيد ومحبوس . «٥» معترف . «٦» حين جاءها الصباح . «٧» حوشيت : نزّهت .

لوقتِهِ ، وأَرْضَيْتَ بِهِ ربَّ العِبادِ . وقَدْ قالتِ العُلَماءُ : لا يَنْبَغِي للإِنسانِ أَنْ يَتَوانى[1] في الجِدِّ لِلتَّقْوَى ، بَلْ لا يَنْبَغِي أَنْ يُدافِعَ عَنْ ذَنْبِ الأَثِيمِ[2] . فَلَما سَمِعَ الأَسَدُ كلامَ أُمِّهِ أَمَرَ أَنْ يَحْضُرَ النَّمِرُ : وهُوَ صاحِبُ القَضاءِ . فَلَما حَضَرَ قالَ لهُ ولِلْجَوَّاسِ العادِلِ[3] : اجْلِسا في مَوْضِعِ الحُكْمِ ، ونادِيا في الجُنْدِ صَغِيرِهِمْ وكَبِيرِهِمْ . أَنْ يَحْضُرُوا ، ويَنْظُرُوا في حالِ دِمْنَةَ ، ويَبْحَثُوا عَنْ شأْنِه ، ويَفْحَصُوا عَنْ ذَنْبِهِ ، ويُثْبِتُوا قَوْلَهُ وعُذْرَهُ في كُتُبِ القَضاءِ . وارْفَعَا إِلَيَّ ذلِكَ يَوْماً فَيَوْماً : فَلَما سَمِعَ ذلِكَ النَّمِرُ والجَوَّاسُ العادِلُ — وكانَ هَذا الجَوَّاسُ عَمَّ الأَسَدِ — قالا : سَمْعاً وطاعَةً[4] لما أَمَرَ المَلِكُ وخَرَجا مِنْ عِنْدِهِ فعَمِلا بِمُقْتَضَى ما أَمَرَهُما بِه . حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ اليَوْمِ الَّذي جَلَسُوا فِيهِ ثَلاثُ ساعاتٍ أَمَرَ القاضِي أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةَ . فَأُتِيَ بِهِ . فَأُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ والجَماعَةُ حُضُورٌ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ[5] بِهِ المَكانُ نادَى سَيِّدُ الجَمْعِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَيُّها الجَمْعُ ، إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَيِّدَ السِّباعِ لَمْ يَزَلْ مُنْذُ قَتَلَ شَتْرَبَةَ خائِرَ النَّفْسِ[6] ، كَثِيرَ الهَمِّ والحُزْنِ : يَرَى أَنَّهُ قَدْ قَتَلَ شَتْرَبَةَ بِغَيْرِ

«١» يقصر . «٢» مرتكب الاثم . «٣» الجواس اسم من أسماء الاسد وهو من جاس اذا تردد خلال الدور ويريد به هنا الاسد الذي اختير ليكون قاضياً . «٤» سمعاً وطاعة منصوبتين على المصدر والتقدير اسمع سمعاً وأطيع طاعة . «٥» ثبت في مكان المحاكمة . «٦» خائر النفس : مختلطها ، منقبضها .

ذَنْبٍ ، وأَنَّهُ أَخَذَهُ [1] بِكَذِبِ دِمْنَةَ ونَمِيمَتِهِ . وهٰذَا القَاضِي قَدْ أَمَرَ أَنْ يَجْلِسَ مَجْلِسَ ٱلقَضَاءِ ، ويَبْحَثَ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ فَلْيَقُلْ ذٰلِكَ ، ولْيَتَكَلَّمْ بِهِ على رُؤُوسِ الجَمْعِ والأَشْهَادِ [2] ، لِيَكُونَ القَضَاءُ في أَمْرِهِ بِحَسَبِ ذٰلِكَ . فَإِذَا ٱسْتَوْجَبَ [3] القَتْلَ فَالتَّثَبُّتُ في أَمْرِهِ أَوْلَى . والعَجَلَةُ مِنَ الهَوَى ، ومُتَابَعَةُ الأَصْحَابِ عَلَى ٱلبَاطِلِ ذُلٌّ . فَعِنْدَهَا قَالَ ٱلقَاضِي : أَيُّهَا الجَمْعُ ، ٱسْمَعُوا قَوْلَ سَيِّدِكُمْ ولا تَكْتُمُوا مَاعَرَفْتُمْ مِنْ أَمْرِهِ ، واحْذَرُوا في السِّتْرِ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ :

إِحداهُنَّ — وهِيَ أَفْضَلُهُنَّ — أَلَّا تَزْدَرُوا [4] فِعْلَهُ ، ولَا تَعُدُّوهُ يَسِيراً . فَمِنْ أَعْظَمِ الخَطَايَا قَتْلُ ٱلبَرِيءِ الَّذِي لَا ذَنْبَ لَهُ بِٱلكَذِبِ وَٱلنَّمِيمَةِ ، ومَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هٰذَا ٱلكَذَّابِ الَّذِي اتَّهَمَ ٱلبَرِيءَ بِكَذِبِهِ ونَمِيمَتِهِ شَيْئاً فَسَتَرَ عَلَيْهِ فَهُوَ شَرِيكُهُ في الإِثْمِ وَٱلعُقُوبَةِ .

والثَّانِيَةُ إِذَا ٱعْتَرَفَ ٱلمُذْنِبُ بِذَنْبِهِ كَانَ أَسْلَمَ لَهُ وأَحْرَى بِالمِلْكِ وجُنْدِهِ أَنْ يَعْفُوا عَنْهُ ويَصْفَحُوا .

والثَّالِثَةُ تَرْكُ مُرَاعَاةِ [5] أَهْلِ الذَّمِّ وَٱلفُجُورِ ، وقَطْعُ أَسْبَابِ مُوَاصَلَاتِهِمْ ومَوَدَّتِهِمْ عَنِ الخَاصَّةِ وَٱلعَامَّةِ . فَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هٰذَا ٱلمُحْتَالِ شَيْئاً فَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ مِمَّنْ حَضَرَ ، لِيَكُونَ ذٰلِكَ حُجَّةً عَلَيْهِ .

«١» اي عاقبه بسبب كذب دمنه . «٢» جمع شاهد و يقصد به شهود المحاكمة .
«٣» استحق . «٤» تستصغروا . «٥» التساهل معهم .

وَقَدْ قيلَ : إِنَّهُ مَنْ كَتَمَ شَهادَةً أُلْجِمَ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ يَوْمَ القِيامَةِ . فَلْيَقُلْ كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ ما عَلِمَ . فَلَمّا سَمِعَ ذٰلِكَ الجَمْعُ كَلامَهُ أَمْسَكُوا عَنِ القَوْلِ . فَقالَ دِمْنَةُ : ما يُسْكِتُكُمْ ؟! تَكَلَّمُوا بِما عَلِمْتُمْ . وَاعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ كَلِمَةٍ جَواباً . وَقَدْ قالَتِ العُلَماءُ : مَنْ يَشْهَدْ بِما لَمْ يَرَ وَيَقُلْ ما لا يَعْلَمُ أَصابَهُ ما أَصابَ الطَّبيبَ الَّذي قالَ لِما لا يَعْلَمُهُ إِنِّي أَعْلَمُهُ . قالَتِ الجَماعَةُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟!

قالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ في بَعْضِ المُدُنِ طَبيبٌ لَهُ رِفْقٌ[1] وَعِلْمٌ. وَكانَ ذا فِطْنَةٍ[2] فيما يَجْري عَلى يَدَيْهِ مِنَ المُعالَجاتِ فَكَبِرَ ذٰلِكَ الطَّبيبُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ . وَكانَ لِمَلِكِ تِلْكَ المَدينَةِ ابْنَةٌ قَدْ زَوَّجَها لابْنِ أَخٍ لَهُ ، فَعَرَضَ لَها ما يَعْرِضُ لِلْحامِلِ مِنَ الأَوْجاعِ . فَجِيءَ بِهٰذا الطَّبيبِ فَلَمّا حَضَرَ سَأَلَ الجارِيَةَ عَنْ وَجَعِها وَما تَجِدُ . فَأَخْبَرَتْهُ . فَعَرَفَ داءَها وَدَواءَها ، وَقالَ : لَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ لَجَمَعْتُ الأَخْلاطَ[3] عَلى مَعْرِفَتي بِأَجْناسِها ، وَلا أَثِقُ في ذٰلِكَ بِأَحَدٍ غَيْرِي. وَكانَ في المَدينَةِ رَجُلٌ سَفيهٌ . فَبَلَغَهُ الخَبَرُ فَأَتاهُمْ وَادَّعى عِلْمَ الطِّبِّ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ خَبيرٌ بِمَعْرِفَةِ أَخْلاطِ الأَدْوِيَةِ وَالعَقاقيرِ ، عارِفٌ بِطَبائِعِ الأَدْوِيَةِ المُرَكَّبَةِ وَالمُفْرَدَةِ . فَأَمَرَهُ

«١» من رفق العمل إذا أحكمه . «٢» ذكاء . «٣» الاشياء المختلفة من أنواع شتى ويقصد عناصر الدواء المختلفة التي تحتاج لتركيب دقيق .

المَلِكُ أَنْ يَدْخُلَ خِزانَةَ الأَدْوِيَةِ ، فَيَأْخُذَ مِنْ أَخْلاطِ الدَّواءِ حاجَتَهُ . فَلَمّا دَخَلَ السَّفيهُ الخِزانَةَ ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ الأَدْوِيَةُ ، وَلا يَدْري : ما هِيَ وَلا لَهُ بِها مَعْرِفَةٌ ، أَخَذَ في جُمْلَةِ ما أَخَذَ مِنْها صُرَّةً فيها سُمٌّ قاتِلٌ لِوَقْتِهِ ، وَخَلَطَهُ في الأَدْوِيَةِ ، وَلا عِلْمَ لَهُ بِهِ ، وَلا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ بِجِنْسِهِ . وَلَمّا تَمَّتْ أَخْلاطُ الأَدْوِيَةِ سَقَى الجارِيَةَ مِنْهُ ، فَماتَتْ لِوَقْتِها . فَلَمّا عَرَفَ المَلِكُ ذٰلِكَ دَعا بِالسَّفيهِ ، فَسَقاهُ مِنْ ذٰلِكَ الدَّواءِ فَماتَ مِنْ ساعَتِهِ .

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكُمْ هٰذا المَثَلَ لِتَعْلَمُوا ما يَدْخُلُ عَلى القائِلِ وَالعامِلِ مِنَ الزَّلَّةِ[1] بِالشُّبْهَةِ[2] في الخُرُوجِ عَنِ الحَدِّ . فَمَنْ خَرَجَ مِنْكُمْ عَنْ حَدِّهِ أَصابَهُ ما أَصابَ ذٰلِكَ الجاهِلَ ، وَنَفْسُهُ المَلُومَةُ . وَقَدْ قالَتِ العُلَماءُ : رُبَّما جُزِيَ المُتَكَلِّمُ بِقَوْلِهِ . وَالكَلامُ بَيْنَ أَيْديكُمْ ، فَانْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ . فَتَكَلَّمَ سَيِّدُ الخَنازيرِ لِإِدْلالِهِ[3] وَتيهِهِ بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ الأَسَدِ . فَقالَ : يا أَهْلَ الشَّرَفِ مِنَ العُلَماءِ ، اسْمَعُوا مَقالَتي ، وَعُوا[4] بِأَحْلامِكُمْ[5] كَلامي . فَالعُلَماءُ قَدْ قالُوا في الصّالِحينَ : إِنَّهُمْ يُعْرَفُونَ بِسيمائِهِمْ[6] . وَأَنْتُمْ — مَعاشِرَ ذَوِي الاقْتِدارِ بِحُسْنِ صُنْعِ اللهِ لَكُمْ ، وَتَمامِ نِعْمَتِهِ

«١» الخطأ . «٢» الظن والاشتباه . «٣» الادلال : مصدر أدل عليه : وثق بصحبته فأفرط عليه ، ويريد تكلم سيد الخنازير لوثوقه بصحبته الملك واعجابه بنفسه . «٤» تفهموا «٥» عقولكم . «٦» يعرفون بما يظهر على وجوههم من علامات الصلاح .

لَدَيْكُمْ — تَعْرِفُونَ الصَّالِحِينَ بِسِيمَاهُمْ وَصُوَرِهِمْ وَتَخْبُرُونَ[1] الشَّيْءَ الْكَبِيرَ بِالشَّيْءِ الصَّغِيرِ . وَهٰهُنَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَى هٰذَا الشَّقِيِّ دِمْنَةَ ، وَتُخْبِرُ عَنْ شَرِّهِ . فَاطْلُبُوهَا عَلَى ظَاهِرِ جِسْمِهِ ، لِتَسْتَيْقِنُوا[2] وَتَسْكُنُوا إِلَى ذٰلِكَ[3] . فَقَالَ الْقَاضِي لِسَيِّدِ الْخَنَازِيرِ : قَدْ عَلِمْتُ وَعَلِمَ الْجَمَاعَةُ الْحَاضِرُونَ أَنَّكَ عَارِفٌ بِمَا فِي ذٰلِكَ مِنَ الصُّوَرِ مِنْ عَلَامَاتِ السُّوءِ . فَفَسِّرْ لَنَا مَا تَقُولُ ، وَأَطْلِعْنَا عَلَى مَا تَرَى فِي صُورَةِ هٰذَا الشَّقِيِّ . فَأَخَذَ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ يَذُمُّ دِمْنَةَ وَقَالَ : إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ كَتَبُوا وَأَخْبَرُوا أَنَّهُ مَنْ كَانَتْ عَيْنُهُ الْيُسْرَى أَصْغَرَ مِنَ الْيُمْنَى ، وَهِيَ لَا تَزَالُ تَخْتَلِجُ[4] وَكَانَ أَنْفُهُ مَائِلًا إِلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ فَهُوَ شَقِيٌّ خَبِيثٌ . قَالَ لَهُ دِمْنَةُ : شَأْنُكَ عَجَبٌ أَيُّهَا الْقَذِرُ! ذُو الْعَلَامَاتِ الْفَاضِحَةِ الْقَبِيحَةِ . ثُمَّ الْعَجَبُ مِنْ جَرَاءَتِكَ عَلَى طَعَامِ الْمَلِكِ وَقِيَامِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ مَا بِجِسْمِكَ مِنَ الْقَذَرِ وَالْقُبْحِ ، وَمَعَ مَا تَعْرِفُهُ أَنْتَ وَيَعْرِفُهُ غَيْرُكَ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِكَ . أَفَتَتَكَلَّمُ فِي النَّقِيِّ الْجِسْمِ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ ؟! وَلَسْتُ أَنَا وَحْدِي الَّذِي أَطَّلِعُ عَلَى عَيْبِكَ لٰكِنْ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ قَدْ عَرَفَ ذٰلِكَ ، وَقَدْ كَانَ يَحْجُزُنِي[5] عَنْ إِظْهَارِهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الصَّدَاقَةِ . فَأَمَّا إِذْ قَدْ كَذَبْتَ عَلَيَّ ، وَبَهَتَّنِي فِي وَجْهِي[6] ،

«١» تحققون . «٢» لتتأكدوا . «٣» ترتاحوا اليه . «٤» اختلجت العين : انتقضت أجفانها بحركة اضطرارية . «٥» يمنعني . «٦» من قولهم : بهته : اذ قال عليه مالم يفعل .

وَقُمْتَ بِعَداوَتي ، فَقُلْتَ ما قُلْتَ فِيَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ عَلى رُؤُوسِ الحاضِرينَ ، فَإِنِّي أَقْتَصِرُ عَلى إِظْهارِ ما أَعْرِفُ مِنْ عُيُوبِكَ وَتَعْرِفُهُ الجَماعَةُ ، وَحَقٌّ عَلى مَنْ عَرَفَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ أَنْ يَمْنَعَ المَلِكَ مِنَ اسْتِعْمالِهِ إِيَّاكَ عَلى طَعامِهِ. فَلَوْ كُلِّفْتَ أَنْ تَعْمَلَ الزِّراعَةَ لَكُنْتَ جَديراً بِالخُذْلانِ[1] فيها فَالأَحْرى بِكَ أَلاَّ تَدْنُوَ إِلى عَمَلٍ مِنَ الأَعْمالِ ، وَأَلاَّ تَكُونَ دَبَّاغاً وَلا حَجَّاماً[2] لِعامِّيٍّ[3] فَضْلاً عَنْ خاصٍّ خِدْمَةِ المَلِكِ . قالَ سَيِّدُ الخَنازيرِ : أَتَقُولُ لي هٰذِهِ المَقالَةَ وَتَلْقاني بِهٰذا المَلْقى ؟! قالَ دِمْنَةُ : نَعَمْ ! وَحَقّاً[4] قُلْتُ فيكَ ، وَإِيَّاكَ[5] أَعْني ، أَيُّها الأَعْرَجُ[6] المَكْسُورُ ، الأَفْدَعُ الرِّجْلِ[7] ، المَنْفُوخُ البَطْنِ ، الأَفْلَجُ الشَّفَتَيْنِ[8] ، السَّيِّءُ المَنْظَرِ وَالمَخْبَرِ . فَلَمّا قالَ ذٰلِكَ دِمْنَةُ تَغَيَّرَ وَجْهُ سَيِّدِ الخَنازيرِ ، وَاسْتَعْبَرَ[9] ، وَاسْتَحى ، وَتَلَجْلَجَ[10] لِسانُهُ ، وَاسْتَكانَ[11] ، وَفَتَرَ نَشاطُهُ[12] . فَقالَ دِمْنَةُ : — حينَ

«١» الفشل . «٢» الحجام من يتعاطى الحجامة وهي المداواة بالمحجم وهو آلة كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث فيه تهيجاً ويجذب الدم أو المادة بقوة . «٣» اي لرجل من عوام الناس ومغموريهم . «٤» حقاً نائب عن المفعول المطلق لفعل محذوف إذ كان وصفاً للمصدر والتقدير قلت قولاً حقاً . «٥» أيا : مبنى على السكون في محل نصب مفعولاً مقدماً وجوباً . «٦» أيّ : مبنى على الضم في محل نصب على الاختصاص والاعرج نعت له . «٧» الافدع : الاعرج . «٨» أفلج الشفتين : مشقوقهما . «٩» استعبر : بكى وسالت عبرته . «١٠» تلعثم بالكلام . «١١» استكان : ذل . «١٢» فتر : سكن بعد حدته ولان بعد شدته .

رَأى انكِسارَهُ وَبُكاءَهُ — إنَّما يَنبَغي أنْ يَطُولَ بُكاؤُكَ إذا اطَّلَعَ المَلِكُ عَلى قَذَرِكَ وَعُيوبِكَ فَعَزَلَكَ عَنْ طَعامِهِ ، وَحالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ خِدْمَتِهِ ، وَأبعَدَكَ عَنْ حَضْرَتِهِ . ثُمَّ إنَّ شَغْبَراً [1] كانَ الأَسَدُ قَدْ جَرَّبَهُ ، فَوَجَدَ فيهِ أَمانَةً وَصِدْقاً ، فَرَتَّبَهُ [2] في خِدْمَتِهِ ، وَأَمَرَهُ أنْ يَحْفَظَ ما يَجْري بَيْنَهُمْ ، وَيُطْلِعَهُ عَلى ذلِكَ . فَقامَ الشَّغْبَرُ فَدَخَلَ عَلى الأَسَدِ ، فَحَدَّثَهُ بِالْحَديثِ كُلِّهِ عَلى جَلِيَّتِهِ [3] فَأَمَرَ الأَسَدُ بِعَزْلِ سَيِّدِ الْخَنازيرِ عَنْ عَمَلِهِ ، وَأَمَرَ أَلاَّ يَدْخُلَ عَلَيْهِ ، وَلا يَرَى وَجْهَهُ ، وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُسْجَنَ . وَقَدْ مَضى مِنَ النَّهارِ أَكْثَرُهُ ، وَجَميعُ ما جَرَى وَقالُوا وَقالَ قَدْ كُتِبَ وَخُتِمَ عَلَيْهِ بِخاتَمِ النَّمِرِ . وَرَجَعَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ إلى مَنْزِلِهِ .

ثُمَّ إنَّ شَغْبَراً يُقالُ لَهُ رَوْزَبَةُ كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَليلَةَ إخاءٌ وَمَوَدَّةٌ. وَكانَ عِنْدَ الأَسَدِ وَجيهاً [4] ، وَعَلَيْهِ كَريماً . وَاتَّفَقَ أَنَّ كَليلَةَ أَخَذَهُ الْوَجْدُ [5] إشْفاقاً وَحَذَراً عَلى نَفْسِهِ وَأَخيهِ ، فَمَرِضَ وَماتَ . فَانْطَلَقَ هٰذا الشَّغْبَرُ إلى دِمْنَةَ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَوْتِ كَليلَةَ ، فَبَكَى وَحَزِنَ ، وَقالَ : ما أَصْنَعُ بِالدُّنيا بَعْدَ مُفارَقَةِ الأَخِ الصَّفِيِّ ، وَلٰكِنْ أَحْمَدُ اللهَ تَعالى

«١» الشغبر بشين مثلثة وغين معجمة وباء موحدة بعدها راء ، ويفسره الثقات بابن آوى . «٢» وظفه «٣» جلية الامر : الخبر اليقين أو ما ظهر من حقيقته . «٤» بارز القيمة . «٥» الحزن .

حَيْثُ[1] لَمْ يَمُتْ كَلِيلَةُ حَتَّى أَبْقَى لي مِنْ ذَوي[2] قَرابَتي أَخاً مِثْلَكَ ، فَإِنِّي قَدْ وَثِقْتُ بِنِعْمَةِ اللهِ تَعالى وَإِحْسانِـــهِ إِلَيَّ فيما رَأَيْتُ مِن اهْتِمامِكَ بي وَمُراعاتِكَ لي ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجائي وَرُكْني[3] فيما أَنا فيـهِ . فَأُريدُ مِنْ إِنْعامِكَ أَنْ تَنْطَلِقَ إِلى مَكانِ كَذا ، فَتَنْظُرَ إِلى ما جَمَعْتُهُ أَنا وَأَخي بِحَياتِنا وَسَعْينا وَمَشيئَةِ اللهِ تَعالى ، فَتَأْتِيَني بِهِ . فَفَعَلَ الشَّغْبَرُ ما أَمَرَهُ بِهِ دِمْنَةُ . فَلَمّا وَضَعَ الْمالَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعْطاهُ شَطْرَهُ[4] ، وَقالَ لَهُ : إِنَّكَ عَلى الدُّخولِ وَالْخُروجِ عَلى الأَسَدِ أَقْدَرُ مِنْ غَيْرِكَ ، فَتَفَرَّغْ لِشَأْني[5] ، وَاصْرِفِ اهْتِمامَكَ إِلَيَّ ، وَاسْمَعْ ما أَذْكُرُ بِهِ عِنْدَ الأَسَدِ إِذا رُفِعَ إِلَيْهِ ما يَجْري بَيْني وَبَيْنَ الْخُصومِ ، وَما يَبْدُو مِنْ أُمِّ الأَسَدِ في حَقِّي ، وَما تَرَى مِنْ مُتابَعَةِ[6] الأَسَدِ لَها ، وَمُخالَفَتِهِ إِيَّاها في أَمْري وَاحْفَظْ ذٰلِكَ كُلَّهُ . فَأَخَذَ الشَّغْبَرُ ما أَعْطاهُ دِمْنَةُ ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ عَلى هٰذا الْعَهْدِ . فَانْطَلَقَ إِلى مَنْزِلِهِ ، فَوَضَعَ الْمالَ فيهِ . ثُمَّ إِنَّ الأَسَدَ بَكَّرَ مِنَ الْغَدِ فَجَلَسَ ، حَتَّى إِذا مَضى مِنَ النَّهارِ ساعَتانِ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ أَصْحابُهُ ، فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَوَضَعُوا الْكِتابَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمّا عَرَفَ قَوْلَهُمْ وَقَوْلَ دِمْنَةَ دَعا أُمَّهُ فَقَرَأَ عَلَيْها ذٰلِكَ . فَلَمّا سَمِعَتْ ما في الْكِتابِ نادَتْ

«١» حيث . كلمة دالة على المكان وزعم الاخفش أنها تأتي للزمان . «٢» أصحاب قرابتي . «٣» عمدتي . «٤» نصفه . «٥» أي افرغ نفسك ووقتك لملاحظة قضيتي . «٦» موافقة .

بِأَعلى صَوْتِها : إنْ أنا أَغلَظْتُ في ٱلقَوْلِ فَلا تَلُمْني ، فَإِنَّكَ لَسْتَ تَعرِفُ ضَرَّكَ مِنْ نَفعِكَ ، أَلَيسَ هٰذا ٱلمُجرِمُ ٱلمُسيءُ إلَينا ، ٱلغادِرُ بِذِمَّتِنا[1] ؟ ثُمَّ إنَّها خَرَجَتْ مُغضَبَةً — وَذٰلِكَ بِعَينِ الشَّغْبَرِ[2] ٱلَّذي آخاهُ دِمْنَةُ وَبِسَمْعِهِ — فَخَرَجَ في إثْرِها[3] مُسْرِعاً حَتَّى أَتى دِمْنَةَ ، فَحَدَّثَهُ بِالحَديثِ فَبَيْنَما هُوَ عِنْدَهُ إذْ جاءَ رَسُولٌ فَٱنْطَلَقَ بِدِمْنَةَ إلى الجَمْعِ عِنْدَ ٱلقاضي. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلقاضي ٱسْتَفْتَحَ سَيِّدُ المَجْلِسِ ، فَقالَ : يا دِمْنَةُ قَدْ أَنبَأَني بِخَبَرِكَ الأَمينُ الصَّادِقُ . وَلَيسَ يَنْبَغي لَنا أَنْ نَفْحَصَ عَنْ شَأْنِكَ أَكْثَرَ مِنْ هٰذا ، لِأَنَّ ٱلعُلَماءَ قالُوا : إنَّ اللهَ تَعالى جَعَلَ الدُّنيا سَبَباً وَمِصْداقاً لِلآخِرَةِ ، لِأَنَّها دارُ الرُّسُلِ وَالأَنْبِياءِ الدَّالِّينَ عَلى الخَيْرِ ، الهادينَ إلى الجَنَّةِ ، الدَّاعينَ إلى مَعْرِفَةِ اللهِ تَعالى . وَقَدْ ثَبَتَ شَأْنُكَ عِنْدَنا ، وَأَخْبَرَنا عَنْكَ مَنْ وَثِقْنا بِقَوْلِهِ إلاَّ أَنَّ سَيِّدَنا أَمَرَنا بِالعَوْدِ في أَمْرِكَ ، وَٱلفَحْصِ[4] عَنْ شَأْنِكَ ، وَإنْ كانَ عِنْدَنا ظاهِراً بَيِّناً[5] . قالَ دِمْنَةُ : أَراكَ — أَيُّها ٱلقاضي — لَمْ تَتَعَوَّدِ ٱلعَدْلَ في ٱلقَضاءِ[6] وَلَيسَ في عَدْلِ المُلُوكِ دَفْعُ المَظْلُومينَ وَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ إلى قاضٍ غَيْرِ عادِلٍ ، بَلِ

«١» بعهدنا. «٢» أي أمام عين الشغبر وسمعه خرجت مغضبة وقالت ماقالته «٣» أي ذهب وراءها. «٤» التدقيق. «٥» واضحاً. «٦» العدل. مفعول لتعود، ومن الخطأ أن يعدي هذا الفعل بعلى فلايجوز أن يقال تعودت على المكرمات وانما اسقاط الحرف واجب .

الْمُخاصَمَـــةُ عَنْهُمْ وَالذَّوْدِ[1] . فَكَيْفَ تَرَى أَنْ أُقْتَلَ وَلَمْ أُخاصَمْ[2] ، وَتُعَجِّلَ ذٰلِكَ مُوافَقَةً لِهَواكَ[3] ، وَلَمْ تَمْضِ بَعْدَ ذٰلِكَ ثَلاثَةُ أَيّامٍ ؟ وَلٰكِنْ صَدَقَ الَّذي قالَ : إِنَّ الَّذي تَعَوَّدَ عَمَلَ الْبِرِّ[4] هَيِّنٌ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَإِنْ أَضَرَّ بِهِ . قالَ الْقاضي : إِنَّا نَجِدُ في كُتُبِ الأَوَّلينَ أَنَّ الْقاضِيَ يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ عَمَلَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسيءِ لِيُجازِيَ الْمُحْسِنَ بِإِحْسانِهِ ، وَالْمُسيءَ بِإِساءَتِهِ ، فَإِذا ذَهَبَ إِلى هٰذا ازْدادَ الْمُحْسِنُونَ حِرْصاً عَلى الإِحْسانِ ، وَالْمُسيئُونَ اجْتِناباً لِلذُّنُوبِ . وَالرَّأْيُ لَكَ ــ يا دِمْنَةُ ــ أَنْ تَنْظُرَ الَّذي وَقَعْتَ فيهِ ، وَتَعْتَرِفَ بِذَنْبِكَ ، وَتُقِرَّ بِهِ ، وَتَتُوبَ . فَأَجابَهُ دِمْنَةُ : إِنَّ صالِحِي الْقُضاةِ لا يَقْطَعُونَ[5] بِالظَّنِّ ، وَلا يَعْمَلُونَ بِهِ ، لا في الْخاصَّةِ[6] وَلا في الْعامَّةِ ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّ الظَّنَّ لا يُغْني مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً . وَأَنْتُمْ إِنْ ظَنَنْتُمْ أَنِّي مُجْرِمٌ فيما فَعَلْتُ فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسي مِنْكُمْ ، وَعِلْمي بِنَفْسي يَقينٌ لا شَكَّ فيهِ ، وَعِلْمُكُمْ بي غايَةُ الشَّكِّ . وَإِنَّما قَبُحَ أَمْري عِنْدَكُمْ أَنِّي سَعَيْتُ[7] بِغَيْري ، فَما عُذْري عِنْدَكُمْ إِذا سَعَيْتُ بِنَفْسي كاذِباً عَلَيْها ؟! فَأَسْلَمْتُها لِلْقَتْلِ وَالْعَطَبِ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنّي بِبَراءَتي وَسَلامَتي مِمّا قُرِفْتُ بِهِ[8]

«١» الدفاع . «٢» أي ليس لي خصم يشكوني في هذه المحاكمة . «٣» لميلك الخاص غير المستقيم . «٤» الخير . «٥» لا يبنون احكاماً قاطعة على الشبهة والظن . «٦» اي لا في محاكمتهم للخاصة ولا للعامة . «٧» وشيت . «٨» قرفت به : اتهمت به .

وَنفسي أعظَمُ الأنفُسِ عَلَيَّ حُرمَةً[1] ، وأوجَبُها حَقًّا ، فَلَوْ فعَلْتُ هٰذا بِأقصاكُمْ وأدْناكُمْ لَمَا وَسِعَني[2] في ذَنْبي ، ولا حسُنَ في مُروءَتي ، ولا حَقَّ لي أنْ أفعَلَهُ . فكَيْفَ أفعَلُهُ بِنَفْسي ؟! فاكْفُفْ[3] — أيُّها القاضي — عَنْ هٰذِهِ المَقالَةِ ، فإنَّها إنْ كانَتْ مِنكَ نصيحَةً ، فَقَدْ أخطَأتَ مَوْضِعَها ، وإنْ كانَتْ خَديعَةً فإنَّ أقبَحَ الخِداعِ ما نَظَرْتَهُ وعَرَفْتَ أنَّهُ مِنْ غَيْرِ أهْلِهِ ، مَعَ أنَّ الخِداعَ والمَكْرَ لَيْسا مِنْ أعمالِ صالِحي القُضاةِ ، ولا تُقاةِ الوُلاةِ .

واعْلَمْ أنَّ قَوْلَكَ مِمَّا يَتَّخِذُهُ الجُهّالُ والأشرارُ سُنَّةً[4] يَقْتَدُونَ بِها ، لِأنَّ أُمورَ القُضاةِ يأخُذُ بِصَوابِها أهْلُ الصَّوابِ ، وبِخَطَئِها أهلُ الخَطَإِ والباطِلِ والقَليلُ الوَرَعِ . وأنا خائفٌ عَلَيْكَ — أيُّها القاضي — مِنْ مَقالَتِكَ هٰذِهِ أعْظَمَ الرَّزايا والبَلايا . ولَيْسَ مِنَ البَلاءِ والمُصيبَةِ أنَّكَ لَمْ تَزَلْ في نَفْسِ المَلِكِ والجُنْدِ والخاصَّةِ والعامَّةِ فاضِلاً في رَأْيِكَ ، مُقْنِعاً في عَدْلِكَ ، مُرْضِياً في حُكْمِكَ ، وعَفافِكَ وفَضْلِكَ . وإنَّما البَلاءُ[5] كَيْفَ أُنسِيتَ ذٰلِكَ في أمْري ؟!

فَلَمّا سَمِعَ القاضي ذٰلِكَ مِنْ لَفْظِ دِمْنَةَ نَهَضَ فَرَفَعَهُ إلى الأسَدِ على

«١» تعظيماً وتقديراً «٢» لما جاز لي «٣» أمسك وتوقف . «٤» طريقة .
«٥» البلية والمصيبة .

وَجْهِهِ . فَنَظَرَ فيهِ الأَسَدُ . ثُمَّ دَعا أُمَّهُ فَعَرَضَهُ عَلَيْها . فَقالَتْ حينَ تَدَبَّرَتْ[1] كَلامَ دِمْنَةَ لِلأَسَدِ : لَقَدْ صارَ اهْتِمامي بِما أَتَخَوَّفُ مِنَ احْتِيالِ دِمْنَةَ لَكَ بِمَكْرِهِ وَدَهائِهِ حَتَّى يَقْتُلَكَ أَوْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ أَمْرَكَ أَعْظَمَ مِنَ اهْتِمامي بِما سَلَفَ[2] مِنْ ذَنْبِهِ إِلَيْكَ في الْغِشِّ وَالسِّعايَةِ حَتَّى قَتَلْتَ صَديقَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ . فَوَقَعَ قَوْلُها في نَفْسِهِ[3] . فَقالَ لَها : أَخْبِريني عَنِ الَّذي أَخْبَرَكِ عَنْ دِمْنَةَ بِما أَخْبَرَكِ فَيَكُونَ حُجَّةً لي في قَتْلِ دِمْنَةَ . فَقالَتْ : إِنِّي لأَكْرَهُ أَنْ أُفْشِيَ سِرَّ مَنِ اسْتَكْتَمَنِيهِ[4] ، فَلا يَهْنِئُني سُرُوري بِقَتْلِ دِمْنَةَ إِذا تَذَكَّرْتُ أَنِّي اسْتَظْهَرْتُ[5] عَلَيْهِ بِرُكُوبِ[6] ما نَهَتْ عَنْهُ الْعُلَماءُ مِنْ كَشْفِ السِّرِّ . وَلَكِنِّي أُطالِبُ الَّذي اسْتَوْدَعَنِيهِ[7] أَنْ يَجْعَلَني في حِلٍّ مِنْ ذِكْرِهِ لَكَ ، وَيَقُومَ هُوَ بِعِلْمِهِ وَما سَمِعَهُ مِنْهُ . ثُمَّ انْصَرَفَتْ وَأَرْسَلَتْ إِلى النَّمِرِ ، وَذَكَرَتْ لَهُ ما يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ مُعاوَنَتِهِ الأَسَدَ عَلى الْحَقِّ ، وَإِخْراجِ نَفْسِهِ مِنَ الشَّهادَةِ الَّتي لا يَكْتُمُها مِثْلُهُ ، مَعَ ما يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ الْمَظْلُومينَ ، وَتَثْبيتِ حُجَّةِ الْحَقِّ في الْحَياةِ وَالْمَماتِ . فَإِنَّهُ قَدْ قالَتِ الْعُلَماءُ : مَنْ كَتَمَ حُجَّةَ مَيِّتٍ أَخْطَأَ حُجَّتَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ . فَلَمْ تَزَلْ

«١» تفهمّت . «٢» تقدم . «٣» أي أثر في نفسه . «٤» طلب مني كتمانه . «٥» استعنت . «٦» يقصد باستعمال . «٧» اي أني اطلب من الذي اسرّ لي بهذه السر ان يسمح لي بذكره لك .

بِهِ حَتَّى قامَ فَدَخَلَ عَلى الأَسَدِ فَشَهِدَ عِنْدَهُ بِما سَمِعَ مِنْ إقْرارِ دِمْنَةَ فَلَمّا شَهِدَ النَّمِرُ بِذٰلِكَ أَرْسَلَ ٱلْفَهْدُ الْمَحْبُوسُ الَّذي سَمِعَ إقْرارَ دِمْنَةَ[1] وَحَفِظَهُ إلى الأَسَدِ ؛ فَقالَ : إنَّ عِنْدي شَهادَةَ فَأَخْرِجُوهُ ، فَشَهِدَ عَلى دِمْنَةَ بِما سَمِعَ مِنْ إقْرارِهِ . فَقالَ لَهُما الأَسَدُ : ما مَنَعَكُما أَنْ تَقُوما بِشَهادَتِكُما ؟ وَقَدْ عَلِمْتُما أَمْرَنا وَاهْتِمامَنا بِالْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ . فَقالَ كُلٌّ واحِدٍ مِنْهُما : قَدْ عَلِمْنا أَنَّ شَهادَةَ الْواحِدِ لاتُوجِبُ حُكْمًا ، فَكَرِهْنا التَّعَرُّضَ لِغَيْرِ ما يَمْضي بِهِ الْحُكْمُ[2] ، حَتَّى إذا شَهِدَ أَحَدُنا قامَ الآخَرُ بِشَهادَتِهِ ، فَقَبِلَ الأَسَدُ قَوْلَهُما وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُقْتَلَ في حَبْسِهِ فَقُتِلَ أَشْنَعَ قِتْلَةٍ . فَمَنْ نَظَرَ في هٰذا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَرادَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضَرِّ غَيْرِهِ بِالْخَلابَةِ[3] وَالْمَكْرِ فَإِنَّهُ سَيُجْزَى عَلى خِلابَتِهِ وَمَكْرِهِ .

«١» اعترافه بالسعي لقتل شترية . «٢» لان الحكم لا يتأتي الا بشهادة شاهدين .
«٣» الخلابة بالكسر : الخديعة والمكر .

الباب الثالث

الحمامة المطوّقة

«مثَل إخوان الصفا»

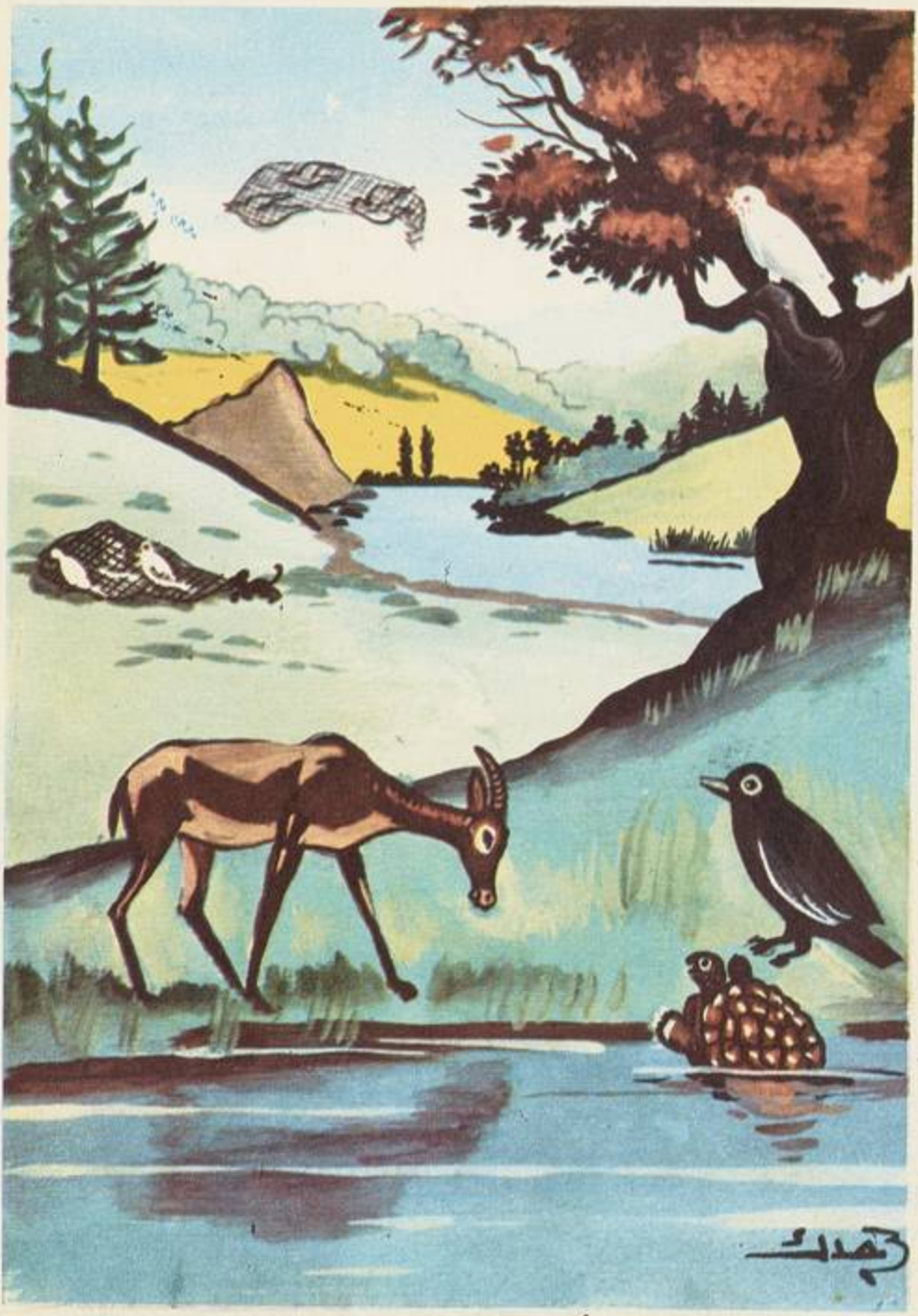

الحمامة المطوّقة

قَالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبَا الفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ المُتَحَابَّيْنِ : كَيْفَ قَطَعَ بَيْنَهُمَا الكَذُوبُ ؟ وإِلَى مَاذَا صَارَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ؟ فَحَدِّثْنِي إِنْ رَأَيْتَ عَنْ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ : كَيْفَ يُبْتَدَأُ تَوَاصُلُهُمْ وَيَسْتَمْتِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ . قَالَ الفَيْلَسُوفُ : إِنَّ العَاقِلَ لَا يَعْدِلُ بِالإِخْوَانِ شَيْئاً ، فَالإِخْوَانُ هُمُ الأَعْوَانُ عَلَى الخَيْرِ كُلِّهِ ، والمُؤَاسُونَ[1] عِنْدَمَا يَنُوبُ مِنَ المَكْرُوهِ[2] . ومِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَثَلُ الحَمَامَةِ المُطَوَّقَةِ والجُرَذِ والظَّبْيِ والغُرَابِ . قَالَ المَلِكُ : وكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ !

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ سَكَاوَنْدَجِينَ عِنْدَ مَدِينَةِ دَاهَرَ مَكَانٌ كَثِيرُ الصَّيْدِ ، يَنْتَابُهُ الصَّيَّادُونَ وكَانَ فِي ذَلِكَ المَكَانِ شَجَرَةٌ كَثِيرَةُ الأَغْصَانِ مُلْتَفَّةُ الوَرَقِ ، فِيهَا وَكْرُ غُرَابٍ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ سَاقِطٌ[3] فِي وَكْرِهِ إِذْ بَصُرَ بِصَيَّادٍ قَبِيحِ المَنْظَرِ سَيِّءِ الخَلْقِ عَلَى عَاتِقِهِ شَبَكَةٌ ، وفِي يَدِهِ عَصًا مُقْبِلاً نَحْوَ الشَّجَرَةِ . فَذُعِرَ[4] مِنْهُ الغُرَابُ وقَالَ : لَقَدْ سَاقَ هَذَا الرَّجُلَ إِلَى هَذَا المَكَانِ إِمَّا حَيْنِي وإِمَّا حَيْنُ غَيْرِي . فَلَأُثْبُتَنَّ مَكَانِي حَتَّى أَنْظُرَ : مَاذَا يَصْنَعُ ؟ ثُمَّ إِنَّ الصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ

«١» يقال واساه في مصيبته اذا خفف عنه وقعها وعزاه فيها . «٢» المكروه : ما يكرهه الانسان من حوادث الدهر . «٣» واقف في وكره «٤» خاف .

ونثرَ عليها الحبَّ ، وكمنَ[1] قريباً منها . فلم يلبثْ[2] إلاّ قليلاً حتى مرَّتْ بهِ حمامةٌ : يُقالُ لها المطوَّقةُ[3] ، وكانتْ سيِّدةَ الحمامِ . ومعها حمامٌ كثيرٌ ، فعميتْ هي وأصحابُها عن الشَّركِ[4] . فوقعْنَ على الحبِّ يلتقطنَهُ . فعلقْنَ في الشَّبكةِ كلُّهنَّ . وأقبلَ الصيَّادُ فرحاً مسْروراً فجعلتْ كلُّ حمامةٍ تضطربُ في حبائلها[5] ، وتلتمسُ الخلاصَ لنفسِها قالتِ المطوَّقةُ : لاتخاذلنَ في المعالجةِ[6] ، ولا تكنْ نفسُ إحداكنَّ أهمَّ إليها منْ نفسِ صاحبتِها ، ولكنْ نتعاونَ جميعاً ، فنقلعُ الشَّبكةَ فينجُوا بعضُنا ببعضٍ . فقلعْنَ الشَّبكةَ جميعُهنَّ بتعاونِهنَّ . وعلوْنَ في الجوِّ . ولمْ يقطعِ الصيَّادُ رجاءهُ منهنَّ . وظنَّ أنَّهنَّ لايُجاوزنَ إلاّ قريباً ويقعْنَ . فقالَ الغرابُ : لأتبعنَّهنَّ ، وأنظرُ ما يكونُ منهنَّ فالتفتتِ المطوَّقةُ . فرأتِ الصيَّادَ يتبعُهنَّ . فقالتْ للحمامِ : هذا الصيَّادُ مُجِدٌّ في طلبِكنَّ . فإنْ نحنُ أخذْنا في الفضاءِ لم يخفَ عليهِ أمرُنا ولمْ يزلْ يتبعُنا . وإنْ نحنُ توجَّهْنا إلى العُمْرانِ خفيَ عليهِ أمرُنا وانصرفَ . وبمكانِ كذا جُرذٌ هوَ أخٌ لي . فلوْ انتهينا اليهِ قطعَ عنَّا

«١» كمن : اختبأ «٢» فلم يبق الا قليلا «٣» نوع من الحمام في رقبته ريش ملون أشبه بالطوق «٤» أي انهن لم يرين الشبكة «٥» الحبائل جمع حبالة بالكسر وهي المصيدة «٦» أصلها تتخاذلن فحذفت احدى التاءين تخفيفاً اي لا يتخلى بعضكن عن مساعدة البعض الآخر ، ولا تقصرن في التعاون للخلاص .

هٰذَا الشَّرَكَ ، فَفَعَلْنَ ذٰلِكَ ، وأَيِسَ[1] الصَّيَّادُ مِنْهُنَّ ، وانْصَرَفَ . وتَبِعَهُنَّ الغُرَابُ . فَلَمَّا انْتَهَتِ الحَمَامَةُ المُطَوَّقَةُ إلى الجُرَذِ أَمَرَتِ الحَمَامَ أَنْ يَسْقُطْنَ . فَوَقَعْنَ ، وكَانَ لِلْجُرَذِ مَائَةُ جُحْرٍ[2] لِلْمَخَاوِفِ . فَنَادَتْه المُطَوَّقَةُ بِاسْمِهِ وكانَ اسْمُهُ (زِيرَكَ) فَأَجَابَها الجُرَذُ مِنْ جُحْرِهِ : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا خَلِيلَتُكَ المُطَوَّقَةُ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا الجُرَذُ يَسْعَى . فَقَالَ لَهَا : مَا أَوْقَعَكِ فِي هٰذِهِ الوَرْطَةِ ؟ قَالَتْ لَهُ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الخَيْرِ والشَّرِّ شَيْءٌ إلاَّ وهُوَ مُقَدَّرٌ على مَنْ تُصِيبُهُ المَقَادِيرُ ، وهِيَ[3] التي أَوْقَعَتْنِي فِي هٰذِهِ الوَرْطَةِ ، فَقَدْ لا يَمْتَنِعُ مِنَ القَدَرِ مَنْ هُوَ أَقْوى مِنِّي وأَعْظَمُ أَمْراً ، وقَدْ تَنْكَسِفُ[4] الشَّمْسُ والقَمَرُ إذَا قُضِيَ ذٰلِكَ عَلَيْهِما . ثُمَّ إِنَّ الجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرْضِ[5] العَقْدِ الَّذي فِيهِ المُطَوَّقَةُ . فَقَالَتْ لَهُ المُطَوَّقَةُ : اَبْدَأْ بِقَطْعِ عُقَدِ سَائِرِ[6] الحَمَامِ ، وبَعْدَ ذٰلِكَ أَقْبِلْ عَلى عَقْدِي ، وأَعَادَتْ ذٰلِكَ عَلَيْهِ مِرَارًا ، وهُوَ لا يَلْتَفِتُ إلى قَوْلِها . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ القَوْلَ وكَرَّرَتْ ، قَالَ لَها : لَقَدْ كَرَّرْتِ القَوْلَ عَلَيَّ ، كَأَنَّكَ لَيْسَ لَكِ فِي نَفْسِكِ حَاجَةٌ ولا لَكِ عَلَيْهَا شَفَقَةٌ ، ولا

«١» يئس «٢» الحفر الطويلة التي يكمن فيها الفأر حين تخوفه من شيء «٣» أي المقادير . «٤» تنحجب «٥» أي أخذ في قطع خيوط الشبكة من الجانب الذي فيه المطوقة «٦» سائر بمعنى بقية ، ويخطيء أو يكاد من يستعملها بمعنى جميع .

تَرْعينَ لَها حَقاً قالتْ : إنِّي أَخافُ إنْ أَنتَ بَدأْتَ بِقَطْعِ عَقْدِي أَنْ تَملَّ وتَكْسَلَ عَنْ قَطْعِ مَابَقِيَ ، وعَرَفْتُ أَنَّكَ إنْ بَدأْتَ بِهِنَّ قَبْلي ، وكُنْتُ أَنَا الأَخِيرَةَ لَمْ تَرْضَ — وإنْ أَدْرَكَكَ الفُتُورُ[1] — أَنْ أَبْقى في الشَّرَكِ . قَالَ الْجَرَذُ : هٰذَا مِمَّا يَزِيدُ الرَّغْبَةَ والمَوَدَّةَ فِيكَ ثُمَّ إنَّ الْجَرَذَ أَخَذَ في قَرْضِ الشَّبَكَةِ حَتّٰي فَرَغَ مِنْهَا ، فَانْطَلَقَتِ الْمَطَوَّقَةُ وحَمَامُهَا مَعَهَا .

فَلَمَّا رأَى الغُرَابُ صُنْعَ الْجَرَذِ رَغِبَ في مُصَادَقَتِهِ ، فَجَاءَ ونَادَاهُ بِاسْمِهِ . فَأَخْرَجَ الْجَرَذُ رأْسَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : إنِّي أُرِيدُ مُصَادَقَتَكَ قَالَ الْجَرَذُ : لَيْسَ بَيْنِي وبَيْنَكَ تَوَاصُلٌ[2] . وإنَّمَا الْعَاقِلُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْتَمِسَ مَايَجِدُ اليْهِ سَبِيلاً ، ويَتْرُكَ الْتِمَاسَ مَالَيْسَ اليْهِ سَبِيلٌ ، وإنَّمَا أَنْتَ الآكِلُ وأَنَا طَعَامٌ لَكَ . قَالَ الغُرَابُ : إنَّ أَكْلِي إيَّاكَ وإنْ كُنْتَ لي طَعَاماً مِمَّا لايُغْنِي عَنِّي شَيْئاً[3] ، وإنَّ مَوَدَّتَكَ آنَسُ لي مِمَّا ذَكَرْتَ ، ولَسْتَ بِحَقِيقٍ إذَا جِئْتُ أَطْلُبُ مَوَدَّتَكَ أَنْ تَرُدَّنِي خَائِباً . فإنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لي مِنْكَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَارَغَّبَنِي فِيكَ ، وإنْ لَمْ تَكُنْ تَلْتَمِسُ إظْهَارَ ذٰلِكَ[4] . فَإنَّ العَاقِلَ لايَخْفَى فَضْلُهُ وإنْ هُوَ أَخْفَاهُ . كَالمِسْكِ

«١» الملل «٢» اتصال «٣» أي لا يسد جوعي ، وان صداقتي معك اشد نفعاً لي من اكلي اياك . «٤» اي وان كنت لا تحرص على الظهور بمظهر الحسن الخلق .

الَّذي يُكْتَمُ[1] ثُمَّ لايَمنَعُهُ ذٰلكَ مِنَ النَّشْرِ[2] الطَّيِّبِ والأَرَجِ الفَائِحِ[3].
قَالَ الجُرَذُ : إنَّ أَشَدَّ العَدَاوةِ عَدَاوَةُ الجَوهَرِ[4]. وهِيَ عَدَاوتَانِ :
مِنْهَا مَاهُوَ مُتكافِئٌ كَعَدَاوَةِ الفِيلِ والأَسَدِ ، فَأَنَّهُ رُبَّمَا قَتَلَ الأَسَدُ
الفِيلَ أو الفِيلُ الأَسَدَ ومِنْهَا مَاقُوَّتُهُ مِنْ أَحَدِ الجَانِبَيْنِ على الآخَرِ
كَعَدَاوَةِ مَابَيْنِي وبَيْنَ السِّنَّوْرِ[5] ، وبَيْنِي وبَيْنَكَ فَإِنَّ العَدَاوَةَ الَّتِي بَيْنَنَا
لَيْسَتْ تَضُرُّكَ ، وإِنَّمَا ضَرَرُهَا عَائِدٌ عَلَيَّ[6]. فَإِنَّ الماءَ لَوْ أُطِيلَ إِسْخَانُه
لم يَمنَعْه ذٰلكَ مِنْ إِطْفَائِهِ النَّارَ إِذَا صُبَّ عَلَيْهَا . وإِنَّمَا مُصَاحِبُ العَدُوِّ
ومُصَالِحُهُ كَصَاحِبِ الحَيَّةِ يَحْمِلُهَا فِي كُمِّهِ . والعَاقِلُ لايَسْتَأْنِسُ إِلى العَدُوِّ
والأَرِيبِ[7].

قالَ الغُرابُ : قَدْ فَهِمْتُ ما تَقُولُ ، وأَنتَ خَلِيقٌ أَنْ تَأْخُذَ بِفَضْلِ
خَلِيقَتِكَ[8] ، وتَعْرِفَ صِدْقَ مَقالَتِي ، ولا تُصَعِّبْ عَلَيَّ الأَمْرَ بِقَوْلِكَ:
لَيْسَ إِلى التَّوَاصُلِ بَيْنَنَا سَبِيلٌ فَإِنَّ العُقَلاءَ الكِرامَ لا يَبْتَغُونَ عَلى
مَعْرُوفٍ جَزاءً . والمَوَدَّةُ بَيْنَ الصَّالِحِينَ سَرِيعٌ اتِّصالُهَا ، بَطِيءٌ انْقِطَاعُهَا.
ومَثَلُ ذٰلكَ مَثَلُ الكُوزِ[9] مِنَ الذَّهَبِ بَطِيءُ الانْكِسارِ، سَرِيعُ الإِعادَةِ ، هَيِّنُ

«١» يحبس بوعاء يحصر رائحته الطيبة «٢» الرائحة الطيبة «٣» الارج محركة : نفحة ريح الطيب «٤» يقصد العداوة بالفطرة بين حيوانين احدهما مسلط على الآخر كالهرة والفأر. «٥» القط «٦» لأن الغراب هو الأقوى، وهو المتسلط «٧» الذكي «٨» طبيعتك، ونفسيتك «٩» اناء كالابريق لكنه أصغر منه.

الإصلاحِ إنْ أصابَهُ ثَلْمٌ[1] أوْ كَسْرٌ . وَالمَوَدَّةُ بَيْنَ الأشْرارِ سَريعٌ انْقِطاعُها ، بَطيءٌ اتِّصالُها . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ الكُوزِ مِنَ الفَخّارِ ، سَريعُ الانْكِسارِ . يَنْكَسِرُ مِنْ أدْنى عَيْبٍ ، وَلا وَصْلَ لَهُ أبَداً . وَالكَريمُ يَوَدُّ[2] الكَريمَ ، وَاللَّئيمُ لا يَوَدُّ أحَداً إلاّ عَنْ رَغْبَةٍ أوْ رَهْبَةٍ . وَأنا إلى وُدِّكَ وَمَعْرُوفِكَ مُحْتاجٌ ، لِأنَّكَ كَريمٌ . وَأنا مُلازِمٌ لِبابِكَ ، غَيْرَ ذائِقٍ طَعاماً حَتّى تُواخِيَني . قالَ الجُرَذُ : قَدْ قَبِلْتُ إخاءَكَ فَإنّي لَمْ أرْدُدْ أحَداً عَنْ حاجَةٍ قَطُّ . وَإنَّما بَدَأْتُكَ بِما بَدَأْتُكَ بِهِ إرادَةَ التَّوَثُّقِ لِنَفْسي[3] فَإنْ أنْتَ غَدَرْتَ بي لَمْ تَقُلْ : إنّي وَجَدْتُ الجُرَذَ سَريعَ الانْخِداعِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ جُحْرِهِ ، فَوَقَفَ عِنْدَ البابِ . فَقالَ لَهُ الغُرابُ : ما يَمْنَعُكَ مِنَ الخُرُوجِ إلَيَّ ؟ وَالاسْتِئْناسِ بي . فَهَلْ في نَفْسِكَ مِنّي بَعْدَ ذٰلِكَ ريبَةٌ ؟ قالَ الجُرَذُ : إنَّ أهْلَ الدُّنيا يَتَعاطَوْنَ فيما بَيْنَهُمْ أمْرَيْنِ ، وَيَتَواصَلُونَ عَلَيْهِما ، وَهُما ذاتُ النَّفْسِ[4] وَذاتُ اليَدِ . فَالمُتَباذِلُونَ[5] ذاتَ النَّفْسِ هُمُ الأصْفِياءُ . وَأمّا المُتَباذِلُونَ ذاتَ اليَدِ فَهُمُ المُتَعاوِنُونَ الَّذينَ يَلْتَمِسُ

«١» خلل من تشقق او نحوه «٢» من المودة وهي الاحسان والتقرب بالملاطفة «٣» اي انما قابلتك بالتردد في أول الامر لاستوثق من حسن نيتك في مصادقتي . «٤» اي قد تصل صداقتهم الى تضحية كل منهم نفسه في سبيل الآخر ، أو ماله وذلك ادنى في مرتبة الصداقة «٥» الذين يتبادلون البذل للنفس في سبيل الصداقة هم أهل الصفاء الذين يحترمون الصداقة لتقديرهم الصداقة ، أما الذين يتبادلون بذل المنافع فصداقتهم تستمر باستمرار المنفعة وتنبت بانعدامها . وتطغى فيها الأثرة على الإيثار .

بَعْضُهُمْ الانتِفاعَ بِبَعْضٍ . وَمَنْ كانَ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ لِبَعْضِ مَنافِعِ الدُّنيا ، فإنَّما مَثَلُهُ فيما يَبْذُلُ وَيُعْطي كَمَثَلِ الصَّيَّادِ وَالْقائِهِ الْحَبَّ لِلطَّيْرِ ، لا يُرِيدُ بِذٰلِكَ نَفْعَ الطَّيْرِ ، وَإنَّما يُرِيدُ نَفْعَ نَفْسِهِ . فَتَعاطِي ذاتِ النَّفْسِ أَفْضَلُ مِنْ تعاطي ذاتِ الْيَدِ . وَإنِّي وَثِقْتُ مِنْكَ بِذاتِ نَفْسِكَ ، وَمَنَحْتُكَ مِنْ نَفْسي مِثْلَ ذٰلِكَ . وَلَيْسَ يَمْنَعُني مِنَ الْخُرُوجِ الَيْكَ سُوءُ ظَنٍّ بِكَ ، وَلٰكِنْ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ لَكَ أَصْحاباً جَوْهَرُهُمْ كَجَوْهَرِكَ[1] وَلَيْسَ رَأْيُهُمْ فِيَّ كَرَأْيِكَ[2] .

قالَ الْغُرابُ : إنَّ مِنْ عَلاماتِ الصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقِ صَدِيقِهِ صَدِيقاً ، وَلِعَدُوِّهِ عَدُوًّا . وَلَيْسَ لي بِصاحِبٍ وَلا صَدِيقٍ مَنْ لا يَكُونُ لَكَ مُحِبًّا . وَإنَّهُ يَهُونُ عَلَيَّ قَطِيعَةُ[3] مَنْ كانَ كَذٰلِكَ مِنْ جَوْهَري . ثُمَّ إنَّ الْجُرَذَ خَرَجَ الى الْغُرابِ ، فَتَصافَحا وَتَصافَيا ، وَأَنِسَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما بِصاحِبِهِ . حَتّى اذا مَضَتْ لَهُما أَيّامٌ قالَ الْغُرابُ لِلْجُرَذِ : إنَّ جُحْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ النّاسِ . وَأَخافُ أَنْ يَرْمِيَكَ بَعْضُ الصِّبْيانِ بِحَجَرٍ . وَلي مَكانٌ في عُزْلَةٍ ، وَلي فيهِ صَدِيقٌ مِنَ السَّلاحِفِ . وَهُوَ مُخْصِبٌ[4] مِنَ السَّمَكِ . وَنَحْنُ واجِدُونَ هُناكَ ما نَأْكُلُ فَأُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إلى

«١» جوهر الشيء : أصله «٢» من حيث الحرص على مؤاخاتي لكرم اخلاقي مع الآخرين «٣» أي انه يهون علي مقاطعة من لا يحبك ممن هو من فصيلتي. «٤» أي ممتلىء بالسمك .

هُناكَ لِنَعيشَ آمنينَ . قالَ الْجُرَذُ : إنَّ لي أخباراً وَقِصَصاً سَأَقُصُّها عَلَيْكَ إذا انْتَهَيْنا[1] حَيْثُ تُريدُ فافْعَلْ ما تَشاءُ . فأَخَذَ الْغُرابُ بِذَنَبِ الْجُرَذِ . وَطارَ بِهِ حَيْثُ أَرادَ . فَلَمّا دَنا مِنَ الْعَيْنِ الَّتي فيها السُّلَحْفاةُ بَصُرَتِ السُّلَحْفاةُ بِغُرابٍ وَمَعَهُ جُرَذٌ . فَذُعِرَتْ مِنْهُ ، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ صاحِبُها . فَناداها . فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ ، وَسَأَلَتْهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَأَخْبَرَها بِقِصَّتِهِ حينَ تَبِعَ الْحَمامَ ، وَما كانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْجُرَذِ حَتّى انْتَهى إِلَيْها . فَلَمّا سَمِعَتِ السُّلَحْفاةُ شَأْنَ الْجُرَذِ عَجِبَتْ مِنْ عَقْلِهِ وَوَفائِهِ وَرَحَّبَتْ بِهِ . وَقالَتْ لَهُ : ما ساقَكَ إِلى هٰذِهِ الأَرْضِ ؟ قالَ الْغُرابُ لِلْجُرَذِ : اقْصُصْ عَلَيَّ الأَخْبارَ الَّتي زَعَمْتَ أَنَّكَ تُحَدِّثُني بِها . فَأَخْبِرْني بِها مَعَ جَوابِ ما سَأَلَتِ السُّلَحْفاةُ ، فَإِنَّها عِنْدَكَ بِمَنْزِلَتي[2] . فَبَدَأَ الْجُرَذُ وَقالَ :

كانَ مَنْزِلي أَوَّلَ أَمْرِي بِمَدينَةِ (مارُوتَ) ، في بَيْتِ رَجُلٍ ناسِكٍ ، وَكانَ خالِياً مِنَ الأَهْلِ وَالْعِيالِ ، وَكانَ يُؤْتَى في كُلِّ يَوْمٍ بِسَلَّةٍ مِنَ الطَّعامِ فَيَأْكُلُ مِنْها حاجَتَهُ ، وَيُعَلِّقُ الْباقِيَ . وَكُنْتُ أَرْصُدُ[3] النّاسِكَ حَتّى يَخْرُجَ ، وَأَثِبُ إِلى السَّلَّةِ ، فَلا أَدَعُ فيها طَعاماً إِلاّ أَكَلْتُهُ ، وَأَرْمي بِهِ إِلى الْجِرْذانِ . فَجَهِدَ[4] النّاسِكُ مِراراً أَنْ يُعَلِّقَ السَّلَّةَ مَكاناً لا أَنالُهُ ،

« ١ » وصلنا المكان الذي تحدثني عنه . « ٢ » فهي ستكون صديقة مثلي .
« ٣ » اراقب وانتظر . « ٤ » فاجتهد .

فَلَمْ يَقْدِرْ عَلى ذٰلِكَ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِ ذاتَ لَيْلَةٍ ضَيْفٌ فَأَكَلا جَميعاً . ثُمَّ أَخَذا في الحَديثِ . فَقالَ النَّاسِكُ لِلضَّيْفِ : مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَقْبَلْتَ ؟ وَأَيْنَ تُريدُ الآنَ ؟ وَكانَ الرَّجُلُ قَدْ جابَ الآفاقَ[1] ، وَرَأَى عَجائِبَ . فَأَنْشَأَ[2] يُحَدِّثُ النَّاسِكَ عَمَّا وَطِئَ[3] مِنَ البِلادِ ، وَرَأَى مِنَ العَجائِبِ . وَجَعَلَ النَّاسِكُ خِلالَ ذٰلِكَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ لِيُنَفِّرَني[4] عَنِ السَّلَّةِ . فَغَضِبَ الضَّيْفُ وَقالَ : أَنا أُحَدِّثُكَ وَأَنْتَ تَهْزَأُ بِحَديثي . فَما حَمَلَكَ عَلى أَنْ سَأَلْتَني ؟ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ ، وَقالَ : إِنَّما أُصَفِّقُ بِيَدِي لِأُنَفِّرَ جُرَذاً قَدْ تَحَيَّرْتُ في أَمْرِهِ ، وَلَسْتُ أَضَعُ في البَيْتِ شَيْئاً إِلاَّ أَكَلَهُ . فَقالَ الضَّيْفُ : جُرَذٌ واحِدٌ أَمْ جِرْذانٌ كَثيرَةٌ ؟ فَقالَ النَّاسِكُ : جِرْذانُ البَيْتِ كَثيرَةٌ ، وَلٰكِنَّ فيها جُرَذاً واحِداً هُوَ الَّذي غَلَبَني[5] ، فَما أَسْتَطيعُ لَهُ حيلَةً . قالَ الضَّيْفُ : لَقَدْ ذَكَّرْتَني قَوْلَ الَّذي قالَ : لِأَمْرٍ ما[6] باعَتْ هٰذِهِ المَرْأَةُ سِمْساً مَقْشُوراً بِغَيْرِ مَقْشُورٍ . قالَ النَّاسِكُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟

قالَ الضَّيْفُ : نَزَلْتُ مَرَّةً عَلى رَجُلٍ بِمَكانِ كَذا فَتَعَشَّيْنا ، ثُمَّ فَرَشَ لي ، وَانْقَلَبَ[7] الرَّجُلُ عَلى فِراشِهِ . فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ في آخِرِ اللَّيْلِ لِامْرَأَتِهِ :

«١» طاف النواحي . «٢» فأخذ . «٣» يريد ، نزل «٤» ليجعلني ابتعد . «٥» تغلب عليّ . «٦» أي لأمر عظيم وتعرب ما نكرة في محل جر صفة لأمر . «٧» استلقى لينام .

إِنِّي أُريدُ أَنْ أَدْعُوَ غداً رَهْطاً[1] لِيَأْكُلُوا عِنْدَنا، فَاصْنَعِي لَهُمْ طَعاماً. فَقالَتِ الْمَرْأَةُ: كَيْفَ تَدْعُو النَّاسَ إِلى طَعامِكَ؟ وَلَيْسَ فِي بَيْتِكَ فَضْلٌ[2] عَنْ عِيالِكَ، وَأَنْتَ رَجُلٌ لا تُبْقِي شَيْئاً وَلا تَدَّخِرُهُ[3]. قالَ الرَّجُلُ: لا تَنْدَمِي عَلى شَيْءٍ أَطْعَمْناهُ وَأَنْفَقْناهُ، فَإِنَّ الْجَمْعَ وَالادِّخارَ رُبَّما كانَتْ عاقِبَتُهُ كَعاقِبَةِ الذِّئْبِ. قالَتِ الْمَرْأَةُ: وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ؟!

قالَ الرَّجُلُ: زَعَمُوا أَنَّهُ خَرَجَ ذاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ قانِصٌ[4] وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَنُشّابُهُ[5]، فَلَمْ يُجاوِزْ غَيْرَ بَعِيدٍ حَتّى رَمى ظَبْياً[6]. فَحَمَلَهُ وَرَجَعَ طالِباً مَنْزِلَهُ، فَاعْتَرَضَهُ خِنْزِيرٌ بَرِّيٌّ. فَرَماهُ بِنُشّابَةٍ نَفَذَتْ مِنْهُ، فَأَدْرَكَهُ الْخِنْزِيرُ، وَضَرَبَهُ بِأَنْيابِهِ ضَرْبَةً أَطارَتْ مِنْ يَدِهِ الْقَوْسَ. وَوَقَعا مَيِّتَيْنِ[7] فَأَتى عَلَيْهِمْ ذِئْبٌ، فَقالَ: هٰذَا الرَّجُلُ وَالظَّبْيُ وَالْخِنْزِيرُ يَكْفِينِي أَكْلُهُمْ مُدَّةً، وَلٰكِنْ أَبْدَأُ بِهٰذَا الْوَتَرِ فَآكُلُهُ، فَيَكُونُ قُوتَ يَوْمِي فَعالَجَ الْوَتَرَ حَتّى قَطَعَهُ. فَلَمّا انْقَطَعَ طارَتْ سِيَةُ الْقَوْسِ[8] فَضَرَبَتْ حَلْقَهُ فَماتَ. وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكِ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمِي أَنَّ الْجَمْعَ

«١» الرهط يطلق على ما دون العشرة وليس له واحد من لفظه. «٢» زيادة من الطعام عن حاجة عيالك. «٣» تختزنه للحاجة. «٤» صائد. «٥» النشاب بالضم: السهام وهو جمع نشابة. «٦» الظبي: الغزال. «٧» أي رماه الصياد بالسهم الذي يرمى من القوس فنفذ منه فلحق به الخنزير لينتقم منه وضربه بأنيابه فقتله. «٨» سية القوس بكسر ففتح: ماعطف من طرفها.

وَالادِّخَارَ وَخِيمُ الْعَاقِبَةِ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : نِعْمَ مَا[1] قُلْتَ . وَعِنْدَنَا مِنَ الأُرْزِ وَالسِّمْسِمِ مَا يَكْفِي سِتَّةَ نَفَرٍ[2] أَوْ سَبْعَةَ فَأَنَا غَادِيَةٌ[3] عَلَى اصْطِنَاعِ الطَّعَامِ . فَادْعُ مَنْ أَحْبَبْتَ وَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ حِينَ أَصْبَحَتْ سِمْسِماً فَقَشَرَتْهُ ، وَبَسَطَتْهُ فِي الشَّمْسِ لِيَجِفَّ . وَقَالَتْ لِغِلَامٍ لَهُمْ : اطْرُدْ عَنْهُ الطَّيْرَ وَالكِلَابَ . وَتَفَرَّغَتِ الْمَرْأَةُ لِصُنْعِهَا ، وَتَغَافَلَ الْغُلَامُ عَنِ السِّمْسِمِ . فَجَاءَ كَلْبٌ فَعَاثَ فِيهِ[4] فَاسْتَقْذَرَتْهُ الْمَرْأَةُ ، وَكَرِهَتْ أَنْ تَصْنَعَ مِنْهُ طَعَاماً مَا . فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى السُّوقِ . فَأَخَذَتْ بِهِ مُقَايَضَةً[5] سِمْسِماً غَيْرَ مَقْشُورٍ مِثْلاً بِمِثْلٍ . وَأَنَا[6] وَاقِفٌ فِي السُّوقِ . فَقَالَ رَجُلٌ : لِأَمْرٍ مَا بَاعَتْ هٰذِهِ الْمَرْأَةُ سِمْسِماً مَقْشُوراً بِغَيْرِ مَقْشُورٍ . وَكَذٰلِكَ قَوْلِي فِي هٰذَا الْجِرَذِ الَّذِي ذَكَرْتُ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ عِلَّةٍ مَا يَقْدِرُ عَلَى مَا شَكَوْتَ مِنْهُ[7] . فَالْتَمِسْ لِي فَأْساً ، لَعَلِّي أَحْتَفِرُ جُحْرَهُ ، فَأَطَّلِعُ عَلَى بَعْضِ شَأْنِهِ فَاسْتَعَارَ النَّاسِكُ مِنْ بَعْضِ جِيرَانِهِ فَأْساً ، فَأَتَى بِهَا الضَّيْفَ . وَأَنَا[8]

«١» ما : فاعل نعم على الصحيح . «٢» النفر : من ثلاثة الى عشرة وقيل الى سبعة ولا يقال نفر فيما زاد على العشرة ولذلك صلح أن يقال ثلاثة نفر وثلاثة أنفار . «٣» مبكرة . «٤» أفسده . «٥» من قايضه اذا عاوضه عوضاً بعوض . «٦» هذا الضمير للضيف وهو يحدث الناسك . (٧) أي ان هذا الجرذ الذي حدثتني عنه بدون سبب يميزه عن غيره من الجرذان تغلب عليك ولم تستطع أن تحتال عليه فأنا أريد أن أعرف عن سره شيئاً . «٨» هذا الضمير ضمير الجرذ وهو يحدث السلحفاة والغراب عن أمره .

حِينَئِذٍ في جُحْرٍ غَيرَ جُحْرِي ، أَسْمَعُ كلامَهُمَا . وفي جُحْرِي كِيسٌ فِيهِ مَائَةُ دِينَارٍ لا أَدْرِي مَنْ وَضَعَهَا . فَاحْتَفَرَ الضَّيْفُ حَتَّى انْتَهَى إلى الدَّنَانِيرِ فَأَخَذَهَا ، وقَالَ لِلنَّاسِكِ : مَا كَانَ هٰذَا الْجَرَذُ يَقْوَى على الْوُثُوبِ حَيْثُ كَانَ يَثِبُ إلاَّ بِهٰذِهِ الدَّنَانِيرِ ، فَإِنَّ المَالَ جَعَلَ لَهُ قُوَّةً وزِيَادَةً في الرَّأْيِ والتَّمَكُّنِ . وسَتَرَى بَعدَ هٰذَا أَنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلى الْوُثُوبِ حَيْثُ كَانَ يَثِبُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ اجْتَمَعَ الجِرْذَانُ التي كَانَتْ مَعِي ، فَقَالَتْ : قَدْ أَصَابَنَا الْجُوعُ وأَنْتَ رَجَاؤُنَا . فَانْطَلَقْتُ ومَعِيَ الجِرْذَانُ إلى المَكَانِ الَّذِي كُنْتُ أَثِبُ مِنْهُ إلى السَّلَّةِ . فَحَاوَلْتُ ذٰلِكَ مِرَاراً فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ فَاسْتَبَانَ لِلْجِرْذَانِ نَقْصُ حَالِي فَسَمِعْتُهُنَّ يَقُلْنَ : انْصَرِفْنَ عَنْهُ ، ولا تَطْمَعْنَ فِيمَا عِنْدَهُ ، فَإِنَّا نَرَى لَهُ حَالاً لا نَحْسَبُهُ إلاَّ قَدِ احْتَاجَ مَعَهَا إلى مَنْ يَعُولُهُ[1] . فَتَرَكْنَنِي ، ولَحِقْنَ بِأَعْدَائِي ، وجَفَوْنَنِي[2] ، وأَخَذْنَ في غَيبَتِي[3] عِنْدَ مَنْ يُعَادِينِي ويَحْسُدُنِي . فَقُلْتُ في نَفْسِي : مَا الإِخْوَانُ ولا الأَعْوَانُ ولا الأَصْدِقَاءُ إلاَّ بِالمَالِ . ووَجَدْتُ مَنْ لا مَالَ لَهُ إِذَا أَرَادَ أَمْراً قَعَدَ بِهِ العُدْمُ[4] عَمَّا يُرِيدُهُ : كَالمَاءِ الَّذِي يَبْقَى في الأَوْدِيَةِ مِنْ

«١» أي انه أصبح في حالة من الضعف لا نظن الا انه سيحتاج معها إلى من ينفق عليه . «٢» من الجفاء وهو المعاداة . «٣» أي تكلمن عليّ في غيابي عند اعدائي وحسادي . «٤» العدم بالضم : الفقر .

مَطَرِ الشِّتَاءِ : لايَمُرُّ إلى نَهْرٍ ، ولا يَجْرِي إلى مَكانٍ ، فَتَشْرَبُهُ أَرْضُهُ .
وَوَجَدْتُ مَنْ لا إِخْوانَ لَهُ لا أَهْلَ لَهُ ، وَمَنْ لا وَلَدَ لَهُ لا ذِكْرَ لَهُ[1] ، وَمَنْ لا مَالَ لَهُ لا عَقْلَ لَهُ ولا دُنْيَا ولا آخِرَةَ لَهُ ، لأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ[2] قَطَعَهُ أَقَارِبُهُ وإِخْوَانُهُ فَإِنَّ الشَّجَرَةَ النَّابِتَةَ في السِّبَاخِ المَأْكولَةَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَحَالِ الفَقِيرِ المُحْتَاجِ إلى مَافي أَيْدِي النَّاسِ . وَوَجَدْتُ الفَقْرَ رأْسَ كُلِّ بَلاءٍ ، وَجَالِباً لِصَاحِبِهِ كُلَّ مَقْتٍ ومَعْدِنَ النَّمِيمَةِ[3] .
وَوَجَدْتُ الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ اتَّهَمَهُ مَنْ كانَ لَهُ مُؤْتَمِناً ، وأَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ مَنْ كانَ يَظُنُّ فِيهِ حَسَناً . فَإِنْ أَذْنَبَ غَيْرُهُ كانَ هُوَ لِلتُّهْمَةِ مَوْضِعاً ، ولَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ هِيَ لِلْغَنِيِّ مَدْحٌ إلاَّ وَهِيَ لِلْفَقِيرِ ذَمٌّ . فَإِنْ كانَ شُجَاعاً قِيلَ أَهْوَجُ[4] ، وإِنْ كانَ جَوَاداً[5] سُمِّيَ مُبَذِّراً ، وإِنَّ كانَ حَلِيماً سُمِّيَ ضَعِيفاً ، وإِنْ كانَ وَقُوراً[6] سُمِّيَ بَلِيداً . فَالمَوْتُ أَهْوَنُ مِنَ الحَاجَةِ الَّتِي تُحْوِجُ صَاحِبَهَا إلى المَسْأَلَةِ[7] ، ولا سِيَّما مَسْأَلَةُ الأَشِحَّاءِ[8] واللِّئَامِ ، فَإِنَّ الكَرِيمَ لَوْ كُلِّفَ أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ في فَمِ الأَفْعَى فَيُخْرِجَ مِنْهُ سِماً فَيَبْتَلِعَهُ كانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ وأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَسْأَلَةِ البَخِيلِ

«١» ما لم يكن من العاملين الذين قد أقاموا لهم في الحياة آثاراً طيبة . «٢» أصبح فقيراً . «٣» أي فهو يجلب لصاحبه الاسى ، ويدفعه الى الافساد بين الناس بالنميمة . «٤» أي أحمق طائشاً . «٥» كريماً ، مفرطاً في الانفاق . «٦» شديد الاتزان . «٧» سؤال الناس «٨» البخلاء : جمع بخيل وهو الشحيح .

اللَّئِمِ . وقَدْ كُنْتُ رَأَيتُ الضَّيْفَ حِينَ أَخَذَ الدَّنَانِيرَ فَقَاسَمَهَا النَّاسِكَ . فَجَعَلَ النَّاسِكُ نَصِيبَهُ فِي خَرِيطَةٍ[1] عِنْدَ رأْسِهِ لَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ[2] . فَطَمِعْتُ أَنْ أُصِيبَ[3] مِنْهَا شَيْئاً فَأَرُدَّه إِلى جُحْرِي ، ورَجَوْتُ أَنْ يَزِيدَ ذٰلِكَ فِي قُوَّتِي ، ويُرَاجِعَنِي[4] بِسَبَبِهِ بَعْضُ أَصْدِقَائِي . فانْطَلَقْتُ إِلى النَّاسِكِ وهُوَ نَائِمٌ حَتَّى انْتَهَيْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ . ووَجَدْتُ الضَّيْفَ يَقْظَانَ وبِيَدِهِ قَضِيبٌ . فَضَرَبَنِي عَلى رَأْسِي ضَرْبَةً مُوجِعَةً . فَسَعَيْتُ إِلى جُحْرِي . فَلَمَّا سَكَنَ عَنِّي الأَلَمُ هَيَّجَنِي الحِرْصُ والشَّرَهُ . فَخَرَجْتُ طَمَعاً[5] كَطَمَعِي الأَوَّلِ . وإِذَا الضَّيْفُ يَرْصُدُنِي . فَضَرَبَنِي ضَرْبَةً أَسَالَتْ مِنِّي الدَّمَ فَتَقَلَّبْتُ ظَهْراً لِبَطْنٍ إِلى جُحْرِي[6] ، فَخَرَرْتُ[7] مَغْشِيّاً عَلَيَّ ، فَأَصَابَنِي مِنَ الْوَجَعِ مَا بَغَّضَ إِلَيَّ المَالَ . حَتَّى لا أَسْمَعُ بِذِكْرِهِ إِلاَّ تَدَاخَلَنِي مِنْ ذِكْرِ المَالِ رِعْدَةٌ وهَيْبَةٌ[8] . ثُمَّ تَذَكَّرْتُ ، فَوَجَدْتُ البَلاءَ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا يَسُوقُهُ الحِرْصُ والشَّرَهُ . ولا يَزَالُ صَاحِبُ الدُّنْيَا فِي بَلِيَّةٍ وتَعَبٍ ونَصَبٍ[9] . ووَجَدْتُ تَجَشُّمَ[10] الأَسْفَارِ البَعِيدَةِ فِي طَلَبِ

«١» الخريطة : الكيس من الجلد وغيره . «٢» أقبل بظلامه . «٣» أي طمعت في أن آخذ منها شيئاً فأعيده الى حفرتي . «٤» أي يرون قوتي فيعودون الى مصادقتي مرة ثانية . «٥» بدافع الطمع وبسببه . «٦» أي فاتجهت الى حجري وأنا أتقلب على ظهري وبطني . «٧» فسقطت وقد فقدت الوعي . «٨» اعتراني رعشة وخوف . «٩» التعب والنصب مترادفان بمعنى واحد . «١٠» معاناة .

الدُّنيا أهْوَنُ عليَّ مِنْ بَسْطِ[1] اليَدِ إلى السَّخيِّ بالمالِ . ولَمْ أَرَ كالرِّضا شَيْئاً . فَصارَ أمْرِي إلى أنْ رَضيتُ وقَنِعْتُ . وانْتَقَلْتُ مِنْ بَيْتِ النَّاسِكِ إلى البَرِّيَةِ . وكانَ لي صَديقٌ مِنَ الحَمامِ فَسيقَتْ إليَّ بِصَداقَتِهِ صَداقَةُ الغُرابِ . ثُمَّ ذَكَرَ لي الغُرابُ مَا بَيْنَكِ وبَيْنَهُ مِنَ المَوَدَّةِ ، وأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُريدُ المَجيءَ اليْكِ فَأَحْبَبْتُ أنْ أَجيءَ مَعَهُ ، فَكَرِهْتُ الْوَحْدَةَ ، فَإِنَّهُ لاشَيْءَ مِنْ سُرُورِ الدُّنيا يَعْدِلُ[2] صُحْبَةَ الإِخْوانِ ، ولا غَمَّ فِيهَا يَعْدِلُ البُعْدَ عَنْهُمْ ، وجَرَّبْتُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْعاقِلِ أَنْ يَلْتَمِسَ مِنَ الدُّنيا غَيْرَ الكَفافِ[3] الذي يَدْفَعُ بِهِ الأَذى عَنْ نَفْسِهِ ، وهُوَ اليَسيرُ مِنَ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ إذا اشْتَمَلَ على صِحَّةِ البَدَنِ ورَفاهَةِ[4] البالِ . ولَوْ أَنَّ رَجُلاً وُهِبَتْ لَهُ الدُّنيا بِما فِيهَا لَمْ يَكُ يَنْتَفِعُ مِنْ ذٰلِكَ إلاّ بالقَليلِ الَّذي يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ الحاجَةَ ، فَأَقْبَلْتُ مَعَ الغُرابُ اليْكِ على هٰذا الرَّأْيِ ، وأَنا لَكِ أَخٌ . فَلْتَكُنْ مَنْزِلَتي عِنْدَكِ كَذٰلِكَ .

فَلَمّا فَرَغَ الجُرَذُ مِنْ كَلامِهِ أَجابَتْهُ السُّلَحْفاةُ بِكَلامٍ رَقيقٍ عَذْبٍ ، وقالَتْ : قَدْ سَمِعْتُ كَلامَكَ ، وما أَحْسَنَ ما تَحَدَّثْتَ بِهِ ! إلاّ أَنِّي رَأَيْتُكَ

«١» الى مدّ اليد في طلب المال من سخي . «٢» يساوي . «٣» عيش الكفاية .
«٤» راحة البال .

تَذْكُرُ بَقايا أُمورٍ هِيَ في نَفْسِكَ مِنْ حَيْثُ قِلَّةِ مالِكَ وَسُوءِ حالِكَ وَاغْتِرابِكَ عَنْ مَوْطِنِكَ ، فَاطْرَحْ ذٰلِكَ عَنْ قَلْبِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ الْكَلامِ لا يَتِمُّ إِلاّ بِحُسْنِ الْعَمَلِ ، وَأَنَّ الْمَريضَ الَّذي قَدْ عَلِمَ دَواءَ مَرَضِهِ إِنْ لَمْ يَتَداوَ بِهِ لَمْ يُغْنِ عِلْمُهُ بِهِ شَيْئاً ، وَلَمْ يَجِدْ لِدائِهِ راحَةً وَلا خِفَّةً[1] فَاسْتَعْمِلْ رَأْيَكَ ، وَلا تَحْزَنْ لِقِلَّةِ الْمالِ . فَإِنَّ الرَّجُلَ ذا الْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلى غَيْرِ مالٍ كالأَسَدِ الَّذي يُهابُ وَإِنْ كانَ رابِضاً[2] ، وَالْغَنِيَّ الَّذي لا مُرُوءَةَ لَهُ يُهانُ وَإِنْ كانَ كَثيرَ الْمالِ : كالْكَلْبِ لا يُحْفَلُ بِهِ وَإِنْ طُوِّقَ وَخُلْخِلَ[3] بِالذَّهَبِ . فَلا تَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ غُرْبَتُكَ[4] . فَإِنَّ الْعاقِلَ لا غُرْبَةَ لَهُ : كالأَسَدِ الَّذي لا يَنْقَلِبُ إِلاّ وَمَعَهُ قُوَّتُهُ . فَلْتُحْسِنْ تَعاهُدَكَ لِنَفْسِكَ[5] . فَإِنَّكَ إِذا فَعَلْتَ ذٰلِكَ جاءَكَ الْخَيْرُ يَطْلُبُكَ ، كَما يَطْلُبُ الْماءُ[6] انْحِدارُهُ . وَإِنَّما جُعِلَ الْفَضْلُ لِلْحازِمِ الْبَصيرِ[7] بِالأُمورِ . وَأَمَّا الْكَسْلانُ الْمُتَرَدِّدُ فَإِنَّ الْفَضْلَ لا يَصْحَبُهُ . . وَقَدْ قيلَ في أَشْياءَ لَيْسَ لَها ثَباتٌ وَلا بَقاءٌ : ظِلُّ الْغَمامَةِ في الصَّيْفِ ، وَخِلَّةِ الأَشْرارِ[8] ، وَالْبِناءِ عَلى غَيْرِ أَساسٍ ، وَالْمالِ الْكَثيرِ . فَالْعاقِلُ لا يَحْزَنُ لِقِلَّتِهِ ، وَإِنَّما مالُ الْعاقِلِ

«١» نقصاً «٢» آويا الى عرينه «٣» أي وان وضع الطوق الذهبي في رقبته أو الخلخال في يديه ورجليه «٤» فلا تراها صعبة شاقة . «٥» عنايتك بها . «٦» أي كما يجبر الانحدار الماء على قوة الاندفاع في السيلان . «٧» الذي يتدبر الامور . «٨» مصادقتهم .

عَقْلُهُ ، وَما قَدَّمَ مِنْ صالِحِ عَمَلِهِ . فَهُوَ واثِقٌ بِأَنَّهُ لا يُسْلَبُ[1] ماعَمِلَ، وَلا يُؤاخَذُ بِشَيْءٍ لَمْ يَعْمَلْهُ ، وَهُوَ خَليقٌ الاّ يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ، فَإِنَّ المَوْتَ لا يأْتي إلاّ بَغْتَةً ، لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ مُعَيَّنٌ . وَأَنْتَ عَنْ مَوْعِظَتي غَنِيٌّ بِما عِنْدَكَ مِنَ العِلْمِ ، وَلٰكِنْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْضِيَ مالَكَ مِنْ حَقٍّ قِبَلَنا[2]، لأَنَّكَ أَخُونا ، وَما عِنْدَنا مِنَ النُّصْحِ مَبْذُولٌ لَكَ .

فَلَمّا سَمِعَ الغُرابُ كَلامَ السُّلَحْفاةِ لِلْجُرَذِ وَرَدَّها عَلَيْهِ وَمُلاطَفَتَها إِيّاهُ فَرِحَ بِذٰلِكَ وَقالَ : لَقَدْ سَرَرْتِني ، وَأَنْعَمْتِ عَلَيَّ ، وَأَنْتِ جَديرَةٌ أَنْ تَسُرّي نَفْسَكِ بِمِثْلِ ما سَرَرْتِني بِهِ . وَإِنَّ أَوْلَى أَهْلِ الدُّنْيا بِشِدَّةِ السُّرُورِ مَنْ لا يَزالُ رَبْعُهُ[3] مِنْ إِخْوانِهِ وَأَصْدِقائِهِ مِنَ الصّالِحِينَ مَعْمُوراً[4] وَلا يَزالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ جَماعَةٌ يَسُرُّهُمْ وَيَسُرُّونَهُ ، وَيَكُونُ مِنْ وَراءِ أُمُورِهِمْ وَحاجاتِهِمْ بِالْمِرْصادِ[5] . فَإِنَّ الكَرِيمَ إِذا عَثَرَ لا يَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلاّ الكِرامُ[6] : كَالْفيلِ إِذا وَحِلَ لا تُخْرِجُهُ إِلاّ الْفِيَلَةُ .

فَبَيْنَما الغُرابُ في كَلامِهِ إِذْ أَقْبَلَ نَحْوَهُمْ ظَبْيٌ يَسْعَى . فَذُعِرَتْ مِنْهُ السُّلَحْفاةُ . فَغاصَتْ في الْماءِ . وَخَرَجَ الْجُرَذُ إِلى جُحْرِهِ وَطارَ الغُرابُ

«١» أي لا يسرق منه ما عمله . «٢» أي رأيت أن اؤدي واجبي نحوك . «٣» المحلّ الذي يعيش فيه «٤» مسكوناً ، مأهولاً . «٥» المرصاد: الطريق ، ويقصد هنا انه يكون مهتماً بحاجاتهم يرقبهم لها . «٦» أي لا يقيل عثرته ولا ينهضه الا الكرام .

فَوَقَعَ عَلى شَجَرَةٍ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْغُرابَ حَلَّقَ[1] في السَّماءِ لِيَنْظُرَ : هَلْ لِلظَّبْيِ طالِبٌ[2] ؟ فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً . فَنادَى الْجُرَذَ وَالسُّلَحْفاةَ وَخَرَجا . فَقالَتِ السُّلَحْفاةُ لِلظَّبْيِ حينَ رَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلى الْماءِ اشْرَبْ إِنْ كانَ بِكَ عَطَشٌ ، وَلا تَخَفْ ، فَإِنَّهُ لا خَوْفَ عَلَيْكَ . فَدَنا الظَّبْيُ فَرَحَّبَتْ بِهِ السُّلَحْفاةُ وَحَيَّتْهُ ، وَقالَتْ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قالَ : كُنْتُ أَسْنَحُ[3] بِهٰذِهِ الصَّحارَى . فَلَمْ تَزَلِ الأَساوِرَةُ[4] تَطْرُدُني مِنْ مَكانٍ إِلى مَكانٍ حَتّى رَأَيْتُ ٱلْيَوْمَ شَبَحاً ، فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ قانِصاً[5] . قالَتْ : لا تَخَفْ ، فَإِنّا لَمْ نَرَ هٰهُنا قانِصاً قَطُّ . وَنَحْنُ نَبْذُلُ لَكَ وُدَّنا وَمَكانَنا ، وَالْماءُ وَالْمَرْعى كَثيرانِ عِنْدَنا ، فَارْغَبْ في صُحْبَتِنا فَأَقامَ الظَّبْيُ مَعَهُمْ وَكانَ لَهُمْ عَريشٌ[6] يَجْتَمِعُونَ فيهِ ، وَيَتَذاكَرُونَ الأَحاديثَ وَالأَخْبارَ . فَبَيْنَما ٱلْغُرابُ وَالْجُرَذُ وَالسُّلَحْفاةُ ذاتَ يَوْمٍ في ٱلْعَريشِ غابَ الظَّبْيُ . فَتَوَقَّعُوهُ[7] ساعَةً فَلَمْ يَأْتِ . فَلَمّا أَبْطَأَ أَشْفَقُوا[8] أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصابَهُ عَنَتٌ[9] . فَقالَ الْجُرَذُ وَالسُّلَحْفاةُ لِلْغُرابِ : انْظُرْ : هَلْ تَرَى مِمّا يَلِينا شَيْئاً ؟ فَحَلَّقَ ٱلْغُرابُ

---

(١) ارتفع عالياً . «٢» مطارد يلاحقه . «٣» سنح الظبي والطير وغيرهما سنوحاً : مر من المياسر الى الميامن : ولكن المراد هنا أنه يرتع ويرعى . «٤» الاساورة : جمع أسوار بالضم والكسر وهو الرامي بالسهام «٥» صياداً . «٦» العريش : المكان يستظل به عند الظهيرة وجمعه عرش بضمتين . «٧» انتظروه . «٨» خافوا «٩» العنت : الامر الشاق .

في السَّماءِ فنظرَ فإذا الظَّبْيُ في الحبائلِ مُقتنصاً . فانقضَّ[1] مُسرعاً ، فأخبرَهما بذلكَ . فقالتِ السُّلحفاةُ والغرابُ للجُرَذِ : هذا أمرٌ لا يُرجى فيهِ غيرُكَ[2] . فأغثْ أخاكَ فسعى الجُرَذُ مُسرعاً . فأتى الظَّبْيَ فقالَ لهُ : كيفَ وقعتَ في هذهِ الورطةِ ؟ وأنتَ منَ الأكياسِ[3] قالَ الظَّبْيُ هلْ يُغني الكيسُ معَ المقاديرِ شيئاً ؟ فبينما هما في الحديثِ إذْ وافتْهما السُّلحفاةُ فقالَ لها الظَّبْيُ : ما أصبتِ بمجيئكِ إلينا ، فإنَّ القانصَ لو انتهى[4] إلينا — وقدْ قطعَ الجُرَذُ الحبائلَ — سبقتُهُ عدواً[5] ، وللجُرَذِ أجحارٌ كثيرةٌ ، والغُرابُ يطيرُ ، وأنتِ ثقيلةٌ لا سعيَ لكِ ولا حركةَ ، وأخافُ عليكِ القانصَ . قالتْ : لا عيشَ معَ فراقِ الأحبَّةِ ، وإذا فارقَ الأليفُ أليفَهُ فقدْ سُلبَ فؤادَهُ ، وحُرمَ سُرورَهُ ، وغُشِّيَ[6] بصرُهُ . فلمْ ينتهِ كلامُها حتَّى وافى القانصُ . ووافقَ ذلكَ فراغَ الجُرَذِ منْ قطعِ الشَّركِ . فنجا الظَّبْيُ بنفسِهِ . وطارَ الغُرابُ محلِّقاً . ودخلَ الجُرَذُ بعضَ الأجحارِ ، ولمْ يبقَ غيرُ السُّلحفاةِ . ودنا الصَّيَّادُ فوجدَ حبالتَهُ مُقطَّعةً . فنظرَ يميناً وشمالاً . فلمْ يجدْ غيرَ السُّلحفاةِ تدبُّ . فأخذَها وربطَها فلمْ يلبثِ الغُرابُ

«١» هبط . «٢» أي لا يعتمد فيه على غيرك . «٣» الاكياس: جمع كيس كسيد وهو الفطن الظريف «٤» وصل . «٥» العدو: الركض، سرعة المشي . «٦» اسدلت عليه غشاوة فلا يرى .

وَالْجِرَذُ وَالظَّبْيُ أَنِ اجْتَمَعُوا . فَنَظَرُوا الْقانِصَ قَدْ رَبَطَ السُّلَحْفاةَ . فَاشْتَدَّ حُزْنُهُمْ . وَقالَ الْجِرَذُ : ما أَرانا نُجاوِزُ عَقَبَةً[1] مِنَ الْبَلاءِ إِلاّ صِرْنا في أَشَدَّ مِنْها . وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذي قالَ : لا يَزالُ الإِنْسانُ مُسْتَمِرًّا في إِقْبالِهِ[2] ما لَمْ يَعْثُرْ ، فَإِذا عَثَرَ لَجَّ[3] بِهِ الْعِثارُ وَإِنْ مَشى في جَدَدٍ[4] الأَرْضِ . وَحَذَري عَلى السُّلَحْفاةِ خَيْرِ الأَصْدِقاءِ الَّتي خَلَّتُها[5] لَيْسَتْ لِلْمُجازاةِ وَلا لِالْتِماسِ مُكافَأَةٍ ، وَلَكِنَّها خِلَّةُ الْكَرَمِ وَالشَّرَفِ ، خِلَّةٌ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ خِلَّةِ الْوالِدِ لِوَلَدِهِ ، خِلَّةٌ لا يُزيلُها إِلاّ الْمَوْتُ . وَيْحُ[6] لِهٰذا الْجَسَدِ الْمُوَكَّلِ بِهِ الْبَلاءُ الَّذي لا يَزالُ في تَصَرُّفٍ وَتَقَلُّبٍ[7] ، وَلا يَدُومُ لَهُ شَيْءٌ ، وَلا يَلْبَثُ مَعَهُ أَمْرٌ : كَما لا يَدُومُ لِلطّالِعِ مِنَ النُّجُومِ طُلُوعٌ ، وَلا لِلآفِلِ[8] مِنْها أُفُولٌ . لٰكِنْ لا يَزالُ الطّالِعُ مِنْها آفِلاً ، وَالآفِلُ طالِعاً : وَكَما تَكُونُ آلامُ الْكُلُومِ[9] وَانْتِقاضُ[10] الْجِراحاتِ ، كَذٰلِكَ مَنْ قَرِحَتْ كُلُومُهُ[11] بِفَقْدِ إِخْوانِهِ بَعْدَ اجْتِماعِهِ بِهِمْ . فَقالَ

«١» اي لا نتخلص من ورطة صعبة حتى نقع في أشد منها والاصل في معنى العقبة الطريق الصعبة في الجبل . «٢» تقدمه «٣» لج : تمادى . «٤» جدد ، محركة : الارض المستوية . «٥» أي ان صحبتها لنا ليس الدافع اليها حب المنفعة ولكنه كرمها وشرفها . «٦» ويح : كلمة ترحم وتوجع ، وقد تقال بمعنى المدح والتعجب وقيل بمعنى ويل ، يقال ويح لزيد وويحاً له (ورفعه على الابتداء ونصبه باضمار الفعل) كأنك قلت : ألزمه الله ويحاً . «٧» أي مسكين هذا الجسد المعرض للمصائب التي تتقلب فيه . «٨» أفل النجم بمعنى غاب . «٩» الكلوم : جمع كلم وهو الجرح «١٠» انتقاضها : انتكاسها . «١١» قرحت يقال : قرح الرجل قرحاً بالتحريك : خرجت فيه القروح .

الظَّبْيُ وَالْغُرابُ لِلْجُرَذِ : إِنَّ حَذَرَنا وَحَذَرَكَ وَكَلامَكَ — وَإِنْ كانَ بَليغاً — كُلٌّ مِنْها لا يُغْني عَنِ السُّلَحْفاةِ شَيْئاً . وَإِنَّهُ كَما يُقالُ : إِنَّما يُخْتَبَرُ[1] النَّاسُ عِنْدَ الْبَلاءِ ، وَذُو الأَمانَةِ عِنْدَ الأَخْذِ وَالْعَطاءِ ، وَالأَهْلُ وَالْوَلَدُ عِنْدَ الْفاقَةِ ، كَذٰلِكَ يُخْتَبَرُ الإِخْوانُ عِنْدَ النَّوائِبِ[2] . قالَ الْجُرَذُ : أَرَى مِنَ الْحِيلَةِ أَنْ تَذْهَبَ — أَيُّها الظَّبْيُ — فَتَقَعَ بِمَنْظَرٍ مِنَ الْقانِصِ[3] كَأَنَّكَ جَريحٌ وَيَقَعَ الْغُرابُ عَلَيْكَ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْكَ ، وَأَسْعى أَنا فَأَكُونُ قَريباً مِنَ الْقانِصِ مُراقِباً لَهُ لَعَلَّهُ يَرْمي ما مَعَهُ مِنَ الآلَةِ[4] وَيَضَعُ السُّلَحْفاةَ ، وَيَقْصِدُكَ طامِعاً فيكَ ، راجِياً تَحْصيلَكَ . فَإِذا دَنا مِنْكَ فَفِرَّ عَنْهُ رُوَيْداً ، بِحَيْثُ لا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُ مِنْكَ وَأَمْكِنْهُ مِنْ أَخْذِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتّى يَبْعُدَ عَنّا[5] . وَانْحُ مِنْهُ هٰذا النَّحْوَ ما اسْتَطَعْتَ . فَإِنّي أَرْجُو أَلاّ يَنْصَرِفَ إِلاّ وَقَدْ قَطَّعْتُ الْحَبائِلَ عَنِ السُّلَحْفاةِ ، وَأَنْجُو بِها . فَفَعَلَ الْغُرابُ وَالظَّبْيُ ما أَمَرَهُما بِهِ الْجُرَذُ . وَتَبِعَهُما الْقانِصُ فَاسْتَجَرَّهُ[6] الظَّبْيُ حَتّى أَبْعَدَهُ عَنِ الْجُرَذِ وَالسُّلَحْفاةِ ، وَالْجُرَذُ مُقْبِلٌ عَلى قَطْعِ الْحَبائِلِ

«١» يمتحن . «٢» جمع نائبة وهي المصيبة . «٣» أي فتقف بمكان يراك فيه القانص . «٤» يقصد ، الحبائل . «٥» بمعنى كن معه في وضع يجعله يؤمل صيدك فإذا دنا منك فرّ منه ثم قف على مدى يطمعه فيك وهكذا بحيث يبتعد عن الحبل الذي يربط به السلحفاة فأقطعه في هذه الفترة . «٦» أخذ يجذبه .

حَتَّى قَطَعَها ، ونَجا بالسُّلَحْفاةِ . وعادَ القانِصُ مَجْهُوداً لاغِباً[1] . فوَجَدَ حِبالَتَهُ مُقطَّعَةً . ففكَّرَ في أمرِهِ مَعَ الظَّبْيِ المُتظَلِّعِ[2] فظَنَّ أنَّهُ خُولِطَ في عَقْلِهِ[3] . وفكَّرَ في أمرِ الظَّبْيِ والغُرابِ الَّذي كأنَّهُ يأكُلُ منْـــهُ ، وقَرْضِ حِبالَتِهِ . فاسْتَوْحَشَ مِنَ الأرْضِ[4] ، وقالَ : هٰذِهِ أرْضُ جِنٍّ[5] أوْ سَحَرَةٍ[6] فرَجَعَ مُوَلِّياً[7] لا يَلْتَمِسُ شَيْئاً ، ولا يَلْتَفِتُ إلَيْهِ . واجْتَمَعَ الغُرابُ والظَّبْيُ والجُرَذُ والسُّلَحْفاةُ إلى عَرِيشِهِمْ سالِمِينَ آمِنِينَ كأحْسَنِ ما كانُوا عَلَيْهِ .

فإذا كانَ هٰذا الخَلْقُ مَعَ صِغَرِهِ وضَعْفِهِ قَدْ قَدَرَ على التَّخَلُّصِ مِنْ مَرابِطِ الهَلَكَةِ[8] مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى بِمَوَدَّتِهِ وخُلُوصِها ، وثَباتِ قَلْبِهِ عَلَيْها ، واسْتِمْتاعِهِ[9] مَعَ أصْحابِهِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، فالإنْسانُ الَّذي قَدْ أُعْطِيَ العَقْلَ والفَهْمَ ، وأُلْهِمَ الخَيْرَ والشَّرَّ ومُنِحَ التَّمْيِيزَ والمَعْرِفَةَ أوْلى وأحْرَى بالتَّواصُلِ[10] والتَّعاضُدِ . فهٰذا مَثَلُ إخْوانِ الصَّفاءِ واتِّتِلافِهِمْ في الصُّحْبَةِ .

«١» لاغباً : تعبـــاً «٢» المتصنع العرج . «٣» أصابه شيء من الاختلاط والمس في عقله . «٤» شعر بشيء من الخوف والوحشة . «٥» جن : الجن خلاف الانس أو كل ما استتر عن الحواس من الملائكة والشياطين . «٦» السحرة : جمع ساحر وهو من يعمل السحر ، وفسروه بإخراج الشيء في أوفق مظاهره حتى يخدع أو يفتن . «٧» هارباً . «٨» المواقف المهلكة . «٩» تمتعه . «١٠» التوادد والتحابب .

الباب الرابع

البوم والغربان

« مثَل العدوِّ الذي لا يُغتر به »

البوم والغربان

قَالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبَا الفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ اخْوَانِ الصَّفَاءِ وتَعَاوُنِهِمْ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ العَدُوِّ الَّذي لا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِهِ، وإِنْ أَظْهَرَ تَضَرُّعاً[1] وَمَلَقاً . قَالَ الفَيْلَسُوفُ : مَنِ اغْتَرَّ بالعَدُوِّ الَّذي لَمْ يَزَلْ عَدُوًّا أَصَابَهُ مَا أَصَابَ البُومَ[2] مِنَ الغِرْبَانِ . قَالَ المَلِكُ وكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ في جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الدَّوْحِ[3]، فِيهَا وَكْرُ أَلْفِ غُرَابٍ . وعَلَيْهِنَّ وَالٍ[4] مِنْ أَنْفُسِهِنَّ . وكَانَ عِنْدَ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ كَهْفٌ[5] فِيهِ أَلْفُ بُومَةٍ ، وعَلَيْهِنَّ والٍ مِنْهُنَّ. فَخَرَجَ مَلِكُ البُومِ لِبَعْضِ غَدَوَاتِهِ ورَوْحَاتِهِ[6] — وفي نَفْسِهِ العَدَاوَةُ لِمَلِكِ الغِرْبَانِ ، وفي نَفْسِ الغِرْبَانِ ومَلِكِهَا مِثْلُ ذٰلِكَ لِلْبُومِ - فَأَغَارَ[7] مَلِكُ البُومِ فِي أَصْحَابِهِ عَلَى الغِرْبَانِ فِي أَوْكَارِهَا ، فَقَتَلَ وسَبَى[8] مِنْهَا

«١» التضرع : هو الاستعطاف، والملق : التودد الكاذب . «٢» البوم طائر قصير رأسه كبير بالنسبة الى حجمه وعيناه مستديرتان تتجهان الى أمام ، يتغذى بالحشرات . وله صوت يشبه نباح الكلب أو نداء المستغيث . أما الغربان : فجمع غراب ويجمع على أغرب وأغربه وغرب . «٣» الدوح : جمع دوحة : وهي الشجرة العظيمة . «٤» حاكم يتولى أمرهن . «٥» الكهف : المغارة . «٦» يريد : ذهابه وإيابه . «٧» هجم . «٨» السبيُ هو الاسر في الحرب .

خَلْقاً كَثيراً ، وكانَتْ الغَارَةُ لَيْلاً ، فَلَمَّا أَصْبَحَتِ الغِرْبَانُ اجْتَمَعَتْ إلى مَلِكِها فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا لَقِينَا اللَّيْلَةَ مِنْ مَلِكِ البُومِ ، وما مِنَّا الاَّ مَنْ أَصْبَحَ قَتِيلاً أَوْ جَرِيحاً أَوْ مَكْسُورَ الجَنَاحِ ، أَوْ مَنْتُوفَ[1] الرِّيشِ ، أَوْ مَقْطُوفَ الذَّنَبِ . وأَشَدُّ مِمَّا أَصَابَنَا ضَراً عَلَيْنَا جَرَاءَتُهُنَّ عَلَيْنَا . وعِلْمُهُنَّ بِمَكَانِنَا ، وهُنَّ عَائِدَاتٌ الَيْنَا غَيْرُ مُنْقَطِعَاتٍ عَنَّا لِعِلْمِهِنَّ بِمَكَانِنَا . فَإِنَّمَا نَحْنُ لَكَ ، ولَكَ الرَّأْيُ أَيُّهَا المَلِكُ ، فَانظُرْ لَنَا ولِنَفْسِكَ . وكانَ في الغِرْبَانِ خَمْسَةٌ مُعْتَرَفٌ لَهُنَّ بِحُسْنِ الرَّأْيِ ، يُسْنَدُ إلَيْهِنَّ في الأُمُورِ ، ويُلْقَى عَلَيْهِنَّ أَزِمَّةُ[2] الأَحْوالِ . وكانَ المَلِكُ كَثِيراً مَا يُشَاوِرُهُنَّ في الأُمُورِ ، ويَأْخُذُ آرَاءَهُنَّ في الحَوَادِثِ والنَّوَازِلِ[3] .

فَقَالَ المَلِكُ للأَوَّلِ مِنَ الخَمْسَةِ : مَارَأْيُكَ في هٰذَا الأَمْرِ ؟ قَالَ : رَأْيِي قَدْ سَبَقَتْنَا اليْهِ العُلَمَاءُ ، وذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ لِلْعَدُوِّ الحَنِقِ[4] إلاَّ الهَرَبُ مِنْهُ . قَالَ المَلِكُ للثَّانِي : مَارَأْيُكَ أَنْتَ في هٰذَا الأَمْرِ ؟ قَالَ : رَأْيِي مَا رَأَى هٰذَا مِنَ الهَرَبِ . قَالَ المَلِكُ : لاأَرَى لَكُمَا ذَلِكَ رَأْياً : أَنْ نَرْحَلَ عَنْ أَوْطَانِنَا ونُخْلِيَهَا[5] لِعَدُوِّنَا مِنْ أَوَّلِ نَكْبَةٍ أَصَابَتْنَا مِنْهُ ، ولا يَنْبَغِي لَنَا ذَلِكَ . ولٰكِنْ نُجْمِعُ أَمْرَنَا[6] ، ونَسْتَعِدُّ لِعَدُوِّنَا

«١» منتوف الريش أو مقطوف الذنب : أي منزوع الريش أو مقطوع لذنب .
«٢» جمع زمام ، ويقصد انه كان يعتمد عليهن في كل شيء . «٣» جمع نازلة وهي المصيبة .
«٤» الحنق : الشديد الغيظ . «٥» نهجرها . «٦» نتفق على رأي واحد .

ونُذكي[1] نارَ الحَرْبِ فيما بَيْنَنا وبَيْنَ عَدُوِّنا ، ونَحْترِسُ مِنَ الغِرَّةِ[2] إذا أقْبَلَ الينا ، فَنَلْقاهُ مُستَعِدِّينَ ، ونُقاتِلُهُ قِتالاً غَيْرَ مُراجِعِينَ[3] فِيهِ ، ولا مُقَصِّرِينَ عَنْهُ ، وتَلْقَى أطْرافُنا أطْرافَ العَدُوِّ ، ونَتَحَرَّرُ بخُصُوصِنا ونُدافِعُ عَدُوَّنا : بالأناةِ[4] مَرَّةً ، وبالجِلادِ[5] أُخرَى ، حَيْثُ نُصِيبُ فُرْصَتَنا وبُغْيَتَنا[6] ، وقَدْ ثَنَيْنا[7] عَدُوَّنا عَنَّا .

ثُمَّ قالَ المَلِكُ لِلثّالِثِ : مارَأْيُكَ أنتَ ؟ قالَ : ما أرَى ما قالا رأياً ، ولكِنْ نَبْثُّ العُيُونَ[8] ، ونَبْعَثُ الجَواسِيسَ ، ونُرْسِلُ الطَّلائِعَ[9] بَيْنَنا وبَيْنَ عَدُوِّنا ، فَنَعْلَمُ : أيُرِيدُ صُلْحَنا ؟ أمْ يُرِيدُ حَرْبَنا ؟ أمْ يُرِيدُ الفِدْيَةَ[10] ؟ فإنْ رَأَيْنا أمْرَهُ أمْرَ طامِعٍ في مالٍ لَمْ نَكْرَهِ الصُّلْحَ على خَراجٍ[11] نُؤَدِّيهِ اليهِ في كُلِّ سَنَةٍ نَدْفَعُ بِهِ عَنْ أنْفُسِنا ، ونَطْمَئِنُّ في أوْطانِنا . فإنَّ مِنْ آراءِ المُلُوكِ إذا اشْتَدَّتْ شَوْكَةُ عَدُوِّهِمْ فَخافُوهُ على أنْفُسِهِمْ وبِلادِهِمْ ، أنْ يَجْعَلُوا الأمْوالَ جُنَّةَ البِلادِ[12] والمَلِكِ والرَّعِيَّةِ .

«١» نشعل ونضرم . «٢» الغرة بالكسر : الغفلة . «٣» أي غير متراجعين فيه «٤» التأني . «٥» الجلاد : الشدة والصبر . «٦» مطلبنا . «٧» صرفنا . «٨» أي نرسل الجواسيس والرقباء . «٩» الطلائع : جمع طليعة وهي ما ترسل أمام الجيش من الجنود لاستكشاف مكامن العدو . «١٠» مايعطى من المال عوض المفدي عنه . «١١» ضريبة من الضرائب من المغلوب للغالب مقابل رضاه بالصلح من غلة الارض والمال . «١٢» أي حصناً يقي البلاد طوارىء الأعداء .

قَالَ المَلِكُ لِلرَّابِعِ : فَمَا رَأْيُكَ فِي هٰذَا الصُّلْحِ ؟ قَالَ : لاأَرَاهُ رَأْياً . بَلْ أَنْ نُفَارِقَ أَوْطَانَنَا وَنَصْبِرَ عَلَى الْغُرْبَةِ وَشِدَّةِ المَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نُضِيعَ أَحْسَابَنَا[1] ، وَنَخْضَعَ لِلْعَدُوِّ الَّذِي نَحْنُ أَشْرَفُ مِنْهُ ، مَعَ أَنَّ الْبُومَ لَوْ عَرَضْنَا ذٰلِكَ عَلَيْهِنَّ لَمَا رَضِينَ مِنَّا إِلاَّ بِالشَّطَطِ[2] . وَيُقَالُ فِي الأَمْثَالِ : قَارِبْ عَدُوَّكَ بَعْضَ المُقَارَبَةِ لِتَنَالَ حَاجَتَكَ . ولا تُقَارِبْهُ كُلَّ المُقَارَبَةِ : فَيَجْتَرِىءَ عَلَيْكَ ، وَيُضْعِفَ جُنْدَكَ . وَتَذِلَّ نَفْسُكَ . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ الْخَشَبَةِ المَنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ : إِذَا أَمْلَتَهَا قَلِيلاً زَادَ ظِلُّهَا . وإِذَا جَاوَزْتَ بِهَا الْحَدَّ فِي إِمَالَتِهَا نَقَصَ الظِّلُّ . وَلَيْسَ عَدُوُّنَا رَاضِياً مِنَّا بِالدُّونِ[3] فِي المُقَارَبَةِ . فَالرَّأْيُ لَنَا وَلَكَ المُحَارَبَةُ .

قَالَ المَلِكُ لِلْخَامِسِ : مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ وَمَاذَا تَرَى ؟ القِتَالَ أَمِ الصُّلْحَ ؟ أَمِ الجَلاءَ عَنِ الْوَطَنِ[4] ؟ قَالَ : أَمَّا الْقِتَالُ فَلاَ سَبِيلَ لِلْمَرْءِ إِلَى قِتَالِ مَنْ لاَ يَقْوَى عَلَيْهِ . وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ نَفْسَهُ وَعَدُوَّهُ وَقَاتَلَ مَنْ لاَ يَقْوَى عَلَيْهِ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى حَتْفِهَا[5] . مَعَ أَنَّ العَاقِلَ لاَ يَسْتَصْغِرُ عَدُوَّهُ . فَإِنَّ مَنِ اسْتَصْغَرَ عَدُواً فَقَدْ أَغْتَرَّ[6] بِهِ . وَمَنِ

«١» الاحساب جمع حسب ويقال رجل حسيب أي كريم بنفسه وقال بعضهم الحسب هو المجد والشرف الثابت للانسان ولآبائه . «٢» الشطط : مجاوزة الحد . «٣» ليس عدونا راضياً منابالشيء اليسير الهين اذا نحن اتصلنا به وصالحناه . «٤» الهجرة منه ، ومغادرته . «٥» هلاكها . «٦» أي من أستقل شأن عدوه عاد بالضرر على نفسه لأنه يترك حينئذ الحيطة والاستعداد بينما يتقوى عدوه ويتهيأ فتكون الغلبة له .

أَغْتَرَّ بِعَدُوِّهِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ . وأَنَا لِلْبُوم شَدِيدُ الهَيْبَةِ . وإِنْ أُضرِبَنَ [1] عَنْ قِتَالِنَا . وقَدْ كُنْتُ أَهَابُهَا قَبْلَ ذٰلِكَ : فإِنَّ الحازِمَ لا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلى كُلِّ حَالٍ : فَإِنْ كانَ بَعِيداً لَمْ يَأْمَنْ سَطْوَتَهُ . وإِنْ كانَ مُكْثِباً [2] لَمْ يَأْمَنْ وَثْبَتَهُ ، وإِنْ كانَ وَحِيداً لَمْ يَأْمَنْ مَكْرَهُ . وأَحْزَمُ الأَقْوامِ وأَكْيَسُهُمْ مَنْ كَرِهَ ٱلْقِتَالَ لأَجْلِ النَّفَقَةِ فِيهِ : فَإِنَّ مَادُونَ ٱلْقِتَالِ ٱلنَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الأَمْوَالِ وٱلْقَوْلِ وٱلْعَمَلِ [3] ، وٱلْقِتَالُ ٱلنَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الأَنْفُسِ والأَبْدَانِ . فَلاَ يَكُونَنَّ ٱلْقِتَالُ لِلْبُومِ مِنْ رَأْيِكَ ، أَيُّهَا المَلِكُ : فَإِنَّ مَنْ قَاتَلَ مَنْ لا يَقْوَى عَلَيْهِ فَقَدْ غَرَّرَ بِنَفْسِهِ [4] . فَإِذَا كانَ المَلِكُ مُحَصِّناً لِلأَسْرَارِ [5] ، مُتَخَيِّراً لِلْوُزَرَاءِ ، مُتَهَيِّباً فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ، بَعِيداً مِنْ أَنْ يُقْدَرَ عَلَيْهِ ، كانَ خَلِيقاً أَلاَّ يُسْلَبَ صَحِيحَ مَا أُوتِيَ [6] مِنَ الخَيْرِ . وأَنْتَ — أَيُّهَا المَلِكُ — كَذٰلِكَ [7] . وقَدِ ٱسْتَشَرْتَنِي فِي أَمْرِ جَوَابِكَ مِنِّي عَنْهُ فِي بَعْضِهِ عَلاَنِيَةٌ ، وفِي بَعْضِهِ سِرٌّ [8] . ولِلأَسْرَارِ مَنَازِلُ [9] : مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّهْطُ [10] ومِنْهَا مَا يُسْتَعَانُ فِيهِ بِالقَوْمِ ،

«١» رجعن . «٢» قريباً . «٣» يقصد أنه قبل القتال لابد من الاستعداد في النفقة والمال والقول والعمل ، ثم إذا بدأ القتال جاءت نفقة الانفس والأبدان . (٤) سلك بها مسلك الغرور والطيش والغش . (٥) كاتماً لها . (٦) أعطي . (٧) أي محصّن للاسرار متخير للوزراء الخ . . . (٨) المعنى أنك طلبت رايي في أمر سيكون جوابي في بعضه معلناً أمام الآخرين وفي بعضه الآخر سيكون سراً بيني وبينك (٩) مقامات ومنازل . (١٠) الرهط : الاقارب .

وَمِنْهَا مَا يَدْخُل فِيهِ الرِّجْلانِ [1] . ولَسْتُ أَرَىٰ لِهٰذَا السِّرِّ عَلى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ [2] أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ إلاَّ أَرْبَعُ آذَانٍ ولِسَانَانِ . فَنَهَضَ المَلِكُ مِنْ سَاعَتِهِ وخَلاَ بِهِ ، فَاسْتَشَارَهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ المَلِكُ أَنَّهُ قَالَ : هَلْ تَعْلَمُ ابْتِدَاءَ عَدَاوَةِ مَا بَيْنَنَا وبَيْنَ البُومِ ؟ قَالَ : نَعَمْ كَلِمَةٌ تَكَلَّمَ بِهَا غُرَابٌ . قَالَ المَلِكُ : وكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

قَالَ الغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الكَرَاكِيِّ [3] لَمْ يَكُنْ لَهَا مَلِكٌ فَأَجْمَعَتْ أَمْرَهَا عَلى أَنْ يُمَلِّكْنَ عَلَيْهِنَّ مَلِكَ البُومِ ، فَبَيْنَمَا هِيَ فِي مَجْمَعِهَا [4] إِذْ وَقَعَ لَهَا غُرَابٌ ، فَقَالَتْ : لَوْ جَاءَنَا هٰذَا الغُرَابُ لاسْتَشَرْنَاهُ فِي أَمْرِنَا ، فَلَمْ يَلْبَثْنَ دُونَ أَنْ جَاءَهُنَّ الغُرَابُ . فَاسْتَشَرْنَهُ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ بَادَتْ مِنَ الأَقَالِيمِ [5] وفُقِدَ الطَّاوُوسُ [6] والبَطُّ

---

(١) يقصد المتسارّين فقط . (٢) على مقدار قيمته . (٣) الكراكي : جمع كركي وهو طائر رمادي يقرب من الوز غير أنه أبتر الذيل في خده لمعات سود قليل اللحم صلب العظم طويل الساقين لا تصلح جماعاته إلا برئيس لأن في طبعه الحذر والتحارس بالنوبة فإذا قضى نوبته قام الذي كان نائماً حتى يقضي حراسته ، ومن طبعه أيضاً التناصر فلا تطير الجماعة منه متفرقة بل تكون صفاً صفاً يتقدمها واحد رئيس لها ثم تتبعه أطوع له من الظل ثم يخلفه غيره ولا يزال كذلك حتى يتناول كل فرد هذه الرياسة بعد الطائر الآخر . (٤) في مكان اجتماعها . (٥) جمع اقليم وهو ما يختص به ويتميز به فالمغرب اقليم واليمن اقليم وهكذا . (٦) الطاووس : زينة الطيور ومظهر جمالها ، وهو نوعان : وحشي لا يألف الدور ، وأهلي يربيه الناس لمجرد الزينة والتفكه بمرآه البديع لأن لحمه جاف صلب عسر الهضم .

والنَّعام[1] والحَمام مِنَ العالَمِ لَمّا اضطُرِرتُنَّ إلى أنْ تُملَّكْنَ عليكُنَّ البُومَ التي هِيَ أقبحُ الطَّيْرِ مَنْظَراً ، وأسوأُها خُلْقاً ، وأقلُّها عَقْلاً ، وأشدُّها غَضَباً ، وأبعدُها مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ ، مَعَ عَمَاها وما بِها مِنَ العَشا[2] بالنَّهارِ ، وأشدُّ مِنْ ذلكَ وأقبحُ أُمورِها سَفَهُها وسُوءُ أخلاقِها . إلاَّ أنْ تَرَيْنَ أنْ تُملِّكْنَها[3] وتكُنَّ أنتُنَّ تُدبِّرْنَ الأُمورَ دُونَها بِرَأْيِكُنَّ وعُقولِكُنَّ ، كما فَعَلَتِ الأَرْنَبُ التي زَعَمَتْ أنَّ القَمَرَ مَلِكُها ، ثُمَّ عَمِلَتْ بِرَأْيِها .

قالَ الطَّيْرُ : وكَيْفَ كانَ ذلكَ ؟ !

قالَ الغُرابُ : زَعَموا أنَّ أَرْضاً مِنْ أراضي الفِيَلَةِ تَتابَعَتْ عَلَيْها

---

(١) النعام : اسم جنس مفرده نعامة ، وهو طائر كبير يشبه الجمل في عنقه ووظيفته ويشارك الطير في الجناح والريش والمنقار ، وليس للنعام حاسة السمع ولكن به الشم البليغ فهو يدرك به مايحتاج فيه الى السمع وربما شم القانص من بعيد ولذلك يقال : أشم من نعامة . قيل وليس في الدنيا حيوان الا يشرب الماء أبداً الا النعام . ومتى دميت منها رجل واحدة لم تنتفع بالاخرى بل تجثم في مكانها حتى تهلك . ومن خواصها سرعة الجري وأشد مايكون اذا استقبلت الريح وقد تبتلع الصلب والحجر والمدر والحديد فتذيبه وتميعه . ويقال انها تقسم بيضها أثلاثاً : فمنه مانحضنه ومنه ماتأخذ صفرته غذاء ومنه ماتقتحمه وتتركه في الهواء حتى يتعفن ويتولد منه دود تغذي به فراخها اذا خرجت . ويضرب بها المثل في الحمق قيل لأنها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها . وقيل لأنها اذا رأت القانص وضعت رأسها خلف الكثيب ظانة أنها قد استخفت عليه مادامت هي لم تره .

(٢) سوء البصر . (٣) تجعلنها ملكة عليكن .

السِّنُونَ[1] ، وَأَجْدَبَتْ[2] وَقَلَّ ماؤُها ، وَغارَتْ[3] عُيُونُها ، وَذَوَى[4] نَبْتُها ، وَيَبِسَ شَجَرُها ، فَأَصابَ ٱلْفِيلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ : فَشَكَوْنَ ذٰلِكَ إِلى مَلِكِهِنَّ ، فَأَرْسَلَ ٱلْمَلِكُ رُسُلَهُ[5] وَرُوَّادَهُ[6] في طَلَبِ الْماءِ في كُلِّ ناحِيَةٍ. فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّسُلِ ، فَأَخْبَرَهُ إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِمَكانِ كَذا عَيْناً يُقالُ لَها عَيْنُ ٱلْقَمَرِ ، كَثِيرَةَ الْماءِ . فَتَوَجَّهَ مَلِكُ ٱلْفِيلَةِ بِأَصْحابِهِ إِلى تِلْكَ ٱلْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْها هُوَ وَفِيلَتُهُ . وَكانَتِ ٱلْعَيْنُ في أَرْضٍ لِلأَرانِبِ ، فَوَطِئَ الأَرانِبَ في أَجْحارِهِنَّ[7] ، فَأَهْلَكَ مِنْهُنَّ كَثِيراً . فَٱجْتَمَعَتِ الأَرانِبُ إِلى مَلِكِها فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ ما أَصابَنا مِنَ ٱلْفِيلَةِ ؟ قالَ : لِيُحْضِرْ مِنْكُنَّ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ . فَتَقَدَّمَتْ أَرْنَبٌ مِنَ الأَرانِبِ ، يُقالُ لَها (فَيْرُوزُ) . وَكانَ ٱلْمَلِكُ يَعْرِفُها بِحُسْنِ الرَّأْيِ وَالأَدَبِ ، فَقالَتْ : إِنْ رَأَى ٱلْمَلِكُ أَنْ يَبْعَثَنِي إِلى ٱلْفِيلَةِ ، وَيُرْسِلَ مَعِي أَميناً لِيَرَى وَيَسْمَعَ ما أَقُولُ ، وَيَرْفَعَهُ إِلى ٱلْمَلِكِ[8] . فَقالَ لَها ٱلْمَلِكُ : أَنْتِ أَمِينَةٌ ، وَنَرْضى

---

(١) السنون : جمع سنة وهي بمعنى الجدب هنا . (٢) يقال أجدبت الارض : اذا أصابها المحل ولم يخرج نباتها . (٣) غارت : جفت . (٤) ذوى : ذبل . (٥) رسل : جمع رسول وهو هنا بمعنى المبعوث في حاجة (٦) رواد : جمع رائد وهو من يسبق الناس لاكتشاف الاماكن المجهولة . (٧) أوكارهنّ (٨) جواب الشرط حذف يفهم من المقام والتقدير: ان رأى الملك الخ فعل ذلك .

بِقَوْلِكِ ، فَانْطَلِقِي إِلَى ٱلْفِيلَةِ ، وَبَلِّغِي عَنِّي ما تُريدينَ . وَاعْلَمِي أَنَّ الرَّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ وَلِينِهِ وَفَضْلِهِ يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ الْمُرْسِلِ . فَعَلَيْكِ بِاللِّينِ وَالرِّفْقِ وَالْحِلْمِ وَالتَّأَنِّي : فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذي يُلينُ الصُّدُورَ إِذا رَفَقَ ، وَيُخَشِّنُ الصُّدُورَ إِذا خَرِقَ[1] . ثُمَّ إِنَّ الأَرْنَبَ انْطَلَقَتْ في لَيْلَةٍ قَمْراءَ ، حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى ٱلْفِيلَةِ ، وَكَرِهَتْ أَنْ تَدْنُوَ مِنْهُنَّ مَخافَةَ أَنْ يَطَأْنَها بِأَرْجُلِهِنَّ ، فَيَقْتُلْنَها ، وَإِنْ كُنَّ غَيْرَ مُتَعَمِّداتٍ . ثُمَّ أَشْرَفَتْ[2] عَلَى الْجَبَلِ ، وَنادَتْ مَلِكَ ٱلْفِيلَةِ ، وَقالَتْ لَهُ : إِنَّ ٱلْقَمَرَ أَرْسَلَني إِلَيْكَ ، وَالرَّسُولُ غَيْرُ مَلُومٍ فيما يُبَلِّغُ ، وَإِنْ أَغْلَظَ في ٱلْقَوْلِ . قالَ مَلِكُ ٱلْفِيلَةِ : فَما الرِّسالَةُ ؟ قالَتْ : يَقُولُ لَكَ : إِنَّهُ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ قُوَّتِهِ عَلَى الضُّعَفاءِ فَاغْتَرَّ بِذٰلِكَ في شَأْنِ الأَقْوِياءِ قِياساً لَهُمْ عَلَى الضُّعَفاءِ كانَتْ قُوَّتُهُ وَبالاً عَلَيْهِ[3] . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى الدَّوابِّ ، فَغَرَّكَ ذٰلِكَ ، فَعَمَدْتَ إِلَى ٱلْعَيْنِ الَّتي تُسَمَّى بِاسْمِي ، فَشَرِبْتَ مِنْها ، وَكَدَّرْتَها . فَأَرْسَلَني إِلَيْكَ : فَأُنْذِرُكَ أَلاَّ تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ . وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ أَغَشَّ بَصَرَكَ[4] . وَأُتْلِفْ

---

(١) خرق : حمق وبابها علم . (٢) اطلّت . (٣) اي من اغتر بقوته حتى حسب أن الاقوياء بالنسبة اليه مثل من غلبهم من الضعفاء كانت قوته شراً عليه .
(٤) أي أجعل فوقه غشاوة فلا تبصر .

نَفْسَكَ . وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسالَتِي فَهَلُمَّ[1] إِلَى الْعَيْنِ مِنْ ساعَتِكَ : فَإِنِّي مُوافِيكَ[2] بِها . فَعَجِبَ مَلِكُ الْفِيَلَةِ مِنْ قَوْلِ الأَرْنَبِ ، فَانْطَلَقَ إِلَى الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزَ الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْها ، رَأَى ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيها . فَقالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ الرَّسُولُ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ الْماءِ فَاغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ، وَاسْجُدْ لِلْقَمَرِ . فَأَدْخَلَ الْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي الْماءِ ، فَتَحَرَّكَ فَخُيِّلَ لِلْفِيلِ أَنَّ الْقَمَرَ ارْتَعَدَ[3] . فَقالَ : ما شَأْنُ الْقَمَرِ ارْتَعَدَ ، أَتُراهُ[4] غَضِبَ مِنْ إِدْخالِي الْخُرْطُومَ فِي الْماءِ . قالَتْ فَيْرُوزُ الأَرْنَبُ : نَعَمْ . فَسَجَدَ الْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَتابَ إِلَيْهِ مِمّا صَنَعَ ، وَشَرَطَ أَلاَّ يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ هُوَ وَلا أَحَدٌ مِنْ فِيَلَتِهِ .

قالَ الْغُرابُ : وَمَعَ ما ذَكَرْتُ مِنْ أَمْرِ الْبُومِ فَإِنَّ فِيها الْخَبَّ وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ ، وَشَرُّ الْمُلُوكِ الْمُخادِعُ ، وَمَنِ ابْتُلِيَ[5] بِسُلْطانِ مُخادِعٍ وَخَدَمَهُ أَصابَهُ ما أَصابَ الأَرْنَبَ وَالصِّفْرِدَ[6] حِينَ احْتَكَما[7] إِلَى السِّنَّوْرِ . قالَتْ

---

(١) هلمّ : كلمة بمعنى الدعاء الى شيء كتعال فتكون لازمة وقد تستعمل متعدية كهلم شهداءكم أي أحضروهم ، ويجوز أن تلزم حالة واحدة في خطاب المفرد والمثنى والجمع وهو الافصح ويجوز أن تتصرف فيقال : هلم يارجل وهلما يارجلان وهلمي وهلموا وهلممن الا أنها في الأولى اسم فعل وفي الثانية فعل . (٢) أي مسلمها اليك . (٣) ارتعش . (٤) ترى : مبنية للمجهول بمعنى تظن . (٥) أصيب (٦) الصفرد بالكسر : طائر صغير كالعصفور . قيل أنه من خساس الطير ويضرب به المثل في الجبن فيقال : أجبن من صفرد . (٧) أي تحاكما ورفعا شكواهما الى القط ليفصل فيها .

ٱلكراكِيُّ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟

قالَ ٱلغُرابُ : كانَ لي جارٌ مِنَ الصَّفارِدَةِ في أَصْلِ شَجَرَةٍ قَريبَةٍ مِنْ وَكْري ، وَكانَ يُكْثِرُ مُواصَلَتي[1] ، ثُمَّ فَقَدْتُهُ فَلَمْ أَعْلَمْ أَيْنَ غابَ وَطالَتْ غَيْبَتُهُ عَنّي . فَجاءَتْ أَرْنَبٌ إِلى مَكانِ الصِّفْرِدِ فَسَكَنَتْهُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُخاصِمَ الأَرْنَبَ . فَلَبِثْتُ فيهِ زَماناً . ثُمَّ إِنَّ ٱلصِّفْرِدَ عادَ بَعْدَ زَمانٍ ، فَأَتى مَنْزِلَهُ ، فَوَجَدَ فيهِ الأَرْنَبَ . فَقالَ لَها : هٰذا ٱلْمَكانُ لي ، فَٱنْتَقِلي عَنْهُ . قالَتِ الأَرْنَبُ : ٱلْمَسْكَنُ لي وَتَحْتَ يَدي وَأَنْتَ مُدَّعٍ لَهُ . فَإِنْ كانَ لَكَ حَقٌّ فَٱسْتَعْدِ[2] بِإِثْباتِهِ عَلَيَّ . قالَ الصِّفْرِدُ : ٱلقاضي مِنّا قَريبٌ . فَهَلُمّي بِنا إِلَيْهِ . قالَتِ الأَرْنَبُ : وَمَنِ ٱلقاضي ؟ قالَ الصِّفْرِدُ : إِنَّ بِساحِلِ ٱلْبَحْرِ سِنَّوْراً مُتَعَبِّداً ، يَصُومُ النَّهارَ ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وَلا يُؤْذِي دابَّةً ، وَلا يُهَرِيقُ[3] دَماً ، عَيْشُهُ مِنَ الْحَشيشِ وَمِمّا يَقْذِفُهُ إِلَيْهِ ٱلْبَحْرُ . فَإِنْ أَحْبَبْتِ تَحاكَمْنا إِلَيْهِ ، وَرَضينا بِهِ . قالَتِ الأَرْنَبُ : ما أَرْضاني[4] بِهِ إِذا كانَ كَما وَصَفْتَ ! فَٱنْطَلَقا إِلَيْهِ ، فَتَبِعَتْهُما لأَنْظُرَ إِلى حُكُومَةِ[5] الصَّوّامِ ٱلقَوّامِ . ثُمَّ إِنَّهُما ذَهَبا إِلَيْهِ . فَلَمّا بَصُرَ السِّنَّوْرُ

(١) الاتصال بي . (٢) من قولهم استعدى الامير على فلان : استنصره واستعانه عليه أو من قولهم استعد للأمر بتشديد الدال : تهيأ له . (٣) يهريق : بمعنى يريق وهو فعل مضارع ماضيه هراق والمصدر هراقة (بالكسر) معناه صب الماء وغيره ، وأصله أراقه يريقه اراقة أبدلت الهمزة هاء . (٤) أي ما أشد رضاي به اذا كان يتصف حقاً بما تقول . (٥) حكم .

بالأَرْنَبِ والصِّفْرِدِ مُقْبِلَيْنِ نَحْوَهُ انْتَصَبَ قائِماً يُصَلِّي ، وَأَظْهَرَ الْخُشُوعَ وَالتَّنَسُّكَ . فَعَجِبا لِما رَأَيا مِنْ حالِهِ ، وَدَنَوا مِنْهُ هائِبَيْنِ[1] لَهُ ، وَسَلَّما عَلَيْهِ ، وَسَأَلاهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُما . فَأَمَرَهُما أَنْ يَقُصَّا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَفَعَلا . فَقالَ لَهُما : قَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَثَقُلَتْ أُذُنايَ[2] : فَادْنُوا مِنِّي ، فَأَسْمِعاني ما تَقُولانِ . فَدَنَوا مِنْهُ ، وَأَعادا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، وَسَأَلاهُ الْحُكْمَ . فَقالَ : قَدْ فَهِمْتُ ما قُلْتُما ، وَأَنا مُبْتَدِئُكُما بِالنَّصيحَةِ قَبْلَ الْحُكُومَةِ بَيْنَكُما . فَأَنا آمُرُكُما بِتَقْوَى اللهِ ، وَأَلاَّ تَطْلُبا إِلاَّ الْحَقَّ : فَإِنَّ طالِبَ الْحَقِّ هُوَ الَّذي يَفْلُجُ[3] وَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ ، وَطالِبَ الْباطِلِ مَخْصُومٌ[4] ، وَإِنْ قُضِيَ لَهُ . وَلَيْسَ لِصاحِبِ الدُّنْيا مِنْ دُنْياهُ شَيْءٌ ، لا مالٌ وَلا صَديقٌ سِوَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يُقَدِّمُهُ . فَذُو الْعَقْلِ حَقيقٌ أَنْ يَكُونَ سَعْيُهُ في طَلَبِ ما يَبْقَى وَيَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ غَداً[5] ، وَأَنْ يَمْقُتَ[6] بِسَعْيِهِ فيما سِوَى ذٰلِكَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا : فَإِنَّ مَنْزِلَةَ الْمالِ عِنْدَ الْعاقِلِ بِمَنْزِلَةِ الْمَدَرِ[7] ... وَمَنْزِلَةَ النَّاسِ عِنْدَهُ فيما يُحِبُّ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَيَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ . ثُمَّ إِنَّ السِّنَّوْرَ لَمْ يَزَلْ يَقُصُّ عَلَيْهِما مِنْ جِنْسِ هٰذا وَأَشْباهِهِ ، حَتَّى أَنِسا إِلَيْهِ[8] ، وَأَقْبَلا عَلَيْهِ ، وَدَنَوا مِنْهُ ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِما فَقَتَلَهُما . قالَ

---

(١) متهيبين له . (٢) يريد أنه قلّ سمعهما . (٣) يظفر على خصمه (٤) مخصوم : مغلوب بالخصام . (٥) أي في الآخرة . (٦) يبغض . (٧) المدر بالتحريك : قطع الطين اليابس . (٨) اطمأنا اليه .

ٱلْغُرابُ : ثُمَّ إِنَّ ٱلْبُومَ تَجْمَعُ — مَعَ ما وَصَفْتُ لَكُنَّ مِنَ الشُّؤْمِ[1] — سائِرَ ٱلْعُيُوبِ . فَلا يَكُونَنَّ تَمْلِيكُ ٱلْبُومِ مِنْ رَأْيِكُنَّ فَلَمّا سَمِعَ ٱلْكَراكِيُّ ذٰلِكَ مِنْ كَلامِ ٱلْغُرابِ أَضْرَبْنَ عَنْ تَمْلِيكِ ٱلْبُومِ . وَكانَ هُناكَ بُومٌ حاضِرٌ قَدْ سَمِعَ ما قالُوا . فَقالَ لِلْغُرابِ : لَقَدْ وَتَرْتَني أَعْظَمَ التِّرَةِ[2] ، وَلا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَلَفَ[3] مِنِّي إِلَيْكَ سُوءٌ أَوْجَبَ هٰذا . وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّ ٱلْفَأْسَ يُقْطَعُ بِهِ الشَّجَرُ فَيَعُودُ يَنْبُتُ ، وَالسَّيْفَ يَقْطَعُ اللَّحْمَ ثُمَّ يَعُودُ فَيَنْدَمِلُ[4] ، وَاللِّسانَ لا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ وَلا تُؤْسَى[5] مَقاطِعُهُ . وَالنَّصْلَ[6] مِنَ السَّهْمِ يَغِيبُ في اللَّحْمِ ، ثُمَّ يُنْزَعُ فَيُخْرَجُ ، وَأَشْباهَ النَّصْلِ مِنَ ٱلْكَلامِ إِذا وَصَلَتْ إِلى ٱلْقَلْبِ لَمْ تُنْزَعْ وَلَمْ تُسْتَخْرَجْ . وَلِكُلِّ حَرِيقٍ مُطْفِئٌ : فَلِلنّارِ الْماءُ ، وَلِلسُّمِّ الدَّواءُ ، وَلِلْحُزْنِ الصَّبْرُ ، وَنارُ الْحِقْدِ لا تَخْبُو[7] أَبَداً . وَقَدْ غَرَسْتُمْ — مَعاشِرَ ٱلْغِرْبانِ — بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ شَجَرَ الْحِقْدِ وَٱلْعَداوَةِ وَٱلْبَغْضاءِ .

---

(١) الشر والمعنى ان البوم زيادة على ماهي عليه من قبح المنظر ، وسوء الخلق ، وقلة العقل وشدة الغضب ، والبعد عن الرحمة ، والعشا والسفه تجمع سائر العيوب الأخرى فهي لاتصلح للتمليك على غيرها . (٢) يقال : وتره ترة ، إذا أصابه بمكروه (٣) سبق . (٤) اندمل الجرح : التأم وتراجع الى البرء (٥) تؤسى : تداوى ، ومقاطعه : مواضع قطعه . (٦) الرأس الجارح من السهم . (٧) لا تطفأ .

فَلَمَّا قَضَى[1] ٱلْبُومُ مَقالَتَهُ وَلَّى مُغْضَباً ، فَأَخْبَرَ مَلِكَ ٱلْبُومِ بِما جَرَى وَبِكُلِّ ما كانَ مِنْ قَوْلِ ٱلْغُرابِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْغُرابَ نَدِمَ عَلى ما فَرَطَ مِنْهُ وَقالَ : وَاللهِ لَقَدْ خَرِقْتُ[2] في قَوْلي الَّذي جَلَبْتُ بِهِ ٱلْعَداوَةَ وَٱلْبَغْضاءَ عَلى نَفْسي وَقَوْمي ! وَلَيْتَني لَمْ أُخْبِرِ ٱلْكَراكِيَّ بِهٰذِهِ الْحالِ ! وَلا أَعْلَمْتُها بِهٰذا الأَمْرِ ! وَلَعَلَّ أَكْثَرَ الطَّيْرِ قَدْ رَأَى أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْتُ ، وَعَلِمَ أَضْعافَ ما عَلِمْتُ ، فَمَنَعَها مِنَ ٱلْكَلامِ بِمِثْلِ ما تَكَلَّمْتُ اتِّقاءَ ما لَمْ أَتَّقِ[3] ، وَالنَّظَرُ فيما لَمْ أَنْظُرْ فيهِ مِنْ حِذارِ ٱلْعَواقِبِ ، لا سِيَّما اذا كانَ ٱلْكَلامُ أَفْظَعَ كَلامٍ ، يَلْقى مِنْهُ سامِعُهُ وَقائِلُهُ الْمَكْرُوهَ مِمَّا يُورِثُ الْحِقْدَ وَالضَّغينَةَ ، فَلا يَنْبَغي لِأَشْباهِ هٰذا ٱلْكَلامِ أَنْ يُسَمَّى كَلاماً ، وَلٰكِنْ سِهاماً . وَٱلْعاقِلُ وَإِنْ كانَ واثِقاً بِقُوَّتِهِ وَفَضْلِهِ لا يَنْبَغي أَنْ يَحْمِلَهُ ذٰلِكَ[4] عَلى أَنْ يَجْلِبَ ٱلْعَداوَةَ عَلى نَفْسِهِ اتِّكالاً[5] عَلى ما عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ وَٱلْقُوَّةِ ، كَما أَنَّهُ وَإِنْ كانَ عِنْدَهُ التِّرْياقُ[6] لا يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَشْرَبَ السُّمَّ اتِّكالاً عَلى ما عِنْدَهُ . وَصاحِبُ حُسْنِ ٱلْعَمَلِ — وَإِنْ قَصَّرَ بِهِ ٱلْقَوْلُ في مُسْتَقْبَلِ الأَمْرِ — كانَ فَضْلُهُ بَيِّناً[7] واضِحاً في ٱلْعاقِبَةِ وَالاخْتِبارِ . وَصاحِبُ حُسْنِ ٱلْقَوْلِ — وَإِنْ

---

(١) أي فلما أنهى البوم قوله ذهب وهو غاضب . (٢) ارتكبت حماقة .
(٣) أي إن أكثر الطير قد رأت مارأيت وسمعت ما سمعت ولكنها سكتت حتى لا تقع في الشر الذي وقعت به الخ ... (٤) يدفعـــه ذلك . (٥) اعتماداً .
(٦) الترياق : دواء السموم (٧) واضحاً .

أَعجَبَ النَّاسَ مِنْهُ حُسْنُ صِفَتِهِ لِلأُمُورِ — لَمْ تُحْمَدْ عاقِبَةُ أَمْرِهِ . وَأَنا صاحِبُ ٱلْقَوْلِ الَّذي لا عاقِبَةَ لَهُ مَحْمُودَةٌ . أَلَيسَ مِنْ سَفَهِي اجْتِرائي عَلى التَّكَلُّمِ في الأَمْرِ الجَسيمِ [1] لا أَستَشيرُ فيهِ أَحداً ؟! وَلَمْ أُعمِلْ فيهِ رَأْياً وَمَنْ لَمْ يَسْتَشِرِ النُّصَحاءَ الأَوْلِياءَ ، وَعَمِلَ بِرَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْرارِ النَّظَرِ وَالرَّوِيَّةِ [2] لَمْ يَغْتَبِطْ بِمَواقِعِ رَأْيِهِ [3] . فَما كانَ [4] أَغناني عَمَّا كَسَبْتُ [5] يَوْمي هٰذا ! وَما وَقَعْتُ فيهِ مِنَ ٱلْهَمِّ ! وَعاتَبَ ٱلْغُرابُ نَفْسَهُ بِهٰذا ٱلْكَلامِ وَأَشْباهِهِ وَذَهَبَ . فَهٰذا ما سَأَلْتَني عَنْهُ مِنِ ابْتِداءِ ٱلْعَداوَةِ بَيْنَنا وَبَيْنَ ٱلْبُومِ .

وَأَمَّا ٱلْقِتالُ فَقَدْ عَلِمْتَ رَأْيِي فيهِ ، وَكَراهَتي لَهُ . وَلٰكِنَّ عِنْدي مِنَ الرَّأْيِ وَالْحِيلَةِ غَيْرَ ٱلْقِتالِ ما يَكُونُ فيهِ ٱلْفَرَجُ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى . فَإِنَّهُ رُبَّ قَوْمٍ قَدِ احْتالُوا بِآرائِهِمْ حَتَّى ظَفِرُوا بِما أَرادُوا . وَمِنْ ذٰلِكَ حَديثُ الْجَماعَةِ الَّذينَ ظَفِرُوا بِالنَّاسِكِ وَأَخَذُوا عَريضَهُ [6] . قالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟

قالَ ٱلْغُرابُ : زَعَمُوا أَنَّ ناسِكاً اشْتَرَى عَريضاً ضَخْماً لِيَجْعَلَهُ قُرْباناً [7]

---

(١) الخطير . (٢) التروي . (٣) أي لا يسر بنتائج عقله .
(٤) كان زائدة . (٥) أي كنت في أشد الغنى عن الذي اقترفته في هذا اليوم .
(٦) العريض من المعز ما أتى عليه سنة . (٧) ذبيحة يتقرب بها إلى الله سبحانه .

فَانْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ . فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ الْمَكَرَةِ[1] فَائْتَمَرُوا[2] بَيْنَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنَ النَّاسِكِ . فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : — أَيُّهَا النَّاسِكُ — مَا هٰذَا الْكَلْبُ الَّذِي مَعَكَ ؟! ثُمَّ عَرَضَ لَهُ الآخَرُ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا هٰذَا نَاسِكٌ ، لِأَنَّ النَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلْباً . فَلَمْ يَزَالُوا مَعَ النَّاسِكِ عَلَى هٰذَا وَمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشُكَّ أَنَّ الَّذِي يَقُودُهُ كَلْبٌ ، وَأَنَّ الَّذِي بَاعَهُ إِيَّاهُ سَحَرَ عَيْنَهُ . فَأَطْلَقَهُ مِنْ يَدِهِ . فَأَخَذَهُ الْجَمَاعَةُ الْمُحْتَالُونَ وَمَضَوْا بِهِ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِمَا أَرْجُو أَنْ نُصِيبَ مِنْ حَاجَتِنَا بِالرِّفْقِ وَالْحِيلَةِ . وَإِنِّي أُرِيدُ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يَنْقُرَنِي عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَيَنْتِفَ رِيشِي وَذَنَبِي ، ثُمَّ يَطْرَحَنِي فِي أَصْلِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ . وَيَرْتَحِلَ الْمَلِكُ هُوَ وَجُنُودُهُ إِلَى مَكَانِ كَذَا . فَأَرْجُو أَنِّي أَصْبِرُ ، وَأَطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِهِمْ ، وَمَوَاضِعِ تَحْصِينِهِمْ وَأَبْوَابِهِمْ فَأُخَادِعَهُمْ وَآتِي إِلَيْكُمْ لِنَهْجُمَ عَلَيْهِمْ ، وَنَنَالَ مِنْهُمْ غَرَضَنَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قَالَ الْمَلِكُ : أَتَطِيبُ نَفْسُكَ لِذٰلِكَ[3] ؟ قَالَ : نَعَمْ وَكَيْفَ لَا تَطِيبُ نَفْسِي لِذٰلِكَ وَفِيهِ أَعْظَمُ الرَّاحَاتِ لِلْمَلِكِ وَجُنُودِهِ . فَفَعَلَ الْمَلِكُ بِالْغُرَابِ مَا ذَكَرَ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ . فَجَعَلَ الْغُرَابُ يَئِنُّ وَيَهْمِسُ[4] حَتَّى رَأَتْهُ

---

(١) جمع ماكر . (٢) تشاوروا في شر . (٣) أي أترتاح نفسك لهذا العمل ؟ (٤) الهمس : الصوت الخفي .

ٱلْبُومُ وَسَمِعَتْهُ بَيْنٌ . فَأَخْبَرْنَ مَلِكَهُنَّ بِذٰلِكَ . فَقَصَدَ نَحْوَهُ لِيَسْأَلَهُ عَنِ ٱلْغِرْبَانِ . فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَمَرَ بُوماً أَنْ يَسْأَلَهُ . فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَأَيْنَ ٱلْغِرْبَانُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا ٱسْمِي فَفُلَانٌ . وَأَمَّا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ فَإِنِّي أَحْسَبُكَ تَرَى أَنَّ حَالِي حَالُ مَنْ لَا يَعْلَمُ ٱلْأَسْرَارَ . فَقِيلَ لِمَلِكِ ٱلْبُومِ : هٰذَا وَزِيرُ مَلِكِ ٱلْغِرْبَانِ ، وَصَاحِبُ رَأْيِهِ ، فَنَسْأَلُهُ بِأَيِّ ذَنْبٍ صُنِعَ بِهِ مَا صُنِعَ ، فَسُئِلَ ٱلْغُرَابُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ مَلِكَنَا ٱسْتَشَارَ جَمَاعَتَنَا فِيكُنَّ . وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ بِمَحْضَرٍ[1] مِنَ الْأَمْرِ . فَقَالَ — أَيُّهَا ٱلْغِرْبَانُ — مَا تَرَوْنَ فِي ذٰلِكَ ؟ فَقُلْتُ — أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ — : لَا طَاقَةَ لَنَا بِقِتَالِ ٱلْبُومِ ، لِأَنَّهُنَّ أَشَدُّ بَطْشاً ، وَأَحَدُّ قَلْباً مِنَّا[2] . وَلٰكِنْ أَرَى أَنْ نَلْتَمِسَ ٱلصُّلْحَ . ثُمَّ نَبْذُلَ ٱلْفِدْيَةَ[3] فِي ذٰلِكَ . فَإِنْ قَبِلَتِ ٱلْبُومُ ذٰلِكَ مِنَّا وَإِلَّا هَرَبْنَا فِي ٱلْبِلَادِ . وَإِذَا كَانَ ٱلْقِتَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْبُومِ كَانَ خَيْراً لَهُنَّ وَشَرّاً لَنَا ، فَالصُّلْحُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْخُصُومَةِ ، وَأَمَرْتُهُنَّ بِالرُّجُوعِ عَنِ الْحَرْبِ . وَضَرَبْتُ لَهُنَّ الْأَمْثَالَ فِي ذٰلِكَ ، وَقُلْتُ لَهُنَّ : إِنَّ ٱلْعَدُوَّ الشَّدِيدَ لَا يُرَدُّ بَأْسُهُ وَغَضَبُهُ مِثْلُ ٱلْخُضُوعِ[4] لَهُ : أَلَا تَرَيْنَ إِلَى ٱلْحَشِيشِ : كَيْفَ يَسْلَمُ مِنْ عَاصِفِ

---

(١) أي بمشهد . (٢) يريد أجرأ منا . (٣) أي نقدم اليهن بعض المال مقابل كفهن عن قتالنا . (٤) أي إن خير وسيلة للتخلص من بطش العدو الشديد هي الخضوع والاستسلام له .

الرِّيحِ لِلينِهِ وَمَيْلِهِ مَعَها حَيْثُ مالَتْ . فَعَصَيْنَني في ذٰلِكَ ، وَزَعَمْنَ أَنَّهُنَّ يُرِدْنَ ٱلْقِتالَ ، وَاتَّهَمْنَني فيما قُلْتُ . وَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ مالَأْتَ[1] ٱلْبُومَ عَلَيْنا ، وَرَدَدْنَ قَوْلي وَنَصيحَتي ، وَعَذَّبْنَني بِهٰذا ٱلْعَذابِ ، وَتَرَكَني ٱلْمَلِكُ وَجُنودُهُ وَٱرْتَحَلَ . وَلا عِلْمَ لي بِهِنَّ بَعْدَ ذٰلِكَ .

فَلَمّا سَمِعَ مَلِكُ ٱلْبُومِ مَقالَةَ ٱلْغُرابِ قالَ لِبَعْضِ وُزَرائِهِ : ما تَقُولُ في ٱلْغُرابِ ؟ وَما تَرَى فيهِ ؟ قالَ : ما أَرَى إِلاّ ٱلْمُعاجَلَةَ لَهُ بِٱلْقَتْلِ : فَإِنَّ هٰذا أَفْضَلُ عُدَدِ[2] ٱلْغِرْبانِ ، وَفي قَتْلِهِ لَنا راحَةٌ مِنْ مَكْرِهِ ، وَفَقْدُهُ عَلى ٱلْغِرْبانِ شَديدٌ . وَيُقالُ : مَنْ ظَفِرَ بِالسّاعَةِ ٱلَّتي فيها يَنْجَحُ ٱلْعَمَلُ ، ثُمَّ لا يُعاجِلُهُ بِٱلَّذي يَنْبَغي لَهُ ، فَلَيْسَ بِحَكيمٍ . وَمَنْ طَلَبَ ٱلأَمْرَ ٱلْجَسيمَ ، فَأَمْكَنَهُ ذٰلِكَ فَأَغْفَلَهُ[3] ، فاتَهُ ٱلأَمْرُ ، وَهُوَ خَليقٌ[4] أَلاّ تَعُودَ ٱلْفُرْصَةُ ثانِيَةً . وَمَنْ وَجَدَ عَدُوَّهُ ضَعيفاً ، وَلَمْ يُنْجِزْ[5] قَتْلَهُ ، نَدِمَ اذا ٱسْتَقْوَى[6] وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ .

قالَ ٱلْمَلِكُ لِوَزيرٍ آخَرَ : ما تَرَى أَنْتَ في هٰذا ٱلْغُرابِ ؟ قالَ : أَرَى أَلاّ تَقْتُلَهُ : فَإِنَّ ٱلْعَدُوَّ ٱلذَّليلَ ٱلَّذي لا ناصِرَ لَهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُسْتَبْقى وَيُرْحَمَ

---

(١) ساعدتهن وتواطأت معهن . (٢) العُدد : جمع عدة وهي السلاح المعد للحرب . والمعنى أن هذا الغراب هو أعظم سلاح بيد الغربان علينا لما يمتاز به من سعة الحيلة والدهاء . (٣) تركه . (٤) جدير . (٥) يعجل . (٦) أصبح قوياً .

وَيُصْفَحَ عَنْهُ ، لاسِيَّما الْمُسْتَجيرُ الخائِفُ : فَإِنَّهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُؤَمَّنَ[1] .

قَالَ مَلِكُ ٱلبُومِ لِوَزيرٍ آخَرَ مِنْ وُزَرَائِهِ : مَاتَقُولُ في ٱلغُرَابِ ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ[2] وَتُحْسِنَ إِلَيْهِ : فَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَنْصَحَكَ . وٱلْعَاقِلُ يَرَى مُعَادَاةَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بَعْضاً ظَفَراً حَسَناً ، وَيَرَى ٱشْتِغَالَ بَعْضِ الأَعْدَاءِ بِبَعْضٍ خَلاَصاً لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ ، وَنَجَاةً كَنَجَاةِ النَّاسِكِ مِنَ اللِّصِّ وَالشَّيْطَانِ حِينَ ٱخْتَلَفَا عَلَيْهِ . قَالَ لَهُ المَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟!

قَالَ الْوَزِيرُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكاً أَصَابَ مِنْ رَجُلٍ بَقَرَةً حَلوباً ، فَٱنْطَلَقَ بِهَا يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَعَرَضَ لَهُ لِصٌّ أَرَادَ سَرِقَتَهَا ، وَتَبِعَهُ شَيْطَانٌ يُرِيدُ ٱخْتِطَافَهُ . فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلِّصِّ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ أَنَا اللِّصُّ ، أُرِيدُ أَنْ أَسْرِقَ هٰذِهِ ٱلْبَقَرَةَ مِنَ ٱلنَّاسِكِ إِذَا نَامَ ، فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا ٱلشَّيْطَانُ أُرِيدُ ٱخْتِطَافَهُ إِذَا نَامَ وَأَذْهَبُ بِهِ . فَٱنْتَهَيَا عَلَى هٰذَا إِلَى ٱلْمَنْزِلِ[3] . فَدَخَلَ النَّاسِكُ مَنْزِلَهُ . وَدَخَلاَ خَلْفَهُ . وَأَدْخَلَ ٱلْبَقَرَةَ فَرَبَطَهَا فِي زَاوِيَةِ الْمَنْزِلِ ، وَتَعَشَّى وَنَامَ . فَأَقْبَلَ اللِّصُّ وَالشَّيْطَانُ يَأْتَمِرَانِ فِيهِ . وَٱخْتَلَفَا عَلَى مَنْ يَبْدَأُ بِشُغْلِهِ أَوَّلاً . فَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لِلِّصِّ:

---

(١) أي هو مستحق أن يعطى الأمان على روحه . (٢) تبقيه حيـاً .
(٣) أي فوصلا المنزل وهما متفقان على هذ الرأي .

إنْ أنتَ بدأتَ بأخذِ البقرةِ فربَّما استيقظَ وصاحَ واجتمعَ الناسُ ، فلا أقدرُ على أخذِهِ . فأنظِرْني [1] ريثما آخذُهُ ، وشأنكَ وما تريدُ . فأشفقَ [2] اللصُّ أنْ يبدأَ باختطافِهِ فربَّما استيقظَ فلا يقدرُ على أخذِ البقرةِ فقالَ : لا . بلْ أنظِرْني أنتَ حتَّى آخذَ البقرةَ ، وشأنكَ وما تُريدُ . فلمْ يزالا في المجادلةِ حتَّى نادى اللصُّ : أيُّها الناسكُ انتبهْ ، فهذا الشيطانُ يُريدُ اختطافكَ . ونادى الشيطانُ : أيُّها الناسكُ انتبهْ ، فهذا اللصُّ يُريدُ أنْ يسرقَ بقرتكَ . فانتبهَ الناسكُ وجرانُهُ بأصواتِهما . وهربَ الخبيثانِ . قالَ الوزيرُ الأوَّلُ الذي أشارَ بقتلِ الغُرابِ : أظنُّ أنَّ الغُرابَ قدْ خدعكُنَّ ، ووقعَ كلامُهُ في نفسِ الغبيِّ منكُنَّ موقعَهُ . فتُردْنَ أنْ تضعْنَ الرأيَ في غيرِ موضعِهِ . فمهلاً مهلاً — أيُّها الملكُ — عنْ هذا الرأيِ . فلمْ يلتفتِ الملكُ إلى قولِهِ . . . وأمرَ بالغُرابِ أنْ يُحملَ إلى منازلِ البومِ ويُكرَمَ ويُستوصى بهِ خيراً .

ثمَّ إنَّ الغُرابَ قالَ للملكِ يوماً — وعندَهُ جماعةٌ منَ البومِ وفيهنَّ الوزيرُ الذي أشارَ بقتلِهِ — أيُّها الملكُ ، قدْ علمتَ ما جرى عليَّ منَ

---

(١) أي أعطني زمناً بسع ما أريده . (٢) خاف .

الغِرْبَانِ . وأَنَّهُ لا يَسْتَرِيحُ قَلْبِي دُونَ أَخْذِي بِثَأْرِي مِنْهُنَّ . وإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ في ذٰلِكَ ، فَإِذَا بِي لا أَقْدِرُ عَلى مَارُمْتُ[1] ، لأَنِّي غُرَابٌ . وقَدْ رُوِيَ عَنِ العُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا : مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ يُحْرِقَهَا فَقَدْ قَرَّبَ للهِ أَعْظَمَ القُرْبَانِ : لا يَدْعُو عِنْدَ ذٰلِكَ بِدَعْوَةٍ إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ[2] ، فَإِنْ رَأَى المَلِكُ أَنْ يَأْمُرَنِي فَأُحْرِقْ نَفْسِي ، وأَدْعُو رَبِّي أَنْ يُحَوِّلَنِي بُوماً فَأَكُونَ أَشَدَّ عَدَاوَةً وأَقْوَى بَأْساً عَلى الغِرْبَانِ . لَعَلِّي أَنْتَقِمُ مِنْهُنَّ . قَالَ الوَزِيرُ الَّذي أَشَارَ بِقَتْلِهِ : مَا أُشَبِّهُكَ في خَيْرِ مَا تَظْهِرُ وشَرِّ مَا تُخْفِي إِلاَّ بِالخَمْرَةِ الطَّيِّبَةِ الطَّعْمِ والرِّيحِ ، المُنْقَعِ[3] فِيهَا السُّمُّ . أَرَأَيْتَ لَوْ أَحْرَقْنَا جِسْمَكَ بِالنَّارِ أَكَانَ جَوْهَرُكَ وطِبَاعُكَ مُتَغَيِّرَةً ؟ أَلَيْسَتْ أَخْلاقُكَ تَدُورُ مَعَكَ حَيْثُمَا دُرْتَ ؟ وتَصِيرُ[4] بَعْدَ ذٰلِكَ إِلى أَصْلِكَ وطِينَتِكَ[5] : كَالفَأْرَةِ الَّتِي خُيِّرَتْ في الأَزْوَاجِ[6] بَيْنَ الشَّمْسِ والرِّيحِ والسَّحَابِ والجَبَلِ ، فَلَمْ يَقَعِ اخْتِيَارُهَا إِلاَّ عَلى الجُرَذِ . قِيلَ لَهُ : وكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟!

قَالَ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ

---

(١) ما قصدت (٢) وذلك جرياً على اعتقاد الهنود من التقرب الى الله بإحراق الاجساد . (٣) يقال نقع السم في أنياب الحية أي اجتمع . (٤) بمعنى تعود . (٥) اشارة الى أن أصل الانسان من طين . (٦) أي ترك لها حق اختيار زوجها من بين هذه الأشياء الاربعة ، الشمس والريح والسحاب والجبل .

يَوْمٍ جَالِسٌ عَلى سَاحِلِ البَحْرِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ حِدَأَةٌ فِي رِجْلِهَا دِرْصُ فَأْرَةٍ[1] فَوَقَعَتْ مِنْهَا عِنْدَ النَّاسِكِ . وأَدْرَكَتْهُ لَهَا رَحْمَةٌ ، فَأَخَذَهَا ولَفَّهَا فِي رُدْنِهِ[2] ، وذَهَبَ بِهَا إِلى مَنْزِلِهِ . ثُمَّ خَافَ أَنْ تَشُقَّ[3] عَلى أَهْلِهِ تَرْبِيَتُهَا فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا جَارِيَةً . فَتَحَوَّلَتْ جَارِيَةً حَسْنَاءَ . فَانْطَلَقَ بِهَا إِلى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ لَهَا : هٰذِهِ ٱبْنَتِي . فَاصْنَعِي مَعَهَا صَنِيعَكِ بِوَلَدِي[4] . فَلَمَّا كَبِرَتْ قَالَ لَهَا النَّاسِكُ : يَا بُنَيَّةِ ٱخْتَارِي مَنْ أَحْبَبْتِ حَتَّى أُزَوِّجَكِ بِهِ . فَقَالَتْ : أَمَّا إِذَا خَيَّرْتَنِي فَإِنِّي أَخْتَارُ زَوْجاً يَكُونُ أَقْوَى الأَشْيَاءِ فَقَالَ النَّاسِكُ : لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ الشَّمْسَ . ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلى الشَّمْسِ . فَقَالَ : أَيُّهَا الخَلْقُ ٱلعَظِيمُ لِي جَارِيَةٌ وقَدْ طَلَبْتُ زَوْجاً يَكُونُ أَقْوَى الأَشْيَاءِ. فَهَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجُهَا ؟ فَقَالَتِ الشَّمْسُ : أَنَا أَدُلُّكَ عَلى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي : السَّحَابُ الَّذِي يُغَطِّينِي ، ويَرُدُّ حَرَّ شُعَاعِي ، ويَكْسِفُ أَشِعَّةَ أَنْوَارِي . فَذَهَبَ النَّاسِكُ إِلى السَّحَابِ . فَقَالَ لَهُ : مَا قَالَ لِلشَّمْسِ ، فَقَالَ السَّحَابُ : وأَنَا أَدُلُّكَ عَلى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي . فَاذْهَبْ إِلَى الرِّيحِ الَّتِي تُقْبِلُ بِي وتُدْبِرُ[5] ، وتَذْهَبُ بِي شَرْقاً وغَرْباً . فَجَاءَ النَّاسِكُ إِلَى

---

(١) أي ولد فأرة . (٢) الردن بالضم : أصل الكم ، وفي بعض النسخ لفها في ورقة وهو خطأ . (٣) تصعب . (٤) أي عامليها معاملة ولدي . (٥) اي التي تذهب بي الى الأمام والى الوراء .

الرِّيحِ فَقَالَ لَهَا : كَقَوْلِهِ لِلسَّحَابِ . فَقَالَتْ : وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي : وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي لَا أَقْدِرُ عَلَى تَحْرِيكِهِ . فَمَضَى إِلَى الْجَبَلِ . فَقَالَ لَهُ : الْقَوْلَ الْمَذْكُورَ فَأَجَابَهُ الْجَبَلُ ، وَقَالَ لَهُ : أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي . الْجُرَذُ الَّذِي لَا أَسْتَطِيعُ الْامْتِنَاعَ مِنْهُ إِذَا ثَقَبَنِي وَاتَّخَذَنِي مَسْكَناً . فَانْطَلَقَ النَّاسِكُ إِلَى الْجُرَذِ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجٌ هٰذِهِ الْجَارِيَةَ ؟ فَقَالَ : وَكَيْفَ أَتَزَوَّجُهَا وَجُحْرِي ضَيِّقٌ . وَإِنَّمَا يَتَزَوَّجُ الْجُرَذُ الْفَأْرَةَ فَدَعَا النَّاسِكُ رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا فَأْرَةً كَمَا كَانَتْ . وَذٰلِكَ بِرِضَا الْجَارِيَةِ . فَأَعَادَهَا اللهُ إِلَى عُنْصُرِهَا الْأَوَّلِ [1] . فَانْطَلَقَتْ مَعَ الْجُرَذِ فَهٰذَا مَثَلُكَ أَيُّهَا الْمُخَادِعُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ مَلِكُ الْبُوم إِلَى ذٰلِكَ الْقَوْلِ [2] ، وَرَفَقَ بِالْغُرَابِ ، وَلَمْ يَزْدَدْ لَهُ إِلَّا إِكْرَاماً . حَتَّى إِذَا طَابَ عَيْشُهُ وَنَبَتَ رِيشُهُ وَاطَّلَعَ عَلَى مَا أَرَادَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ رَاغَ رَوْغَةً [3] فَأَتَى أَصْحَابَهُ بِمَا رَأَى [4] وَسَمِعَ . فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ فَرَغْتُ مِمَّا كُنْتُ أُرِيدُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ . قَالَ لَهُ : أَنَا وَالْجُنْدُ تَحْتَ أَمْرِكَ . فَاحْتَكِمْ [5] : كَيْفَ شِئْتَ .

«١» أصلها . «٢» أي الذي نصحه به أحد وزرائه . «٣» مال بحلة مكر وخديعة . «٤» أي هرب إلى أصحابه بعد أن اصبح قوياً على الطيران وأخبرهم بكل ما سمع من أحاديث اليوم وما رأى منهم . «٥» احكمْ .

قَالَ ٱلغُرَابُ : إنَّ البُومَ بِمكانِ كَذَا في جَبَلٍ كَثِيرِ الحَطَبِ . وفي ذٰلِكَ المَوْضِعِ قَطِيعٌ مِنَ ٱلغَنَمِ مَعَ رَجُلٍ رَاعٍ . ونَحْنُ مُصِيبُونَ [1] هُنَاكَ نَاراً ، ونُلْقِيهَا في أَنْقَابِ [2] البُومِ ونَقْذِفُ عَلَيْهَا مِنْ يَابِسِ الحَطَبِ ، ونَتَرَاوَحُ [3] عَلَيْهَا ضَرْباً بِأَجْنِحَتِنَا حَتَّى تَضْطَرِمَ النَّارُ في الحَطَبِ . فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُنَّ ٱحْتَرَقَ ، ومَنْ لَمْ يَخْرُجْ مَاتَ بالدُّخَانِ مَوْضِعَهُ [4] . ففَعَلَ ٱلغِرْبَانُ ذٰلِكَ . فَأَهْلَكْنَ ٱلبُومَ قَاطِبَةً [5] . ورَجَعْنَ إلى مَنَازِلِهِنَّ سَالِمَاتٍ آمِنَاتٍ .

ثُمَّ إنَّ مَلِكَ ٱلغِرْبَانِ قَالَ لِذٰلِكَ ٱلغُرَابِ : كَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى صُحْبَةِ ٱلبُومِ ؟! ولا صَبْرَ لِلأَخْيَارِ عَلَى صُحْبَةِ الأَشْرَارِ . فَقَالَ ٱلغُرَابُ : إنَّ مَا قُلْتَهُ ـ أَيُّها المَلِكُ ـ لَكَذٰلِكَ . ولٰكِنَّ ٱلعَاقِلَ إذَا أَتَاهُ الأَمْرُ الفَظِيعُ ٱلعَظِيمُ الَّذي يَخَافُ مِنْ عَدَمِ تَحَمُّلِهِ الجَائِحَةَ [6] عَلَى نَفْسِهِ وقَوْمِهِ لَمْ يَجْزَعْ مِنْ شِدَّةِ ٱلصَّبْرِ عَلَيْهِ ، لِمَا يَرْجُو أَنْ يُعْقِبَهُ [7] صَبْرُهُ حُسْنَ ٱلعَاقِبَةِ وكَثِيرَ الخَيْرِ ، فَلَمْ يَجِدْ لِذٰلِكَ أَلَماً . ولَمْ تَكْرَهْ نَفْسُهُ الخُضُوعَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ ، حَتَّى يَبْلُغَ حَاجَتَهُ فَيَغْتَبِطَ بِخَاتِمَةِ أَمْرِهِ وعَاقِبَةِ صَبْرِهِ . فقَالَ المَلِكُ : أَخْبِرْنِي عَنْ عُقُولِ ٱلبُومِ قَالَ الغُرَابُ : لَمْ أَجِدْ فِيهِنَّ عَاقِلاً

«١» واجدون «٢» جمع نقب ويقصد أعشاش اليوم «٣» نتعاقب . «٤» أي مات وهو في موضعه . «٥» جميعاً . «٦» الشدة المهلكة . «٧» ينتجه .

إلاَّ الَّذي كانَ يَحُثُّهُنَّ عَلى قَتْلِي . وكانَ قَدْ حَرَّضَهُنَّ[1] على ذٰلِكَ مِرَاراً فَكُنَّ أَضعَفَ شَيْءٍ رَأْياً . فَلَمْ يَنْظُرْنَ في أَمْرِي وَيَذْكُرْنَ أَنِّي قَدْ كُنْتُ ذَا مَنْزِلَةٍ في ٱلْغِرْبَانِ ، وأَنِّي أُعَدُّ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ ، ولَمْ يَتَخَوَّفْنَ مَكْرِي وحِيلَتِي ، ولا قَبِلْنَ مِنَ ٱلنَّاصِحِ ٱلشَّفِيقِ[2] ، ولا أَخْفَيْنَ دُونِي أَسْرَارَهُنَّ وقَدْ قَالَ ٱلْعُلَمَاءُ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُحَصِّنَ أُمُورَهُ مِنْ أَهْلِ النَّمِيمَةِ ، ولا يُطْلِعَ أَحَداً مِنْهُمْ عَلى مَوَاضِعِ سِرِّهِ . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : مَا أَهْلَكَ ٱلْبُومَ في نَفْسِي إلاَّ ٱلْبَغْيُ وَضَعْفُ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ ومُوَافَقَتُهُ وُزَرَاءَ ٱلسُّوءِ فَقَالَ ٱلْغُرَابُ : صَدَقْتَ ـ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ـ إِنَّهُ قَلَّمَا ظَفِرَ[3] أَحَدٌ بِغِنىً ولَمْ يَطْغَ[4] . وقَلَّ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ ٱلطَّعَامِ إلاَّ مَرِضَ ، وقَلَّ مَنْ وثِقَ بِوُزَرَاءِ ٱلسُّوءِ وسَلِمَ مِنْ أَنْ يَقَعَ في ٱلْمَهَالِكِ وكانَ يُقَالُ : لا يَطْمَعَنَّ ذُو الكِبْرِ[5] في حُسْنِ الثَّنَاءِ ، ولا ٱلْخَبُّ في كَثْرَةِ ٱلصَّدِيقِ ، ولا ٱلسَّيِّءُ الأَدَبِ في الشَّرَفِ ، ولا الشَّحِيحُ في ٱلْبِرِّ[6] ، ولا الحَرِيصُ في قِلَّةِ الذُّنُوبِ ، ولا ٱلْمَلِكُ ٱلْمُخْتَالُ[7] ٱلْمُتَهَاوِنُ[8] بِالأُمُورِ الضَّعِيفُ الوُزَرَاءِ في ثَبَاتِ مُلْكِهِ وصَلاحِ رَعِيَّتِهِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ : لَقَدْ ٱحْتَمَلْتَ

«١» حثهن . «٢» المشفق . «٣» فاز . «٤» يظلم ويجاوز الحد . «٥» الكبرياء والتعاظم . «٦» عمل الخير . «٧» المتكبر . «٨» المستهتر .

مَشَقَّةً شَدِيدَةً فِي تَصَنُّعِكَ[1] لِلْبُومِ وَتَضَرُّعِكَ لَهُنَّ . قَالَ ٱلْغُرَابُ : إِنَّهُ مَنِ ٱحْتَمَلَ مَشَقَّةً يَرْجُو نَفْعَهَا ، وَنَحَّى[2] عَنْ نَفْسِهِ الأَنَفَةَ وَالحَمِيَّةَ ، وَوَطَّنَهَا[3] عَلَى الصَّبْرِ حَمِدَ غِبَّ رَأْيِهِ[4] : كَمَا صَبَرَ الأَسْوَدُ عَلَى حَمْلِ مَلِكِ الضَّفَادِعِ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَشَبِعَ بِذَلِكَ وَعَاشَ . قَالَ المَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟!

قَالَ ٱلْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسْوَدَ مِنَ الحَيَّاتِ كَبِرَ وَضَعُفَ بَصَرُهُ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْداً . وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى طَعَامٍ . وَأَنَّهُ انْسَابَ[5] يَلْتَمِسُ شَيْئاً يَعِيشُ بِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَيْنٍ كَثِيرَةِ الضَّفَادِعِ قَدْ كَانَ يَأْتِيهَا قَبْلُ ، فَيُصِيبُ مِنْ ضَفَادِعِهَا رِزْقَهُ . فَرَمَى نَفْسَهُ قَرِيباً مِنْهُنَّ مُظْهِراً لِلْكَآبَةِ وَالحُزْنِ . فَقَالَ لَهُ ضِفْدَعٌ : مَا لِي أَرَاكَ — أَيُّهَا الأَسْوَدُ — كَئِيباً حَزِيناً ؟! قَالَ : وَمَنْ أَحْرَى[6] بِطُولِ الحُزْنِ مِنِّي ؟ وَإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرُ مَعِيشَتِي مِمَّا كُنْتُ أُصِيبُ مِنَ الضَّفَادِعِ . فَابْتُلِيتُ[7] بِبَلَاءٍ . وَحُرِّمَتْ عَلَيَّ الضَّفَادِعُ مِنْ أَجْلِهِ . حَتَّى إِنِّي إِذَا ٱلْتَقَيْتُ بِبَعْضِهَا لَا أَقْدِرُ عَلَى إِمْسَاكِهِ. فَانْطَلَقَ ٱلضِّفْدَعُ إِلَى مَلِكِ الضَّفَادِعِ فَبَشَّرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنَ الأَسْوَدِ . فَأَتَى

«١» أي تظاهر بما تظاهرت به من الحيلة الموفقة . «٢» أى أبعد عن نفسه الحرص — في مثل هذه المناسبات — على عزة النفس وكرامتها . «٣» عوّدها . «٤» عاقبه . «٥» الانسياب : دبيب الحية . «٦» أحق . «٧» أصبت .

مَلِكُ الضَّفادِعِ إلى الأَسْوَدِ ، فَقالَ لَهُ : كَيْفَ كانَ أَمْرُكَ ؟ قالَ : سَعَيْتُ مُنْذُ أَيّامٍ في طَلَبِ ضِفْدَعٍ . وَكانَ ذٰلِكَ في المَساءِ . فَاضْطَرَرْتُهُ إلى بَيْتِ ناسِكٍ . وَدَخَلْتُ في أَثَرِهِ[1] في الظُّلْمَةِ . وَفي البَيْتِ ابْنٌ لِلنّاسِكِ . فَأَصَبْتُ إِصْبَعَهُ . فَظَنَنْتُ أَنَّها الضِّفْدَعُ . فَلَدَغْتُهُ فَماتَ . فَخَرَجْتُ هارِباً ، فَتَبِعَني النّاسِكُ في أَثَرِي ، وَدَعا عَلَيَّ وَلَعَنَني ، وَقالَ : كَما قَتَلْتَ ابْنِي البَرِيءَ ظُلْماً وَتَعَدِّياً أَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ تَذِلَّ وَتَصيرَ مَرْكَباً لِمَلِكِ الضَّفادِعِ ، فَلا تَسْتَطيعُ أَخْذَها ، وَلا أَكْلَ شَيْءٍ مِنْها إلاّ ما يَتَصَدَّقُ[2] بِهِ عَلَيْكَ . فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَني مُقِرًّا[3] بِذٰلِكَ ، راضِياً بِهِ . فَرَغِبَ مَلِكُ الضَّفادِعِ رُكُوبَ الأَسْوَدِ . وَظَنَّ أَنَّ ذٰلِكَ فَخْرٌ لَهُ وَشَرَفٌ وَرِفْعَةٌ . فَرَكِبَهُ وَاسْتَطابَ لَهُ ذٰلِكَ[4] . فَقالَ لَهُ الأَسْوَدُ : قَدْ عَلِمْتَ — أَيُّها المَلِكُ — أَنِّي مَحْرُومٌ . فَاجْعَلْ لي رِزْقاً أَعيشُ بِهِ . قالَ مَلِكُ الضَّفادِعِ : لَعَمْري لا بُدَّ لَكَ مِنْ رِزْقٍ يَقومُ بِكَ إِذْ كُنْتَ مَرْكَبي ، فَأَمَرَ لَهُ بِضِفْدَعَيْنِ يُؤْخَذانِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيُدْفَعانِ إِلَيْهِ . فَعاشَ بِذٰلِكَ وَلَمْ يَضُرَّهُ خُضُوعُهُ لِلْعَدُوِّ الذَّلِيلِ . بَلِ انْتَفَعَ بِذٰلِكَ ، وَصارَ لَهُ رِزْقاً وَمَعيشَةً . وَكَذٰلِكَ كانَ صَبْرِي عَلى ما صَبَرْتُ عَلَيْهِ الْتِماساً لِهٰذا النَّفْعِ العَظيمِ الَّذي اجْتَمَعَ لَنا فيهِ الأَمْنُ

«١» أي دخلت وراءه . «٢» ما يتفضل ويتكرم . «٣» معترفاً بذلك
«٤» راق .

وَالظَّفَرُ وَهَلاكُ ٱلْعَدُوِّ وَالرَّاحَةُ مِنْهُ . وَوَجَدْتُ صَرْعَةَ[1] اللِّينِ وَالرِّفْقِ أَسْرَعَ وَأَشَدَّ اسْتِئْصالاً لِلْعَدُوِّ مِنْ صَرْعَةِ ٱلْمُكابَرَةِ . فَإِنَّ النَّارَ لا تَزِيدُ بِحِدَّتِها[2] وَحَرِّها إِذا أَصابَتِ الشَّجَرَةَ عَلى أَنْ تَحْرِقَ ما فَوْقَ الأَرْضِ مِنْها ، وَالْماءُ بِبَرْدِهِ وَلِينِهِ يَسْتَأْصِلُ ما تَحْتَ الأَرْضِ مِنْها[3] . وَيُقالُ : أَرْبَعَةُ أَشْياءَ لا يُسْتَقَلُّ قَلِيلُها[4] : النَّارُ ، وَالْمَرَضُ ، وَٱلْعَدُوُّ ، وَالدَّيْنُ . قالَ ٱلْغُرابُ : وَكُلُّ ذٰلِكَ كانَ مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ وَأَدَبِهِ وَسَعادَةِ جَدِّهِ . وَإِنَّهُ كانَ يُقالُ : اذا طَلَبَ اثْنانِ أَمْراً ظَفِرَ بِهِ مِنْهُما أَفْضَلُهُما مُرُوءَةً ، فَإِنِ اعْتَدَلا فِي الْمُرُوءَةِ فَأَشَدُّهُما عَزْماً ، فَإِنِ اسْتَوَيا فِي ٱلْعَزْمِ فَأَسْعَدُهُما جَدًّا . وَكانَ يُقالُ : مَنْ حارَبَ الْحازِمَ الأَرِيبَ الْمُتَضَرِّعَ[5] الَّذِي لا تُبْطِرُهُ السَّرَّاءُ[6] ، وَلا تُدْهِشُهُ الضَّرَّاءُ ، كانَ هُوَ داعِيَ الْحَتْفِ[7] إِلى نَفْسِهِ ، وَلا سِيَّما إِذا كانَ مِثْلَكَ أَيُّها الْمَلِكُ ٱلْعالِمُ بِفُرُوضِ الأَعْمالِ وَمَواضِعِ الشِّدَّةِ وَاللِّينِ ، وَٱلْغَضَبِ وَالرِّضاءِ ، وَالْمُعاجَلَةِ وَالأَناةِ[8] ، النَّاظِرُ فِي أَمْرِ يَوْمِهِ وَغَدِهِ ، وَعَواقِبِ[9] أَعْمالِهِ . قالَ الْمَلِكُ لِلْغُرابِ : بَلْ بِرَأْيِكَ وَعَقْلِكَ وَنَصِيحَتِكَ وَيُمْنِ طالِعِكَ[10] كانَ ذٰلِكَ . فَإِنَّ رَأْيَ الرَّجُلِ الْواحِدِ ٱلْعاقِلِ

«١» حالة . «٢» بشدة لهيبها «٣» وعلى هذا فالماء مع لينه أشد تأثيراً من النار مع حدتها . «٤» أي لا يستهان بالقليل منها . «٥» الحسن الاحتيال ولو مع شيء من التذلل لخصمه . «٦» لا تغره النعمة ولا تطغيه ، والسراء والضراء من المتضاد فالسراء اسم للرخاء والانفراج والضراء اسم للضيق . «٧» الهلاك . «٨» التمهل والحلم . «٩» نتائج . «١٠» حسن ظنك .

الحازمِ أَبلَغُ[1] في هَلاكِ العَدوِّ مِنَ الجُنودِ الكثيرةِ مِنْ ذَوي البَأْسِ والنَّجْدةِ والعَدَدِ والعُدَّةِ . وإنَّ مِنْ عَجيبِ أَمْرِكَ عِنْدي طُولَ لُبْثِكَ بَيْنَ ظَهْرانَيِ البُومِ[2] ، تَسْمَعُ الكَلامَ الغَليظَ ، ثُمَّ لَمْ تَسْقُطْ[3] بَيْنَهُنَّ بِكَلِمَةٍ . قالَ الغُرابُ : لَمْ أَزَلْ مُتَمَسِّكاً بِأَدَبِكَ أَيُّها المَلِكُ : أَصْحَبُ البَعيدَ والقَريبَ بالرِّفْقِ واللِّينِ والمُبالَغةِ والمُؤاتاةِ[4] . قالَ المَلِكُ : أَصْبَحْتُ وقَدْ وَجَدْتُكَ صاحِبَ العَمَلِ ، ووَجَدْتُ غَيْرَكَ مِنَ الوُزَراءِ أَصْحابَ أَقاويلَ[5] : لَيْسَ لَها عاقِبَةٌ حَميدَةٌ . فَقَدْ مَنَّ اللهُ[6] عَلَيْنا بِكَ مِنَّةً عَظيمَةً لَمْ نَكُنْ قَبْلَها نَجِدُ لَذَّةَ الطَّعامِ ولا الشَّرابِ ولا النَّوْمِ ولا القَرارِ[7] ، وكانَ يُقالُ : لا يَجِدُ المَريضُ لَذَّةَ الطَّعامِ والنَّوْمِ حَتَّى يَبْرَأَ ، ولا الرَّجُلُ الشَّرِهُ الَّذي قَدْ أَطْمَعَهُ سُلْطانُهُ[8] في مالٍ وعَمَلٍ في يَدِهِ حَتَّى يُنْجِزَهُ[9] لَهُ ، ولا الرَّجُلُ الَّذي قَدْ أَلَحَّ[10] عَلَيْهِ عَدُوُّهُ وهُوَ يَخافُهُ صَباحاً ومَساءً حَتَّى يَسْتَريحَ مِنْهُ قَلْبُهُ . ومَنْ وَضَعَ الحِمْلَ الثَّقيلَ عَنْ يَدَيْهِ فَقَدْ أَراحَ نَفْسَهُ . ومَنْ آمَنَ عَدُوَّهُ ثَلَجَ صَدْرُهُ[11] .

قالَ الغُرابُ : أَسْأَلُ اللهَ الَّذي أَهْلَكَ عَدُوَّكَ أَنْ يُمَتِّعَكَ بِسُلْطانِكَ ،

«١» أقوى . «٢» يقال : (أقام بين ظهريهم وظهرانيهم) بالتثنية ، ولا تكسر النون وبين (أظهرهم) أي في وسطهم . «٣» تخطىء وتزل . «٤» المؤاتاة الموافقة . «٥» أقوال وادعاءات . «٦» تكرّم . «٧» الاستقرار . «٨» قوته . «٩» يتمّه . «١٠» شدّد عليه بعدائه . «١١» اطمأن قلبه .

وَأَنْ يَجْعَلَ فِي ذٰلِكَ صَلاحَ رَعِيَّتِكَ ، وَيُشْرِكَهُمْ فِي قُرَّةِ ٱلْعَيْنِ[1] بِمُلْكِكَ . فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ اذا لَمْ يَكُنْ فِي مُلْكِهِ قُرَّةَ عُيُونِ رَعِيَّتِهِ فَمَثَلُهُ مَثَلُ زَنَمَةِ ٱلْعَنْزِ ٱلَّتِي يَمُصُّهَا[2] ، وَهُوَ يَحْسَبُهَا حَلَمَةَ ٱلضَّرْعِ[3] . فَلا يُصادِفُ فِيهَا خَيْراً[4] . قالَ ٱلْمَلِكُ : أَيُّها ٱلْوَزِيرُ ٱلصَّالِحُ ، كَيْفَ كانَتْ سِيرَةُ ٱلْبُومِ وَمَلِكِها فِي حُرُوبِها ؟ وَفِيمَا كانَتْ فِيهِ مِنْ أُمُورِها ؟ قالَ ٱلْغُرابُ : كانَتْ سِيرَتُهُ سِيرَةَ بَطَرٍ وَأَشَرٍ[5] وَخُيَلاءَ وَعَجْزٍ وَفَخْرٍ ، مَعَ ما فِيهِ مِنَ ٱلصِّفاتِ ٱلذَّمِيمَةِ . وَكُلُّ أَصْحابِهِ وَوُزَرائِهِ شَبِيهٌ بِهِ اَلاَّ ٱلْوَزِيرَ ٱلَّذِي كانَ يُشِيرُ بِقَتْلِي ، فَإِنَّهُ كانَ حَكِيماً أَرِيباً فَيْلَسُوفاً حازِماً عالِماً ، قَلَّما يُرَى مِثْلُهُ فِي عُلُوِّ ٱلْهِمَّةِ وَكَمالِ ٱلْعَقْلِ وَجَوْدَةِ ٱلرَّأْيِ . قالَ ٱلْمَلِكُ : وَأَيَّ خَصْلَةٍ رَأَيْتَ مِنْهُ كانَتْ أَدَلَّ عَلَى عَقْلِهِ ؟ قالَ : خَلَّتانِ . إِحْداهُما رَأْيُهُ فِي قَتْلِي ، وَٱلأُخْرَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْتُمُ صاحِبَهُ[6] نَصِيحَتَهُ وَإِنِ ٱسْتَقَلَّها[7] ، وَلَمْ يَكُنْ كَلامُهُ كَلامَ عُنْفٍ وَقَسْوَةٍ . وَلٰكِنَّهُ كَلامُ رِفْقٍ وَلِينٍ ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّما أَخْبَرَهُ بِبَعْضِ عُيُوبِهِ ، وَلا يُصَرِّحُ بِحَقِيقَةِ ٱلْحالِ . بَلْ يَضْرِبُ لَهُ ٱلأَمْثالَ[8] ، وَيُحَدِّثُهُ بِعَيْبِ غَيْرِهِ ، فَيَعْرِفُ عَيْبَهُ . فَلا يَجِدُ مَلِكُهُ إِلى

«١» ويشركهم بالسرور بدوام ملكك . «٢» زغة العنزهي قطعة لحم تتدلى من عنقه . «٣» الضرع لذات الظلف كالثدي المرأة . «٤» نفعاً . «٥» الاشر : البطر ، والخيلاء : الكبرياء . «٦» يقصد ، ملكه . «٧» رآها قليلة القيمة . «٨» وهو أسلوب حكيم يدل على عقل صاحبه ولياقته في النصح .

ٱلْغَضَبِ عَلَيْهِ سَبِيلاً . وَكانَ مِمّا سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَلِكِهِ : أَنَّهُ لا يَنْبَغي لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْفَلَ عَنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ جَسيمٌ لا يَظْفَرُ بِهِ مِنَ النّاسِ الاّ قَليلٌ ، وَلا يُدْرَكُ الاّ بِالْحَزْمِ . فَإِنَّ الْمُلْكَ عَزيزٌ ، فَمَنْ ظَفِرَ بِهِ فَلْيُحْسِنْ حِفْظَهُ وَتَحْصينَهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ قيلَ : إِنَّهُ في قِلَّةِ بَقائِهِ بِمَنْزِلَةِ قِلَّةِ بَقاءِ الظِّلِّ عَنْ وَرَقِ النَّيْلُوْفَرِ [1] ، وَهُوَ في خِفَّةِ زَوالِهِ وَسُرْعَةِ إِقْبالِهِ وَإِدْبارِهِ كالرّيحِ ، وَفي قِلَّةِ ثَباتِهِ كاللَّبيبِ [2] مَعَ اللِّئامِ ، وَفي سُرْعَةِ اضْمِحْلالِهِ كَحَبابِ [3] الْماءِ مِنْ وَقْعِ الْمَطَرِ . فَهٰذا [4] مَثَلُ أَهْلِ ٱلْعَداوَةِ الَّذينَ لا يَنْبَغي أَنْ يُغْتَرَّ بِهِمْ ، وَإِنْ هُمْ أَظْهَرُوا تَوَدُّداً وَتَضَرُّعاً .

«١» أي قلة بقاء الملك بمثابة قلة بقاء الظل بالنسبة لورق النيلوفر وهو النبات الذي يعيش تحت الماء . «٢» العاقل «٣» ذرات الماء الصغيرة التي تنشأ من تساقط المطر . «٤» أي فهذا الذي سبق في القصة يعطينا العبرة الواضحة في أنه ينبغي أن لا نغتر بأعدائنا وان أظهروا لنا الود والاخلاص .

الباب الخامس

القرد والغيلم

«مثَل الذي ظفر بالحاجة ثم أضاعها»

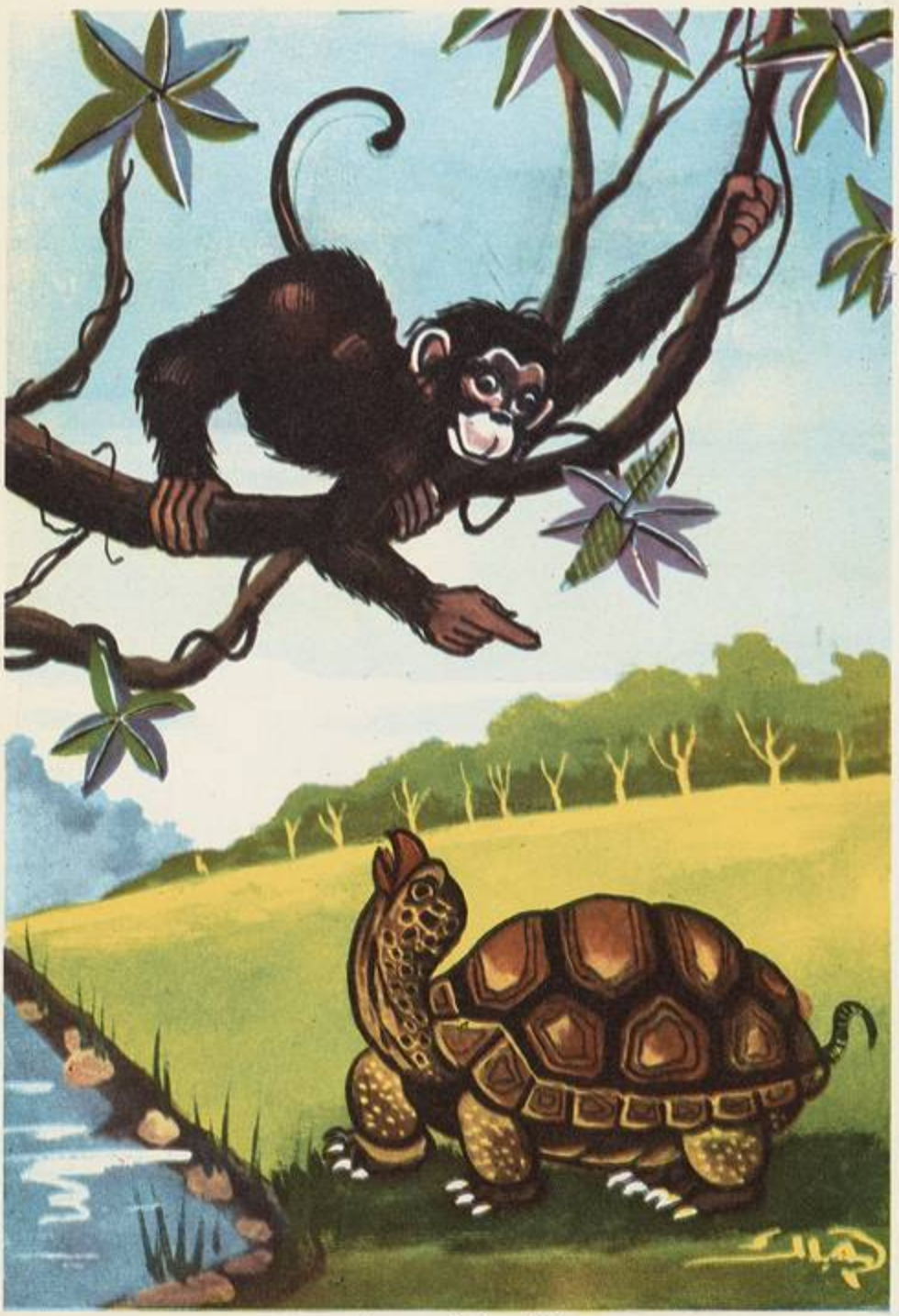

القرد والغيلم

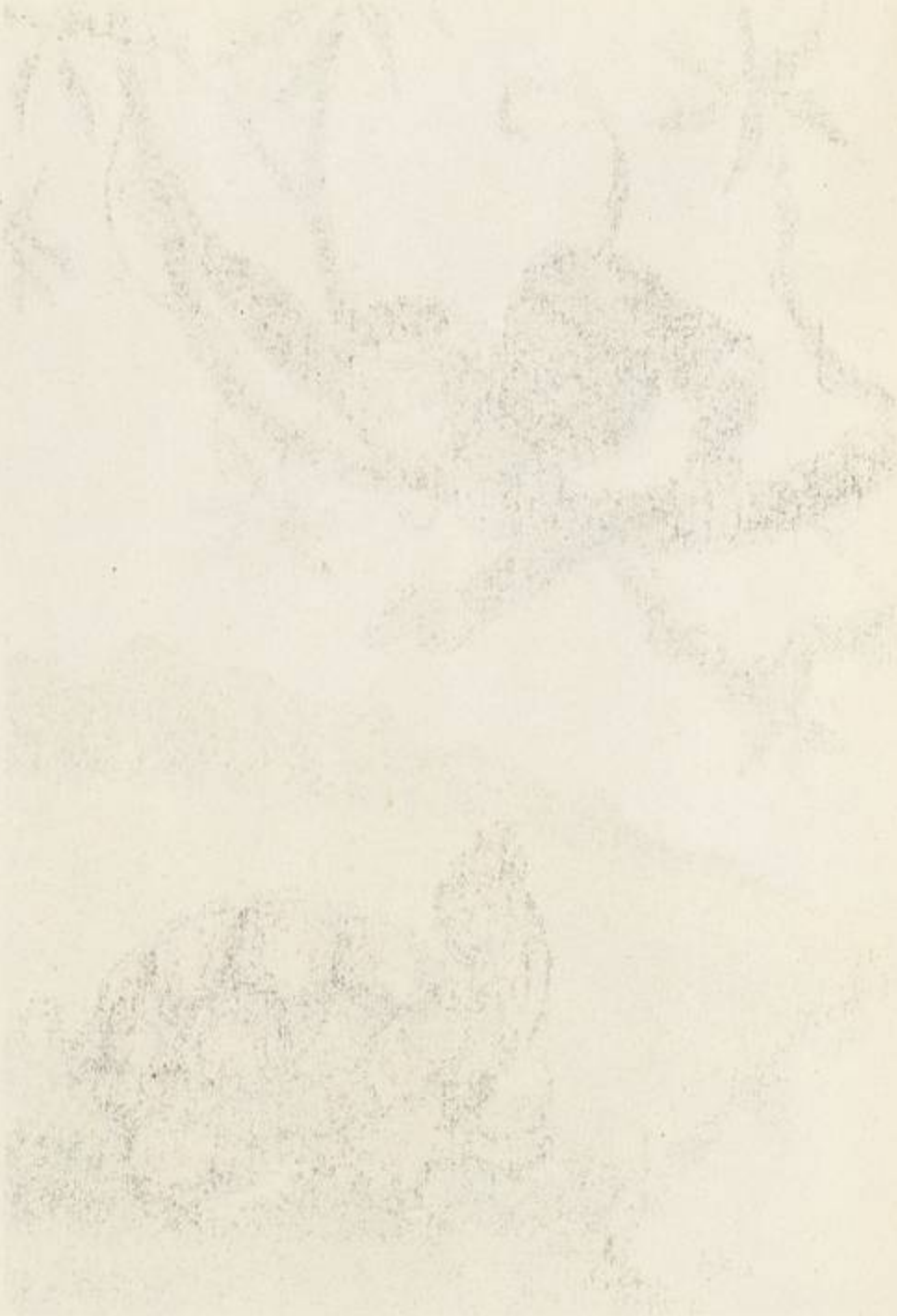

قَالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبَا الفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا المَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا . قَالَ الفَيْلَسُوفُ : إِنَّ طَلَبَ الحَاجَةِ أَهْوَنُ من الاحْتِفَاظِ بِهَا . وَمَنْ ظَفِرَ بِحَاجَةٍ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ القِيَامَ بِهَا أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الغَيْلَمَ [1] . قَالَ المَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ !

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا يُقَالُ لَهُ (مَاهِرٌ) كَانَ مَلِكَ القِرَدَةِ . وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ . فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ المَمْلَكَةِ . فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ مَكَانَهُ . فَخَرَجَ هَارِباً عَلَى وَجْهِهِ [2] حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّاحِلِ فَوَجَدَ شَجَرَةً مِنْ شَجَرِ التِّينِ . فَارْتَقَى إِلَيْهَا وَجَعَلَهَا مُقَامَهُ [3] فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ذٰلِكَ التِّينِ إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي المَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتاً وَإِيقَاعاً [4] . فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي المَاءِ . فَأَطْرَبَهُ ذٰلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ طَرْحِ التِّينِ فِي المَاءِ . وَثَمَّ [5] غَيْلَمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَلَهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ القِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ لأَجْلِهِ

«١» ذكر السلحفاة «٢» بمعنى أنه سار بدون أن يكون له مقصد معين . «٣» أي صعد اليها وجعلها مكان إقامته «٤» الايقاع : النغم الموقع . «٥» ثم بالفتح : ظرف بمعنى هناك متعلق بمحذوف يعرب خبراً مقدماً وجوباً والغيلم مبتدؤه .

فَرَغِبَ في مُصادَقتِهِ ، وأنِسَ إليْهِ وكَلَّمَهُ . وَأَلِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُما صَاحِبَهُ . وطَالتْ غَيْبَةُ الغَيْلَمِ عَنْ زَوْجَتِهِ . فَجَزِعَتْ[1] عَلَيْهِ ، وشَكَتْ ذٰلِكَ إلى جَارَةٍ لَهَا ، وقَالتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لَهُ عَارِضُ سُوءٍ فَاغْتَالَهُ[2] . فَقَالَتْ لَهَا : إنَّ زَوْجَكِ بالسَّاحِلِ ، قَدْ أَلِفَ قِرْدًا وأَلِفَهُ ٱلْقِرْدُ ، فَهُوَ مُؤاكِلُهُ[3] ومُشَارِبُهُ . وهُوَ الَّذي قَطَعَهُ عَنْكِ ولا يَقْدِرُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَكِ حَتَّى تَحْتَالِي لِهَلاكِ ٱلْقِرْدِ . قَالَتْ : وكَيْفَ اصْنَعُ ؟ قَالَتْ جَارَتُهَا : إذَا وَصَلَ اليْكِ فَتَمَارَضِي[4] فَإذَا سَأَلَكِ عَنْ حَالِكِ فَقُولِي : إنَّ الحُكَمَاءَ وَصَفُوا لِي قَلْبَ قِرْدٍ . ثُمَّ إنَّ الغَيْلَمَ انْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إلى مَنْزِلِهِ فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الحَالِ مَهْمُومَةً . فَقَالَ لَهَا الغَيْلَمُ : مَالِي أَرَاكِ هٰكَذَا ؟! فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا ، وقَالتْ : إنَّ زَوْجَتَكَ مَرِيضَةٌ مِسْكِينَةٌ . وقَدْ وَصَفَ لَهَا الأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ . ولَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . قَالَ الغَيْلَمُ : هٰذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ . مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ ونَحْنُ في المَاءِ ؟! لٰكِنْ سَأَحْتَالُ لِصَدِيقِي[5] . ثُمَّ انْطَلَقَ إلى سَاحِلِ البَحْرِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ[6] عَنِّي قَالَ لَهُ الغَيْلَمُ : مَا حَبَسَنِي عَنْكَ إلاَّ حَيَائِي . فَلَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أُجَازِيكَ عَلى إحْسَانِكَ إلَيَّ ؟ وأُرِيدُ

«١» قلقت . «٢» أي صادفته كارثة قضت عليه . «٣» أي يأكل معه ويشرب معه . «٤» تظاهري بالمرض . «٥» اللام هنا بمعنى (على) أي سأحتال على صديقي . «٦» مامنعك عن المجيء إليّ ؟

أَنْ تُتِمَّ إِحْسَانَكَ إِلَيَّ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي ، فَإِنِّي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الفَاكِهَةِ . فَارْكَبْ ظَهْرِي لِأَسْبَحَ بِكَ . فَرَغِبَ القِرْدُ فِي ذٰلِكَ ونَزَلَ فَرَكِبَ ظَهْرَ الغَيْلَمِ . فَسَبَحَ بِهِ . حَتَّى إِذَا تَغَلْغَلَ فِي المَاءِ عَرَضَ لَهُ قُبْحُ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ [1] مِنَ الغَدْرِ . فَنَكَّسَ رَأْسَهُ . فَقَالَ لَهُ القِرْدُ : مَالِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا ؟ ! قَالَ الغَيْلَمُ : إِنَّمَا هَمِّي لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ زَوْجَتِي شَدِيدَةُ المَرَضِ . وذٰلِكَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ ومُلَاطَفَتِكَ [2] . قَالَ القِرْدُ : إِنَّ الَّذِي أَعْرِفُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مُؤُونَةَ التَّكَلُّفِ . قَالَ الغَيْلَمُ : أَجَلْ [3] . ومَضَى بِالقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ القِرْدِ ، وقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا احْتِبَاسُ الغَيْلَمِ وإِبْطَاؤُهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . ولَسْتُ آمِناً أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ لِي ، وحَالَ [4] عَنْ مَوَدَّتِي ، فَأَرَادَ بِي سُوءاً . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخَفُّ وأَسْرَعُ تَقَلُّباً مِنَ القَلْبِ . وقَدْ يُقَالُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَلَّا يَغْفَلَ عَنِ التِمَاسِ مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ حَالٍ [5] ، فَإِنَّ ذٰلِكَ [6]

«١» أي حتى إذا أراد تنفيذ ما أضمره من الغدر بصديقه نكس رأسه ليغرقه . «٢» أي إن مرض زوجتي لا يمكنني من القيام بواجبي نحوك كما ينبغي . «٣» حرف جواب بمعنى نعم ؟ «٤» تحوّل . «٥» يريد أنه ينبغي عليه أن يتعرف على نوايا هؤلاء جميعاً . «٦» أي أن ما يقوم به الانسان من تصرفات يدل على ما يدور بنفسه من خواطر .

كُلَّهُ يَشْهَدُ عَلى مَافي ٱلقُلُوبِ . وقَدْ قَالتِ العُلَمَاءُ : إذَا دَخَلَ قَلْبَ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيبَةٌ فَلْيَأْخُذْ بِالحزمِ في التَّحَفُّظِ مِنْهُ ، وَلْيَتَفَقَّدْ ذَلِكَ في لَحظَاتِهِ[1] وحَالاتِهِ ، فَإنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفِرَ بالسَّلامَةِ ، وإنْ كانَ باطِلاً ظَفِرَ بِالحزْمِ ولَمْ يَضُرَّهُ ذٰلكَ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : مَا الَّذِي يَحْبِسُكَ ؟ ! ومَالِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا ؟ ! كأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى قَالَ : يُهِمُّنِي أَنْ تَأْتِيَ مَنْزِلِي فَلا تَجِدَ أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ ، لأَنَّ زَوْجَتِي مَرِيضَةٌ . قَالَ القِرْدُ : لا تَهْتَمَّ فَإنَّ الهَمَّ لا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ، ولٰكِنِ ٱلتَمِسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الأَدْوِيَةِ والأَغْذِيَةِ ، فَإنَّهُ يُقَالُ : لِيَبْذُلْ ذُو المَالِ مَالَهُ في أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ : في الصَّدَقَةِ ، وفي وَقْتِ الحَاجَةِ ، وعَلى البَنِينَ ، وعَلى الأَزْوَاجِ . قَالَ الغَيْلَمُ : صَدَقْتَ وقَدْ قَالتِ الأَطِبَّاءُ : إنَّهُ لادَوَاءَ لَهَا إلاَّ قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ القِرْدُ في نَفْسِهِ : وَا أَسَفَاهُ ! لَقَدْ أَدْرَكَنِي الحِرْصُ وٱلشَّرَهُ عَلى كِبَرِ سِنِي حَتَّى وَقَعْتُ في شَرِّ وَرْطَةٍ . لَقَدْ صَدَقَ الَّذي قَالَ : يَعِيشُ ٱلقَانِعُ الرَّاضِي مُسْتَرِيحاً مُطْمَئِناً ، وَذُو الحِرْصِ والشَّرَهِ يَعِيشُ مَاعَاشَ[2] في تَعَبٍ ونَصَبٍ ، وإنِّي قَدِ ٱحْتَجْتُ الآنَ إلى عَقْلِي في ٱلتِمَاسِ المَخْرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : ومَا مَنَعَكَ

«١» أي ليقرأ ذلك ويستنبطه من نظراته وتصرفاته . «٢» أي يعيش طيلة حياته في تعب .

أَنْ تُعْلِمَنِي عِنْدَ مَنْزِلِي ؟ حَتَّى كُنْتُ أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي . فَهٰذِهِ سُنَّةٌ [1] فِينَا مَعَاشِرَ ٱلْقِرَدَةِ . إِذَا خَرَجَ أَحَدُنَا لِزِيَارَةِ صَدِيقٍ خَلَّفَ [2] قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ ، أَوْ فِي مَوْضِعِهِ ، لِنَنْظُرَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرُمٍ [3] ٱلْمَزُورِ وَلَيْسَتْ قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ الآنَ ؟ قَالَ : خَلَّفْتُهُ فِي ٱلشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَى ٱلشَّجَرَةِ حَتَّى آتِيَكَ بِهِ . فَفَرِحَ الغَيْلَمُ بِذٰلِكَ. وَقَالَ : لَقَدْ وَافَقَنِي صَاحِبِي بِدُونِ أَنْ أَغْدُرَ بِهِ . ثُمَّ رَجَعَ بِالقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ ٱلسَّاحِلَ وَثَبَ عَنْ ظَهْرِهِ فَأَرْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الغَيْلَمِ نَادَاهُ : يَا خَلِيلِي [4] أَحْمِلْ قَلْبَكَ وَانْزِلْ فَقَدْ حَبَسْتَنِي . فَقَالَ القِرْدُ : هَيْهَاتَ [5] أَتَظُنُّ أَنِّي كَالحِمَارِ الَّذِي زَعَمَ ٱبْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلا أُذُنَانِ ؟ قَالَ الغَيْلَمُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟ !

قَالَ ٱلْقِرْدُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ أَسَدٌ فِي أَجَمَةٍ . وَكَانَ مَعَهُ ٱبْنُ آوَى يَأْكُلُ مِنْ فَوَاضِلِ [6] طَعَامِهِ . فَأَصَابَ الأَسَدَ جَرَبٌ [7] وَضَعْفٌ شَدِيدٌ وَجَهْدٌ [8] فَلَمْ يَسْتَطِعِ الصَّيْدَ . فَقَالَ لَهُ ٱبْنُ آوَى : مَا بَالُكَ قَدْ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُكَ ؟ ! قَالَ : هٰذَا الجَرَبُ الَّذِي قَدْ أَجْهَدَنِي . وَلَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلاَّ قَلْبُ حِمَارٍ وَأُذُنَاهُ . قَالَ ٱبْنُ آوَى مَا أَيْسَرَ هٰذَا ! وَقَدْ عَرَفْتُ بِمَكَانِ

«١» عادة . «٢» ترك . «٣» الحرم بضمتين : نساء الرجل الواحد ، وبالتحريك ما يحميه الرجل ويقاتل عليه . «٤» ياصديقي الحميم . «٥» اسم فعل ماضي بمعنى بَعُدَ . «٦» بقايا طعامه . «٧» مرض جلدي . «٨» تعب .

كَذا حماراً مَعَ قَصَّارٍ[1] يَحْمِلُ عَلَيْهِ ثِيابَهُ ، وَأَنا آتيكَ بِهِ . ثُمَّ دَلَفَ[2] إلى الحِمارِ فَأَتاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقالَ لَهُ : ما لي أَراكَ مَهْزُولاً[3] ؟! قالَ : ما يُطْعِمُني صاحِبي شَيْئاً . فَقالَ لَهُ : وَكَيْفَ تَرْضَى المُقامَ مَعَهُ[4] عَلى هٰذا؟ قالَ : فَما لي حِيلَةٌ في الهَرَبِ مِنْهُ . فَلَسْتُ أَتَوَجَّهُ إلى جِهَةٍ إلاّ أَضَرَّ بي إنْسانٌ ، فَكَدَّني[5] وَأَجاعَني قالَ ابْنُ آوَىٰ : فَأَنا أَدُلُّكَ عَلى مَكانٍ مَعْزُولٍ عَنِ النّاسِ لا يَمُرُّ بِهِ إنْسانٌ ، خَصيبِ المَرْعى ، فيهِ قَطيعٌ مِنَ الحُمُرِ[6] لَمْ تَرَ عَيْنٌ مِثْلَها حُسْناً وَسِمَناً . قالَ الحِمارُ : وَما يَحْبِسُنا عَنْها ؟ فَانْطَلِقْ بِنا إلَيْها . فَانْطَلَقَ بِهِ ابْنُ آوىٰ نَحْوَ الأَسَدِ . وَتَقَدَّمَ ابْنُ آوىٰ . وَدَخَلَ الغابَةَ عَلى الأَسَدِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَكانِ الحِمارِ فَخَرَجَ إلَيْهِ ، وَأَرادَ أَنْ يَثِبَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِضَعْفِهِ . وَتَخَلَّصَ الحِمارُ مِنْهُ فَأَفْلَتَ هَلِعاً[7] عَلى وَجْهِهِ . فَلَمّا رَأَى ابْنُ آوَىٰ أَنَّ الأَسَدَ لَمْ يَقْدِرْ عَلى الحِمارِ قالَ لَهُ : أَعَجَزْتَ يا سَيِّدَ السِّباعِ إلى هٰذِهِ الغايَةِ ؟ فَقالَ لَهُ : إنْ جِئْتَني بِهِ مَرَّةً أُخْرىٰ فَلَنْ يَنْجُوَ مِنّي أَبَداً . فَمَضَى ابْنُ آوىٰ إلى الحِمارِ فَقالَ لَهُ : ما الَّذي جَرىٰ عَلَيْكَ ؟ إنَّ أَحَدَ الحُمُرِ رَآكَ غَريباً فَخَرَجَ يَتَلَقّاكَ مُرَحِّباً بِكَ ، وَلَوْ ثَبَتَّ لَهُ لَآنَسَكَ وَمَضَى بِكَ إلى أَصْحابِهِ . فَلَمّا سَمِعَ الحِمارُ

« ١ » مبيّض الثياب . « ٢ » تقدم . « ٣ » نحيفاً ، ضئيل الجسم . « ٤ » البقاء معه . « ٥ » أتعبني . « ٦ » جمع حمار . « ٧ » جزعاً لا يلوي على شيء في طريقه .

كَلامَ ابْنِ آوى وَلَمْ يَكُنْ رَأى أَسداً قطُّ صدَّقَهُ . وَأَخذَ طَريقَهُ إلى الأَسَدِ[1] . فَسبَقَهُ ابْنُ آوى إلى الأَسدِ وَأَعلَمَهُ بمكانِهِ ، وَقالَ لَهُ : اسْتَعِدَّ لَهُ ، فَقَدْ خَدَعْتُهُ لَكَ فَلا يُدرِكَنَّكَ الضَّعْفُ في هٰذِهِ النَّوْبَةِ[2] ، فَإِنَّهُ إنْ أَفلَتَ[3] فَلَنْ يَعُودَ مَعِي أَبداً . فَجاشَ جَأْشُ الأَسَدِ[4] لِتَحْرِيضِ ابْنِ آوى لَهُ ، وَخَرَجَ إلى مَوْضِعِ الحِمارِ ، فَلَمّا بَصُرَ بِهِ[5] عاجَلَهُ بِوَثْبَةٍ افْتَرَسَهُ[6] بِها . ثُمَّ قالَ : قَدْ ذَكَرَتِ الأَطِبّاءُ : أَنَّهُ لا يُؤْكَلُ إلاّ بَعْدَ الغَسْلِ وَالطَّهُورِ . فَاحْتَفِظْ بِهِ حَتّى أَعُودَ فَآكُلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ ، وَأَتْرُكَ ما سِوى ذٰلِكَ قُوتاً لَكَ . فَلَمّا ذَهَبَ الأَسَدُ لِيَغْتَسِلَ ، عَمَدَ ابْنُ آوى إلى الحِمارِ ، فَأَكَلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ رَجاءَ أَنْ يَتَطَيَّرَ[7] الأَسَدُ مِنْهُ فَلا يَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئاً . ثُمَّ إنَّ الأَسَدَ رَجَعَ إلى مَكانِهِ فَقالَ لابْنِ آوى : أَيْنَ قَلْبُ الحِمارِ وَأُذُناهُ ؟ قالَ ابْنُ آوى : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ كانَ لَهُ قَلْبٌ يَفْقَهُ بِهِ[8] ، وَأُذُنانِ يَسْمَعُ بِهِما ، لَمْ يَرْجِعْ إلَيْكَ بَعْدَما أَفلَتَ وَنَجا مِنَ الهَلَكَةِ .

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا المَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنِّي لَسْتُ كَذٰلِكَ الحِمارِ الَّذي زَعَمَ ابْنُ آوى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَأُذُنانِ . وَلٰكِنَّكَ احْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَني ،

«١» يريد : قصد نحوه . «٢» المرة «٣» نجا منك وهرب . «٤» هاج وجمع قواه . «٥» رآه . «٦» قتله «٧» يتشاءم . «٨» يقصد : يفكر به .

فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَديعَتِكَ ، وَاسْتَدْرَكْتُ فارِطَ أَمْرِي[1] . وَقَدْ قيلَ : إِنَّ الَّذي يُفْسِدُهُ الحِلْمُ لا يُصْلِحُهُ إِلاّ العِلْمُ . قالَ الغَيْلَمُ : صَدَقْتَ ، إِلاّ أَنَّ الرَّجُلَ الصّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ[2] . وَإِذا أَذْنَبَ ذَنْباً لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدِّبَ لِصِدْقِهِ في قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِنْ وَقَعَ في وَرْطَةٍ أَمْكَنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْها بِحيلَتِهِ وَعَقْلِهِ : كالرَّجُلِ الَّذي يَعْثُرُ على الأَرْضِ ثُمَّ يَنْهَضُ عَلَيْها مُعْتَمِداً . فَهٰذا مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذي يَطْلُبُ الحاجَةَ ، فَإِذا ظَفِرَ بِها أَضاعَها .

«١» أى اني أصلحت غلطتي ووعيت حيلتك . «٢» بخطئه .

الباب السادس

النّاسك وابن عرس

« مَثَلُ الَّذي يَستَعْجِلُ في الأَمْرِ قَبْلَ البَيَان »

النّاسك وابن عرس

قالَ دَبْشَليمُ المَلِكُ لِبَيْدَبا الفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذا المَثَلَ . فَاضْرِبْ لي مَثَلَ الرَّجُلِ العَجْلانِ[1] في أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلا نَظَرٍ في العَواقِبِ . قالَ الفَيْلَسُوفُ : إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ في أَمْرِهِ مُتَثَبِّتاً[2] ، لَمْ يَزَلْ نادِماً ، وَيَصيرُ أَمْرُهُ إِلى ما صارَ إِلَيْهِ النّاسِكُ مِنْ قَتْلِ ابْنِ عُرْسٍ[3] ، وَقَدْ كانَ لَهُ وَدُوداً . قالَ المَلِكُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟!

قالَ الفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ ناسِكاً مِنَ النُّسّاكِ كانَ بِأَرْضِ (جُرْجانَ) وَكانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ جَميلَةٌ . فَمَكَثا زَماناً لَمْ يُرْزَقا وَلَداً . ثُمَّ حَمَلَتْ مِنْهُ بَعْدَ الإِياسِ[4] . فَسُرَّتِ المَرْأَةُ ، وَسُرَّ النّاسِكُ بِذٰلِكَ . فَحَمِدَ اللهَ تَعالى وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ الحَمْلُ ذَكَراً . وَقالَ لِزَوْجَتِهِ : أَبْشِري فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ غُلاماً لَنا فيهِ مَنافِعُ وَقُرَّةُ عَيْنٍ ، أَخْتارُ لَهُ أَحْسَنَ الأَسْماءِ ، وَأُحْضِرُ لَهُ سائِرَ الأُدْباءِ . فَقالَتِ المَرْأَةُ : ما يَحْمِلُكَ — أَيُّها الرَّجُلُ — عَلى أَنْ تَتَكَلَّمَ بِما لا تَدْري : أَيَكُونُ أَمْ لا[5] ؟ وَمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ أَصابَهُ

«١» المتسرع في أمره . «٢» أي متمكناً من معرفة مقدماته وتقدير نتائجه . «٣» ابن عرس : حيوان كالفأر واعتده بعضهم من أنواع الفأر وعنده العداوة للحية والتمساح وجمعه بنات عرس . «٤» الاياس بالكسر : اليأس والقنوط . «٥» أي ما يدفعك الى التكلم بشأن أمر لانستطيع معرفته .

ما أصابَ النَّاسِكَ الَّذي أراقَ عَلى رَأْسِهِ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ . قالَ لَها : وَكَيْف كانَ ذٰلِكَ ؟

قالَتْ : زَعَمُوا أَنَّ ناسِكاً كانَ يَجْري عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ رَجُلٍ تاجِرٍ في كُلِّ يَوْمٍ رِزْقٌ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ . وَكانَ يَأْكُلُ مِنْهُ قُوتَهُ وَحاجَتَهُ ، وَيَرْفَعُ الْباقِيَ وَيَجْعَلُهُ في جَرَّةٍ فَيُعَلِّقُها في وَتِدٍ في ناحِيَةِ الْبَيْتِ حَتَّى امْتَلأَتْ فَبَيْنَما النَّاسِكُ ذاتَ يَوْمٍ مُسْتَلْقٍ عَلى ظَهْرِهِ — وَالْعُكَّازَةُ في يَدِهِ ، وَالْجَرَّةُ مُعَلَّقَةٌ عَلى رَأْسِهِ — فَكَّرَ في غَلاءِ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ فَقالَ : سَأَبيعُ ما في هٰذِهِ الْجَرَّةِ بِدينارٍ وَأَشْتَري بِهِ عَشْرَ أَعْنُزٍ[1] فَيَحْبَلْنَ وَيَلِدْنَ في كُلِّ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ بَطْناً . وَلا تَلْبَثُ إِلاَّ قَليلاً حَتَّى تَصيرَ غَنَماً[2] كَثيرَةً إِذا وَلَدَتْ أَوْلادَها ثُمَّ حَزَرَ[3] عَلى هٰذا النَّحْوِ بِسِنينَ ، فَوَجَدَ ذٰلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِمائَةِ عَنْزٍ . فَقالَ أَنا أَشْتَري بِها مِائَةَ مِنَ الْبَقَرِ ، بِكُلِّ أَرْبَعَةِ أَعْنُزٍ ثَوْراً أَوْ بَقَرَةً . وَأَشْتَري أَرْضاً وَبَذْراً[4] وَأَسْتَأْجِرُ أَكَرَةً[5] ، وَأَزْرَعُ عَلى الثِّيرانِ ، وَأَنْتَفِعُ بِأَلْبانِ الإِناثِ وَنِتاجِها[6] فَلا يَأْتي عَلَيَّ خَمْسُ سِنينَ

«١» الأعنز : جمع عنز ، الانثى من المعز . «٢» الغنم : الشاء ولا واحد لها من لفظها فيقال للواحدة شاة والظاهر أن هذه اللفظة أطلقها على الماعز تجوزاً . «٣» يقال : حزر الشيء يحزر كيضرب وينصر حزراً ومحزرة : قدّره بالحدس والتخمين . «٤» البذر ما عزل للزراعة من الحبوب وجمعه بذور وبذار . «٥» جمع أكار : وهو العامل المشتغل بالحرث . «٦» أولادها .

إلاّ وَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الزَّرْعِ مالاً كَثيراً . فَأَبْني بَيْتاً فاخِراً وَأَشْتَري إماءً[1] وَعَبيداً ، وَأَتَزَوَّجُ امْرَأَةً جَميلَةً ذاتَ حُسْنٍ . ثُمَّ تَأْتي بِغُلامٍ سَرِيٍّ[2] نَجيبٍ . فَأَخْتارُ لَهُ أَحْسَنَ الأَسْماءِ . فَإِذا تَرَعْرَعَ[3] أَدَّبْتُهُ وَأَحْسَنْتُ تَأْديبَهُ ، وَأُشَدِّدُ عَلَيْهِ في ذٰلِكَ . فَإِنْ يَقْبَلْ مِنّي وَإِلاّ ضَرَبْتُ رَأْسَهُ بِهٰذِهِ الْعُكّازَةِ هٰكَذا . وَأَشارَ بِيَدِهِ إِلى الْجَرَّةِ فَكَسَرَها . فَسالَ ما كانَ فيها عَلى وَجْهِهِ .

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا الْمَثَلَ لِكَيْ لا تَعْجَلَ بِذِكْرِ مالا يَنْبَغي ذِكْرُهُ ، وَما لا تَدْري : أَيَصِحُّ أَمْ لا يَصِحُّ ؟ فَاتَّعَظَ النّاسِكُ بِما حَكَتْ زَوْجَتُهُ ثُمَّ إِنَّ الْمَرْأَةَ وَلَدَتْ غُلاماً جَميلاً ، فَفَرِحَ بِهِ أَبُوهُ . وَبَعْدَ أَيّامٍ حانَ لَها أَنْ تَتَطَهَّرَ[4] . فَقالَتِ الْمَرْأَةُ لِلنّاسِكِ : اقْعُدْ عِنْدَ ابْنِكَ حَتّى أَذْهَبَ إِلى الْحَمّامِ فَأَغْتَسِلَ وَأَعُودَ . ثُمَّ إِنَّها انْطَلَقَتْ إِلى الْحَمّامِ وَخَلَّفَتْ[5] زَوْجَها وَالْغُلامَ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ يَسْتَدْعيهِ . وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ عِنْدَ ابْنِهِ غَيْرَ ابْنِ عِرْسٍ داجِنٍ[6] عِنْدَهُ : كانَ قَدْ رَبّاهُ صَغيراً ، فَهُوَ عِنْدَهُ عَديلُ[7] وَلَدِهِ . فَتَرَكَهُ النّاسِكُ عِنْدَ الصَّبِيِّ ، وَأَغْلَقَ عَلَيْهِما

---

(١) جمع أمة وهي الجارية التي تباع وتشترى للخدمة أو التسري . (٢) السريّ : صاحب المروءة ، السيد الشريف السخي (٣) كبر ونما . (٤) أي حان وقت اغتسالها من النفاس عقب الولادة . (٥) تركت . (٦) ألوف للبيوت (٧) معادل لولده .

ٱلْبَيْتَ ، وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْحَارِ ٱلْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءُ . فَدَنَتْ مِنَ ٱلْغُلَامِ ، فَضَرَبَهَا ابْنُ عِرْسٍ ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا ثُمَّ قَطَّعَهَا وَٱمْتَلَأَ فَمُهُ مِنْ دَمِهَا ثُمَّ جَاءَ النَّاسِكُ ، وَفَتَحَ ٱلْبَابَ فَٱلْتَقَاهُ ابْنُ عِرْسٍ كَالْمُبَشِّرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ مِنْ قَتْلِ الْحَيَّةِ . فَلَمَّا رَآهُ مُلَوَّثًا بِالدَّمِ — وَهُوَ مَذْعُورٌ — طَارَ عَقْلُهُ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ ، وَلَمْ يَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ . وَلَمْ يَتَرَوَّ[1] فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْحَالِ ، وَيَعْمَلَ بِغَيْرِ مَا ظَنَّ مِنْ ذَلِكَ . وَلَكِنْ عَجَّلَ عَلَى ابْنِ عِرْسٍ وَضَرَبَهُ بِعُكَّازَةٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ[2] فَمَاتَ وَدَخَلَ النَّاسِكُ ، فَرَأَى ٱلْغُلَامَ سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ مُقَطَّعٌ فَلَمَّا عَرَفَ ٱلْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي ٱلْعَجَلَةِ لَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ هَذَا الْوَلَدَ ، وَلَمْ أَغْدُرْ هَذَا ٱلْغَدْرَ وَدَخَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَأَخْبَرَهَا بِالْخَبَرِ مِنْ حُسْنِ فِعْلِ ابْنِ عِرْسٍ وَسُوءِ مُكَافَأَتِهِ لَهُ . فَقَالَتْ : هٰذِهِ ثَمَرَةُ ٱلْعَجَلَةِ . فَهٰذَا مَثَلُ مَنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ ، بَلْ يَفْعَلُ أَغْرَاضَهُ بِالسُّرْعَةِ وَٱلْعَجَلَةِ .

---

(١) لم يتأنّ . (٢) دماغه .

الباب السابع

الحجر ذو النور

« مَثَلُ رَجُلٍ كَثُرَ أَعْداؤُهُ وَأَحْدَقُوا بِهِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ
فَالْتَمَسَ الْمَخْرَجَ بِمُوالاةِ بَعْضِهِم »

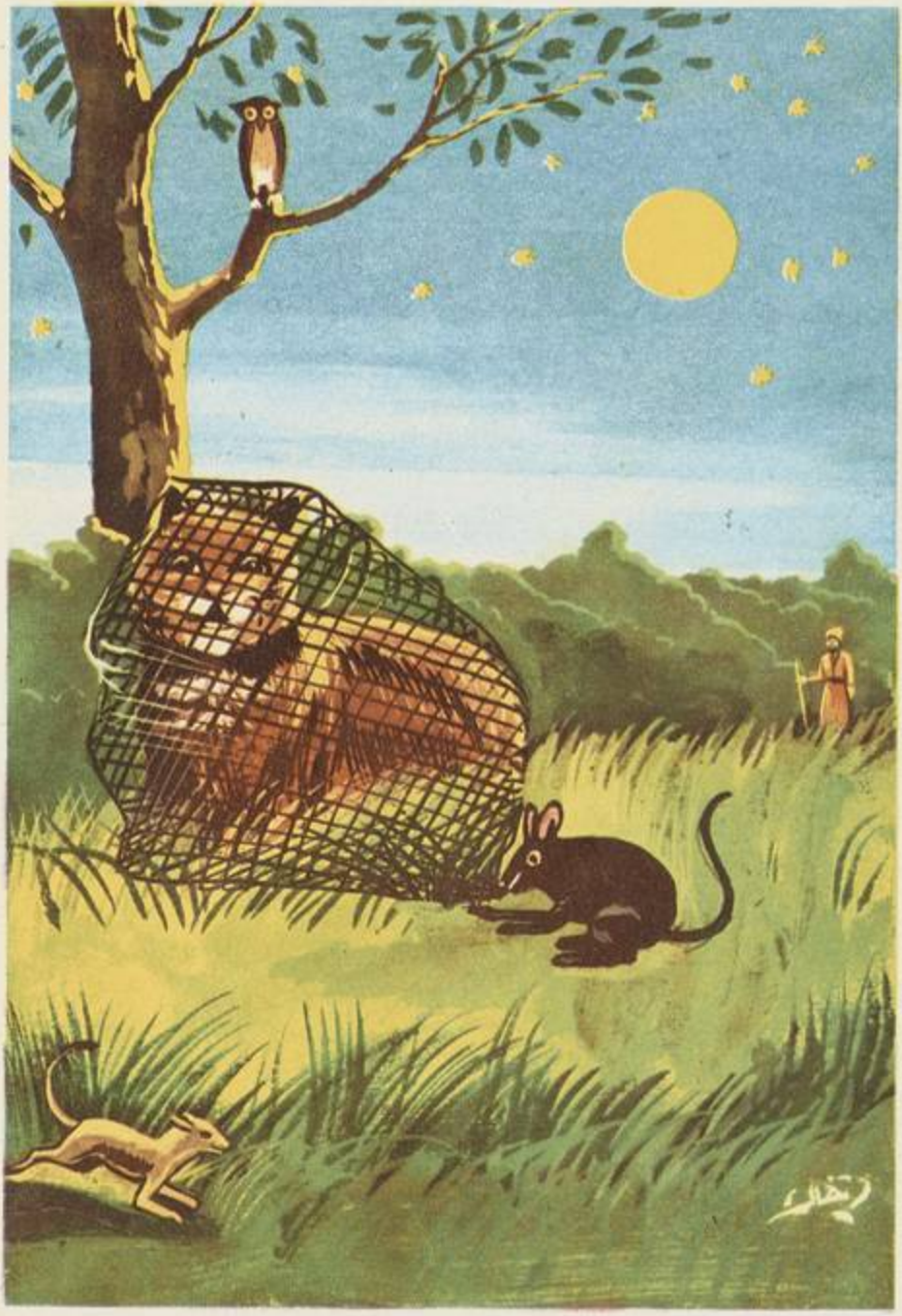

الجرذ ذو السنور

قالَ دَبْشَليمُ المَلِكُ لِبَيْدَبا الفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذا المَثَلَ . فَاضْرِبْ لي مَثَلَ رَجُلٍ كَثُرَ أَعْداؤُهُ وَأَحْدَقُوا[1] بِهِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، فَأَشْرَفَ مَعَهُمْ عَلى الهَلاكِ فَالْتَمَسَ النَّجاةَ وَالمَخْرَجَ بِمُوالاةِ[2] بَعْضِ أَعدائِهِ وَمُصالَحَتِهِ ، فَسَلِمَ مِنَ الخَوْفِ وَأَمِنَ ، ثُمَّ وَفَى لِمَنْ صالَحَهُ مِنْهُمْ. قالَ الفَيْلَسُوفُ : إِنَّ المَوَدَّةَ وَالعَداوَةَ لا تَثْبُتانِ عَلى حالَةٍ واحِدَةٍ أَبَداً . وَرُبَّما حالَتِ المَوَدَّةُ إِلى العَداوَةِ ، وَصارَتِ العَداوَةُ وَلايَةً[3] وَصَداقَةً . وَلِهٰذا حَوادِثُ وَعِلَلٌ[4] وَتَجارِبُ . وَذُو[5] الرَّأْيِ يُحْدِثُ لِكُلِّ ما يَحْدُثُ مِنْ ذٰلِكَ[6] رَأْياً جَديداً : أَمّا مِنْ قِبَلِ العَدُوِّ فَبِالبَأْسِ[7] . وَأَمّا مِنْ قِبَلِ الصَّديقِ فَبِالاسْتِئْناسِ[8] . وَلا تَمْنَعُ ذا العَقْلِ عَداوَةٌ كانَتْ في نَفْسِهِ لِعَدُوِّهِ مِنْ مُقارَبَتِهِ[9] وَالاسْتِنْجادِ بِهِ ، عَلى دَفْعِ مَخُوفٍ[10] — أَوْ جَرِّ مَرْغُوبٍ[11] ، وَمَنْ عَمِلَ في ذٰلِكَ بِالحَزْمِ ظَفِرَ بِحاجَتِهِ . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ الجُرَذِ وَالسِّنَّوْرِ حينَ وَقَعا في الوَرْطَةِ فَنَجَوا بِاصْطِلاحِهِما جَميعاً مِنَ

---

(١) أحاطوا به . (٢) متابعة أعدائه له ومصادقتهم إياه (٣) أي ربما تحولت العداوة الى مناصرة وصداقة . (٤) أسباب . (٥) صاحب العقل . (٦) أي من المودة أو العداوة . (٧) القوة والشدة . (٨) المباسطة والإيناس . (٩) الاتصال به ومهادنته . (١٠) أمر مخيف . (١١) أي الفوز بشيء مستحبّ .

الْوَرْطَةِ وَالشِّدَّةِ . قالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟!

قالَ بَيْدَبا : زَعَمُوا أَنَّ شَجَرَةً عَظيمةً كانَ في أَصْلِها جُحْرُ سِنَوَّرٍ يُقالُ لَهُ (رُومِيٌّ) . وَكانَ قَريباً مِنْهُ جُحْرُ جُرَذٍ يُقالُ لَهُ (فَريدُونُ) . وَكانَ الصَّيَّادُونَ كَثيراً ما يَتَداوَلُونَ[1] ذٰلِكَ الْمَكانَ يَصيدُونَ فيهِ الْوَحْشَ وَالطَّيْرَ . فَنَزَلَ ذاتَ يَوْمٍ صَيَّادٌ فَنَصَبَ حِبالَتَهُ قَريباً مِنْ مَوْضِعِ رُومِيٍّ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَقَعَ فيها ، فَخَرَجَ الْجُرَذُ يَدِبُّ وَيَطْلُبُ ما يَأْكُلُ وَهُوَ حَذِرٌ مِنْ رُومِيٍّ . فَبَيْنَما هُوَ يَسْعَى إِذْ بَصُرَ بِهِ في الشَّرَكِ ، فَسُرَّ وَاسْتَبْشَرَ . ثُمَّ الْتَفَتَ فَرَأَى خَلْفَهُ ابْنَ عِرْسٍ يُريدُ أَخْذَهُ ، وَفي الشَّجَرَةِ بُوماً يُريدُ اخْتِطافَهُ . فَتَحَيَّرَ في أَمْرِهِ وَخافَ إِنْ رَجَعَ وَراءَهُ أَخَذَهُ ابْنُ عِرْسٍ ، وَإِنْ ذَهَبَ يَميناً أَوْ شِمالاً اخْتَطَفَهُ الْبُومُ ، وَإِنْ تَقَدَّمَ أَمامَهُ افْتَرَسَهُ السِّنَوَّرُ . فَقالَ في نَفْسِهِ : هٰذا بَلاءٌ قَدِ اكْتَنَفَني[2] ، وَشُرُورٌ تَظاهَرَتْ عَلَيَّ[3] ، وَمِحَنٌ[4] قَدْ أَحاطَتْ بي . وَبَعْدَ ذٰلِكَ فَمَعي عَقْلي فَلا يُفْزِعُني أَمْري ، وَلا يَهُولُني[5] شَأْني ، وَلا يَلْحَقُني الدَّهَشُ[6] . وَلا يَذْهَبُ قَلْبي شَعاعاً[7] فَالْعاقِلُ لا يَفْرَقُ عِنْدَ سَدادِ رَأْيِهِ[8] ، وَلا يَعْزُبُ[9] عَنْهُ ذِهْنُهُ عَلى حالٍ . إِنَّما الْعَقْلُ شَبيهٌ بِالْبَحْرِ الَّذي لا يُدْرَكُ غَوْرُهُ[10] ، وَلا يَبْلُغُ

---

(١) أي يأتيه هذا مرة وذاك مرة . (٢) أحاط بي . (٣) تعاونت (٤) جمع محنة وهي المصيبة . (٥) يخيفني . (٦) الذهول . (٧) متفرقاً . (٨) أي لا يخطئ عندما يرى رأيه صواباً . (٩) لا يغيب . (١٠) قعره .

ٱلبَلاءُ مِنْ ذي الرَّأْيِ مَجْهُودَهُ[1] فَيُهْلِكَهُ ، وَتَحَقُّقُ الرَّجاءِ لا يَنْبَغي أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ مَبْلَغاً يُبْطِرُهُ وَيُسْكِرُهُ فَيَعْمَى[2] عَلَيْهِ أَمْرُهُ . وَلَسْتُ أَرَى لي مِنْ هٰذا ٱلبَلاءِ مَخْلَصاً إلاَّ مُصالَحَةَ السِّنَّوْرِ ، فَإِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِنَ ٱلبَلاءِ مِثْلُ ما قَدْ نَزَلَ بي أَوْ بَعْضُهُ . وَلَعَلَّهُ إِنْ سَمِعَ كَلامي الَّذي أُكَلِّمُهُ بِهِ ، وَوَعَى[3] عَنِّي فَصيحَ خِطابي ، وَمَحْضَ صِدْقي[4] الَّذي لا خِلافَ فيه ، وَلا خِداعَ مَعَهُ فَفَهِمَهُ وَطَمِعَ في مَعُونَتي إِيَّاهُ نَخْلُصْ جَميعاً .

ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ دَنا مِنَ السِّنَّوْرِ ، فَقالَ لَهُ : كَيْفَ حالُكَ ؟ قالَ لَهُ السِّنَّوْرُ : كَما تُحِبُّ في ضَنْكٍ[5] وَضيقٍ . قالَ : وَأَنا ٱلْيَوْمَ شَرِبْكُكَ في ٱلبَلاءِ . وَلَسْتُ أَرْجُو لِنَفْسي خَلاصاً إلاَّ بِالَّذي أَرْجُو لَكَ فيهِ الْخَلاصَ[6] . وَكَلامي هٰذا لَيْسَ فيهِ كَذِبٌ وَلا خَديعَةٌ . وَابْنُ عِرْسٍ هٰذا هُوَ كامِنٌ لي ، وَٱلْبُومُ يَرْصُدُني ، وَكِلاهُما لي وَلَكَ عَدُوٌّ . فَإِنْ جَعَلْتَ لِيَ الأَمانَ قَطَّعْتُ حِبالَكَ وَخَلَّصْتُكَ مِنْ هٰذِهِ الْوَرْطَةِ . فَإِذا كانَ ذٰلِكَ تَخَلَّصَ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا بِسَبَبِ صاحِبِهِ : كالسَّفينَةِ وَالرُّكَّابِ في ٱلبَحْرِ فَبِالسَّفينَةِ يَنْجُونَ ، وَبِهِمْ تَنْجُو السَّفينَةُ . فَلَمَّا سَمِعَ السِّنَّوْرُ كَلامَ الْجُرَذِ وَعَرَفَ أَنَّهُ صادِقٌ قالَ لَهُ : إِنَّ قَوْلَكَ هٰذا

---

(١) أي لايصل المصاب بالعاقل الى حد الطغيان على مواهبه واهلاكه . (٢) فيلتبس عليه أمره . (٣) تفهم مخاطبتي الصريحة له . (٤) أو صدقي الخالص من أية شائبة أو خداع . (٥) شدة (٦) وأي لست أتوقع ، وآمل لنفسي النجاة إلا بنجاتك التي أرجوها لك

لَشَبيهٌ بِالحَقِّ . وأَنا أَيضاً راغِبٌ فيما أَرْجو لَكَ وَلِنَفسي بِهِ الخَلاصَ . ثُمَّ إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ فَسَأَشْكُرُ لَكَ ما بَقيتُ . قالَ الجُرَذُ : فَإِنّي سَأَدْنو مِنْكَ فَأَقْطَعُ الحَبائِلَ كُلَّها إِلاّ حَبْلاً واحِداً أُبْقيهِ لِأَسْتَوْثِقَ لِنَفْسي[1] مِنْكَ . ثُمَّ أَخَذَ في قَرْضِ حَبائِلِهِ . ثُمَّ إِنَّ البُومَ وَابْنَ عِرْسٍ لَمّا رَأَيا دُنُوَّ الجُرَذِ مِنَ السِّنَّوْرِ أَيِسا[2] مِنْهُ وَانْصَرَفا . ثُمَّ إِنَّ الجُرَذَ أَبْطَأَ عَلى رُومِيّ في قَطْعِ الحَبائِلِ فَقالَ لَهُ : مالي لا أَراكَ مُجِدًّا في قَطْعِ حَبائِلي ؟ ! فَإِنْ كُنْتَ قَدْ ظَفِرْتَ بِحاجَتِكَ فَتَغَيَّرْتَ عَمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ ، وَتَوانَيْتَ[3] في حاجَتي ، فَما ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِ الصّالِحينَ . فَإِنَّ الكَريمَ لا يَتَوانى في حَقِّ صاحِبِهِ وَقَدْ كانَ في سابِقِ مَوَدَّتي مِنَ الفائِدَةِ وَالنَّفْعِ ما قَدْ رَأَيْتَ . وَأَنْتَ حَقيقٌ[4] أَنْ تُكافِئَني بِذٰلِكَ ، وَلا تَذْكُرَ العَداوَةَ الَّتي بَيْني وَبَيْنَكَ . فَالَّذي حَدَثَ بَيْني وَبَيْنَكَ مِنَ الصُّلْحِ حَقيقٌ أَنْ يُنْسِيَكَ ذٰلِكَ مَعَ ما في الوَفاءِ مِنَ الفَضْلِ وَالأَجْرِ ، وَما في الغَدْرِ مِنْ سُوءِ العاقِبَةِ . فَإِنَّ الكَريمَ لا يَكُونُ إِلاّ شَكُوراً غَيْرَ جُحُودٍ تُنْسيهِ الخَلَّةُ[5] الواحِدَةُ مِنَ الإِحْسانِ الخِلالَ الكَثيرَةَ مِنَ الإِساءَةِ . وَقَدْ يُقالُ : إِنَّ أَعْجَلَ العُقُوبَةِ عُقُوبَةُ الغَدْرِ وَمَنْ إِذا تُضُرِّعَ[6] إِلَيْهِ وَسُئِلَ العَفْوَ ، فَلَمْ يَرْحَمْ ، وَلَمْ

(١) أي لا تأكد من عدم خيانتك لي . (٢) قنطا . (٣) تهاونت . (٤) أهل.
(٥) الخصلة . (٦) استُعطف .

يَعِفُ ، فَقَدْ غَدَرَ . قالَ الْجُرَذُ : إنَّ الصَّديقَ صَديقانِ : طائِعٌ وَمُضْطَرٌّ ، وَكِلاهُما يَلْتَمِسانِ الْمَنْفَعَةَ وَيَحْتَرِسانِ مِنَ الْمَضَرَّةِ : فَأَمَّا الطّائِعُ فَيُسْتَرْسَلُ[1] إلَيْهِ وَيُؤْمَنُ في جَميعِ الأَحْوالِ . وَأَمَّا الْمُضْطَرُّ فَفي بَعْضِ الأَحْوالِ يُسْتَرْسَلُ إلَيْهِ وَفي بَعْضِها يُتَحَذَّرُ مِنْهُ . وَلا يَزالُ الْعاقِلُ يَرْتَهِنُ مِنْهُ بَعْضَ حاجاتِهِ لِبَعْضِ ما يَتَّقي وَيَخافُ[2] . وَلَيْسَ عاقِبَةُ التَّواصُلِ مِنَ الْمُتَواصِلِ إلاّ لِطَلَبِ عاجِلِ النَّفْعِ وَبُلوغِ مَأْمُولِهِ[3] . وَأَنا واقٍ لَكَ بِما جَعَلْتُ لَكَ ، وَمُحْتَرِسٌ مِنْكَ مَعَ ذٰلِكَ ، مِنْ حَيْثُ أَخافُكَ تَخَوُّفاً أَنْ يُصيبَني مِنْكَ ما أَلْجَأَني خَوْفُهُ إلى مُصالَحَتِكَ ، وَأَلْجَأَكَ إلى قَبُولِ ذٰلِكَ[4] مِنّي . فَإِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ حيناً فَما لَمْ يَكُنْ مِنْهُ في حِينِهِ فَلا حُسْنَ لِعاقِبَتِهِ[5] . وَأَنا قاطِعٌ حَبائِلَكَ كُلَّها ، غَيْرَ أَنّي تارِكٌ عُقْدَةً واحِدَةً أَرْتَهِنُكَ[6] بِها وَلا أَقْطَعُها إلاّ في السّاعَةِ الَّتي أَعْلَمُ أَنَّكَ فيها عَنّي مَشْغُولٌ . وَذٰلِكَ عِنْدَ مُعايَنَتي[7] الصَّيّادَ ثُمَّ إنَّ الْجُرَذَ أَخَذَ في قَطْعِ حَبائِلِ السِّنَّوْرِ . فَبَيْنَما هُوَ

---

(١) يطمأن اليه . (٢) أي والعاقل يحتفظ برهينة من عدوه لتكون صمام الأمان له منه في المستقبل . (٣) وليس التواصل من عدو لآخر إلا بدافع الرغبة في نفع عاجل وبلوغ قصد مأمول . (٤) أي وما احتراسي بهذا إلا بسبب خوفي من أن يصيبني منك مثل الذي كنت أخافه من ابن عرس والبوم . (٥) أي إن لكل عمل وقتاً مناسباً فما لم يقع من هذا العمل في وقته المناسب لا تؤمن عاقبته . (٦) أي أجعلك رهينة بها . (٧) رؤيتي .

كَذٰلِكَ إِذْ وافَى[1] الصَّيَّادُ . فَقالَ لَهُ السِّنَّوْرُ : الآنَ جاءَ الجِدُّ في قَطْعِ حَبائِلي فَأَجْهِدَ[2] الجُرَذُ نَفْسَهُ في القَرْضِ حَتَّى إِذا فَرَغَ وَثَبَ السِّنَّوْرُ إِلى الشَّجَرَةِ عَلى دَهَشٍ مِنَ الصَّيَّادِ . وَدَخَلَ الجُرَذُ بَعْضَ الأَجْحارِ[3] . وَجاءَ الصَّيَّادُ فَأَخَذَ حَبائِلَهُ مُقَطَّعَةً ثُمَّ انْصَرَفَ خائِباً[4] .

ثُمَّ إِنَّ الجُرَذَ خَرَجَ بَعْدَ ذٰلِكَ . وَكَرِهَ أَنْ يَدْنُوَ مِنَ السِّنَّوْرِ . فَنادَاهُ السِّنَّوْرُ ، أَيُّها الصَّدِيقُ النَّاصِحُ ذُو البَلاءِ[5] الحَسَنِ عِنْدِي ، ما مَنَعَكَ مِنَ الدُّنُوِّ إِلَيَّ ؟ لأُجازِيَكَ بِأَحْسَنِ ما أَسْدَيْتَ[6] إِلَيَّ . هَلُمَّ إِلَيَّ ، وَلا تَقْطَعْ إِخائي . فَإِنَّهُ مَنِ اتَّخَذَ صَدِيقاً وَقَطَعَ إِخاءَهُ وَأَضاعَ صَداقَتَهُ حُرِمَ ثَمَرَةَ إِخائِهِ ، وَأَيِسَ مِنْ نَفْعِهِ الإِخْوانُ وَالأَصْدِقاءُ . وَإِنَّ يَدَكَ[7] عِنْدِي لا تُنْسى . وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ تَلْتَمِسَ مُكافَأَةَ ذٰلِكَ مِنِّي وَمِنْ إِخْوانِي وَأَصْدِقائِي . وَلا تَخافَنَّ مِنِّي شَيْئاً . وَاعْلَمْ أَنَّ ما قِبَلي لَكَ مَبْذُولٌ[8] . ثُمَّ حَلَفَ وَاجْتَهَدَ عَلى صِدْقِهِ فِيما قالَ . فَنادَاهُ الجُرَذُ : رُبَّ صَداقَةٍ ظاهِرَةٍ بَاطِنُها عَداوَةٌ كامِنَةٌ[9] ، وَهِيَ أَشَدُّ مِنَ العَداوَةِ الظّاهِرَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْتَرِسْ مِنْها وَقَعَ مَوْقِعَ الرَّجُلِ الَّذي يَرْكَبُ نابَ الفِيلِ

---

(١) وصل . (٢) بذل كل جهوده (٣) جمع جحر . (٤) مخفقاً في مسعاه . (٥) الاختبار الجيد . (٦) أحسنت . (٧) نعمتك . (٨) أي أعلم بأنني مستعد لتقديم كل ما أستطيع أن أقوم به نحوك . (٩) مستترة .

الْمُغْتَلِمِ [1] . ثُمَّ يَغْلِبُهُ النُّعَاسُ فَيَسْتَيْقِظُ تَحْتَ فَرَاسِنِ [2] الفِيلِ ، فَيَدُوسُهُ وَيَقْتُلُهُ [3] وإِنَّمَا سُمِّيَ الصَّدِيقُ صَدِيقاً لِمَا يُرْجَى مِنْ نَفْعِهِ ، وإِنَّمَا سُمِّيَ الْعَدُوُّ عَدُوًّا لِمَا يُخَافُ مِنْ ضَرَرِهِ . وَالْعَاقِلُ إِذَا رَجَا نَفَعَ الْعَدُوِّ أَظْهَرَ لَهُ الصَّدَاقَةَ . وَإِذَا خَافَ ضَرَّ الصَّدِيقِ أَظْهَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ . أَلَا تَرَى تَتَبُّعَ الْبَهَائِمِ أُمَّهَاتِهَا [4] رَجَاءَ أَلْبَانِهَا ، فَإِذَا انْقَطَعَ ذَلِكَ انْصَرَفَتْ عَنْهَا . وَرُبَّمَا قَطَعَ الصَّدِيقُ عَنْ صَدِيقِهِ بَعْضَ مَا كَانَ يَصِلُهُ مِنْهُ فَلَمْ يَخَفْ شَرَّهُ ، [5] لأَنَّ أَصْلَ أَمْرِهِ لَمْ يَكُنْ عَدَاوَةً . فَأَمَّا مَنْ كَانَ أَصْلُ أَمْرِهِ عَدَاوَةً جَوْهَرِيَّةً [6] ، ثُمَّ أَحْدَثَ صَدَاقَةً لِحَاجَةٍ حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ إِذَا زَالَتِ الْحَاجَةُ الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ زَالَتْ صَدَاقَتُهُ ، فَتَحَوَّلَتْ عَدَاوَةً ، وَصَارَ [7] إِلَى أَصْلِ أَمْرِهِ : كَالْمَاءِ الَّذِي يُسَخَّنُ بِالنَّارِ ، فَإِذَا رُفِعَ عَنْهَا عَادَ بَارِداً . وَلَيْسَ مِنْ أَعْدَائِي عَدُوٌّ أَضَرَّ لِي مِنْكَ . وَقَدِ اضْطَرَّنِي وإِيَّاكَ حَاجَةٌ إِلَى مَا أَحْدَثْنَا مِنَ الْمُصَالَحَةِ وَقَدْ ذَهَبَ الأَمْرُ الَّذِي احْتَجْتَ إِلَيَّ وَاحْتُجْتُ الَيْكَ فِيهِ ، وأَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَعَ ذَهَابِهِ عَوْدُ الْعَدَاوَةِ وَلاخَيرَ لِلضَّعِيفِ

---

(١) الهائج . (٢) جمع فرسن بكسرتين بينهما سكون وهو للفيل والجمل كالقدم للانسان . (٣) أي لا يشعر بنفسه الا وقد وقع تحت خف الفيل فيدوسه ويقتله . (٤) الأم ويقال فيها أمة وأمهة وجمع الاولى والثانية أمات ، وجمع الثالثة أمهات . وقد فرق بعض اللغويين فقال (الامهات) للعاقل (والامات) لغيره . (٥) أي بسبب الصداقة التي بينهما . (٦) متأصلة بالطبع والخلقة . (٧) بمعنى رجع .

في قُرْبِ العَدُوِّ القويِّ، ولا للذَّليلِ في قُرْبِ العَدوِّ العزيزِ . ولا أعلَمُ لكَ قِبَلي [1] حاجَةً إلاّ أن تكونَ تُريدُ أكلي . ولا أعلَمُ لي قِبلكَ حاجَةً ، وليسَ عِندي بكَ ثِقَةٌ . فإني قَدْ عَلِمْتُ أنَّ الضَّعيفَ المحترِسَ من العدوِّ القويِّ أقربُ إلى السَّلامةِ من القوي إذا اغترَّ بالضَّعيف واسترْسَلَ إليهِ . والعاقِلُ يصالِحُ عدوَّه إذا اضطرَّ اليهِ ، ويُصانِعُه [2] ويظهرُ لهُ وُدَّهُ ، ويُريدُ من نَفْسِهِ الاسترْسالَ إليه إذا لمْ يَجِدْ من ذلكَ بُداً . ثمَّ يعجِّلُ الانصرافَ عنهُ حينَ يَجِدُ إلى ذلكَ سبيلاً . واعْلَمْ أنَّ سريعَ الاسترْسالِ لانْتقالُ عَثْرَتُهُ [3] . والعاقِلُ يَفي لمنْ صالَحَه من أعدائِه بما جعَلَ لهُ من نفْسِهِ [4] ، ولا يَثِقُ بِهِ كلَّ الثِّقَةِ . ولا يأْمَنُهُ على نَفْسِهِ من القُرْبِ منْهُ . وينبَغي أنْ يَبْعُدَ عَنْهُ ما اسْتَطاعَ . وأنا أوَدُّكَ من بعيدٍ ، وأُحِبُّ لكَ من البَقاءِ والسَّلامَةِ ما لَمْ أكُنْ أُحِبَّهُ لكَ منْ قَبْلُ ، ولا [5] عليْكَ أنْ تُجازِيَني على صَنيعي إلاَّ بِمِثْلِ ذلكَ ، إذْ لا سَبيلَ إلى اجتماعِنا والسَّلامُ .

---

(١) ولا أعتقد ان لك عندي حاجة غير الذي قمت به (٢) يداريه . (٣) لا تصح خطيئته . (٤) أي إن العاقل يفي للعدو بما التزمه له من العهد بقدر الضرورة فقط. (٥) (لا . بمعنى ليس . أي وليس عليك أن تكافئني على معروفي الا بمقدار ما قمت به نحوي من تبادل المنفعة في تخليص كل منا للآخر من ورطته الحرجة . ولا سبب لاجتماعنا بعد ذلك .

الباب الثامن

الملك والطائر فنزة

« مثل أهل التراتِ الذين لا يوثق بهم »

الملك والطائر قزة

قَالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبَا الفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتَ هذا المَثَلَ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ أَهْلِ التِّرَاتِ [١] الَّذِينَ لا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنَ اتِّقَاءِ [٢] بَعْضٍ قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ الهِنْدِ كَانَ يُقَالُ لَهُ (بَرِيدُونُ) وكَانَ لَهُ طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ : (فَنْزَةُ) وكَانَ لَهُ فَرْخٌ . وكَانَ هٰذَا الطَّائِرُ وفَرْخُهُ يَنْطِقَانِ بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ . وكَانَ المَلِكُ بِهِمَا مُعْجَباً . فَأَمَرَ بِهِمَا أَنْ يُجْعَلا عِنْدَ امْرَأَتِهِ ، وَأَمَرَهَا بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا . واتَّفَقَ أَنَّ امْرَأَةَ المَلِكِ ولَدَتْ غُلاماً . فَأَلِفَ الفَرْخُ الغُلامَ ، وكِلاهُمَا [٣] طِفْلانِ يَلْعَبَانِ جَمِيعاً . وكَانَ فَنْزَةُ يَذْهَبُ إِلَى الجَبَلِ كُلَّ يَوْمٍ فَيَأْتِي بِفَاكِهَةٍ لا تُعْرَفُ . فَيُطْعِمُ ابْنَ المَلِكِ شَطْرَهَا [٤] . وَيُطْعِمُ فَرْخَهُ شَطْرَهَا . فَأَسْرَعَ ذٰلِكَ فِي نَشْأَتِهِمَا [٥] ، وَزَادَ فِي شَبَابِهِمَا ، وبَانَ عَلَيْهِمَا أَثَرُهُ [٦] عِنْدَ المَلِكِ فَازْدَادَ لِفَنْزَةَ إِكْرَاماً وتَعْظِيماً ومَحَبَّةً . حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الأَيَّامِ

---

(١) التِّرات : جمع ترة بالكسر وهي الثأر . (٢) أي لا بد أن يحترس بعضهم من بعض . (٣) أي كل من الفرخ والغلام في عمر الطفولة ولذلك أحبا بعضهما واشتركا في اللعب معاً . (٤) نصفها . (٥) فساعدت هذه الفاكهة على نمائهما وترعرعهما . (٦) أي ظهر على الاثنين أثر هذا الطعام لدى الملك .

وفَنْزَةُ غَائِبٌ فِي اجْتِنَاءِ[1] الثَّمَرَةِ وفَرْخُهُ فِي حِجْرِ[2] الغُلَامِ ذَرَقَ[3] فِي حِجْرِهِ ، فَغَضِبَ الغُلَامُ وَأَخَذَ الفَرْخَ فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ فَمَاتَ . ثُمَّ إِنَّ فَنْزَةَ أَقْبَلَ فَوَجَدَ فَرْخَهُ مَقْتُولاً . فَصَاحَ وَحَزِنَ ، وَقَالَ : قُبْحاً[4] لِلْمُلُوكِ الَّذِينَ لاعَهْدَ لَهُمْ وَلا وَفَاءَ ! . وَيْلٌ[5] لِمَنِ ابْتُلِيَ بِصُحْبَةِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ لاحَمِيَّةَ لَهُمْ وَلاحُرْمَةَ[6] ، وَلا يُحِبُّونَ أَحَداً ، وَلا يَكْرُمُ عَلَيْهِمْ إِلاَّ إِذَا طَمِعُوا فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ غَنَاءٍ[7] ، وَاحْتَاجُوا إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ ، فَيُكْرِمُونَهُ لِذَلِكَ . فَإِذَا ظَفِرُوا بِحَاجَتِهِمْ مِنْهُ فَلا وُدَّ ، وَلا إِخَاءَ ، وَلا إِحْسَانَ ، وَلا غُفْرَانَ ذَنْبٍ ، وَلا مَعْرِفَةَ حَقٍّ ! . هُمُ الَّذِينَ أَمْرُهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى الرِّيَاءِ وَالفُجُورِ[8] ، وَهُمْ يَسْتَصْغِرُونَ مَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنْ عَظِيمِ الذُّنُوبِ ، وَيَسْتَعْظِمُونَ الْيَسِيرَ[9] إِذَا خُولِفَتْ فِيهِ أَهْوَاؤُهُمْ[10] . وَمِنْهُمْ هَذَا الكَفُورُ[11] الَّذِي لارَحْمَةَ لَهُ ، الْغَادِرُ بِأَلِيفِهِ[12] وَأَخِيهِ . ثُمَّ وَثَبَ فِي شِدَّةِ حَنَقِهِ[13] عَلَى وَجْهِ الغُلَامِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ وَطَارَ ، فَوَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ . ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَ الْمَلِكَ ذَلِكَ فَجَزِعَ أَشَدَّ الْجَزَعِ . ثُمَّ طَمِعَ أَنْ يُحْتَالَ لَهُ[14] . فَوَقَفَ قَرِيباً

---

(١) قطف . (٢) الحجر مثلثة : الحضن . (٣) ذرق الطائر رمى بسلحه . (٤) القبح مصدر ضد الحسن في القول أو الفعل أو الصورة . (٥) حلول الشر ، الهلاك ويدعى به لمن وقع في هلكة يستحقها . (٦) الحرمة : العهد . (٧) الغناء بالفتح والمد : النفع . (٨) البغي والتعدي . (٩) القليل . (١٠) أهواء جمع هوى وهو الميل والنزوع . (١١) الجاحد النعمة . (١٢) بصديقه الذي يألفه . (١٣) غضبه . (١٤) يحتال عليه ويخدعه .

مِنْهُ وَنَادَاهُ . وقالَ لَهُ : إنَّكَ آمِنٌ ، فَانْزِلْ يَافَنْزَةُ . فَقَالَ لَهُ — أَيُّهَا المَلِكُ — إنَّ الْغَادِرَ مَأْخُوذٌ[1] بِغَدْرِهِ ، وإنَّهُ إنْ أَخْطَأَهُ عَاجِلُ الْعُقُوبَةِ لَمْ يُخْطِئْهُ الآجِلُ[2] ، حَتَّى إنَّهُ يُدْرِكُ الأَعْقَابَ[3] وأَعْقَابَ الأَعْقَابِ . وإنَّ ابْنَكَ غَدَرَ بِابْنِي فَعَجَّلْتُ لَهُ الْعُقُوبَةَ . قَالَ المَلِكُ : لَعَمْرِي[4] قَدْ غَدَرْنَا بِابْنِكَ فَانْتَقَمْتَ مِنَّا ، فَلَيْسَ لَكَ قِبَلَنَا ولا لَنَا قِبَلَكَ وِتْرٌ[5] مَطْلُوبٌ . فَارْجِعْ إلَيْنَا آمِناً . قَالَ فَنْزَةُ : لَسْتُ بِرَاجِعٍ إلَيْكَ أَبَداً . فَإنَّ ذَوِي الرَّأْيِ قَدْ نَهَوْا عَنْ قُرْبِ المَوْتُورِ[6] . فَإنَّهُ لايَزِيدُكَ لُطْفُ الْحَقُودِ وَلِينُهُ وتَكْرِمَتُهُ إيَّاكَ إلاَّ وَحْشَةً مِنْهُ ، وسُوءَ ظَنٍّ بِهِ . فَإنَّكَ لاتَجِدُ لِلْحَقُودِ المَوْتُورِ أَماناً هُوَ أَوْثَقُ لَكَ مِنَ الذُّعْرِ مِنْهُ ، ولا أَجْوَدُ مِنَ الْبُعْدِ عَنْهُ . والاحْتِرَاسُ مِنْهُ أَوْلَى . وقَدْ كَانَ يُقَالُ : إنَّ الْعَاقِلَ يَعُدُّ أَبَوَيْهِ أَصْدِقَاءَ ، والإِخْوَةَ رُفَقَاءَ ، والأَزْوَاجَ أُلَفَاءَ ، والْبَنِينَ ذِكْراً والْبَنَاتِ خُصَمَاءَ ، والأَقَارِبَ غُرَمَاءَ[7] ، ويَعُدُّ نَفْسَهُ فَرِيداً[8] . وأَنَا

---

(١) أي معاقب بغدره . (٢) الآجل : خلاف العاجل ، وهو البعيد المؤجل .
(٣) الأعقاب : جمع عقب بالفتح وهو الولد ، وقد يطلق على ولد الولد . (٤) تركيب يفيد القسم . (٥) الوتر بالكسر : الثأر والمعنى إنك بعد أن فقأت عين ولدي تعادلنا في الاعتداء ولم يبق لأي واحد منا الحق بطلب الثأر . (٦) الموتور : الذي قتل له القتيل ولم يأخذ بثأره ، أي إن اقترابك مني وأنا الموتور بقتل ولدي يضرك ولا ينفعك .
(٧) جمع غريم : وهو العدو . (٨) وحيداً .

ٱلفَرِيدُ ٱلوَحِيدُ ٱلغَرِيبُ ٱلطَّرِيدُ قَدْ تَزَوَّدْتُ[1] مِنَ ٱلحُزْنِ عِبْئاً ثَقِيلاً لا يَحْمِلُهُ مَعِي أَحَدٌ . وأَنَا ذَاهِبٌ ، فَعَلَيْكَ مِنِّي السَّلامُ .

قَالَ المَلِكُ : إِنَّكَ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدِ ٱجْتَزَيْتَ مِنَّا فِيمَا صَنَعْنَاهُ بِكَ[2] . أَوْ كَانَ صَنِيعُكَ بِنَا مِنْ غَيْرِ ٱبْتِدَاءٍ مِنَّا بِالغَدْرِ كَانَ الأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ[3] . فَأَمَّا إِذْ كُنَّا نَحْنُ بَدَأْنَاكَ فَمَا ذَنْبُكَ ؟ وَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ ٱلثِّقَةِ بِنَا ؟ هَلُمَّ[4] فَارْجِعْ . فَإِنَّكَ آمِنٌ . قَالَ فَنْزَةُ : ٱعْلَمْ أَنَّ الأَحْقَادَ لَهَا فِي ٱلقُلُوبِ مَوَاقِعُ[5] مُمَكِّنَةٌ مُوجِعَةٌ ، فَالأَلْسُنُ لا تَصْدُقُ فِي خَبَرِهَا عَنِ القُلُوبِ ، والقَلْبُ أَعْدَلُ عَلَى القَلْبِ شَهَادَةً مِنَ اللِّسَانِ[6] . وقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ قَلْبِي لا يَشْهَدُ لِلِسَانِكَ ، ولا قَلْبُكَ لِلِسَانِي . قَالَ المَلِكُ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الضَّغَائِنَ والأَحْقَادَ تَكُونُ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ؟ فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ كَانَ عَلَى إِمَاتَةِ الحِقْدِ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى تَرْبِيَتِهِ[7] . قَالَ فَنْزَةُ : إِنَّ ذَلِكَ لَكَمَا ذَكَرْتَ[8] . وَلَكِنْ لَيْسَ يَنْبَغِي لِذِي الرَّأْيِ مَعَ ذَلِكَ

---

(١) أي حملت من الاحزان التي سببتموها لي ما هو عبء ثقيل لا يشركني في حمله أحد . (٢) جازيتنا واقتصصت منا . (٣) أي من وجوب الابتعاد عن الموتور والاحتراس منه وسوء الظن به الخ . (٤) فعل أمر بمعنى أقبل . (٥) أى ان الضغائن لها في قلوب المتعادين أماكن مستقرة تتمكن فيها وتثبت . (٦) أي ان شهادة القلب على القلب الآخر أكثر صدقاً وعدلاً من شهادة اللسان الذي لا يتمكن من سبر غور القلوب . (٧) وذلك بالاسترسال معه وتغذيته بالخواطر السيئة . (٨) أي حقيقة إن إماتة الحقد خير من تقويته والاسترسال معه .

أَنْ يَظُنَّ أَنَّ المَوْتُورَ الحَقُودَ نَاسٍ مَاوُتِرَ بِهِ ، ولا مَصْرُوفٌ[1] عَنْه فِكْرُهُ فِيهِ . وذُو الرَّأْيِ يتَخَوَّفُ المَكْرَ والخَدِيعَةَ والحِيَلَ ، ويَعْلَمُ أَن كَثِيراً مِنَ العَدُوِّ لا يُسْتَطَاعُ بِالشِّدَّةِ والمُكابَرَةِ حَتَّى يُصَادَ بالرِّفْقِ والمُلايَنَةِ[2] كَمَا يُصَادُ الفِيلُ الوَحْشِيُّ بالفِيلِ الدَّاجِنِ[3] . قَالَ المَلِكُ : إِنَّ العَاقِلَ الكَرِيمَ لا يَتْرُكُ إِلْفَهُ[4] ولا يَقْطَعُ الحِفَاظَ[5] ، وإِنْ هُوَ خَافَ عَلى نَفْسِهِ ، حَتَّى إِنَّ هٰذَا الخُلُقَ يَكُونُ فِي أَوْضَعِ[6] الدَّوَابِّ مَنْزِلَةً . فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّعَّابِينَ يَلْعَبُونَ بالكِلابِ ثُمَّ يَذْبَحُونَهَا ويَأْكُلُونَهَا . ويَرَى الكَلْبُ الَّذِي قَدْ أَلِفَهُمْ ذٰلِكَ فَلا يَدْعُوهُ إِلى مُفَارَقَتِهِمْ ، ولا يَمْنَعُهُ مِنْ أُلْفَتِهِ إِيَّاهُمْ . قالَ فَنزَةُ : إِنَّ الأَحْقَادَ مَخُوفَةٌ[7] حَيْثُمَا كَانَتْ . فَأَخْوَفُهَا وأَشَدُّهَا مَاكَانَ فِي أَنْفُسِ المُلُوكِ ، فَإِنَّ المُلُوكَ يَدِينُونَ بالانْتِقَامِ[8] ، ويَرَوْنَ الدَّرْكَ[9] والطَّلَبَ بالوِتْرِ[10] مَكْرُمَةً[11] وفَخْراً . وإِنَّ العَاقِلَ لا يَغْتَرُّ بِسُكُونِ الحِقْدِ إِذَا سَكَنَ . فَإِنَّمَا مَثَلُ الحِقْدِ فِي القَلْبِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مُحَرِّكاً مَثَلُ الجَمْرِ المَكْنُونِ[12] مَالَمْ يَجِدْ حَطَباً ، فَلَيْسَ يَنْفَكُّ

---

(١) أي ولا ينصرف تفكيره فيه عن نفسه . (٢) اي ان كثيرا من الاعداد لا يمكن التغلب عليهم بالشدة والمخاصمة بل بالرفق والملاينة . (٣) الفيل الداجن : الاليف . (٤) رفيقه . (٥) لايترك المحافظة عليه (٦) من الوضاعة وهي الحقارة . (٧) مخيفة . (٨) من دانه يدينه دينا أي جازاه . (٩) اللحاق . (١٠) اي المطالبة بالثأر . (١١) فضيلة . (١٢) المستتر بالرماد .

الحِقْدُ مُتَطَلِّعاً إلى العِلَل [1] كما تَبْتَغِي النَّارُ الحَطَبَ ، فَإِذَا وَجَدَ عِلَّةً اسْتَعَرَ اسْتِعَارَ [2] النَّارِ ، فلا يُطْفِئُهُ حُسْنُ كَلامٍ ، ولا لِينٌ ، ولا رِفْقٌ ولا خُضُوعٌ ، ولا تَضَرُّعٌ ، ولا مُصَانَعَةٌ ، ولا شَيْءٌ دُونَ تَلَفِ الأَنْفُسِ مَعَ أَنَّهُ رُبَّ وَاتِرٍ [3] يَطْمَعُ في مُرَاجَعَةِ المَوْتُورِ بِما يَرْجُو أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ مِنَ النَّفْعِ لَهُ والدَّفْعِ عَنْهُ . ولكِنِّي أَنَا أَضْعَفُ عَنْ أَنْ أَقْدِرَ على شَيْءٍ يَذْهَبُ بِهِ مَافي نَفْسِكَ [4] ولَوْ كانتْ نَفْسُكَ مُنْطَوِيَةً [5] لي على مَاتَقُولُ مَاكانَ ذٰلِكَ عَنِّي مُغْنِياً ، ولا أَزَالُ في خَوْفٍ ووَحْشَةٍ وسُوءِ ظَنٍّ مَا اصْطَحَبْنَا [6] . فَلَيْسَ الرَّأْيُ بَيْنِي وبَيْنَكَ إلاَّ الفِرَاقَ ، وأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ .

قَالَ المَلِكُ : لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ لأَحَدٍ ضَرًّا ولا نَفْعاً وأَنَّهُ لاشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ صَغِيراً ولا كَبِيراً يُصِيبُ أَحَداً إلاَّ بِقَضَاءٍ وقَدَرٍ مَعْلُومٍ : وكَمَا أَنَّ خَلْقَ مَايُخْلَقُ ووِلادَةَ مَايُولَدُ وبَقَاءَ مَا يَبْقَى

(١) الاسباب ، والمعنى ان الحقد يظل يتطلع لإيجاد أسباب يتعلق بها للانتقام كما تتطلع النار الى الحطب ليزيد اشتعالها . (٢) شدة اتقادها . (٣) الواتر هو المعتدي ويقصد أنه قد يوجد معتد يحرص على مصالحة المعتدى عليه ومعاملته بالحسنى لينال منه شيئاً من النفع هو ضمن مقدوره . (٤) اي انني لا أملك القدرة على محو ماضي نفسك من حسرة على ولدك وحقد عليّ بعد أن فقأت عينه . (٥) أي على افتراض أن نفسك حقيقة تنطوي على ماتدعيه من نسيان الحقد والمسامحة فان ذلك لا ينفعني شيئاً ولا يقربني منك . (٦) (ما) هنا مصدرية ظرفية أي مدة اصطحابنا .

ليسَ إلى الخلائقِ [1] منهُ شيءٌ : كذلكَ فناءُ مايفنى وهلاكُ مايهلكُ . وليسَ لكَ في الذي صنعتَ بابني ذنبٌ ، ولا لابني فيما صنعَ بابنكَ ذنبٌ ، إنّما كانَ ذلكَ كلُّهُ قدراً مقدوراً [2] . وكلانا لهُ علّةٌ [3] فلا نؤاخذُ بما أتانا بهِ القدرُ . قالَ فنزةُ : إنَّ القدرَ لكما ذكرتَ ، لكنْ لاتمنعُ ذلكَ الحازمَ منْ توقّي المخاوفِ والاحتراسِ منَ المكارهِ. ولكنّهُ يجمعُ تصديقاً بالقدرِ وأخذاً بالحزمِ والقوّةِ [4] . وأنا أعلمُ أنّكَ تكلّمُني بغيرِ مافي نفسكَ . والأمرُ بيني وبينكَ غيرُ صغيرٍ : لأنَّ ابنكَ قتلَ ابني ، وأنا فقأتُ عينَ ابنكَ ، وأنتَ تريدُ أنْ تشتفيَ بقتلي وتختلني [5] عنْ نفسي . والنفسُ تأبى الموتَ . وقدْ كانَ يقالُ : الفاقةُ [6] بلاءٌ ، والحزنُ بلاءٌ ، وقربُ العدوِّ بلاءٌ ، وفراقُ الأحبّةِ بلاءٌ . والسقمُ [7] بلاءٌ ، والهرمُ [8] بلاءٌ ورأسُ البلايا [9] كلّها الموتُ . وليسَ أحدٌ بأعلمَ بما في نفسِ الموجعِ الحزينِ ممّنْ ذاقَ مثلَ

---

(١) أي لا تملك المخلوقات من أمره شيئاً وانما تخضع فيه لما كتب لها الله . (٢) مقدراً أو مكتوباً من الازل . (٣) أي ان كل واحد منا كأنه سبب لهذا المقدور حتى يقع كما قُدر . (٤) أي إن الحازم لايمنعه إيمانه بالقضاء والقدر من الأخذ بالحزم والقوة أيضاً في عمل ما يقوم به من أعمال . (٥) أي تريد أن تتشفى بقتلي وتخدعني لتنتقم مني (٦) الفقر الشديد أي ان الفقر المدقع مصيبة كبرى . (٧) المرض (٨) الشيخوخة . (٩) جمع بلاء .

مَا بِهِ[1] . فَأَنَا بِمَا فِي نَفْسِي عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِكَ لِلْمَثَلِ[2] الَّذِي عِنْدِي مِنْ ذٰلِكَ . ولا خَيْرَ لِي فِي صُحْبَتِكَ[3] ، لأَنَّكَ لَنْ تَتَذَكَّرَ صَنِيعِي بِابْنِكَ ولَنْ أَتَذَكَّرَ صَنِيعَ ٱبْنِكَ بِابْنِي إِلاَّ أَحْدَثَ ذٰلِكَ لِقُلُوبِنَا تَغْيِيراً .

قَالَ ٱلْمَلِكُ : لاَخَيْرَ[4] فِيمَنْ لاَيَسْتَطِيعُ الإِعْرَاضَ[5] عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَيَتْسَاهُ وَيُهْمِلُهُ حَتَّى لاَيَذْكُرَ مِنْهُ شَيْئاً ، ولاَيَكُونَ لَهُ فِي نَفْسِهِ مَوْقِعٌ[6] قَالَ فَنْزَةُ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي فِي بَاطِنِ قَدَمِهِ قُرْحَةٌ[7] إِنْ هُوَ حَرَصَ عَلَى ٱلْمَشْيِ فَلاَ بُدَّ أَنْ تُنْكِأَ[8] قُرْحَتُهُ والرَّجُلَ الأَرْمَدَ ٱلْعَيْنِ[9] إِذَا ٱسْتَقْبَلَ بِهَا الرِّيحَ تَعَرَّضَ لأَنْ تَزْدَادَ رَمَداً . وكَذٰلِكَ الْوَاتِرُ إِذَا دَنَا مِنَ ٱلْمَوْتُورِ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلاَكِ . ولا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الدُّنْيَا إِلاَّ تَوَقِّيَ ٱلْمَهَالِكِ والْمَتَالِفِ[10] ، وتَقْدِيرُ الأُمُورِ ، وَقِلَّةُ ٱلإِتِّكَالِ عَلَى الْحَوْلِ[11] والْقُوَّةِ ، وقِلَّةُ ٱلإِعْتِزَارِ بِمَنْ لاَيُؤْمَنُ . فَإِنَّهُ مَنِ ٱتَّكَلَ عَلَى قُوَّتِهِ فَحَمَلَهُ[12]

---

(١) أي لا يوجد أحد يعلم بمقدار آلام المحزون مثل من وقع في مصيبة مشابهة لمصيبتة وذاق الآلام مثله . (٢) أي فأنا أعلم بما في نفسك أيها الملك من حزن على ولدك لأنني أقاسي مثل هذا الحزن على ولدي أيضاً . (٣) ولا نفع لي في مصادقتك بعد الذي وقع بيننا . (٤) لا نفع . (٥) الانصراف . (٦) أثر ومكانة . (٧) القرحة ما يخرج بالبدن من البثور والدمامل . (٨) يقال : نكأ القرحة من باب قطع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت (٩) المصاب بالرمد . (١٠) ما يتلف الانسان (١١) بمعنى القوة والاستطاعة . (١٢) فدفعه ذلك .

ذَلِكَ على أَنْ يَسْلُكَ الطَّرِيقَ الْمَخُوفَ، فَقَدْ سَعَى في حَتْفِ نَفْسِهِ [1] ومَنْ لا يُقَدِّرُ لِطَاقَتِهِ [2] طَعَامَهُ وشَرَابَهُ وحَمَّلَ نَفْسَهُ مَالا تُطِيقُ ولا تَحْمِلُ فَقَدْ قَتَلَ نَفْسَهُ ومَنْ لا يُقَدِّرُ لُقْمَتَهُ وعَظَّمَهَا فَوْقَ مَا يَسَعُ فُوهُ [3] فَرُبَّمَا غَصَّ بِهَا فَمَاتَ . ومَنِ اغْتَرَّ بِكَلامِ عَدُوِّهِ وانْخَدَعَ لَهُ وضَيَّعَ الْحَزْمَ فَهُوَ أَعْدَى لِنَفْسِهِ مِنْ عَدُوِّهِ . ولَيْسَ لأَحَدٍ النَّظَرُ في القَدَرِ الَّذِي لا يَدْرِي مَا يَأْتِيهِ مِنْهُ ، ولا مَا يُصْرَفُ [4] عَنْهُ . ولَكِنْ عَلَيْهِ العَمَلُ بِالْحَزْمِ والأَخْذُ بِالْقُوَّةِ ومُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ في ذلكَ . والعَاقِلُ لا يَثِقُ بِأَحَدٍ مَا اسْتَطَاعَ ولا يُقِيمُ عَلى خَوْفٍ وهُوَ يَجِدُ عَنْهُ مَذْهَباً [5] . وأَنَا كَثِيرُ الْمَذَاهِبِ . وأَرْجُو أَلاَّ أَذْهَبَ وَجْهاً إِلاَّ أَصَبْتُ فِيهِ مَا يُغْنِينِي [6] . فَإِنَّ خِلالاً خَمْساً مَنْ تَزَوَّدَهُنَّ كَفَيْنَهُ في كُلِّ وَجْهٍ [7] ، وآنَسْنَهُ في كُلِّ غُرْبَةٍ ، وقَرَّبْنَ لَهُ الْبَعِيدَ ، وأَكْسَبْنَهُ الْمَعَاشَ والإِخْوَانَ : أُولاهُنَّ كَفُّ الأَذَى . والثَّانِيَةُ حُسْنُ الأَدَبِ ، والثَّالِثَةُ مُجَانَبَةُ الرِّيبِ [8] ، والرَّابِعَةُ كَرَمُ

---

(١) قتل نفسه . (٢) لقدرته وامكانياته اي ومن حمل نفسه من الطعام والشراب أكثر مما تحتمل جنى عليها وأهلكها . (٣) فوه : فمه وهي من الأسماء الخمسة تنصب بالألف وترفع بالواو وتجر بالياء والمعنى ان الذي يضع في فمه لقمة كبيرة لا يسعها ربما يغص بها ويهلك . (٤) أي لايستطيع أحد أن يتحكم بأمر القدر فيعرف مثلا ما سيأتي منه في المستقبل لأنه لا يعلم بذلك إلا الله عز وجل . (٥) أي ولا يرضى بأن يظل خائفاً ولديه طريق لصرف هذا الخوف عنه . (٦) أي واني آمل بأن لا أتجه اتجاهاً ما إلا وجدت فيه ما ينفعني . (٧) أي استغنى بهن في كل النواحي . (٨) الابتعاد عن الهمّ والشكوك .

الْخُلُقِ . والخَامِسَةُ النُّبْلُ[1] في العَمَلِ . وإذَا خَافَ الإنْسَانُ عَلى نَفْسِهِ شَيْئاً طَابَتْ نَفْسُهُ عَنِ المَالِ والأَهْلِ والوَلَدِ والوَطَنِ[2] ، فَإنَّهُ يَرْجُو الخَلَفَ مِنْ ذلِكَ كُلِّهِ ، ولا يَرْجُو عَنِ النَّفْسِ خَلَفاً . وشَرُّ المَالِ مَالا إنْفَاقَ مِنْهُ ، وشَرُّ الأَزْوَاجِ التي لا تُوَاتِي بَعْلَهَا[3] ، وشَرُّ الوَلَدِ العَاصِي العَاقُّ لِوَالِدَيْهِ[4] ، وشَرُّ الإخْوَانِ الخَاذِلُ لأَخِيهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ[5] ، وشَرُّ المُلُوكِ الَّذي يَخَافُهُ البَرِيءُ ولا يُوَاظِبُ[6] عَلى حِفْظِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وشَرُّ البِلادِ بِلادٌ لا خِصْبَ[7] فِيهَا ولا أَمْنَ . وإنَّهُ لا أَمْنَ لِي عِنْدَكَ — أَيُّهَا المَلِكُ ولا طُمَأْنِينَةَ لِي في جِوَارِكَ . ثُمَّ وَدَّعَ المَلِكَ وطَارَ فَهَذَا مَثَلُ ذَوِي الأَوْتَارِ الَّذِينَ لا يَنْبَغِي لِبَعْضِهِمْ أَنْ يَثِقَ بِبَعْضٍ .

(١) النبل بالضم : الذكاء والنجابة . (٢) أي هان عليه بذل المال والأهل والولد والوطن مع هذا الخوف لأنه يأمل بأن يعوّض كل ذلك . واما نفسه فقد يضن بها لأنه لا يوجد خلفاً لها . (٣) لا توافق زوجها . (٤) العقوق : سوء معاملة الوالدين ، ونكران جميلهما . (٥) المتخلي عن مناصرته عند الحاجة ووقوع الشدائد والمصائب . (٦) يداوم . (٧) أي لا أرض منتجة صالحة للزرع ولا طمأنينة لنفوس السكان .

الباب التاسع

الأسد وابن آوى

« مَثَلُ المَلِك الذي يُراجع من أصابتْهُ منه عقوبةٌ من غير جُرْم
أو جَفْوَةٌ من غير ذنب »

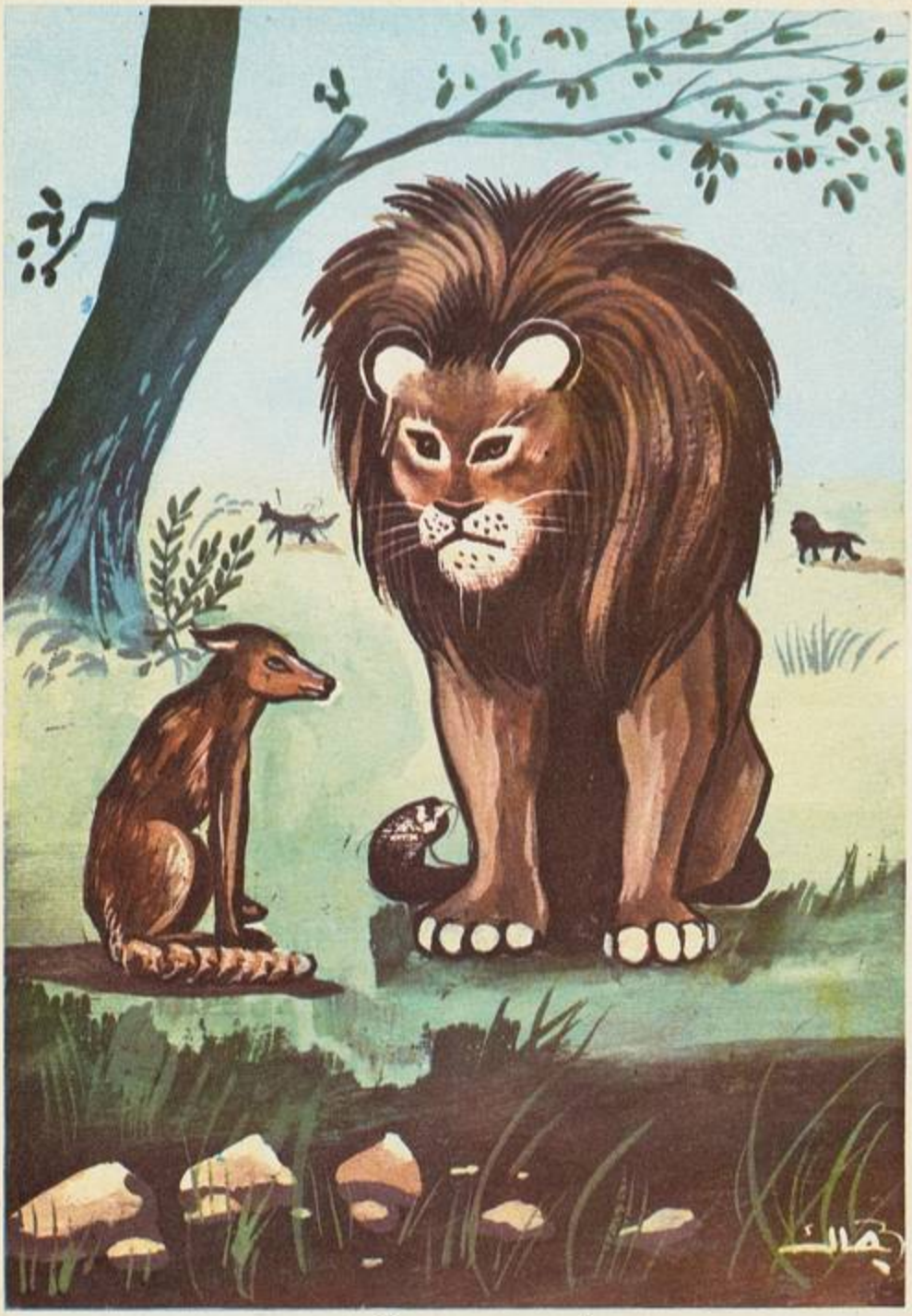

الأسد وابن آوى

قالَ دَبْشَليمُ المَلِكُ لِبَيْدَبا الفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذا المَثَلَ . فَاضْرِبْ لي مَثَلَ المَلِكِ الَّذي يُراجِعُ مَنْ أَصابَتْهُ مِنْهُ عُقُوبَةٌ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ، أَوْ جَفْوَةٌ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ[1] . قالَ الفَيْلَسُوفُ : إِنَّ المَلِكَ لَوْ لَمْ يُراجِعْ مَنْ أَصابَتْهُ مِنْهُ جَفْوَةٌ[2] عَنْ ذَنْبٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ظُلِمَ أَوْ لَمْ يُظْلَمْ لَأَضَرَّ ذٰلِكَ بِالأُمُورِ . وَلٰكِنَّ المَلِكَ حَقيقٌ أَنْ يَنْظُرَ في حالِ مَنِ ابْتُلِيَ[3] بِذٰلِكَ ، وَيَخْبُرَ[4] ما عِنْدَهُ مِنَ المَنافِعِ . فَإِنْ كانَ مِمَّنْ يُوثَقُ بِهِ في رَأْيِهِ وَأَمانَتِهِ ، فَإِنَّ المَلِكَ حَقيقٌ بِالحِرْصِ عَلى مُراجَعَتِهِ ، فَإِنَّ المُلْكَ لا يُسْتَطاعُ ضَبْطُهُ إِلاّ مَعَ ذَوي الرَّأْيِ . وَهُمُ الوُزَراءُ وَالأَعْوانُ . وَلا يُنْتَفَعُ بِالوُزَراءِ وَالأَعْوانِ[5] إِلاّ بِالمَوَدَّةِ وَالنَّصيحَةِ . وَلا مَوَدَّةَ وَلا نَصيحَةَ إِلاّ لِذَوي الرَّأْيِ وَالعَفافِ[6] . وَأَعْمالُ السُّلْطانِ كَثيرَةٌ ، وَالَّذينَ يُحْتاجُ إِلَيْهِمْ مِنَ العُمّالِ وَالأَعْوانِ كَثيرُونَ ، وَمَنْ يَجْمَعُ مِنْهُمْ ما ذَكَرْتُ مِنَ النَّصيحَةِ وَالعَفافِ قَليلٌ . وَالمَثَلُ في ذٰلِكَ مَثَلُ الأَسَدِ وَابْنِ آوَى . قالَ المَلِكُ : وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟ !

---

(١) أي يعيد الى خدمته الشخص الذي عوقب من قبله من غير ذنب ، أو أبغض وأبعد من غير سبب . (٢) كره ، وفتور في العلاقة . (٣) أي إن الملك جدير أن ينظر في وضع من امتحن بالعقاب أو أصيب بالجفاء منـــه . (٤) بمعنى : يختبر . (٥) المعاونون ، المساعدون . (٦) العفة والنزاهة .

قالَ ٱلفَيلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ ابْنَ آوَى كانَ يَسْكُنُ في بَعْضِ الدِّحالِ[1] وَكانَ مُتَزَهِّداً مُتَعَفِّفاً مَعَ بَناتِ آوَى وَذِئابٍ وَثَعالِبَ وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ ما يَصْنَعْنَ ، وَلا يُغِيرُ[2] كَما يُغِرْنَ ، وَلا يُهَرِيقُ دَماً ، وَلا يَأْكُلُ لَحْماً فَخاصَمَتْهُ تِلْكَ السِّباعُ ، وَقُلْنَ : لا نَرْضَى بِسِيرَتِكَ[3] ، وَلا رَأْيِكَ الَّذي أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزَهُّدِكَ ! مَعَ أَنَّ تَزَهُّدَكَ لا يُغْنِي[4] عَنْكَ شَيْئاً . وَأَنْتَ لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ إِلاّ كَأَحَدِنا تَسْعَى مَعَنا[5] وَتَفْعَلُ فِعْلَنا. فَما الَّذي كَفَّكَ عَنِ الدِّماءِ ؟ وَعَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ ؟ قالَ ابْنُ آوَى : إِنَّ صُحْبَتِي إِيَّاكُنَّ لا تُؤْثِمُنِي[6] إِذا لَمْ أُؤْثِمْ نَفْسي ، لِأَنَّ الآثامَ لَيْسَتْ مِنْ قِبَلِ الأَماكِنِ وَالأَصْحابِ ، وَلٰكِنَّها مِنْ قِبَلِ ٱلْقُلُوبِ وَالأَعْمالِ[7] . وَلَوْ كانَ صاحِبُ ٱلْمَكانِ الصّالِحِ يَكُونُ عَمَلُهُ فيهِ صالِحاً وَصاحِبُ ٱلْمَكانِ السَّيِّءِ يَكُونُ عَمَلُهُ فيهِ سَيِّئاً كانَ حِينَئِذٍ مَنْ قَتَلَ النّاسِكَ في مِحْرابِهِ[8] لَمْ يَأْثَمْ . وَمَنِ ٱسْتَحْياهُ[9] في مَعْرَكَةِ ٱلْقِتالِ أَثِمَ[10] . وَإِنِّي إِنَّما صَحِبْتُكُنَّ

(١) الدحال بالكسر : جمع دحل بالفتح وبضم وهو ثقب ضيق فمه ، متسع أسفله حتى يستطاع أن يمشي فيه . (٢) أي ولا يعتدي على الآخرين كما هو شأن غيره من الحيوانات ولا يريق دم فريسة مما هو أضعف منه شأناً . (٣) بخطتك وطريقتك . (٤) أي لا يعود عليك بأي نفع . (٥) أي تفتش عن الصيد وتسعى بطعامك . (٦) أي لا توقعني في الإثم طالما أنا بعيد عن ارتكابه . (٧) أي فالذنوب إنما تأتى بسبب سوء المكان أو الاصحاب . (٨) المحراب : من معانيه أشرف أماكن البيت ، وأريد به هنا موضع تعبده . (٩) أبقاه حياً . (١٠) ارتكب إثماً : أي ذنباً .

بِنَفْسي ، وَلَمْ أَصْحَبْكُنَّ بِقَلْبي وَأَعمالي ، لِأَنِّي أَعرفُ ثَمَرَةَ [1] الأَعمالِ، فَلَزِمْتُ حالي [2] . وَثَبَتَ ابْنُ آوى عَلى حالِهِ تِلْكَ ، وَاشْتَهَرَ بِالنُّسْكِ وَالتَّزَهُّدِ حَتَّى بَلَغَ ذٰلِكَ أَسَداً كانَ مَلِكَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ . فَرَغِبَ فيهِ لِما بَلَغَهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْعَفافِ وَالنَّزاهَةِ وَالزُّهْدِ وَالأَمانَةِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعيهِ. فَلَمَّا حَضَرَ كَلَّمَهُ وَآنَسَهُ فَوَجَدَهُ في جَميعِ الأُمورِ وَفْقَ [3] غَرَضِهِ ، ثُمَّ دَعاهُ بَعْدَ أَيّامٍ إِلى صُحْبَتِهِ . وَقالَ لَهُ : تَعْلَمُ أَنَّ عُمّالي كَثيرٌ وَأَعْواني جَمٌّ غَفيرٌ [4] ، وَأَنا مَعَ ذٰلِكَ إِلى الأَعْوانِ مُحْتاجٌ . وَقَدْ بَلَغَني عَنْكَ عَفافٌ وَأَدَبٌ وَعَقْلٌ وَدينٌ ، فَازْدَدْتُ فيكَ رَغْبَةً ، وَأَنا مُوَلِّيكَ مِنْ عَمَلي جَسيماً [5] ، وَرافِعُكَ إِلى مَنْزِلَةٍ شَريفَةٍ ، وَجاعِلُكَ مِنْ خاصَّتي [6] . قالَ ابْنُ آوى : إِنَّ ٱلْمُلُوكَ أَحِقّاءُ [7] بِاخْتِيارِ الأَعْوانِ فيما يَهْتَمُّونَ بِهِ مِنْ أَعْمالِهِمْ وَأُمورِهِمْ ، وَهُمْ أَحْرى أَلاّ يُكْرِهُوا عَلى ذٰلِكَ أَحَداً . فَإِنَّ ٱلْمُكْرَهَ لا يَسْتَطيعُ ٱلْمُبالَغَةَ [8] في ٱلْعَمَلِ . وَإِنِّي لِعَمَلِ السُّلْطانِ كارِهٌ ، وَلَيْسَ لي بِهِ تَجْرِبَةٌ [9] ، وَلا بِالسُّلْطانِ رِفْقٌ [10] . وَأَنْتَ مَلِكُ السِّباعِ ،

---

(١) نتيجة الأعمال . (٢) ثابرت على طريقتي هذه . (٣) أي موافقاً لمراده .
(٤) جمع كثير . (٥) أي مكلفك من أعمالي ما هو هام خطير . (٦) المقربين إليّ .
(٧) جمع حقيق بمعنى جدير . (٨) أي ان من مكره على عمل لا يستطيع اتقانه والمثابرة عليه . (٩) اي ليس لي به خبرة . (١٠) الرفق: لين الجانب واللطف ، ما استُعين به .

وَعِنْدَكَ مِنْ أَجْنَاسِ الْوُحُوشِ عَدَدٌ كَبِيرٌ ، فِيهِمْ أَهْلُ نُبْلٍ وَقُوَّةٍ ، وَلَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ حِرْصٌ ، وَعِنْدَهُمْ بِـــهِ وَبِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ ، فَإِنِ اسْتَعْمَلْتَهُمْ أَغْنَوْا[1] عَنْكَ ، وَاغْتَبَطُوا لأَنْفُسِهِمْ بِمَا أَصَابُوهُمْ مِنْ ذَلِكَ[2] . قَالَ الأَسَدُ : دَعْ عَنْكَ[3] هٰذا ، فَإِنِّي غَيْرُ مُعْفِيكَ مِنَ الْعَمَلِ . قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّمَا يَسْتَطِيعُ خِدْمَةَ السُّلْطَانِ رَجُلانِ ، لَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا : إِمَّـــا فَاجِرٌ مُصَانِعٌ[4] يَنَالُ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ ، وَيَسْلَمُ بِمُصَانَعَتِهِ ، وَإِمَّا مُغَفَّلٌ[5] لا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ ! فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْدُمَ السُّلْطَانَ بِالصِّدْقِ وَالْعَفَـــافِ فَلا يَخْلِطُ ذٰلِكَ بِمُصَانَعَتِهِ . وَحِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَسْلَمَ عَلَى ذٰلِكَ ، لأَنَّـهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ[6] وَالْحَسَدِ : أَمَّا الصَّدِيقُ فَيُنَافِسُهُ فِي مَنْزِلَتِهِ ، وَيَبْغِي عَلَيْهِ[7] فِيهَا ، وَيُعَادِيهِ لأَجْلِهَا . وَأَمَّا عَدُوُّ السُّلْطَانِ فَيَضْطَغِنُ[8] عَلَيْهِ لِنَصِيحَتِهِ لِسُلْطَانِهِ وَإِغْنَائِهِ عَنْهُ[9] . فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هٰذَانِ الصِّنْفَانِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلاكِ . قَالَ الأَسَدُ : لا يَكُونَنَّ بَغْيُ أَصْحَابِي عَلَيْكَ وَحَسَدُهُمْ إِيَّاكَ مِمَّا يَعْرِضُ فِي نَفْسِكَ[10] ، فَأَنْتَ مَعِي وَأَنَا

---

(١) أي أجزءوا ونفعوا (٢) أي عدوا أنفسهم سعداء بما أسند اليهم من جليل الأعمال . (٣) أي أترك هـــذا التمتع فأنا لا أقبل اعتذارك . (٤) مداهن منافق . (٥) ضعيف العقل قليل الذكاء . (٦) فعدو السلطان يحقد عليه لسيره في ركاب الملك وصديقه يحسده لارتفاع شأنه عند الملك فهو على كلا الحالين في خطر . (٧) ويتعدى بمختلف الوسائل . (٨) يحقد . (٩) وتقديم النفع له بالنصح والمشورة والمساعدة . (١٠) أى مما يخطر في بالك .

أَكْفِيكَ[1] ذٰلِكَ وَأُبْلِغُ بِكَ مِنْ دَرَجاتِ ٱلْكَرامَةِ وَالإِحْسانِ عَلى قَدْرِ هِمَّتِكَ[2] . قالَ ابْنُ آوَى : إِنْ كانَ ٱلْمَلِكُ يُرِيدُ الإِحْسانَ إِلَيَّ فَلْيَدَعْنِي فِي هٰذِهِ ٱلْبَرِّيَّةِ أَعِيشُ آمِناً قَلِيلَ الْهَمِّ راضِياً بِعَيْشِي مِنَ الْماءِ وَالْعُشْبِ . فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صاحِبَ السُّلْطانِ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ الأَذَى وَالْخَوْفِ فِي ساعَةٍ واحِدَةٍ ما لا يَصِلُ إِلى غَيْرِهِ فِي طُولِ عُمْرِهِ . وَإِنَّ قَلِيلاً مِنَ ٱلْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ فِي خَوْفٍ وَنَصَبٍ . قالَ الأَسَدُ : قَدْ سَمِعْتُ مَقالَتَكَ ، فَلا تَخَفْ شَيْئاً مِمّا أَراكَ تَخافُ مِنْهُ ، وَلَسْتُ أَجِدُ بُدًّا مِنَ الاسْتِعانَةِ بِكَ فِي أَمْرِي . قالَ ابْنُ آوَى : أَمّا إِذا أَبَى ٱلْمَلِكُ إِلاّ ذٰلِكَ فَلْيَجْعَلْ لِي عَهْداً[3] : إِنْ بَغَى عَلَيَّ[4] أَحَدٌ مِنْ أَصْحابِهِ عِنْدَهُ مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي مُخافَةً عَلى مَنْزِلَتِهِ ، أَوْ مِمَّنْ هُوَ دُونِي لِيُنازِعَنِي فِي مَنْزِلَتِي — فَذَكَرَ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ مِنْهُمْ ذاكِرٌ بِلِسانِهِ أَوْ عَلى لِسانِ غَيْرِهِ ما يُرِيدُ بِهِ حَمْلَ ٱلْمَلِكِ عَلَيَّ[5] — أَلاّ يُعَجِّلَ فِي أَمْرِي ، وَأَنْ يَتَثَبَّتَ[6] فِيما يُرْفَعُ إِلَيْهِ وَيُذْكَرُ عِنْدَهُ مِنْ ذٰلِكَ ، وَيَفْحَصَ عَنْهُ ، ثُمَّ لِيَصْنَعْ ما بَدا[7] لَهُ.

---

(١) أي أنا أقوم بمهمة دفع ذلك عنك . (٢) نشاطك. (٣) فليعاهدني ، وليتكفل لي . (٤) ان ظلمني بالدس ، والاتهام وغير ذلك من الأمور التي يلجأ اليها الحسود . (٥) أي فذكرني بسوء عند الملك سواء كان بلسانه أو بلسان غيره ليوغر صدره عليّ ويملأه بالحقد . (٦) يتحقق (٧) ما ظهر له وما ارتآه .

فَإذا وَثِقْتُ مِنْهُ[1] بِذلِكَ أَعَنْتُهُ بِنَفْسي فيما يُحِبُّ ، وَعَمِلْتُ لَهُ فيما أَوْلاني بِنَصيحةٍ وَاجْتِهادٍ ، وَحَرَصْتُ عَلى أَلاّ أَجْعَلَ لَهُ عَلى نَفْسي[2] سَبيلاً . قالَ الأَسَدُ : لَكَ ذٰلِكَ عَلَيَّ وَزِيادَةٌ ، ثُمَّ وَلاّهُ خَزائِنَهُ[3] وَاخْتَصَّ بِهِ[4] دُونَ أَصْحابِهِ وَزادَ في كَرامَتِهِ ،

فَلَمّا رَأى أَصْحابُ الأَسَدِ ذٰلِكَ غاظَهُمْ وَساءَهُمْ . فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ[5] ، وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلى أَنْ يَحْمِلُوا عَلَيْهِ الأَسَدَ . وَكانَ الأَسَدُ قَدِ اسْتَطابَ[6] لَحْمًا فَعَزَلَ مِنْهُ مِقْداراً ، وَأَمَرَهُ بِالاحْتِفاظِ بِهِ ، وَأَنْ يَرْفَعَهُ في أَحْصَنِ[7] مَوْضِعِ طَعامِهِ وَأَحْرَزِهِ لِيُعادَ عَلَيْهِ . فَأَخَذُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ ، وَحَمَلُوهُ إِلى بَيْتِ ابْنِ آوَى فَخَبَّأُوهُ فيهِ ، وَلا عِلْمَ لَهُ بِهِ[8] . ثُمَّ حَضَرُوا لِيُكَذِّبُوهُ إِنْ جَرَتْ في ذٰلِكَ حالٌ[9] . فَلَمّا كانَ مِنَ الْغَدِ وَدَعا الأَسَدُ بِغَدائِهِ[10]

---

(١) أي فاذا أعطاني هذا الملك العهد واطمأننت لذلك ، بذلت له نصحي واجتهادي في أمرٍ أسنده اليّ وكلفني القيام به . (٢) أي وحرصت على أن لا أجعل لهذا المنصب الذي أسند اليّ طريقاً للتسلط على نفسي حتى لاتنحرف عن الطريق المستقيم . (٣) جمع خزينة ، وخزانة وهو مكان خزن المال . (٤) جعله أقرب الناس الى سره ومشورته ونفسه . (٥) اجتمعوا على المكر بابن آوى والغدر به . (٦) أي وجده طيباً لذيذ المأكل . (٧) أي أمر ابن آوى بأن يرفع ماعزله من هذا الطعام الطيب في مكان حصين لاتصل اليه الايدي . (٨) أي فأخذوا هذا اللحم خفية من المكان الذي رفعه فيه ابن آوى وحملوه الى بيته لتدبير مكيدة له . (٩) أي ثم حضروا المجلس وكأنهم لم يفعلوا شيئاً ليبعدوا التهمة عن أنفسهم اذا مـا جرى تحقيق في الامر . (١٠) أي طلب غداءه .

فَقَدَ ذٰلكَ اللَّحْمَ ، فَالْتَمَسَهُ وَلَمْ يَجِدْهُ . وَابْنُ آوَى لَمْ يَشْعُرْ بِما صُنِعَ في حَقِّهِ مِنَ الْمَكيدَةِ . فَحَضَرَ الَّذينَ عَمِلُوا الْمَكيدَةَ ، وَقَعَدُوا في الْمَجْلِسِ ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ سَأَلَ عَنِ اللَّحْمِ وَشَدَّدَ فيهِ وَفي الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ ! فَقالَ أَحَدُهُمْ قَوْلَ الْمُخْبِرِ النَّاصِحِ : إِنَّهُ لا بُدَّ لَنا مِنْ أَنْ نُخْبِرَ الْمَلِكَ بِما يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ — وَإِنْ شَقَّ[1] ذٰلِكَ عَلى مَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ — وَإِنَّهُ بَلَغَني أَنَّ ابْنَ آوَى هُوَ الَّذي ذَهَبَ بِاللَّحْمِ إِلى مَنْزِلِهِ . قالَ الآخَرُ : لا أَراهُ يَفْعَلُ هٰذا ! وَلٰكِنِ انْظُرُوا وَافْحَصُوا ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْخَلائِقِ[2] شَديدَةٌ . فَقالَ الآخَرُ : لَعَمْري ما تَكادُ السَّرائِرُ[3] تُعْرَفُ ، وَأَظُنُّكُمْ إِنْ فَحَصْتُمْ عَنْ هٰذا وَجَدْتُمُ اللَّحْمَ بِبَيْتِ ابْنِ آوَى . وَكُلُّ شَيْءٍ يُذْكَرُ مِنْ عُيُوبِهِ وَخِيانَتِهِ نَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نُصَدِّقَهُ[4] قالَ الآخَرُ : لَئِنْ وَجَدْنا هٰذا حَقًّا فَلَيْسَتْ بِالْخِيانَةِ فَقَطْ ، وَلٰكِنْ مَعَ الْخِيانَةِ كُفْرُ[5] النِّعْمَةِ وَالْجُرْأَةُ عَلى الْمَلِكِ . قالَ الآخَرُ : أَنْتُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ ، لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُكَذِّبَكُمْ ، وَلٰكِنْ سَيَبِينُ هٰذا لَوْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلى بَيْتِهِ مَنْ يُفَتِّشُهُ . قالَ آخَرُ إِنْ كانَ الْمَلِكُ مُفَتِّشاً مَنْزِلَهُ فَلْيُعَجِّلْ ، فَإِنَّ

---

(١) صعب . (٢) جمع خليقة : وهي الاخلاق والطبيعة . (٣) مكنونات النفس . (٤) أي كل ما يقال في حق بن آوى من الانتقاص بعد أن يوجد اللحم في بيته جدير بأن نصدقه جميعاً . (٥) جحود النعمة والتنكّر للمنعم .

عُيونَهُ[1] وَجواسيسَهُ مَبْثُوثَةٌ بِكُلِّ مَكانٍ . وَلَمْ يَزالُوا في هٰذا الْكَلامِ وَأَشْباهِهِ حَتَّى وَقَعَ في نَفْسِ الأَسَدِ ذٰلِكَ[2] . فَأَمَرَ بِابْنِ آوَى فَحَضَرَ . فَقالَ لَهُ : أَيْنَ اللَّحْمُ الَّذي أَمَرْتُكَ بالاحْتِفاظِ بِهِ ؟ قالَ : دَفَعْتُهُ إلى صاحِبِ[3] الطَّعامِ لِيُقَرِّبَهُ إلى الْمَلِكِ . فَدَعا الأَسَدُ بِصاحِبِ الطَّعامِ وَكانَ مِمَّنْ شايَعَ[4] وَبايَعَ مَعَ الْقَوْمِ عَلى ابْنِ آوَى . فَقالَ : ما دَفَعَ إلَيْنا شَيْئاً . فَأَرْسَلَ الأَسَدُ أَميناً إلى بَيْتِ ابْنِ آوَي لِيُفَتِّشَهُ فَوَجَدَ فيهِ ذٰلِكَ اللَّحْمَ ، فَأَتى بِهِ الأَسَدَ . فَدَنا مِنَ الأَسَدِ ذِئْبٌ لَمْ يَكُنْ تَكَلَّمَ في شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ[5] ، وَكانَ يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْعُدُولِ[6] الَّذينَ لا يَتَكَلَّمُونَ فيما لا يَعْلَمُونَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَقالَ : بَعْدَ أَنِ اطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلى خِيانَةِ ابْنِ آوَى فَلا يَعْفُونَّ عَنْهُ فَإِنَّهُ إِنْ عَفا عَنْهُ لَمْ يَطَّلِعِ الْمَلِكُ بَعْدَها عَلى خِيانَةِ خائِنٍ وَلا ذَنْبِ مُذْنِبٍ . فَأَمَرَ الأَسَدُ بِابْنِ آوَى أَنْ يُخْرَجَ وَيُحْتَفَظَ[7] بِهِ . فَقالَ بَعْضُ جُلَساءِ الْمَلِكِ : إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالأُمُورِ ، كَيْفَ يَخْفى عَلَيْهِ أَمْرُ هٰذا ؟ وَلَمْ يَعْرِفْ خِبَّهُ وَمُخادَعَتَهُ ؟! وَأَعْجَبُ مِنْ هٰذا أَنِّي أَراهُ سَيَصْفَحُ عَنْهُ بَعْدَ الَّذي ظَهَرَ مِنْهُ . فَأَرْسَلَ الأَسَدُ بَعْضَهُمْ

---

(١) جمع عين وهو الجاسوس أيضاً . (٢) أي صدق بذلك الاتهام . (٣) المكلف بطعام الملك . (٤) عاون وشارك في التآمر . (٥) أي لم يبد رأيه في هذه الحادثة ولم يسهم في التآمر . (٦) جمع عدل وهو الصادق المستقيم . (٧) أي أمر بأن يخرج من المجلس ويحتفظ به في حبس .

رَسُولاً إلى ابْنِ آوَى يَلْتَمِسُ مِنْهُ ٱلْعُذْرَ[1] ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ بِرِسالَةٍ كاذِبَةٍ اخْتَلَقَها[2] . فَغَضِبَ الأَسَدُ مِنْ ذٰلِكَ وَأَمَرَ بِابْنِ آوَى أَنْ يُقْتَلَ. فَعَلِمَتْ أُمُّ الأسدِ أَنَّهُ قَدْ عَجَّلَ في أَمْرِهِ . فَأَرْسَلَتْ إلى الَّذينَ أُمِرُوا بِقَتْلِهِ أَنْ يُؤَخِّرُوهُ . وَدَخَلَتْ عَلى ابْنِها ، فَقالَتْ : يا بُنَيَّ بِأَيِّ ذَنْبٍ أَمَرْتَ بِقَتْلِ ابْنِ آوَى ؟ فَأَخْبَرَها بِالأَمْرِ . فَقالَتْ : يا بُنَيَّ[3] عَجَّلْتَ ! وَإِنَّما يَسْلَمُ ٱلعاقِلُ مِنَ النَّدامَةِ بِتَرْكِ ٱلعَجَلَةِ وَالتَّثَبُّتِ ، وَٱلْعَجَلَةُ لا يَزالُ صاحِبُها يَجْتَني ثَمَرَةَ النَّدامَةِ بِسَبَبِ ضَعْفِ الرَّأْيِ[4] ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحْوَجَ إلى التُّؤَدَةِ[5] وَالتَّثَبُّتِ مِنَ الْمُلُوكِ : فَإِنَّ الْمَرْأَةَ بِزَوْجِها ، وَالْوَلَدَ بِوالِدَيْهِ ، وَالْمُتَعَلِّمَ بِالْمُعَلِّمِ ، وَالْجُنْدَ بِالْقائِدِ ، وَالنَّاسِكَ بِالدِّينِ ، وَٱلْعامَّةَ بِالْمُلُوكِ[6] ، وَالْمُلُوكَ بِالتَّقْوَى ، وَالتَّقْوَى بِالْعَقْلِ ، وَٱلْعَقْلَ بِالتَّثَبُّتِ وَالأَناةِ ، وَرَأْسُ

---

(١) أي فأرسل الاسد أحد الحاضرين من المآمرين الى بن آوى يطلب منه تقديم الاعتذار ليصفح عنه . (٢) لفقها بنفسه وافتراها كاذباً . (٣) بنيّ : منادى وأصله مصغر ابن فتصغيره « بنيو » أصله بنو . فاجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في اليـــاء ثم أضيفت (بني) الى ياء المتكلم ، ولكنّ ياء المتكلم قلبت الفاً للتخفيف ثم حذفت كذلك ، ومن أجل ذلك بقيت الفتحة على الياء دليلاً عليها . (٤) تريد أن العجلة في الحكم توقع في فساد الرأي وضعفه . (٥) التمهل والتأني. (٦) أي انما تصلح العامة بصلاح ملوكها وانما تصلح الملوك بالتزام التقوى والخوف من الله ، وانما تثبت التقوى في الإنسان عند نضج عقله ، وانما ينضج العقل بالتحقق من الامور والتمهل في الحكم عليها الخ ..

الكُلّ الحَزْمُ ، ورَأْسُ الحَزْمِ لِلْمَلِكِ مَعْرِفَةُ أَصْحابِهِ وَإِنْزالُهُمْ مَنازِلَهُمْ عَلى طَبَقاتِهِمْ ، وَاتِّهامُهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ[1] ، فَإِنَّهُ لَوْ وَجَدَ بَعْضُهُمْ إِلى هَلاكِ بَعْضٍ سَبيلاً لَفَعَلَ ، وَقَدْ جَرَّبتَ ابْنَ آوَى وَبَلَوْتَ[2] رَأْيَهُ وَأَمانَتَهُ وَمُرُوءَتَهُ . ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مادِحاً لَهُ راضِياً عَنْهُ ، وَلَيْسَ يَنْبَغي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَخْوِنَهُ[3] بَعْدَ ارْتِضائِهِ[4] إِيَّاهُ وَائْتِمانِهِ لَهُ ، وَمُنْذُ مَجيئِهِ إِلى الآنَ ، لَمْ يُطَّلَعْ لَهُ عَلى خِيانَةٍ : إِلاّ عَلى الْعِفَّةِ وَالنَّصيحَةِ ، وَما كانَ رَأْيُ الْمَلِكِ أَنْ يُعَجِّلَ عَلَيْهِ لِأَجْلِ طابِقِ لَحْمٍ[5] . وَأَنْتَ — أَيُّها الْمَلِكُ — حَقيقٌ أَنْ تَنْظُرَ في حالِ ابْنِ آوَى لِتَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَتَعَرَّضَ لِلَحْمٍ اسْتَوْدَعَتْهُ إِيَّاهُ . وَلَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ فَحَصَ عَنْ ذٰلِكَ ظَهَرَ لَهُ أَنَّ ابْنَ آوَى لَهُ خُصَماءُ[6] هُمُ الَّذينَ ائْتَمَرُوا[7] بِهٰذا الأَمْرِ ، وَهُمُ الَّذينَ ذَهَبُوا بِاللَّحْمِ إِلى بَيْتِهِ ، فَوَضَعُوهُ فيهِ . فَإِنَّ الْحِدَأَةَ إِذا كانَ في رِجْلِها قِطْعَةُ لَحْمٍ اجْتَمَعَ عَلَيْها سائِرُ الطَّيْرِ ، وَالْكَلْبَ إِذا كانَ مَعَهُ عَظْمٌ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْكِلابُ . وَابْنُ آوَى — مُنْذُ كانَ إِلى الْيَوْمِ — نافِعٌ . وَكانَ

---

(١) أي وشكته فيما ينسبه بعضهم لبعض من تهم قد تكون ملفقه . لان الواحد منهم لا يتورع بسبب الحسد عن اهلاك الآخر حين يجد الطريق لذلك . (٢) اختبرت . (٣) يتهمه بالخيانة . (٤) بعد اختياره اياه والوثوق بأمانته . (٥) قطعة منه ويقال أيضاً لنصف الشاة ، والوعاء الذي يطبخ فيه وهو فارسي معرب . (٦) جمع خصم وهو العدو . (٧) تآمروا وتعاونوا على الغدر .

مُحْتَمِلاً لِكُلِّ ضَرَرٍ في جَنْبِ مَنْفَعَةٍ تَصِلُ إِلَيْكَ ، وَلِكُلِّ عَناءٍ يَكُونُ لَكَ فيهِ راحَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يَطْوِي[1] دُونَكَ سِرًّا .

فَبَيْنَما أُمُّ الأَسَدِ تَقُصُّ عَلَيْهِ هٰذِهِ الْمَقالَةَ إِذْ دَخَلَ عَلى الأَسَدِ بَعْضُ ثِقاتِهِ[2] فَأَخْبَرَهُ بِبَراءَةِ ابْنِ آوَى . فَقالَتْ أُمُّ الأَسَدِ ، بَعْدَ أَنِ اطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلى بَراءَةِ ابْنِ آوَى : إِنَّ الْمَلِكَ حَقيقٌ أَلاَّ يُرَخِّصَ[3] لِمَنْ سَعى بِهِ[4] لِئَلاَّ يَتَجَرَّأُوا عَلى ما هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ ، بَلْ يُعاقِبُهُمْ عَلَيْهِ لِكَيْلا يَعُودُوا إِلى مِثْلِهِ . فَإِنَّهُ لا يَنْبَغي لِلْعاقِلِ أَنْ يُراجِعَ في أَمْرِ الْكَفُورِ[5] لِلْحُسْنى ، الْجَرِيءِ عَلى الْغَدْرِ ، الزَّاهِدِ في الْخَيْرِ ، الَّذي لا يُوقِنُ[6] بِالآخِرَةِ وَيَنْبَغي أَنْ يُجْزَى بِعَمَلِهِ . وَقَدْ عَرَفْتَ سُرْعَةَ الْغَضَبِ وَفَرْطَ[7] الْهَفْوَةِ. وَمَنْ سَخِطَ بِالْيَسيرِ لَمْ يَبْلُغْ رِضاهُ بِالْكَثيرِ . وَالأَوْلى لَكَ أَنْ تُراجِعَ ابْنَ آوَى وَتَعْطِفَ عَلَيْهِ . وَلا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مُناصَحَتِهِ ما فَرَطَ[8] مِنْكَ إِلَيْهِ مِنَ الإِساءَةِ ، فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لا يَنْبَغي تَرْكُهُ عَلى حالٍ مِنَ الأَحْوالِ : وَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالصَّلاحِ وَالْكَرَمِ ، وَحُسْنِ الْعَهْدِ[9] ،

---

(١) يخفي . (٢) من يثق بهم وبنزاهتهم . (٣) يقال رخّص له كذا وفي كذا : أذن له فيه بعد النهي عنه . (٤) وشى عليه . (٥) الجاحد المعروف . (٦) لا يؤمن . (٧) اسم من الإفراط يقال إياك والفرط في الامر . (٨) ما بدر منك . والمعنى ولا يمنعك من الاستعانة به مرة أخرى ما ظهر منك من سوء معاملتك إياه بسبب المفسدين. (٩) المحافظة على العهد .

وَالشُّكْرِ وَالْوَفاءِ : وَالْمَحَبَّةِ لِلنَّاسِ ، وَالسَّلامَةِ مِنَ الْحَسَدِ ، وَالْبُعْدِ مِنَ الأَذَى ، وَالاحْتِمالِ لِلإِخْوانِ وَالأَصْحابِ ، وَإِنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ مِنْهُمُ الْمُؤُونَةُ[1] . وَأَمَّا مَنْ يَنْبَغِي تَرْكُهُ فَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالشَّراسَةِ وَلُؤْمِ الْعَهْدِ ، وَقِلَّةِ الشُّكْرِ وَالْوَفاءِ ، وَالْبُعْدِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْوَرَعِ ، وَاتَّصَفَ بِالْجُحُودِ[2] لِثَوابِ الآخِرَةِ وَعِقابِها . وَقَدْ عَرَفْتَ ابْنَ آوَى وَجَرَّبْتَهُ ، وَأَنْتَ حَقِيقٌ بِمُواصَلَتِهِ .

فَدَعا الأَسَدُ بِابْنِ آوَى وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كانَ مِنْهُ ، وَوَعَدَهُ خَيْراً ، وَقالَ : إِنِّي مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ وَرادُّكَ إِلى مَنْزِلَتِكَ . فَقالَ ابْنُ آوَى : إِنَّ شَرَّ الأَخِلاَّءِ[3] مَنِ الْتَمَسَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضُرِّ أَخِيهِ ، وَمَنْ كانَ غَيْرَ ناظِرٍ لَهُ كَنَظَرِهِ لِنَفْسِهِ ، أَوْ كانَ يُرِيدُ أَنْ يُرْضِيَهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ لأَجْلِ اتِّباعِ هَواهُ . وَكَثِيراً ما يَقَعُ ذٰلِكَ بَيْنَ الأَخِلاَّءِ . وَقَدْ كانَ مِنَ الْمَلِكِ إِلَيَّ ما عَلِمَ[4] فَلا يَغْلُظَنَّ عَلى نَفْسِهِ ما أُخْبِرُهُ بِهِ أَنِّي بِهِ غَيْرُ واثِقٍ[5] ، وَأَنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَصْحَبَهُ فَإِنَّ الْمُلُوكَ لا يَنْبَغِي أَنْ يَصْحَبُوا مَنْ عاقَبُوهُ أَشَدَّ الْعِقابِ ، وَلا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَرْفُضُوهُ أَصْلاً ، فَإِنَّ ذا[6] السُّلْطانِ إِذا

---

(١) الاعباء. (٢) الجحود : الانكار مع العلم (٣) جمع خليل وهو الصديق المختص.
(٤) أي وقد وقع من الملك عليّ ماهو يعلمه من النقمة والاجتهال رتصديق التهمة .
(٥) فلا يستصعبنّ قولي له : اني لم أعد واثقاً به بعد الذي حصل. (٦) صاحب السلطنة.

عُزِلَ كانَ مُستَحِقًّا لِلْكَرامَةِ[1] في حالَةِ إبْعادِهِ وَالإقْصاءِ لَهُ[2]. فَلَمْ يَلْتَفِتِ الأَسَدُ إلى كَلامِهِ. ثُمَّ قالَ لَهُ: إنِّي قَدْ بَلَوْتُ طِباعَكَ وَأَخْلاقَكَ، وَجَرَّبْتُ أَمانَتَكَ وَوَفاءَكَ وَصِدْقَكَ وَعَرَفْتُ كَذِبَ مَنْ تَمَحَّلَ[3] الحِيَلَ لِحَمْلي عَلَيْكَ[4]، وَإنِّي مُنْزِلُكَ مِنْ نَفْسي مَنْزِلَةَ الأَخْيارِ الكُرَماءِ. وَالكَريمُ تُنْسيهِ الخَلَّةُ الواحِدَةُ مِنَ الإحْسانِ الخِلالَ الكَثيرَةَ مِنَ الإساءَةِ وَقَدْ عُدْنا إلى الثِّقَةِ بِنا، فَإنَّ لَنا وَلَكَ بِذلِكَ غِبْطَةً وَسُرُوراً. فَعادَ ابْنُ آوَى إلى وِلايَةِ ما كانَ[5] بَلِ وَضاعَفَ لَهُ المالِكُ الكَرامَةَ، وَلَمْ تَزِدْهُ الأَيّامُ إلاّ تَقَرُّباً مِنَ السُّلْطانِ.

* * *

(١) الإكرام. (٢) الإبعاد له. (٣) احتال. (٤) لإثارة نقمتي عليك. (٥) أي فعاد إلى ممارسة ما كان موكلاً اليه من الأعمال.

الباب العاشر

إيلاذ وبلاذ وإيراخت

« مثلُ الأشياء التي يجب على الملكِ أن يُلزم بها نفسه ويحفظ ملكه »

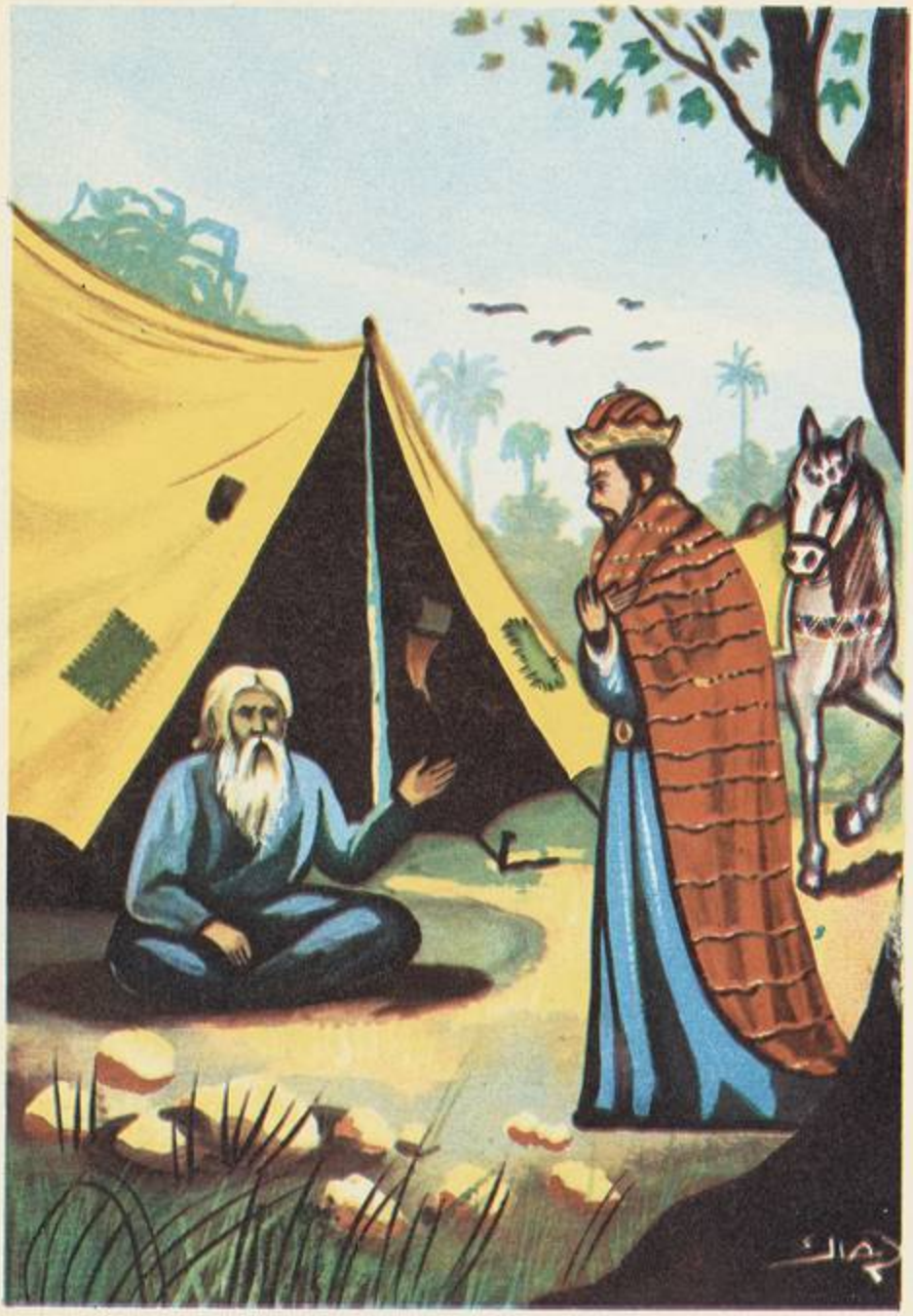

إيلاذ وبلاذ وإيراخت

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلاً فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يُلْزِمَ بِهَا نَفْسَهُ[1] وَيَحْفَظَ مُلْكَهُ وَيُثَبِّتَ سُلْطَانَهُ وَيَكُونَ ذٰلِكَ رَأْسَ أَمْرِهِ وَمَلاَكَهُ[2] : أَبِالْحِلْمِ ؟ أَمْ بِالْمُرُوءَةِ أَمْ بِالشَّجَاعَةِ ؟ أَمْ بِالْجُودِ[3] ؟ . قَالَ بَيْدَبَا : إِنَّ أَحَقَّ مَا يَحْفَظُ بِهِ الْمَلِكُ مُلْكَهُ الْحِلْمُ ، وَبِهِ تَثْبُتُ السَّلْطَنَةُ . وَالْحِلْمُ رَأْسُ الأُمُورِ وَمِلاَكُهَا ، وَأَجْوَدُ مَا كَانَ فِي الْمُلُوكِ كَالَّذِي زَعَمُوا مِنْ أَنَّهُ كَانَ مَلِكٌ يُدْعَى (بِلاَذَ) ، وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ يُدْعَى (إِيلاَذَ) ، وَكَانَ مُتَعَبِّداً نَاسِكاً . فَنَامَ الْمَلِكُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ ثَمَانِيَةَ أَحْلاَمٍ أَفْزَعَتْهُ ، فَاسْتَيْقَظَ مَرْعُوباً . فَدَعَا الْبَرَاهِمَةَ : وَهُمُ النَّسَّاكُ[4] لِيَعْبُرُوا[5] رُؤْيَاهُ . فَلَمَّا حَضَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قَصَّ عَلَيْهِمْ مَا رَأَى . فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : لَقَدْ رَأَى الْمَلِكُ عَجَباً[6] . فَإِنْ أَمْهَلَنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ جِئْنَاهُ بِتَأْوِيلِهِ[7] . قَالَ الْمَلِكُ : قَدْ أَمْهَلْتُكُمْ . فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ : ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ أَحَدِهِمْ ، وَائْتَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا : قَدْ وَجَدْتُمْ عِلْماً وَاسِعاً

---

(١) يسير بموجبها ، ويفرضها على نفسه . (٢) ملاك الشيء بالكسر ويفتح : ما يقوم به . (٣) الكرم . (٤) الزهاد المبتعدون جمع ناسك . (٥) ليفسّروا . (٦) شيئاً عجيباً مدهشاً . (٧) تفسيره .

تُدرِكونَ بِهِ ثَأْرَكُمْ ، وتَنْتَقِمُونَ بِهِ مِنْ عَدُوِّكُمْ . وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ قَتَلَ مِنَّا بِالأَمْسِ اثْنَي عَشَرَ أَلفاً . وهَا هُوَ قَدْ أَطْلَعَنَا عَلى سِرِّهِ ، وسَأَلَنَا تَفْسِيرَ رُؤْيَاهُ . فَهَلُمُّوا نُغْلِظْ لَهُ القَوْلَ [1] ، ونُخَوِّفْهُ حَتَّى يَحْمِلَهُ الفَرَقُ [2] والجَزَعُ عَلى أَنْ يَفْعَلَ الَّذي نُرِيدُ ونَأْمُرُ فَنَقُولُ : ادْفَعْ إِلَيْنَا أَحِبَّاءَكَ [3] ومَنْ يَكْرُمُ عَلَيْكَ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ ، فَإِنَّا قَدْ نَظَرْنَا في كُتُبِنَا فَلَمْ نَرَ أَنْ يُدْفَعَ عَنْكَ مَارَأَيْتَ لِنَفْسِكَ ومَا وَقَعْتَ فِيهِ مِنْ هذَا الشَّرِّ إِلاَّ بِقَتْلِ مَنْ نُسَمِّي لَكَ . فَإِنْ قَالَ المَلِكُ : ومَنْ تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا ؟ سَمُّوهُمْ لي . قُلْنَا : نُرِيدُ المَلِكَةَ (إِيرَاخْتَ) أُمَّ (جَوِيرَ) المَحْمُودَةَ ، أَكْرَمَ [4] نِسَائِكَ عَلَيْكَ ، ونُرِيدُ جَوِيرَ أَحَبَّ بَنِيكَ إِلَيْكَ ، وأَفْضَلَهُمْ عِنْدَكَ . ونُرِيدُ ابْنَ أَخِيكَ الكَرِيمَ ، وإِيلاَذَ خَلِيلَكَ [5] ، وصَاحِبَ أَمْرِكَ ونُرِيدُ (كَالاَ) الكَاتِبَ صَاحِبَ سِرِّكَ ، وسَيْفَكَ الَّذي لايُوجَدُ مِثْلُهُ ، والفِيلَ الأَبْيَضَ الَّذي لاتَلْحَقُهُ الخَيْلُ ، والفَرَسَ الَّذي هُوَ مَرْكَبُكَ في القِتَالِ ، ونُرِيدُ الفِيلَيْنِ الآخَرَيْنِ العَظِيمَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكُونَانِ مَعَ الفِيلِ الذَّكَرِ ، ونُرِيدُ البُخْتِيَّ [6] السَّرِيعَ القَوِيَّ ، ونُرِيدُ (كَبَارِيُونَ) الحَكِيمَ الفَاضِلَ

---

(١) أي تعالوا نكلمه بقول غليظ مخيف . (٢) الفرق والجزع بمعنى واحد وهو الخوف . (٣) من تحبهم . (٤) أغلى نسائك عليك . (٥) صديقك الحميم . (٦) البختي واحد البخاتي ، وكذلك البخت بالضم : وهي الإبل الخراسانية .

العَالِمَ بِالأُمورِ لِنَنْتَقِمَ مِنْهُ بِما فَعَلَ بِنَا . ثُمَّ نَقُولُ : إِنَّما يَنْبَغِي لَكَ ـ أَيُّهَا المَلِكُ ـ أَنْ تَقْتُلَ هٰؤلاءِ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ لَكَ ، ثُمَّ تَجْعَلَ دِماءَهُمْ في حَوْضٍ تَمْلَؤُه ثُمَّ تَقْعُدَ فِيهِ . فَإِذَا خَرَجْتَ مِنَ الحَوْضِ أَجْتَمَعْنَا ـ نَحْنُ مَعَاشِرَ البَرَاهِمَةِ ـ مِنَ الآفَاقِ[1] الأَرْبَعَةِ نَجُولُ[2] حَوْلَكَ ، فَنَرْقِيكَ[3] ونَتْفُلُ[4] عَلَيْكَ ، ونَمْسَحُ عَنْكَ الدَّمَ ، ونَغْسِلُكَ بِالمَاءِ والدُّهْنِ الطَّيِّبِ. ثُمَّ تَقومُ إِلَىٰ مَنْزِلِكَ البَهِيِّ[5] ، فَيَدْفَعُ اللهُ بِذَلِكَ البَلاءَ الَّذِي نَتَخَوَّفُه عَلَيْكَ فَإِنْ صَبَرْتَ ـ أَيُّها المَلِكُ ـ وطَابَتْ نَفْسُكَ عَنْ أَحِبَّائِكَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا لكَ ، وجَعَلْتَهُمْ فِداءَكَ[6] تَخَلَّصْتَ مِنَ البَلاءِ ، واسْتَقَامَ لَكَ مُلْكُكَ وسُلْطَانُكَ ، واسْتَخْلَفْتَ[7] مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ أَحْبَبْتَ . وَإِنْ أَنتَ لَمْ تَفْعَلْ تَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ أَنْ يُغْصَبَ مُلْكُكَ[8] أَو تَهْلِكَ فَإِنْ هُوَ أَطَاعَنَا فِيمَا نَأْمُرُهُ قَتَلْنَاهُ أَيَّ قِتْلَةٍ شِئْنَا .

فَلَمَّا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى مَا ائْتَمَرُوا بِهِ رَجَعُوا إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ السَّابِعِ . وقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا المَلِكُ ، إِنَّا نَظَرْنَا في كُتُبِنَا في تَفْسِيرِ مَارَأَيْتَ ، وفَحَصْنَا عَنِ الرَّأْيِ فِيمَا بَيْنَنَا فَلْتَكُنْ لكَ ـ أَيُّهَا المَلِكُ الطَّاهِرُ الصَّالِحُ

---

(١) الجوانب الاربعة . (٢) نطوف (٣) نتمتم ببعض الدعوات والتعاويذ والاسم الرقيا . (٤) تفل : بصق وطرح التفل وهو البصاق أو الزبد . (٥) الجميل . (٦) ضحية تفتدي بها نفسك . (٧) عينت بديلًا عنهم . (٨) أي يغتصبه منك من هو أقوى نفوذاً .

ـ الكَرَامَةُ . ولسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نُعْلِمَكَ بِما رَأَيْنَا إلاّ أَنْ تَخْلُوَ بِنَا[1] . فَأَخْرَجَ المَلِكُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ، وخَلا بِهِمْ . فَحَدَّثُوا بِالَّذي ائْتَمَرُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ : المَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنَ الحَيَاةِ إِنْ أَنا قَتَلْتُ هؤلاءِ الَّذِينَ هُمْ عَدِيلُ[2] نَفْسِي ، وأَنا مَيِّتٌ لامَحَالَةَ ، والحَيَاةُ قَصِيرَةٌ ، ولسْتُ كُلَّ الدَّهْرِ مَلِكاً ، وإِنَّ المَوْتَ عِنْدِي وفِرَاقَ الأَحِبَّاءِ سَوَاءٌ قَالَ لَهُ البَرَهِمِيُّونَ : إِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْضَبْ أَخْبَرْنَاكَ ، فَأَذِنَ لَهُمْ فَقَالُوا . أَيُّهَا المَلِكُ ، إِنَّكَ لَمْ تَقُلْ صَوَاباً حِينَ تَجْعَلُ نَفْسَ غَيْرِكَ أَعَزَّ عِنْدَكَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَاحْتَفِظْ بِنَفْسِكَ ومُلْكِكَ وَاعْمَلْ هٰذَا الَّذِي لَكَ فِيهِ الرَّجَاءُ العَظِيمُ[3] عَلَى ثِقَةٍ ويَقِينٍ ، وقَرَّ عَيْناً بِمُلْكِكَ فِي وُجُوهِ[4] أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ الَّذِينَ شَرُفْتَ وكَرُمْتَ بِهِمْ ، ولا تَدَعِ الأَمْرَ العَظِيمَ وتَأْخُذْ بِالضَّعِيفِ فَتُهْلِكَ نَفْسَكَ إِيثَاراً[5] لِمَنْ تُحِبُّ . واعْلَمْ ـ أَيُّهَا المَلِكُ ـ أَنَّ الإِنْسَانَ إِنَّمَا يُحِبُّ الحَيَاةَ مَحَبَّةً لِنَفْسِهِ ، وأَنَّهُ لايُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ مِنَ الأَحْبَابِ إِلاَّ لِيَتَمَتَّعَ بِهِمْ فِي حَيَاتِهِ ، وإِنَّمَا قِوَامُ[6] نَفْسِكَ بَعْدَ اللهِ تَعَالَى بِمُلْكِكَ ، وإِنَّكَ لَمْ تَنَلْ مُلْكَكَ إِلاَّ بِالمَشَقَّةِ

---

(١) أي نجتمع معك في خلوة ومعزل عن الآخرين . (٢) مثيل ونظير . (٣) يقصد الرجاء بتخلصه من الشر الذي تشير اليه الرؤيا حسب تأويلهم . (٤) جمع وجه ومعناه كرام أهل مملكتهم والبارزين فيهم . (٥) الإيثار هو تفضيل مصلحة الغير على مصلحة النفس ، وضده الأثرة وهي الأنانية وحب الذات (٦) قوام الشيء ما يقوم به وجوده .

وَالعَنَاءِ الكَثِيرِ في الشُّهُورِ والسِّنِينَ ، ولَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُضَهُ ويَهُونَ[1] عَلَيْكَ ! ! فَاسْتَمِعْ كَلامَنَا . فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ مُنَاهَا[2] ودَعْ مَاسِوَاهَا فَإِنَّهُ لاخَطَرَ لَهُ . فَلَمَّا رَأَى المَلِكُ أَنَّ البَرْهَمِيِّينَ قَدْ أَغْلَظُوا لَهُ في القَوْلِ واجْتَرَؤُوا عَلَيْهِ في الكَلامِ اشْتَدَّ غَمُّهُ وحُزْنُهُ . وقَامَ مِنْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ[3] ، ودَخَلَ إِلى حُجْرَتِهِ[4] ، فَخَرَّ[5] عَلى وَجْهِهِ يَبْكِي ويَتَقَلَّبُ كَمَا تَتَقَلَّبُ السَّمَكَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ المَاءِ ! وجَعَلَ يَقُولُ في نَفْسِهِ مَاأَدْرِي : أَيُّ الأَمْرَيْنِ أَعْظَمُ في نَفْسِي ؟ المَمْلَكَةُ أَمْ قَتْلُ أَحِبَّائِي ؟ ولَنْ أَنَالَ الفَرَحَ مَاعِشْتُ ، ولَيْسَ مُلْكِي بِبَاقٍ عَلَيَّ إِلَى الأَبَدِ ، ولَسْتُ بِالْمُصِيبِ سُؤْلِي في مُلْكِي[6] ، وإِنِّي لزَاهِدٌ في الحَيَاةِ . إِذَا لَمْ أَرَ إِبْرَاحْتَ وكَيْفَ أَقْدِرُ على القِيَامِ بِمُلْكِي إِذَا هَلَكَ وزِيرِي إِيلاذُ ؟ وكَيْفَ أَضْبِطُ أَمْرِي إِذَا هَلَكَ فِيلِي الأَبْيَضُ وفَرَسِي الجَوَادُ ؟ ! وكَيْفَ أَدَّعِي مَلِكاً وقَدْ قَتَلْتُ مَن أَشَارَ البَرَاهِمَةُ بِقَتْلِهِ ؟ ومَا أَصْنَعُ بِالدُّنْيَا بَعْدَهُمْ ! ثُمَّ إِنَّ الحَدِيثَ فَشَا[7] في الأَرْضِ بِحُزْنِ المَلِكِ وهَمِّهِ فَلَمَّا رَأَى إِيلاذُ مَانَالَ المَلِكَ مِنَ الهَمِّ والحُزْنِ فَكَّرَ بِحِكْمَةٍ ونَظَرٍ ، وقَالَ : مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَقْبِلَ المَلِكَ فَأَسْأَلَهُ عَنْ هٰذَا الأَمْرِ الَّذِي قَدْ نَالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُوَنِي . ثُمَّ انْطَلَقَ

---

(١) يصبح هيناً . (٢) رغبتها . (٣) أي قام من بينهم . (٤) غرفته . (٥) سقط .
(٦) أي ولست بواصل ما ابغيه عن طريق الملك . (٧) انتشر .

إلى إيراخت[1]، فقال: إني منذ خدمت الملك إلى الآن لم يعمل عملاً إلا بمشورتي ورأيي، وأراه يكتم عني أمراً لا أعلم ما هو، ولا أراه يظهر منه شيئاً، وإني رأيته خالياً[2] مع جماعة البرهميين منذ ليال، وقد احتجب عنا فيها وأنا خائف أن يكون قد اطلعهم على شيء من أسراره، فلست آمنهم أن يشيروا عليه بما يضره ويدخل عليه منه السوء، فقومي وادخلي عليه فاسأليه عن أمره وشأنه، وأخبريني بما هو عليه، وأعلميني فإني لست أقدر على الدخول عليه فلعل البرهميين قد زينوا له أمراً وحملوه على خطة[3] قبيحة وقد علمت أن من خلق الملك أنه إذا غضب لا يسأل أحداً، سواء عنده صغير الأمور وكبيرها فقالت إيراخت: إنه كان بيني وبين الملك بعض العتاب[4] فلست بداخلة عليه في هذه الحال فقال لها إيلاذ: لا تحملي عليه الحقد في مثل هذا، ولا يخطرن ذلك على بالك، فليس يقدر على الدخول عليه أحد سواك. وقد سمعته كثيراً يقول: ما اشتد غمي ودخلت علي إيراخت إلا سري[5] ذلك عني. فقومي إليه واصفحي عنه، وكلميه

(١) زوجة الملك. (٢) يعني مختلياً. (٣) الخطة بالضم: الحالة والخصلة. (٤) بسبب خلاف بينهما ناشيء عن تغيره وانطوائه على أحزانه التي زرعها في نفسه البرهميون. (٥) أي انكشف وزال هذا الغم.

بما تعلمين أنه تطيب به نفسه ، ويذهب الذي يحزنه ، وأعلميني بما يكون جوابه . فإنه لنا[1] ولأهل المملكة أعظم الراحة . فانطلقت إيراخت ، فدخلت على الملك ، فجلست عند رأسه ، فقالت : ما الذي بك ؟ أيها الملك المحمود ، وما الذي سمعت من البراهمة ؟ فإني أراك محزوناً . فأعلمني ما بك . فقد ينبغي لنا أن نحزن معك ونواسيك . بأنفسنا . فقال الملك : أيتها السيدة : لا تسألي عن أمري ، فتزيديني غماً وحزناً ، فإنه أمر لا ينبغي أن تسألي عنه . قالت : أوقد نزلت عندك منزلة من يستحق هذا[2] ؟ إنما أحمد الناس عقلاً[3] من إذا نزلت به النازلة[4] كان لنفسه أشد ضبطاً ، وأكثرهم استماعاً من أهل النصح ، حتى ينجو من تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة . فعظيم الذنب لا يقنط[5] من الرحمة ، ولا يدخلن عليك شيئاً من الهم والحزن ، فإنهما لا يردان شيئاً مقضياً[6] ، إلا أنهما ينحلان[7] الجسم ، ويشفيان[8] العدو . قال لها الملك : لا تسألي

---

(١) أي الملك . (٢) أى هل أصبحت منزلتي عندك تستحق هذا الإبعاد عن مشاركتك ؟ (٣) أي أحق الناس بالثناء على عقله . (٤) المصيبة . (٥) لا ييأس . (٦) قضاه الله وحكم به على عبده . (٧) يجعلانه هزيلًا ضامراً . (٨) أي يرويان حقد العدو .

عَنْ شَيْءٍ ، فَقَدْ شَقَقْتِ عَلَيَّ[1] . والَّذِي تَسْأَلِينَنِي عَنْهُ لاخَيْرَ فِيهِ ، لأَنَّ عَاقِبَتَهُ هَلاكِي وهَلاكُكِ وهَلاكُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي ومَنْ هُوَ عَدِيلُ نَفْسِي : وذَاكَ أَنَّ البَرَاهِمَةَ زَعَمُوا : أَنَّهُ لابُدَّ مِنْ قَتْلِكِ وقَتْلِ كَثِيرٍ من أَهْلِ مَوَدَّتِي[2] . ولا خَيْرَ فِي العَيْشِ بَعْدَكُمْ . وهَلْ أَحَدٌ يَسْمَعُ بِهٰذَا إلاَّ اعْتَرَاهُ الْحُزْنُ ؟

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذٰلِكَ إِيرَاخْتُ جَزِعَتْ وَمَنَعَهَا عَقْلُهَا أَنْ تُظْهِرَ لِلْمَلِكِ جَزَعاً . فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لا تَجْزَعْ فَنَحْنُ لَكَ الْفِدَاءُ . وَلَكَ فِي سِوَايَ وَمِثْلِي مِنَ الْجَوَارِي مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ ، وَلٰكِنِّي أَطْلُبُ مِنْكَ ــ أَيُّهَا الْمَلِكُ ــ حَاجَةً يَحْمِلُنِي عَلَى طَلَبِهَا حُبِّي لَكَ ، وَإِيثَارِي إِيَّاكَ ، وَهِيَ نَصِيحَتِي لَكَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَتْ : أَطْلُبُ مِنْكَ أَلاَّ تَثِقَ بَعْدَهَا بِأَحَدٍ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ وَلا تُشَاوِرَهُمْ فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَثَبَّتَ فِي أَمْرِكَ ، ثُمَّ تُشَاوِرَ فِيهِ ثِقَاتِكَ مِراراً فَإِنَّ الْقَتْلَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَلَسْتَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُحْيِيَ مَنْ قَتَلْتَ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْحَدِيثِ : إِذَا لَقِيتَ جَوْهَراً لا خَيْرَ فِيهِ فَلا تُلْقِهِ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُرِيَهُ مَنْ يَعْرِفُهُ ، وَأَنْتَ ــ أَيُّهَا الْمَلِكُ ــ لا تَعْرِفُ أَعْدَاءَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَرَاهِمَةَ لا يُحِبُّونَكَ وَقَدْ قَتَلْتَ مِنْهُمْ بِالأَمْسِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً ،

---

(١) يقال : شق على فلان : أوقعه في المشقة والصعوبة . (٢) من أخصهم بالمودة والحب .

وَلا تَظُنَّ أَنَّ هٰؤُلاءِ لَيْسُوا[1] مِنْ أُولٰئِكَ . وَلَعَمْري ما كُنْتَ جَديراً أَنْ تُخْبِرَهُمْ بِرُؤْياكَ ، وَلا أَنْ تُطْلِعَهُمْ عَلَيْها . وَإِنَّما قالُوا لَكَ ما قالُوا لِأَجْلِ الْحِقْدِ الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، لَعَلَّهُمْ يُهْلِكُونَكَ وَيُهْلِكُونَ أَحِبَّاءَكَ وَوَزيرَكَ ، فَيَبْلُغوا قَصْدَهُمْ مِنْكَ . فَأَظُنُّكَ لَوْ قَبِلْتَ مِنْهُمْ فَقَتَلْتَ مَن أَشارُوا بِقَتْلِهِ ظَفِروا بِكَ وَغَلَبُوكَ عَلى مُلْكِكَ ، فَيَعُودُ الْمُلْكُ إِلَيْهِمْ كَما كانَ . فَانْطَلِقْ إِلى كَبارِيُونَ الْحَكيمِ فَهُوَ عالِمٌ فَطِنٌ ، فَأَخْبِرْهُ عَمَّا رَأَيْتَ في رُؤْياكَ ، وَاسْأَلْهُ عَنْ وَجْهِها وَتَأْويلِها .

فَلَمّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذٰلِكَ سُرِّيَ عَنْهُ ما كانَ يَجِدُهُ مِنَ الْغَمِّ ، فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ[2] ، فَرَكِبَهُ ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلى كَبارِيُونَ الْحَكيمِ . فَلَمّا انْتَهى إِلَيْهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ ، وَسَجَدَ لَهُ ، وَقامَ مُطْأَطِئاً الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقالَ لَهُ الْحَكيمُ : ما بالُكَ[3] ؟ أَيُّها الْمَلِكُ ، وَمالي أَراكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ؟ فَقالَ لَهُ الْمَلِكُ ، إِنِّي رَأَيْتُ في الْمَنامِ ثَمانِيَةَ أَحْلامٍ ، فَقَصَصْتُها عَلى الْبَراهِمَةِ ، وَأَنا خائِفٌ أَنْ يُصيبَني مِنْ ذٰلِكَ عَظيمُ أَمْرٍ مِمّا سَمِعْتُ مِنْ تَفْسيرِهِمْ لِرُؤْياي وَأَخْشى أَنْ يُغْصَبَ مِنّي مُلْكي ، أَوْ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ[4] . فَقالَ الْحَكيمُ :

---

(١) أي أن هؤلاء الذين أشاروا عليك بهذا الرأي الأخرق من طينة هؤلاء الذين قتلتهم بالأمس من البراهمة . (٢) وضع فوق ظهره السرج للركوب . (٣) أي ما شأنك ؟ (٤) أي يغلبني فيه عدوّ وينتزعه مني .

إنْ شِئْتَ فَاقْصُصْ رُؤْياكَ عَلَيَّ . فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ المَلِكُ رُؤْياهُ قالَ : لا يُحْزِنْكَ أَيُّها المَلِكُ هٰذا الأَمْرُ ، وَلا تَخَفْ مِنْهُ : أَمَّا السَّمَكَتانِ الحَمْراوانِ[1] اللَّتانِ رَأَيْتَهُما قائِمَتَيْنِ عَلى أَذْنابِهِما ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكِ (نَهاوَنْدَ) بِعُلْبَةٍ فيها عِقْدانِ مِنَ الدُّرِّ وَالياقُوتِ الأَحْمَرِ قيمَتُهُما أَرْبَعَةُ آلافِ رِطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ . فَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَمَّا الوَزَّتانِ اللَّتانِ رَأَيْتَهُما طارَتا مِنْ وَراءِ ظَهْرِكَ فَوَقَعَتا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ (بَلْخَ) فَرَسانِ لَيْسَ عَلى الأَرْضِ مِثْلُهُما فَيَقُومانِ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَمَّا الحَيَّةُ الَّتي رَأَيْتَها تَدِبُّ عَلى رِجْلِكَ اليُسْرى ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ (صِنْجِينَ) مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَيْفٍ خالِصِ الحَدِيدِ[2] لا يُوجَدُ مِثْلُهُ . وَأَمَّا الدَّمُ الَّذي رَأَيْتَ كَأَنَّهُ خُضِبَ[3] بِهِ جَسَدُكَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ (كازَرُونَ) مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِلِباسٍ مُعْجِبٍ يُسَمَّى حُلَّةَ أُرْجُوانٍ[4] يُضِيءُ في الظُّلْمَةِ . وَأَمَّا ما رَأَيْتَ مِنْ غَسْلِكَ جِسْمَكَ بِالْماءِ ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ (رِهْزِينَ) مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِثِيابِ كَتّانٍ مِنْ لِباسِ المُلُوكِ . وَأَمَّا ما رَأَيْتَ كَأَنَّكَ عَلى جَبَلٍ أَبْيَضَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ

---

(١) مثنى حمراء قلبت الهمزة واواً حين التثنية لأنها زائدة لأجل التأنيث .
(٢) أي مصنوع من الحديد الخالص . (٣) أي لوث به جسدك ولطخ . (٤) الحلة : كل ثوب جديد أو عموماً الثوب الساتر لجميع البدن. والارجوان : شجر له ورد ، صبغ أحمر . والمقصود هنا ثوب لامع أحمر اللون .

مِنْ مَلِكِ (كَيْدُورَ) مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِفِيلٍ أَبْيَضَ لا تَلْحَقُهُ الْخَيْلُ. وَأَمَّا ما رَأَيْتَ عَلى رَأْسِكَ شَبِيهاً بِالنَّارِ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ (أَرْزَنَ) مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِإِكْلِيلٍ[1] مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ[2]. وَأَمَّا الطَّيْرُ الَّذي رَأَيْتَهُ ضَرَبَ رَأْسَكَ بِمِنْقارِهِ، فَلَسْتُ مُفَسِّراً ذٰلِكَ الْيَوْمَ، وَلَيْسَ بِضارِّكَ فَلا تَوْجَلَنَّ[3] مِنْهُ، وَلٰكِنَّ فِيهِ بَعْضَ السَّخَطِ[4] وَالإِعْراضِ عَمَّنْ تُحِبُّهُ فَهٰذا تَفْسِيرُ رُؤْياكَ — أَيُّها الْمَلِكُ — وَأَمَّا هٰذِهِ الرُّسُلُ وَالْبُرُدُ[5]، فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَكَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَمِيعاً فَيَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذٰلِكَ سَجَدَ لِكَبارِيُونَ وَرَجَعَ إِلى مَنْزِلِهِ.

فَلَمَّا كانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جاءَتِ الْبَشائِرُ[6] بِقُدُومِ الرُّسُلِ فَخَرَجَ الْمَلِكُ فَجَلَسَ عَلى التَّخْتِ[7] وَأَذِنَ لِلأَشْرافِ[8]، وَجاءَتْهُ الْهَدايا كَما أَخْبَرَهُ كَبارِيُونُ الْحَكِيمُ. فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ ذٰلِكَ اشْتَدَّ عَجَبُهُ وَفَرَحُهُ مِنْ عِلْمِ كَبارِيُونَ، وَقالَ: ما وُفِّقْتُ حِينَ قَصَصْتُ رُؤْيايَ عَلى الْبَراهِمَةِ، فَأَمَرُونِي بِما أَمَرُونِي بِهِ. وَلَوْلا أَنَّ اللهَ تَعالَى تَدارَكَنِي بِرَحْمَتِهِ لَكُنْتُ قَدْ هَلَكْتُ

---

(١) الأكليل: التاج، شبه عصابة تزين بالجوهر. (٢) الدر جمع درة: اللآلىء العظام، والياقوت حجر. كريم صلب رزين شفاف تختلف ألوانه والواحدة ياقوتة. (٣) وجل خاف. (٤) الغضب. (٥) جمع بريد وهو الرسول الذي يحمل معه بريداً كرسالة ونحوها. (٦) جمع بشرى وهي الخبر السار. (٧) التخت: المقعد، السرير، والتخت للملك عرشه. (٨) جمع شريف.

وَأَهْلَكْتُ[1] . وَكَذٰلِكَ لا يَنْبَغي لِكُلِّ أَحدٍ أَنْ يَسْمَعَ إِلاّ مِنَ الأَخِلاّءِ ذَوِي ٱلْعُقُولِ وَإِنَّ إِيراخْتَ أَشارَتْ بِالْخَيْرِ فَقَبِلْتُهُ وَرَأَيْتُ بِهِ النَّجاحَ. فَضَعُوا الْهَدِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْها لِتَأْخُذَ مِنْها ما اخْتارَتْ . ثُمَّ قالَ لِإِيلاذَ[2] : خُذِ الإِكْلِيلَ وَالثِّيابَ ، وَاحْمِلْها وَاتْبَعْني بِها إِلى مَجْلِسِ النِّساءِ . ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دَعا إِيراخْتَ و (حُورَقْناهَ) أَكْرَمَ نِسائِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقالَ لِإِيلاذَ: ضَعِ ٱلْكُسْوَةَ وَالإِكْلِيلَ بَيْنَ يَدَيْ إِيراخْتَ لِتَأْخُذَ أَيَّها شاءَتْ ، فَوُضِعَتِ الْهَدايا بَيْنَ يَدَيْ إِيراخْتَ . فَأَخَذَتْ مِنْها الإِكْلِيلَ ، وَأَخَذَتْ حُورَقْناهُ كُسْوَةً مِنْ أَفْخَرِ الثِّيابِ وَأَحْسَنِها . وَكانَ مِنْ عادَةِ الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَيْلَةً عِنْدَ إِيراخْتَ وَلَيْلَةً عِنْدَ حُورَقْناهَ . وَكانَ مِنْ سُنَّةِ الْمَلِكِ أَنْ تُهَيِّءَ لَهُ الْمَرْأَةُ الَّتي يَكُونُ عِنْدَها في لَيْلَتِها أَرُزّاً بِحَلاوَةٍ فَتُطْعِمَهُ إِيّاهُ . فَأَتَى الْمَلِكُ إِيراخْتَ في نَوْبَتِها[3] ، وَقَدْ صَنَعَتْ لَهُ أَرُزّاً . فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ بِالصَّحْفَةِ[4] وَالإِكْلِيلُ عَلى رَأْسِها ، فَعَلِمَتْ حُورَقْناهُ بِذٰلِكَ ، فَغارَتْ مِنْ إِيراخْتَ ، فَلَبِسَتْ تِلْكَ ٱلْكُسْوَةَ وَمَرَّتْ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ وَتِلْكَ الثِّيابُ تُضِيءُ عَلَيْها مَعَ نُورِ وَجْهِها كَما تُضِيءُ الشَّمْسُ . فَلَمّا رَآهـــا الْمَلِكُ

---

(١) أي لو أنني عملت بمشورة البراهمة لكنت أهلكت نفسي وأهلكت من أشير علي بقتلهم من أخصائي وثقاتي (٢) صديق الملك وصاحب أمره . (٣) أي في ليلتها المخصصة لها . (٤) قصعة كبيرة منبسطة تشبع الخمسة والجمع صحاف والمعنى انها دخلت عليه بوعاء فيه الأرز المحلّى ..

أعجبَتْهُ . ثُمَّ ٱلتفتَ إلى إيراخت ، فقالَ : إنَّكِ جاهِلَةٌ حينَ أَخذْتِ الإكليلَ وتَرَكْتِ ٱلكسْوَةَ التي لَيْسَ في خزائِننا مِثْلُها . فلمّا سَمِعَتْ إيراخت مَدْحَ المَلِكِ لِحُورَقْناهَ وثَناءَهُ عَلَيْها وتَجْهيلَها[1] هِيَ وذَمَّ رأْيِها ، أَخذَها مِنْ ذٰلِكَ ٱلغَيْرَةُ وٱلغَيْظُ . فَضَرَبَتْ بِالصَّحْفَةِ رأْسَ المَلِكِ . فَسالَ الأُرْزُّ عَلى وَجْهِهِ . فقامَ المَلِكُ مِنْ مَكانِهِ ، ودَعا بِإيلاذَ . فقالَ لَهُ : ألا تَرَى — وأنا مَلِكُ ٱلعالَمِ — كَيْفَ حَقَّرَتْني هٰذِهِ الجاهِلَةُ ، وفَعَلَتْ بي ما تَرَى . فَانْطَلِقْ بِها فاقْتُلْها ولا تَرْحَمْها . فخَرَجَ إيلاذُ مِنْ عِنْدِ المَلِكِ ، وقالَ : لا أَقْتُلُها حَتَّى يَسْكُنَ عَنْهُ ٱلغَضَبُ . فالمَرْأَةُ عاقِلَةٌ سَديدَةُ الرَّأْيِ مِنَ المَلِكاتِ التي لَيْسَ لَها عَديلٌ[2] في النِّساءِ ، ولَيْسَ المَلِكُ بِصابِرٍ عَنْها ، وقَدْ خَلَّصَتْهُ مِنَ المَوْتِ ، وعَمِلَتْ أَعْمالاً صالِحَةً ، ورَجاؤُنا فيها عَظيمٌ ، ولَسْتُ آمَنُهُ أَنْ يَقُولَ لِمَ لَمْ تُؤَخِّرْ قَتْلَها حَتَّى تُراجِعَني ؟ فَلَسْتُ قاتِلَها حَتَّى أَنْظُرَ رأْيَ المَلِكِ فيها ثانِيَةً . فإنْ رَأَيْتُهُ نادِماً حَزيناً على ما صَنَعَ جِئْتُ بِها حَيَّةً ، وكُنْتُ قَدْ عَمِلْتُ عَمَلاً عَظيماً وأَنْجَيْتُ إيراخت مِنَ ٱلقَتْلِ ، وحَفِظْتُ قَلْبَ المَلِكِ[3] ، واتَّخَذْتُ عِنْدَ عامَّةِ النّاسِ بِذٰلِكَ يَداً[4] .

«١» نعتها بالجهل . «٢» مثيل . «٣» من الندم والحسرة «٤» تطلق اليد على معانٍ متعددة منها الجاه والاعتبار وهي المرادهنا . ومنها النعمة والإحسان والقدرة والقوة الخ .

وَإِنْ رَأَيْتُهُ فَرِحاً مُسْتَرِيحاً مُصَوِّباً رَأْيَهُ فِي الَّذِي قَتَلَهُ وَأَمَرَ بِهِ فَقَتْلُها لا يَفُوتُ[1] .

ثُمَّ انْطَلَقَ بِها إِلى مَنْزِلِهِ وَوَكَّلَ بِها خادِماً مِنْ أُمَنائِهِ بِخِدْمَتِها وَحِراسَتِها حَتَّى يَنْظُرَ ما يَكُونُ مِنْ أَمْرِها وَأَمْرِ المَلِكِ . ثُمَّ خَضَبَ سَيْفَهُ بِالدَّمِ ، وَدَخَلَ عَلى المَلِكِ كالكَئِيبِ الحَزِينِ فَقالَ : أَيُّها المَلِكُ ، إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ أَمْرَكَ في إِيراخْتَ . فَلَمْ يَلْبَثِ المَلِكُ أَنْ سَكَنَ عَنْهُ الغَضَبُ وَذَكَرَ جَمالَ إِيراخْتَ وَحُسْنَها ، وَاشْتَدَّ أَسَفُهُ عَلَيْها ، وَجَعَلَ يُعَزِّي نَفْسَهُ عَنْها وَيَتَجَلَّدُ[2] . وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ يَسْتَحي أَنْ يَسْأَلَ إِيلاذَ : أَحَقًّا أَمْضى أَمْرَهُ فيها أَمْ لا ؟ وَرَجا — لِما عَرَفَ مِنْ عَقْلِ إِيلاذَ — أَلاَّ يَكُونَ قَدْ فَعَلَ ذٰلِكَ . وَنَظَرَ إِلَيْهِ إِيلاذُ بِفَضْلِ عَقْلِهِ[3] ، فَعَلِمَ الَّذي بِهِ . فَقالَ لَهُ : لا تَهْتَمَّ وَلا تَحْزَنْ — أَيُّها المَلِكُ — فَإِنَّهُ لَيْسَ في الهَمِّ وَالحُزْنِ مَنْفَعَةٌ ، وَلٰكِنَّهُما يُنْحِلانِ الجِسْمَ وَيُفْسِدانِهِ . فَاصْبِرْ — أَيُّها المَلِكُ — عَلى ما لَسْتَ بِقادِرٍ عَلَيْهِ أَبَداً ، وَإِنْ أَحَبَّ المَلِكُ حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ يُسَلِّيهِ . قالَ : حَدِّثْني .

قالَ إِيلاذُ : زَعَمُوا أَنَّ حَمامَتَيْنِ ذَكَراً وَأُنْثى مَلأَ عُشَّهُما مِنَ الحِنْطَةِ

«١» أي فقتلها ممكن في كل وقت . «٢» يظهر الصبر والجلد . «٣» أي نظر إليه نظرة ذكي متفرس يستشف ما في قرارة نفسه .

والشَّعير . فقالَ الذَّكَرُ للأُنثَى : إنَّا إذا وَجدنا في الصَّحارَى ما نَعيشُ بِهِ فَلَسْنا نَأْكُلُ مِمَّا هٰهُنا شَيْئاً . فَإذا جاءَ الشِّتاءُ ولَمْ يَكُنْ في الصَّحارَى[1] شَيْءٌ رَجَعْنا إلى ما في عُشِّنا فَأَكَلْناهُ . فَرَضِيَتْ الأُنثَى بِذٰلِكَ ، وَقالَتْ لَهُ : نِعْمَ[2] ما رَأَيتَ . وكانَ ذٰلِكَ الحَبُّ نَدِياً[3] حينَ وَضَعاهُ في عُشِّهِما فَانْطَلَقَ الذَّكَرُ فَغابَ . فَلَمَّا جاءَ الصَّيْفُ يَبِسَ الحَبُّ وَانْضَمَرَ[4] . فَلَمَّا رَجَعَ الذَّكَرُ رَأَى الحَبَّ ناقِصاً فَقالَ لَهَا : أَلَيْسَ كُنَّا أَجْمَعْنا رَأْيَنا[5] عَلى أَلاَّ نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئاً ؟ فَلِمَ أَكَلْتِهِ ؟ فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّها ما أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئاً ، وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إلَيْهِ فَلَمْ يُصَدِّقْها . وَجَعَلَ يَنْقُرُها حَتَّى ماتَتْ . فَلَمَّا جاءَتِ الأَمْطارُ وَدَخَلَ الشِّتاءُ تَنَدَّى[6] الحَبُّ ، وَامْتَلأَ العُشُّ كَما كانَ . فَلَمَّا رَأَى الذَّكَرُ ذٰلِكَ نَدِمَ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ إلى جانِبِ حَمامَتِهِ ، وَقالَ : ما يَنْفَعُني الحَبُّ وَالعَيْشُ بَعْدَكِ إذا طَلَبْتُكِ فَلَمْ أَجِدْكِ ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ ، وَإذا فَكَّرْتُ في أَمْرِكِ ، وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ ، وَلا أَقْدِرُ عَلى تَدارُكِ[7] ما فاتَ . ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلى حُزْنِهِ . فَلَمْ يَطْعَمْ[8] طَعاماً وَلا شَراباً حَتَّى ماتَ إلى جانِبِها .

«١» جمع صحراء وهي البرية . «٢» أي إنه رأي ممدوح صائب . «٣» رطباً مبللاً . «٤» انكمش وتضاءل حجمه «٥» أي اجتمع رأينا واتفق على ماسلف «٦» تبلل بالرطوبة «٧» تلافي واسترجاع ما مضى . «٨» أي فلم يأكل طعاماً .

وَالعاقِلُ لا يُعَجِّلُ في العَذابِ وَالعُقُوبَةِ ، وَلا سِيَّما مَنْ يَخافُ النَّدامَةَ كَما نَدِمَ الحَمامُ الذَّكَرُ .

وَقَدْ سَمِعْتُ أَيْضاً أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ الجَبَلَ وَعَلى رَأْسِهِ كارَةٌ[1] مِنَ العَدَسِ ، فَوَضَعَ الكارَةَ عَنْ ظَهْرِهِ لِيَسْتَريحَ . فَنَزَلَ قِرْدٌ مِنْ شَجَرَةٍ . فَأَخَذَ مِلْءَ كَفِّهِ مِنَ العَدَسِ ، وَصَعَدَ إلى الشَّجَرَةِ . فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ حَبَّةٌ . فَنَزَلَ في طَلَبِها فَلَمْ يَجِدْها . وَانْتَثَرَ ما كانَ في يَدِهِ مِنَ العَدَسِ أَجْمَعُ . وَأَنْتَ أَيْضاً — أَيُّها المَلِكُ — عِنْدَكَ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ امْرَأَةٍ تَدَعُ أَنْ تَلْهُوَ بِهِنَّ ، وَتَطْلُبُ الَّتي لا تَجِدُ . فَلَمّا سَمِعَ المَلِكُ ذٰلِكَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ إيراخْتُ قَدْ هَلَكَتْ . فَقالَ لإيلاذَ : لِمَ لا تَأَنَّيْتَ[2] وَتَثَبَّتَّ ؟ بَلْ أَسْرَعْتَ عِنْدَ سَماعِ كَلِمَةٍ واحِدَةٍ ، فَتَعَلَّقْتَ بِها ، وَفَعَلْتَ ما أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ ساعَتِكَ ! قالَ إيلاذُ : إنَّ الَّذي قَوْلُهُ واحِدٌ لا يَخْتَلِفُ هُوَ اللهُ الَّذي لا تَبْديلَ لِكَلِماتِهِ ، وَلا اخْتِلافَ لِقَوْلِهِ . قالَ المَلِكُ : لَقَدْ أَفْسَدْتَ أَمْري ، وَشَدَّدْتَ حُزْني بِقَتْلِ إيراخْتَ . قالَ إيلاذُ : اثْنانِ يَنْبَغي لَهُما أَنْ يَحْزَنا : الَّذي يَعْمَلُ الإِثْمَ[3] في كُلِّ يَوْمٍ ، وَالَّذي لا يَعْمَلُ

«١» الكارة : مقدار معلوم من الطعام وهي من الثياب بمعنى الرزمة، جمعها كارات .

«٢» أي لِمَ لَمْ تتأنى وتتأكد قبل أن تنفذ ما أمرتك به في ساعة غضب ؟

«٣» الذنب .

خيراً قطُّ[1] . لِأَنَّ فَرَحَهما في الدُّنيا وَنَعيمَهما قليلٌ ، وَنَدامَتَهما - إذْ[2] يُعايِنانِ[3] الجَزاءَ - طَويلَةٌ لا يُستَطاعُ إحصاؤُها . قالَ المَلِكُ : لَئِنْ رَأَيتُ إيراخْتَ حَيَّةً لا أَحزَنُ عَلى شَيْءٍ أَبداً . قالَ إيلاذُ : اثْنانِ لا يَنْبَغي لَهُما أَنْ يَحْزَنا : المُجْتَهِدُ في البِرِّ[4] كُلَّ يَوْمٍ وَالَّذي لَمْ يَأْثَمْ قَطُّ[5] . قالَ المَلِكُ : ما أَنا بِناظِرٍ إلى إيراخْتَ أَكْثَرَ مِمَّا نَظَرْتُ . قالَ إيلاذُ : اثْنانِ لا يَنْظُرانِ : الأَعْمى وَالَّذي لا عَقْلَ لَهُ . وَكَما أَنَّ الأَعْمى لا يَنْظُرُ السَّماءَ وَنُجُومَها وَأَرْضَها وَلا يَنْظُرُ القُرْبَ وَالبُعْدَ ، كَذلِكَ الَّذي لا عَقْلَ لَهُ لا يَعْرِفُ الحَسَنَ مِنَ القَبيحِ وَلا المُحْسِنَ مِنَ المُسيءِ . قالَ المَلِكُ : لَوْ رَأَيتُ إيراخْتَ لَاشْتَدَّ فَرَحي . قالَ إيلاذُ : اثْنانِ هُما الفَرِحانِ : البَصيرُ وَالعالِمُ . فَكَما أَنَّ البَصيرَ يُبْصِرُ أُمورَ العالَمِ وَما فيهِ مِنَ الزِّيادَةِ وَالنُّقْصانِ وَالقَريبِ وَالبَعيدِ ، فَكَذلِكَ العالِمُ يُبْصِرُ البِرَّ وَالإِثْمَ ، وَيَعْرِفُ عَمَلَ الآخِرَةِ ، وَيَتَبَيَّنُ لَهُ نَجاتُهُ ، وَيَهْتَدي إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ . قالَ المَلِكُ : يَنْبَغي لَنا أَنْ نَتَباعَدَ مِنْكَ يا إيلاذُ ، وَنَأْخُذَ الحَذَرَ ، وَنَلْزَمَ الاتِّقاءَ[6] . قالَ إيلاذُ : اثْنانِ يَنْبَغي أَنْ يُتَباعَدَ مِنْهُما : الَّذي يَقُولُ

«١» ظرف زمان لاستغراق الماضي وتختص بالنفي . «٢» ظرف الزمان الماضي لا يقع بعده إلا الجملة وقد تحذف الجملة ويعوض عنها بالتنوين نحو : متى جاءكم الوعد حينئذٍ تعلمون. «٣» يشاهدان العقوبة . «٤» الطاعة والخير . «٥» لم يقع في ذنب أبداً . «٦» الحيطة والتوقي .

لا بِرَّ وَلا إثْمَ ، وَلا عِقابَ وَلا ثَوابَ ، وَلا شَيْءَ عَلَيَّ مِمَّا أنا فيهِ ، وَالَّذي لا يَكادُ يَصْرِفُ[1] بَصَرَهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِمَحْرَمٍ[2] ، وَلا أُذُنَهُ عَنِ اسْتِماعِ السُّوءِ ، وَلا قَلْبَهُ عَمَّا تَهُمُّ بِهِ[3] نَفْسُهُ مِنَ الإثْمِ وَالحِرْصِ . قالَ المَلِكُ : صارَتْ يَدي مِنْ إيراخْتَ صِفْراً[4] . قالَ إيلاذُ : ثَلاثَةُ أَشْياءَ أَصْفارٌ : النَّهْرُ الَّذي لَيْسَ فيهِ ماءٌ . وَالأَرْضُ الَّتي لَيْسَ فيها مَلِكٌ . وَالمَرْأَةُ الَّتي لَيْسَ لَها بَعْلٌ[5] . قالَ المَلِكُ : إنَّكَ يا إيلاذُ لَتُلَقَّى الجَوابَ[6] . قالَ إيلاذُ : ثَلاثَةٌ يُلَقَّوْنَ الجَوابَ : المَلِكُ الَّذي يُعْطي مِنْ خَزائِنِهِ . وَالمَرْأَةُ المُهْداةُ إلى مَنْ تَهْوى[7] مِنْ ذَوي الحَسَبِ . وَالرَّجُلُ العالِمُ المُوَفَّقُ لِلْخَيْرِ .

ثُمَّ إنَّ إيلاذَ لَمَّا رَأَى المَلِكُ اشْتَدَّ بِهِ الأَمْرُ قالَ : أَيُّها المَلِكُ ، إنَّ إيراخْتَ عَلى قَيْدِ الحَياةِ . فَلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ ذلِكَ اشْتَدَّ فَرَحُهُ ، وقالَ : يا إيلاذُ إنَّما مَنَعَني مِنَ الغَضَبِ ما أَعْرِفُ مِنْ نَصيحَتِكَ ، وَصِدْقِ حَديثِكَ وكُنْتُ أَرْجو[8] لِمَعْرِفَتي بِعِلْمِكَ أَلاَّ تَكونَ قَدْ قَتَلْتَ إيراخْتَ ، فَإنَّها

«١» يردّ بصره عمن لايجوز له رؤيتها من النساء . «٢» محارم الرجل من لا يجوز له التزوج بهنّ من النساء كالأم والاخت والخالة و بنت الأخت وبنت الابن ... «٣» همّ بالشيء حاول فعله . «٤» الصفر بالكسر : الخالي . يقال بيت صفر من المتاع ورجل صفر اليدين . «٥» زوج . «٦» بمعنى تلهمه ، ويقصد سرعة جوابه وسداد رأيه . «٧» تحب . «٨» بمعنى أتوقع وآمل .

وإنْ كانَتْ أتَتْ عَظيماً[1] وأغلَظْتْ في القَوْلِ فَلَمْ تَأْتِهِ عَداوَةً ولا طَلَبَ مَضَرَّةٍ ، ولٰكِنَّها فَعَلَتْ ذٰلِكَ لِلْغيْرَةِ ، وقَدْ كانَ يَنْبَغي لي أنْ أُعرِضَ عَنْ ذٰلِكَ[2] وأحتَمِلَهُ ، ولٰكِنَّكَ يا إيلاذُ أردْتَ أنْ تَخْتَبِرَني وتَتْرُكَني في شَكٍّ مِنْ أمْرِها . وقَدِ اتَّخَذْتَ عِنْدي أفْضَلَ الأيدِي[3] وأنا شاكِرٌ لَكَ . فانْطَلِقْ فائْتِني بِها . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ المَلِكِ وذَهَبَ إلى إيرَاخْتَ وأمَرَها أنْ تَتَزَيَّنَ . ففَعَلَتْ ذٰلِكَ ، وانْطَلَقَ بِها إلى المَلِكِ فَلَمَّا دَخَلَتْ سَجَدَتْ لَهُ ، ثُمَّ قامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وقالَتْ : أحْمَدُ اللهَ تَعالىٰ ، ثُمَّ أحْمَدُ المَلِكَ الَّذي أحْسَنَ إليَّ . وقَدْ أذْنَبْتُ الذَّنْبَ العَظيمَ الَّذي لَمْ أكُنْ لِلْبَقاءِ أهْلاً بَعْدَهُ . فَوَسِعَهُ حِلْمُهُ وكَرَمُ طَبْعِهِ ورَأْفَتُهُ . ثُمَّ أحْمَدُ إيلاذَ الَّذي أخَّرَ أمْري وأنْجاني مِنَ الهَلَكَةِ[4] ، لِعِلْمِهِ بِرَأْفَةِ المَلِكِ وسَعَةِ حِلْمِهِ وجُودِهِ وكَرَمِ جَوْهَرِهِ[5] ووَفاءِ عَهْدِهِ . وقالَ المَلِكُ لإيلاذَ : ما أعْظَمَ يَدَكَ عِنْدي ! وعِنْدَ إيرَاخْتَ ، وعِنْدَ العامَّةِ[6] ، إذْ قَدْ أحْيَيْتَها بَعْدَ ما أمَرْتُ بِقَتْلِها ، فَأنْتَ الَّذي وَهَبْتَها[7] لِيَ اليَوْمَ . فَإنِّي لَمْ

«١» ارتكبت جرماً فظيعاً . «٢» الذي فعلته ايراخت من الذنب . «٣» جمع يد وهي هنا بمعنى النعمة والإحسان . «٤» الهلاك «٥» صفاء أصله وجودة طبعه . «٦» يقصد كافة الشعب . «٧» قدمها لي كهبة قيمة بعد أن كادت تذهب من يدي الى الأبد .

أَزَلْ واثِقاً بِنَصِيحَتِكَ وتَدْبِيرِكَ ، وقَدِ ازْدَدْتَ اليَوْمَ عِنْدِي كَرَامَةً وتَعْظِيماً ، وأَنْتَ مُحَكَّمٌ في مُلْكِي تَعْمَلُ فِيهِ بِما تَرَى ، وتَحْكُمُ عَلَيْهِ بِما تُرِيدُ . فَقَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ إِلَيْكَ ، ووَثِقْتُ بِكَ . قَالَ إِيلَاذُ : أَدَامَ اللهُ لَكَ - أَيُّها المَلِكُ - المُلْكَ والسُّرُورَ . فَلَسْتُ بِمَحْمُودٍ على ذٰلِكَ ، فَإِنَّما أَنَا عَبْدُكَ ، لٰكِنَّ حَاجَتِي أَلاَّ يُعَجِّلَ المَلِكُ في الأَمْرِ الجَسِيمِ الَّذِي يَنْدَمُ على فِعْلِهِ وتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الغَمَّ والحُزْنَ ، ولا سِيَّما في مِثْلِ هٰذِهِ المَلِكَةِ النَّاصِحَةِ المُشْفِقَةِ التي لا يُوجَدُ في الأَرْضِ مِثْلُهَا . قَالَ المَلِكُ : بِحَقٍّ قُلْتَ يَا إِيلَاذُ[1] ، وقَدْ قَبِلْتُ قَوْلَكَ ، لَسْتُ عَامِلاً بَعْدَهَا عَمَلاً صَغِيراً ولا كَبِيراً فَضْلاً عَنْ مِثْلِ هٰذَا الأَمْرِ العَظِيمِ الَّذِي مَا سَلِمْتُ مِنْهُ إِلاَّ بَعْدَ المُؤَامَرَةِ[2] والنَّظَرِ والتَّرَدُّدِ إلى ذَوِي العُقُولِ[3] ومُشَاوَرَةِ أَهْلِ المَوَدَّةِ والرَّأْيِ . ثُمَّ أَحْسَنَ المَلِكُ جَائِزَةَ إِيلَاذَ ، ومَكَّنَهُ[4] مِنْ أُولٰئِكَ البَرَاهِمَةِ الَّذِينَ أَشَارُوا بِقَتْلِ أَحِبَّائِهِ ، فَأَطْلَقَ فِيهِمُ السَّيْفَ ، وقَرَّتْ عَيْنُ المَلِكِ وعُيُونُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وحَمِدُوا اللهَ وأَثْنَوْا على كَبَارِيُونَ بِسَعَةِ عِلْمِهِ وفَضْلِ حِكْمَتِهِ ، إِذْ بِعِلْمِهِ خَلَّصَ المَلِكَ ووَزِيرَهُ الصَّالِحَ وامْرَأَتَهُ الصَّالِحَةَ .

« » أي لقد نطقت بالحق والصواب . «٢» المؤامرة : من آمره في كذا مؤامرة : شاوره . «٣» أي مشاورتهم مرة بعد مرة . «٤» سلّطه عليهم ووضع أمرهم بين يديه.

الباب الحادي عشر

اللبوءة والإسوار والشغبر

« مَثَلُ الذي يدع ضرَّ غيره — إذا قدر عليه — بما يصيبه من الضرر ويكُون له بذلك واعظ »

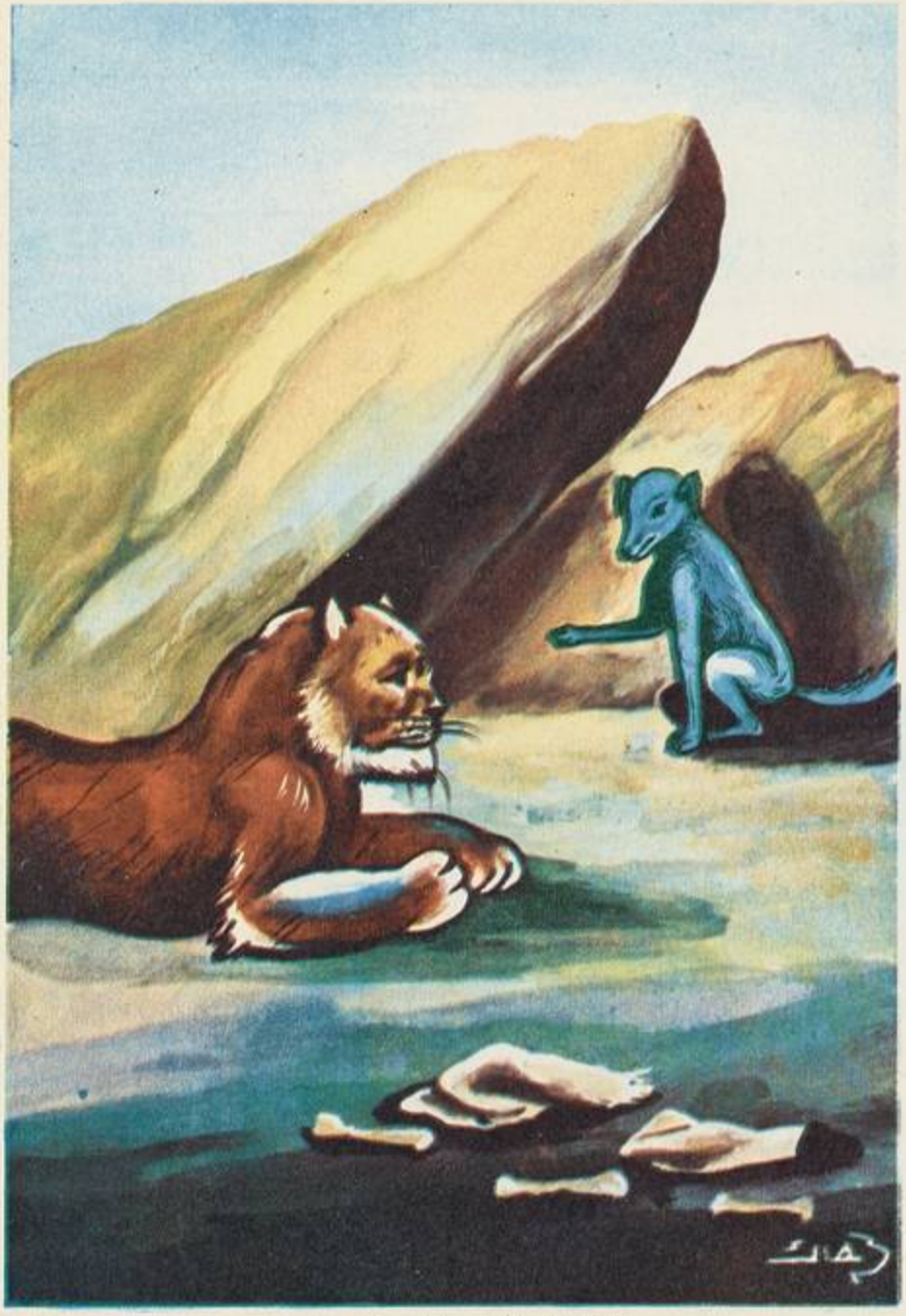

اللبوءة والإسوار والتعبر

قالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبا الفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذا المَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلاً فِي شَأْنِ مَنْ يَدَعُ ضَرَّ غَيْرِهِ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ لِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الضَّرِّ ، وَيَكُونُ لَهُ فِيمَا يَنْزِلُ بِهِ وَاعِظٌ[1] وَزَاجِرٌ[2] عَنِ ارْتِكَابِ الظُّلْمِ وَالعَدَاوَةِ لِغَيْرِهِ . قالَ الفَيْلَسُوفُ : إِنَّهُ لا يُقْدِمُ عَلَى طَلَبِ مَا يَضُرُّ بِالنَّاسِ وَمَا يَسُوءُهُمْ إِلاَّ أَهْلُ الجَهالَةِ وَالسَّفَهِ وَسُوءِ النَّظَرِ فِي العَوَاقِبِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَقِلَّةِ العِلْمِ بِمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي ذٰلِكَ مِنْ حُلُولِ النِّقْمَةِ ، وَبِمَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ تَبِعَةِ[3] مَا اكْتَسَبُوا مِمَّا لا تُحِيطُ بِهِ العُقُولُ ، وَإِنْ سَلِمَ بَعْضُهُمْ مِنْ ضَرَرِ بَعْضٍ بِمَنِيَّةٍ عَرَضَتْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَبَالُ مَا صَنَعَ[4] . فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي العَوَاقِبِ لَمْ يَأْمَنِ المَصَائِبَ ، وَحَقِيقٌ أَلاَّ يَسْلَمَ مِنَ المَعَاطِبِ[5] . وَرُبَّمَا اتَّعَظَ الجَاهِلُ وَاعْتَبَرَ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ المَضَرَّةِ مِنْ غَيْرِهِ ، فَارْتَدَعَ[6] عَنْ أَنْ يَغْشَى[7] أَحَداً بِمِثْلِ

---

(١) أى يكون له فيما يحلّ به من أذى عبرة وعظة . (٢) رادع . (٣) أي من جراء مافعلوا مما لا تدركه العقول . (٤) أي وإن سلم بعضهم من ضرر البعض الآخر بقدر من الله سبحانه قبل أن تنزل به مغبة مافعل . (٥) من العطب وهو الهلاك . (٦) فازدجر . (٧) بمعنى يصيب ويأتي غيره بمثل ذلك .

ذَلِكَ مِنَ ضَرَرِهِ لِغَيْرِهِ فِي ٱلْعَاقِبَةِ[1] : فَنَظِيرُ ذَلِكَ حَدِيثُ اللَّبُوَةِ[2] والإِسْوَارِ[3] وَٱلشَّغْبَرِ[4] . قَالَ ٱلْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذلكَ ؟!

قَالَ الفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ لَبُوَةً كَانَتْ فِي غَيْضَةٍ[5] ، وَلَهَا شِبْلَانِ[6] وَأَنَّهَا خَرَجَتْ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ وَخَلَّفَتْهُمَا[7] فِي كِهْفِهَا[8] . فَمَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمَا وَرَمَاهُمَا فَقَتَلَهُمَا ، وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا فَٱحْتَقَبَهُمَا[9] وَٱنْصَرَفَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ . فَلَمَّا رَأَتْ مَا حَلَّ بِهِمَا مِنَ الْأَمْرِ ٱلْفَظِيعِ ٱضْطَرَبَتْ ظَهْراً لِبَطْنٍ[10] وَصَاحَتْ وَضَجَّتْ . وَكَانَ إِلَى جَنْبِهَا شَغْبَرٌ فَلَمَّا سَمِعَ ذٰلِكَ مِنْ صِيَاحِهَا قَالَ لَهَا : مَا هٰذَا ٱلَّذِي تَصْنَعِينَ ! وَمَا نَزَلَ بِكِ[11] ! فَأَخْبِرِينِي بِهِ ، قَالَتِ اللَّبُوَةُ : شِبْلَايَ مَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَقَتَلَهُمَا ، وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا فَٱحْتَقَبَهُمَا ، وَنَبَذَهُمَا بِالْعَرَاءِ[12] . قَالَ لَهَا الشَّغْبَرُ : لَا تَضِجِّي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكِ[13] . وَٱعْلَمِي أَنَّ هٰذَا

---

(١) في النهاية والنتيجة ، والمعنى انه ربما اتعظ الجاهل بما يصيبه من الضرر من غيره فكان ذلك رادعاً له عن ظلمه لغيره وبذلك يحصل له نفع ما تركه مما يضر الآخرين ، ويكون قد استفاد من هذا الاعتبار في نهاية الامر . (٢) أنثى الاسد . (٣) الرامي بالسهام، وهو يضم ويكسر . (٤) الشغبر بالباء كما في القاموس : ابن آوى . (٥) الغيضة مجتمع الشجر في مغيض ماء . (٦) الشبل ولد الأسد . (٧) تركتهما . (٨) الكهف المغارة في الجبل . (٩) من الحقب وأصله حبل يشد به رجل البعير إلى بطنه كي لا يتقدم الى كاهله والحقبة ما يحمل من القماش على الفرس خلف الراكب وحقبتها ، واحتقبتها : حملتها . (١٠) كناية عن شدة غضبها وهياجها . (١١) ما حل بك من البلاء ؟ (١٢) أي تركهما في الفضاء . (١٣) أي لا يغلبنك الحزن وأشفقي على نفسك .

الإسْوَارَ لَمْ يَأْتِ إِلَيْكِ شَيْئاً إِلاَّ وَقَدْ كُنْتِ تَفْعَلِينَ بِغَيْرِكِ مِثْلَهُ ، وَتَأْتِينَ إِلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِثْلَ ذَلِكَ مِمَّنْ كَانَ يَجِدُ بِحَمِيمِهِ[1] وَمَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَاتَجِدِينَ بِشِبْلَيْكِ . فَاصْبِرِي عَلَى فِعْلِ غَيْرِكِ كَمَا صَبَرَ غَيْرُكِ عَلَى فِعْلِكِ . فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ . كَمَا تَدِينُ[2] تُدَانُ . وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَمَرَةٌ مِنَ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ ، وَهُمَا عَلَى قَدْرِهِ[3] فِي الكَثْرَةِ وَالْقِلَّةِ : كَالزَّرْعِ إِذَا حَصَلَ الحَصَادُ أُعْطِيَ عَلَى حَسَبِ بَذْرِهِ . قَالَتِ اللَّبُوَةُ : بَيِّنْ لِي مَاتَقُولُ، وَأَفْصِحْ[4] لِي عَنْ إِشَارَتِهِ قَالَ الشَّغْبَرُ : كَمْ أَتَى لَكِ[5] مِنَ العُمُرِ ! قَالَتِ اللَّبُوَةُ : مَائَةُ سَنَةٍ قَالَ الشَّغْبَرُ : مَاكَانَ قُوتُكِ[6] ؟ قَالَتِ اللَّبُوَةُ : لَحْمَ الوَحْشِ قَالَ الشَّغْبَرُ : وَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكِ إِيَّاهُ ؟ قَالَتْ اللَّبُوَةُ : كُنْتُ أَصِيدُ الْوَحْشَ . وَآكُلُهُ . قَالَ الشَّغْبَرُ أَرَأَيْتِ الْوُحُوشَ الَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَ ؟ أَمَا كَانَ لَهَا آبَاءٌ وَأُمَّاتٌ ؟ قَالَتْ : بَلَى[7] . قَالَ الشَّغْبَرُ : فَمَا بَالِي لاأَرَى وَلا أَسْمَعُ لِتِلْكَ الآبَاءِ وَالأُمَّاتِ مِنَ الْجَزَعِ

---

(١) الحميم : القريب الذي تهتم بأمره . (٢) أي كما تظلم من هو أضعف منك فإن الله يسلط عليك من هو أقوى منك فيظلمك . (٣) القدر بسكون الدال المقدار والكمية . (٤) أوضح لي . (٥) كم بلغت من العمر ؟ (٦) قوت يجوز أن تكون منصوبة على أنها خبر كان واسمها يعود على ما ، ويجوز أن تكون مرفوعة وكان زائدة . (٧) حرف تصديق مثل نعم وتعين الجواب المثبت بها في هذا الموضع لأن الاستفهام بالهمزة جاء متلواً بنفي .

والضَّجيجِ مَا أَرَى وأَسْمَعُ لَكِ ؟ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِكِ مَانَزَلَ إِلا لِسُوءِ نَظَرِكِ فِي العَوَاقِبِ ، وَقِلَّةِ تَفَكُّرِكِ فِيهَا ، وَجَهَالَتِكِ بِمَا يَرْجِعُ عَلَيْكِ مِنْ ضَرِّهَا . فَلَمَّا سَمِعَتِ اللَّبُوءَةُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الشَّغْبَرِ عَرَفَتْ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا جَنَتْ عَلَى نَفْسِهَا ، وأَنَّ عَمَلَهَا كَانَ جَوْراً[1] وظُلْماً . فَتَرَكَتِ الصَّيْدَ، وانْصَرَفَتْ عَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ إِلَى أَكْلِ الثِّمَارِ والنُّسُكِ والعِبَادَةِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَرَشَانٌ[2] — كَانَ صَاحِبَ تِلْكَ الغَيْضَةِ وكَانَ عَيْشُهُ مِنَ الثِّمَارِ — قَالَ لَهَا : قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشَّجَرَةَ[3] عَامَنَا هٰذَا لَمْ تَحْمِلْ لِقِلَّةِ المَاءِ. فَلَمَّا أَبْصَرْتُكِ تَأْكُلِينَهَا وأَنْتِ آكِلَةُ اللَّحْمِ ، فَتَرَكْتِ رِزْقَكِ وطَعَامَكِ ومَا قَسَمَ اللهُ لَكِ ، وتَحَوَّلْتِ إِلَى رِزْقِ غَيْرِكِ ، فَانْتَقَصْتِهِ ودَخَلْتِ عَلَيْهِ فِيهِ[4] . عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ العَامَ أَثْمَرَتْ كَمَا كَانَتْ تُثْمِرُ قَبْلَ اليَوْمِ. وإِنَّمَا أَتَتْ قِلَّةُ الثَّمَرِ من جِهَتِكِ . فَوَيْلٌ للشَّجَرِ وَوَيْلٌ لِلثِّمَارِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ عَيْشُهُ مِنْهَا . مَا أَسْرَعَ هَلَاكَهُم ! إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِم فِي أَرْزَاقِهِمْ وغَلَبَهُمْ عَلَيْهَا مَنْ لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَظٌّ[5] ، ولَمْ يَكُنْ مُعْتَاداً أَكْلَهَا فَلَمَّا سَمِعَتِ اللَّبُوءَةُ ذَلِكَ من كَلَامِ الْوَرَشَانِ تَرَكَتْ أَكْلَ الثِّمَارِ ، وأَقْبَلَتْ

---

(١) الجور والظلم بمعنى واحد فهما من المترادف . (٢) الورشان : ذكر القنبرة ، أو هو طائر شبه الحمامة ، والأنثى بدخول التاء ، والجمع ورشان بكسر ففتح وورشين بفتحتين . (٣) أي في عامنا هذا . (٤) أي وزاحمته عليه . (٥) أي الهلاك لمن كان عيشه من الأشجار والثمار إذا زاحمهم عليها من ليست هي من طعامه .

على أَكْلِ الحَشِيشِ والعِبَادَةِ . وإنَّما ضَرَبْتُ لكَ هٰذَ المَثَـــلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الجَاهِلَ ربَّما انصَرَفَ بضُرٍّ[1] يُصيبُه عن ضُرِّ النَّاسِ ـ كاللبُؤَةِ التي انصَرَفَتْ ـ لَمَا لقِيَتْ في شبلِيْهَا ـ عن أَكْلِ اللَّحْمِ ثُمَّ عَنْ الثِّمَارِ بقَولِ الوَرَشَانِ . وأَقْبَلَتْ على النُّسُكِ والعِبَادَةِ . والنَّاسُ أَحقُ بِحُسْنِ النَّظَرِ في ذٰلك[2] ، فإنَّه قد قيلَ : مالا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ لاتصْنَعْهُ لِغَيْرِكَ . فَإِنَّ في ذلكَ العَدْلُ وفي العَدْلِ رِضَى اللهِ تعَالى ورِضَى النَّاسِ .

(١) أي بسبب ضرّ يصيبه . (٢) أي والناس أولى وأجدر بالاعتبار والاتعاظ ـ وهم أهل عقل ـ من اللبؤة وهي من الحيوانات المفترسة .

الباب الثاني عشر

النّاسك والضّيف

« مثل الذي يترك عمله، ويطلب سواه »

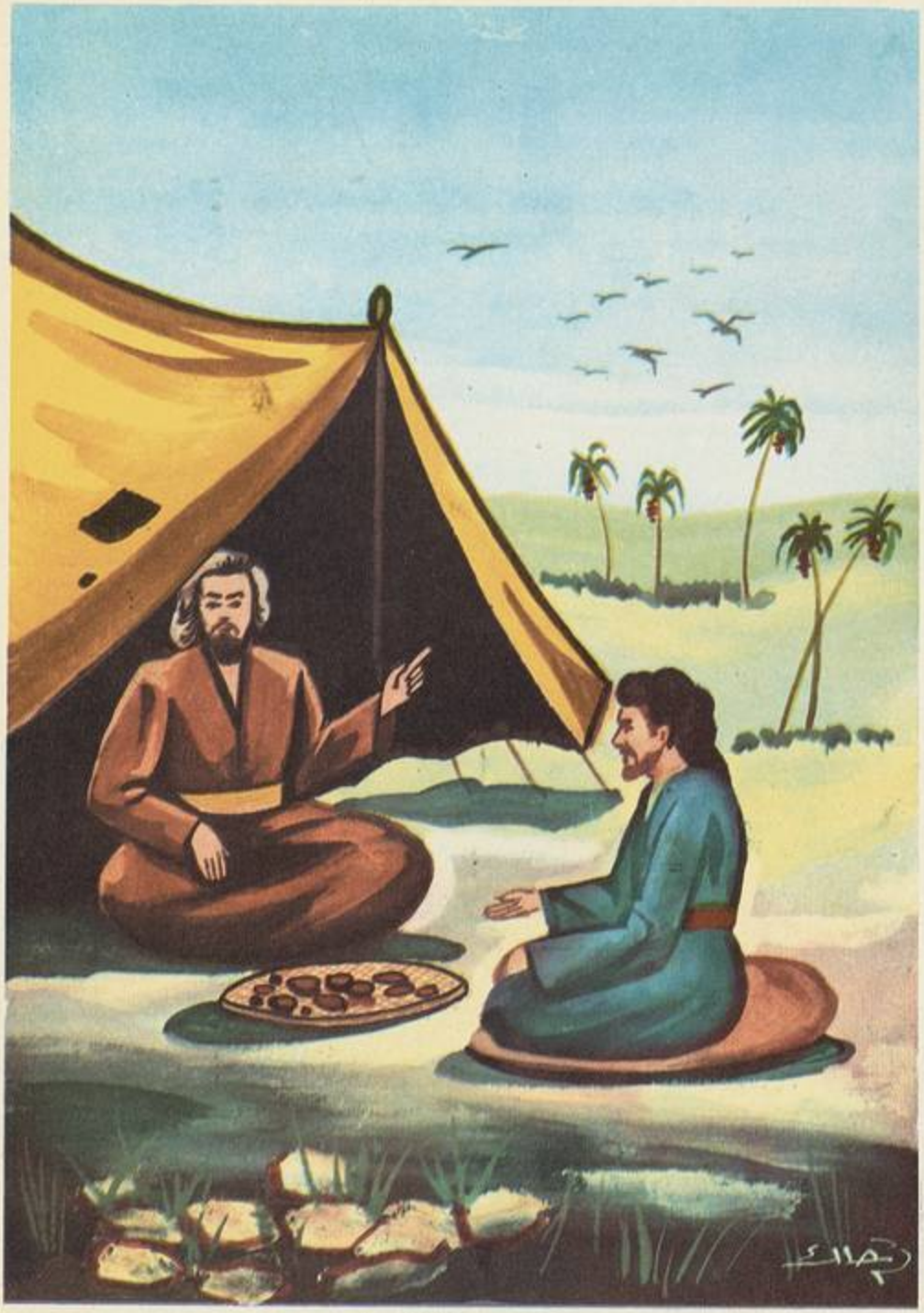

النّاسك والضّيف

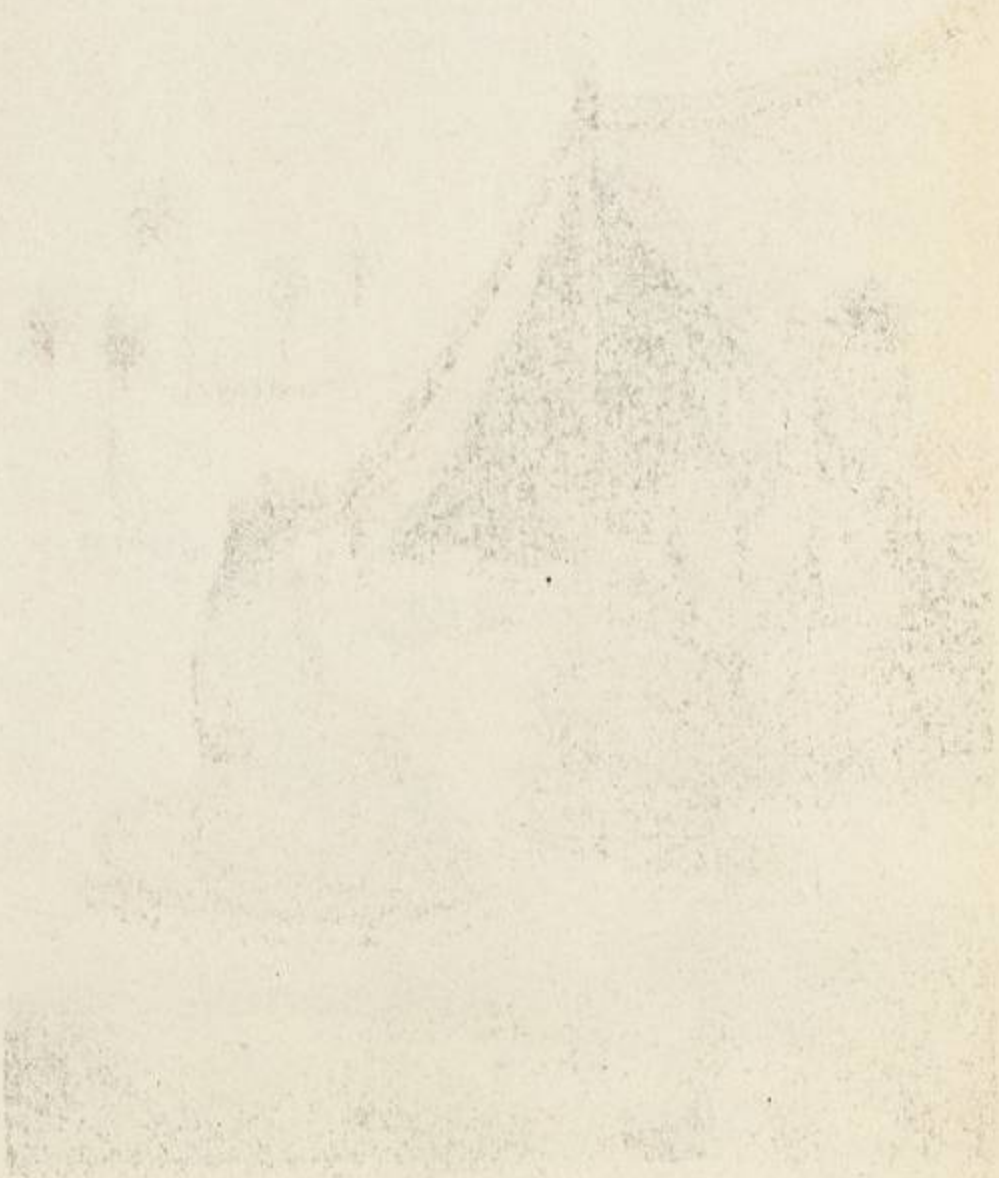

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الذي يَدَعُ صُنْعَهُ[1] الَّذِي يَلِيقُ بِهِ وَيُشَاكِلُهُ[2] ، وَيَطْلُبُ غَيْرَهُ فَلَا يُدْرِكُهُ[3] ، فَيَبْقَى حَيْرَانَ مُتَرَدِّداً . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ الكَرْخِ نَاسِكٌ عَابِدٌ مُجْتَهِدٌ . فَنَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ ذَاتَ يَوْمٍ . فَدَعَا[4] النَّاسِكُ لِضَيْفِهِ بِتَمْرٍ لِيُطْرِفَهُ[5] بِهِ . فَأَكَلَا مِنْهُ جَمِيعاً . ثُمَّ قَالَ الضَّيْفُ : مَا أَحْلَى هٰذَا التَّمْرَ وَأَطْيَبَهُ ! فَلَيْسَ هُوَ فِي بِلَادِي الَّتِي أَسْكُنُهَا ، وَلَيْتَهُ كَانَ فِيهَا . ثُمَّ قَالَ : أَرَى أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَى أَنْ آخُذَ مِنْهُ مَا أَغْرِسُهُ فِي أَرْضِنَا ، فَإِنِّي لَسْتُ عَارِفاً بِثِمَارِ أَرْضِكُمْ هٰذِهِ وَلَا بِمَوْضِعِهَا . فَقَالَ لَهُ النَّاسِكُ : لَيْسَ لَكَ فِي ذٰلِكَ رَاحَةٌ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يَثْقُلُ[6] عَلَيْكَ ، لَعَلَّ ذٰلِكَ لَا يُوَافِقُ أَرْضَكُمْ ، مَعَ أَنَّ بِلَادَكُمْ كَثِيرَةُ الْأَثْمَارِ ، فَمَا حَاجَتُهَا مَعَ كَثْرَةِ ثِمَارِهَا إِلَى التَّمْرِ مَعَ وَخَامَتِهِ وَقِلَّةِ مُوَافَقَتِهِ[7] لِلْجَسَدِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّاسِكُ : إِنَّهُ لَا يُعَدُّ حَكِيماً مَنْ طَلَبَ مَالَا يَجِدُ ، وَإِنَّكَ سَعِيدُ الْجَدِّ إِذَا قَنِعْتَ بِالَّذِي تَجِدُ وَزَهِدْتَ فِيمَا لَا تَجِدُ . وَكَانَ هٰذَا النَّاسِكُ يَتَكَلَّمُ بِالْعِبْرَانِيَةِ[8] فَاسْتَحْسَنَ الضَّيْفُ كَلَامَهُ وَأَعْجَبَهُ . فَتَكَلَّفَ[9] أَنْ يَتَعَلَّمَهُ ، وَعَالَجَ[10] فِي ذٰلِكَ نَفْسَهُ أَيَّاماً . فَقَالَ النَّاسِكُ لِضَيْفِهِ : مَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَقَعَ - مِمَّا تَرَكْتَ مِنْ كَلَامِكَ ،

(١) عمله . (٢) يوافقه . (٣) فلا يصل اليه . (٤) طلب . (٥) ليتحفه به .
(٦) يصعب عليك . (٧) مناسبته . (٨) وهى اللغة الأصلية لليهود . (٩) فاجتهد .
(١٠) أي وجرب عدة أيام أن يتعلم هذه اللغة .

وتكلّفتَ مِنْ كَلامِ العِبْرانيَّةِ - في مِثْلِ مَاوَقَعَ فِيهِ الغُرابُ[1] . قالَ الضَّيفُ : وكَيْفَ كانَ ذٰلكَ ؟!

قالَ النّاسِكُ : زَعَمُوا أنَّ غُراباً رأى حَجَلَةً[2] تَدْرُجُ[3] وتَمْشِي فأعْجَبَهُ مِشْيَتُهَا ، وطَمِعَ أنْ يَتعلَّمَهَا . فَرَاضَ[4] عَلى ذٰلكَ نَفْسَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ على إحْكامِهَا[5] : وأيِسَ مِنْهَا ، وأرَادَ أنْ يَعُودَ إلى مِشْيَتِهِ التي كانَ عَلَيْهَا ، فَإذَا هوَ قَدِ اخْتَلَطَ[6] وتَخلَّعَ في مِشْيَتِهِ[7] ، وصَارَ أقْبَحَ الطَّيرِ مَشْياً . وإنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا المَثَلَ لَمَا رَأيْتُ مِن أنَّكَ تَرَكْتَ لِسَانَكَ الَّذي طُبِعْتَ عَلَيْهِ[8] ، وأقْبَلْتَ على لِسَانِ العِبْرانيَّةِ وهُوَ لا يُشَاكِلُكَ . وأخَافُ ألاَّ تُدْرِكَهُ وتَنْسَى لِسَانَكَ وتَرْجِعَ إلى أهْلِكَ وأنْتَ شَرُّهُمْ لِسَاناً . فَإنَّهُ قِيلَ : إنَّهُ يُعَدُّ جَاهِلاً مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ الأُمُورِ مَالاَ يُشَاكِلُهُ ، ولَيْسَ مِنْ عَمَلِهِ . ولَمْ يُؤدِّبْهُ[9] عَلَيْهِ آباؤهُ وأجْدَادُهُ مِنْ قَبْلُ .

---

(١) ما أجدرك ! والمعنى : ما أجدرك أن تقع في مثل ما وقع فيه الغراب بسبب تركك كلامك ومحاولتك تعلم العبرانية . (٢) الحجلة واحدة الحجل ، وهو طائر مشهور بسرعة مشيته وانتظامها ، قريب الحجم من الحمام الكبير وجسمه عبل ورأسه صغير ومنقاره قصير مقبّب قليلاً وجناحاه قصيران ولونه رمادي ملوّن ، يعيش أسراباً قليلة ويقتات بالأعشاب والحبوب والحشرات ويتخذ أدحيته في شقوق الارض.
(٣) درج الصبي بمعنى مشى . (٤) مرّنها . (٥) أي لم يستطع إتقان هذه المشية .
(٦) أي اختلطت مشيته بين ما تعوده قديماً وما مرّن نفسه عليه حديثاً .
(٧) تفكك . (٨) نشأتَ عليه في الأصل . (٩) من أدبته أدباً بمعنى علمته ، والأدب كما قال بعضهم يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها لانسان في فضيلة من الفضائل . أما أدبته تأديباً فهي بمعنى المعاقبة على الاساءة لأنها سبب يدعو الى حقيقة الادب .

الباب الثالث عشر

السّائح والصّائغ

« مثل الذي يضع الخير غير موضعه »

السّائح والصّائغ

قَالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبَا الفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هذا المَثَلَ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلاً فِي شَأْنِ الَّذِي يَضَعُ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ [1] وَيَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ [2] . قَالَ الفَيْلَسُوفُ : أَيُّهَا المَلِكُ إِنَّ طَبَائِعَ الخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ ، أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الإِنْسَانِ [3] . وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ البَرُّ [4] وَالفَاجِرُ [5] . وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ البَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً ، وَأَشَدُّ مُحَامَاةً [6] عَلَى حُرَمِهِ [7] ، وَأَشْكَرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ [8] بِهِ . وَحِينَئِذٍ يَجِبُ عَلَى ذَوِي العَقْلِ مِنَ المُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَضَعُوا مَعْرُوفَهُمْ مَوْضِعَهُ ، وَلَا يُضَيِّعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْمِلُهُ وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ ، وَلَا يَصْطَنِعُوا أَحَداً [9] إِلَّا بَعْدَ الخِبْرَةِ بِطَرَائِقِهِ [10] ، وَالمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ وَمَوَدَّتِهِ وَشُكْرِهِ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُّوا [11] بِذَلِكَ قَرِيباً لِقَرَابَتِهِ إِذَا

---

(١) أي يفعل المعروف مع غير أهله . (٢) أي وهو يأمل أن يجازى عليه بالخير .
(٣) أي ليس مما خلق الله من الدواب والوحوش والطير ما هو خير من الانسان .
(٤) الصالح التقي . (٥) الشرير . (٦) دفاعاً . (٧) جمع حُرْمَة وهي ما وجب القيام به من حقوق الله، وحرم الرجل أهله، والحرم أيضاً: مالا يحل انتهاكه (٨) اسم تفضيل من قام ويقصد أنه يشكر من قدم له معروفاً ويقوم بواجب مبادلته بالمثل .
(٩) يحسنون اليه . (١٠) بطبائعه (١١) أي يخصوا ويميزوا بالمعروف .

كَانَ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ لِلصَّنِيعَةِ[1] . ولا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُم ورِفْدَهُمْ[2] لِلْبَعِيدِ إِذَا كَانَ يَقِيهِمْ بِنَفْسِهِ وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ[3] ، لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ عَارِفاً بِحَقِّ مَا اصْطُنِعَ إِلَيْهِ ، مُؤَدِّياً لِشُكْرِ مَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ ، مَحْمُوداً بِالنُّصْحِ ، مَعْرُوفاً بِالْخَيْرِ ، صَدُوقاً ، عَارِفاً ، مُؤْثِراً لِحَمِيدِ الفِعَالِ والقَوْلِ . وكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِالْخِصَالِ المَحْمُودَةِ ووُثِقَ مِنْهُ بِهَا كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعاً وَلِتَقْرِيبِهِ[4] واصْطِنَاعِهِ أَهْلاً . فَإِنَّ الطَّبِيبَ الرَّقِيقَ[5] العَاقِلَ لا يَقْدِرُ على مُدَاوَاةِ المَرِيضِ إِلاَّ بَعْدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ والجَسِّ لِعُرُوقِهِ ، ومَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ ، وَسَبَبِ عِلَّتِهِ . فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ كُلَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ على مُدَاوَاتِهِ : فَكَذَلِكَ العَاقِلُ لا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْطَفِي[6] أَحَداً وَلا أَنْ يَسْتَخْلِصَهُ إِلاَّ بَعْدَ الخِبْرَةِ ، فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ على مَشْهُورِ العَدَالَةِ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ[7] كَانَ مُخَاطِراً فِي ذَلِكَ وَمُشْرِفاً مِنْهُ عَلَى هَلاكٍ وفَسَادٍ . ومَعَ ذَلِكَ رُبَّمَا صَنَعَ الإِنْسَانُ المَعْرُوفَ مَعَ الضَّعِيفِ الَّذِي لَمْ يُجَرِّبْ[8] شُكْرَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ فِي طَبَائِعِهِ ، فَيَقُومُ بِشُكْرِ ذَلِكَ وَيُكَافِئُ عَلَيْهِ أَحْسَنَ المُكَافَأَةِ ، ورُبَّمَا حَذِرَ العَاقِلُ النَّاسَ وَلَمْ يَأْمَنْ على نَفْسِهِ أَحَداً مِنْهُمْ ، وقَدْ يَأْخُذُ ابْنَ عِرْسٍ فَيُدْخِلُهُ فِي كُمِّهِ

---

(١) المعروف . (٢) الرفد بكسر الراء : العطاء والصلة . (٣) أي ينبغي على الملوك أن لا يبخلوا بمعروفهم على البعيد إذا كان هذا البعيد يقدّر المعروف ويحميهم بنفسه وما يملكه من وسائله رداً على جميلهم وعرفاناً به . (٤) أي جعله من المقربين المستحقين للإحسان . (٥) العطوف . (٦) يختار . (٧) امتحان . (٨) يعني لم يجرب تقديره للمعروف وحسن مقابلته له .

وَيُخْرِجُهُ مِنَ الآخَرَ : كَالَّذي يَحْمِلُ الطَّائِرَ على يَدِهِ ، فَاذَا صَادَ شَيْئاً انْتَفَعَ بِهِ وأَطْعَمَهُ مِنْهُ . وقَدْ قِيلَ : لا يَنْبَغِي لِذي العَقْلِ أَنْ يَحْتَقِرَ صَغِيراً ولا كَبِيراً مِنَ النَّاسِ ولا مِنَ البَهائِمِ ، ولٰكِنَّهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يَبْلُوَهُمْ وأَنْ يَكُونَ مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلى قَدْرِ مَا يَرَى مِنْهُمْ . وقَدْ مَضى في ذٰلِكَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ بَعْضُ الحُكَماءِ . قَالَ المَلِكُ : وكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟؟

قَالَ الفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً احْتَفَرُوا رَكِيَّةً[1] فَوَقَعَ فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وحَيَّةٌ وقِرْدٌ وبَبْرٌ[2] . ومَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ فَأَشْرَفَ عَلى الرَّكِيَّةِ . فَبَصُرَ بِالرَّجُلِ والحَيَّةِ والبَبْرِ والقِرْدِ ، فَفَكَّرَ في نَفْسِهِ وقَالَ : لَسْتُ أَعْمَلُ لآخِرَتِي عَمَلاً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُخَلِّصَ هٰذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ هٰؤلاءِ الأَعْداءِ فَأَخَذَ حَبْلاً وأَدْلاهُ[3] إلى البِئْرِ . فَتَعَلَّقَ بِهِ القِرْدُ لِخِفَّتِهِ فَخَرَجَ . ثُمَّ أَدْلاهُ ثَانِيَةً ، فَالتَفَّتْ بِهِ الحَيَّةُ فَخَرَجَتْ . ثُمَّ أَدْلاهُ الثَّالِثَةَ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ البَبْرُ فَأَخْرَجَهُ ، فَشَكَرْنَ لَهُ صَنِيعَهُ وقُلْنَ لَهُ : لا تُخْرِجْ هٰذَا الرَّجُلَ مِنَ الرَّكِيَّةِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقَلَّ شُكْراً مِنَ

---

(١) الركية : البئر . (٢) كلمة معربة يعنى بها سبع معروف والجمع ببور .
(٣) أنزله من طرفه .

الإنسان . ثم هذا الرجل[1] خاصة ، ثم قال له القرد : إن منزلي في جبل قريب من مدينة يقال لها (نوادرخت) فقال له الببر : أنا أيضاً في أجمة إلى جانب تلك المدينة . قالت الحية : أنا أيضاً في سور تلك المدينة[2] ، فإن أنت مررت بنا يوماً من الدهر واحتجت إلينا فصوّت[3] علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أسديت إلينا من المعروف[4] فلم يلتفت السائح إلى ماذكروا له من قلة شكر الإنسان ، وأدلى الحبل فأخرج الصائغ ، فسجد له ، وقال له : لقد أوليتني[5] معروفاً فإن أتيت يوماً من الدهر بمدينة نوادرخت فاسأل عن منزلي فأنا رجل صائغ لعلي أكافئك بما صنعت إليّ من المعروف . فانطلق إلى مدينته ، وانطلق السائح إلى جانبه . فعرض بعد ذلك أن السائح اتفقت[6] له حاجة إلى تلك المدينة فانطلق فاستقبله القرد فسجد له ، وقبل رجليه ، واعتذر إليه ، وقال : إن القرود لا يملكون شيئاً ، ولكن اقعد حتى آتيك ، وانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيبة ، فوضعها بين يديه . فأكل منها حاجته . ثم إن السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله الببر ، فخر له ساجداً ، وقال له : إنك

---

(١) أي وبشكل خاص هذا الرجل فانه لا يشكر المعروف . (٢) الحائط الذي يحيط بها . (٣) نادنا بصوتك . (٤) أي فنكافئك على ما تفضلت به علينا من المعروف . (٥) أسديت إليّ (٦) صدفت له حاجة .

قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفاً فَاطْمَئِنَّ[1] سَاعَةً حَتَّى آتِيَكَ . فَانْطَلَقَ الْبَبْرُ فَدَخَلَ بَعْضَ الْحِيطَانِ إِلَى بِنْتِ الْمَلِكِ فَقَتَلَهَا وَأَخَذَ حُلِيَّهَا[2] فَأَتَاهُ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ السَّائِحُ مِنْ أَيْنَ هِيَ ؟ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : هٰذِهِ الْبَهَائِمُ قَدْ أَوْلَتْنِي هٰذَا الْجَزَاءَ فَكَيْفَ لَوْ قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الصَّائِغِ ؟ إِنْ كَانَ مُعْسِراً[3] لَايَمْلِكُ شَيْئاً فَسَيَبِيعُ هٰذِهِ الْحُلِيَّ فَيَسْتَوْفِي ثَمَنَهَا ، فَيُعْطِينِي بَعْضَهُ وَيَأْخُذُ بَعْضَهُ ، وَهُوَ أَعْرَفُ بِثَمَنِهِ . فَانْطَلَقَ السَّائِحُ فَأَتَى إِلَى الصَّائِغِ فَلَمَّا رَآهُ رَحَّبَ بِهِ وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ . فَلَمَّا بَصُرَ بِالْحُلِيِّ مَعَهُ عَرَفَهَا . وَكَانَ هُوَ الَّذِي صَاغَهَا لِابْنَةِ الْمَلِكِ . فَقَالَ لِلسَّائِحِ : اطْمَئِنَّ حَتَّى آتِيَكَ بِطَعَامٍ فَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ مَافِي الْبَيْتِ . ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : قَدْ أَصَبْتُ فُرْصَتِي[4] أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَدُلَّهُ عَلَى ذٰلِكَ ، فَتَحْسُنُ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ . فَانْطَلَقَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : إِنَّ الَّذِي قَتَلَ ابْنَتَكَ وَأَخَذَ حُلِيَّهَا عِنْدِي . فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَأَتَى بِالسَّائِحِ . فَلَمَّا نَظَرَ الْحُلِيَّ مَعَهُ لَمْ يُمْهِلْهُ ، وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُعَذَّبَ ، وَيُطَافَ[5] بِهِ فِي الْمَدِينَةِ وَيُصْلَبَ فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذٰلِكَ جَعَلَ السَّائِحُ يَبْكِي وَيَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : لَوْ أَنِّي

---

(١) انتظر ، واسترح . (٢) الحلي بالضم جمع حلي بالفتح : مايزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة . (٣) أي في ضائقة مالية . (٤) أي حانت لي هذه الفرصة النادرة لإسداء معروف الى الملك يرفع به مكانتي . (٥) أي يدار به في المدينة للتشهير .

أَطَعْتُ القِرْدَ والحَيَّةَ والبَبْرَ فيما أَمَرْنَني بِهِ وأَخْبَرْنَني مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الإِنْسَانِ لَمْ يَصِرْ[1] أَمْرِي إلى هٰذَا البَلاءِ . وجَعَلَ يُكَرِّرُ هٰذَا القَوْلَ . فَسمِعَتْ مَقَالَتَهُ تِلْكَ الحَيَّةُ ، فَخَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فَعَرَفَتْهُ ، فَاشْتَدَّ[2] عَلَيْهَا أَمْرُهُ ، فَجَعَلَتْ تَحْتَالُ في خَلاصِهِ . فَانْطَلَقَتْ حَتَّى لَدَغَتِ ابْنَ المَلِكِ فَدَعَا المَلِكُ أَهْلَ العِلْمِ فَرَقَوْهُ لِيَشْفُوهُ ، فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ شَيْئاً[3] . ثُمَّ مَضَتِ الحَيَّةُ إلى أُخْتٍ[4] لَهَا مِنَ الجِنِّ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا صَنَعَ السَّائِحُ إِلَيْهَا مِنَ المَعْرُوفِ ، ومَا وَقَعَ فِيهِ فَرَقَّتْ[5] لَهُ وانْطَلَقَتْ إلى ابْنِ المَلِكِ وتَخَايَلَتْ[6] لَهُ وقَالَتْ : إِنَّكَ لا تَبْرَأُ[7] حَتَّى يَرْقِيَكَ هٰذَا الرَّجُلُ الَّذي قَدْ عَاقَبْتُمُوهُ ظُلْماً . وانْطَلَقَتِ الحَيَّةُ إلى السَّائِحِ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ السِّجْنَ وقَالَتْ لَهُ : هٰذَا الَّذي كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِنْ اصْطِنَاعِ[8] المَعْرُوفِ إلى هٰذَا الإِنْسَانِ ولَمْ تُطِعْنِي . وأَتَتْهُ بِوَرَقٍ يَنْفَعُ[9] مِنْ سُمِّهَا ، وقَالَتْ لَهُ : إِذَا جَاؤُوا بِكَ لِتَرْقِيَ ابْنَ المَلِكِ فَاسْقِهِ مِنْ مَاءِ هٰذَا الوَرَقِ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ ، وإِذَا سَأَلَكَ المَلِكُ عَنْ حَالِكَ[10] فَاصْدُقْهُ ، فَإِنَّكَ تَنْجُو إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . وإِنَّ ابْنَ المَلِكِ أَخْبَرَ المَلِكَ أَنَّهُ سَمِعَ قَائِلاً يَقُولُ : إِنَّكَ

---

(١) لم يصل . (٢) صعب عليها . (٣) أي لم يفيدوه بالرقيا شيئاً . (٤) صديقة
(٥) فأشفقت عليه . (٦) بمعنى تخيلت وتشبهت . (٧) لا تشفى . (٨) عمل المعروف .
(٩) أي أتته بورق شجرة يداوي سمها . (١٠) أي عن قصتك الكاملة التي وقعت لك .

لَنْ تَبْرَأَ حَتَّى يَرْقَيَكَ هٰـذَا السَّائِحُ الَّذِي حُبِسَ ظُلْماً . فَدَعَا المَلِكُ بالسَّائِحِ وأَمَرَهُ أَنْ يَرْقِيَ ولَدَهُ . فَقَالَ : لا أُحْسِنُ الرَّقْيَ ولٰكِنْ أَسْقِيهِ مِنْ ماءِ هذهِ الشَّجَرَةِ ، فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللهِ تعالى فسَقَاهُ فَبَرِىءَ الغُلامُ ، فَفَرِحَ المَلِكُ بِذٰلِكَ ، وسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَأَخْبَرَهُ ، فشَكَرَهُ المَلِكُ وأَعْطَاهُ عَطِيَّةً حَسَنَةً ، وأَمَرَ بالصائِغِ أَنْ يُصْلَبَ . فصَلَبُوهُ لِكَذِبِهِ وانْحِرَافِهِ عَنِ الشُّكْرِ ومُجَازَاتِهِ الفِعْلَ الجَمِيلَ بالقَبِيحِ ثُمَّ قَالَ الفيلسوفُ لِلْمَلِكِ : فِي صَنِيعِ الصَّائِغِ بالسَّائِحِ وكُفْرِهِ[1] لَهُ بَعْدَ اسْتِنْقَاذِهِ[2] إِيَّاهُ ، وشُكْرِ البَهَائِمِ لهُ وتَخْلِيصِ بَعْضِها إِيَّاه عِبْرَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ . وفِكْرَةٌ لِمَنْ تَفَكَّرَ ، وأَدَبٌ فِي وَضْعِ المَعْرُوفِ والإِحْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ الوَفَاءِ والكَرَمِ قَرُبُوا أَو بَعُدُوا لِمَا فِي ذٰلِكَ من صَوَابِ الرَّأْيِ وجَلْبِ الخَيْرِ وصَرْفِ[3] المَكْرُوهِ .

---

(١) أي وجحوده فضله . (٢) انقاذه وتخليصه إياه مما وقع به (٣) دفع الأذى

الباب الرابع عشر

ابن الملك وأصحابه

« مَثَلُ الحكيمِ العاقِل يصيبه البلاء والضر قضاءً وقدَراً »

ابن الملك وأصحابه

قَالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبَا الفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا المَثَلَ . فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لا يُصِيبُ[1] الخَيْرَ إلاَّ بِعَقْلِهِ ورَأْيِهِ وتَثَبُّتِهِ في الأُمُورِ[2] كَمَا يَزْعُمُونَ فَمَا بَالُ الرَّجُلِ الجَاهِلِ يُصِيبُ الرِّفْعَةَ[3] والخَيْرَ ؟ ! والرَّجُلِ الحَكِيمِ العَاقِلِ قَدْ يُصِيبُ البَلاءَ والضَّرَّ ؟ ! قَالَ بَيْدَبا : كَمَا أَنَّ الإِنْسَانَ لا يُبْصِرُ إلاَّ بِعَيْنَيْهِ ، ولا يَسْمَعُ إلاَّ بِأُذُنَيْهِ ، كَذَلِكَ العَمَلُ إِنَّمَا هُوَ بِالحِلْمِ والعَقْلِ والتَّثَبُّتِ ، غَيْرَ أَنَّ القَضَاءَ والقَدَرَ يَغْلِبَانِ عَلَى ذٰلِكَ ومَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ابْنِ المَلِكِ وأَصْحَابِهِ . قَالَ المَلِكُ : وكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟ !

قَالَ الفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ أَرْبَعَةَ[4] نَفَرٍ اصْطَحَبُوا في طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ : أَحَدُهُمُ ابْنُ مَلِكٍ ، والثَّانِي ابْنُ تَاجِرٍ ، والثَّالِثُ ابْنُ شَرِيفٍ[5] ذُو جَمَالٍ ، والرَّابِعُ ابْنُ حَرَّاثٍ وكَانُوا جَمِيعاً مُحْتَاجِينَ ، وقَدْ أَصَابَهُمْ ضَرَرٌ[6] وجَهْدٌ شَدِيدٌ في مَوْضِعٍ غُرْبَةٍ : لا يَمْلِكُونَ إلاَّ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الثِّيَابِ فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ فَكَّرُوا في أَمْرِهِمْ . وكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ

---

(١) لا ينال . (٢) تبصره فيها . (٣) ارتفاع المكانة . (٤) النفر بالفتح من الثلاثة الى العشرة رجال . (٥) أي ابن رجل ذي حسب ظاهر وسليل عائلة مشهورة . (٦) تعب وقلة زاد .

رَاجِعاً إلى طِبَاعِهِ[1] ، ومَا كَانَ يَأْتِيهِ مِنْهُ الخَيْرُ . قَالَ ابْنُ المَلِكِ : إنَّ أَمْرَ الدُّنيا كُلَّهُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ[2] ، والَّذي قُدِّرَ على الإنسَانِ يَأْتِيهِ على كُلِّ حَالٍ[3] ،والصَّبْرُ للقَضَاءِ والقَدَرِ وانْتِظَارُهُمَا أَفْضَلُ الأُمُورِ. وقَالَ ابْنُ التَّاجِرِ : العَقْلُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ . وقَالَ ابْنُ الشَّرِيفِ : الجَمَالُ أَفْضَلُ مِمَّا ذَكَرْتُمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ الخَرَّاثِ : لَيْسَ في الدُّنيا أَفْضَلُ مِنَ الإجْتِهَادِ في العَمَلِ .

فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا (مَطْرُونُ) جَلَسُوا في نَاحِيَةٍ مِنْهَا يَتَشَاوَرُونَ . فَقَالُوا لِابْنِ الخَرَّاثِ : انْطَلِقْ فَاكْتَسِبْ لَنَا بِاجْتِهَادِكَ طَعَاماً لِيَوْمِنَا هٰذَا . فَانْطَلَقَ ابْنُ الخَرَّاثِ وسَأَلَ عَنْ عَمَلٍ إذَا عَمِلَهُ الإنسَانُ يَكْتَسِبُ فِيهِ طَعَامَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ . فَعَرَّفُوهُ[4] أَنَّ لَيْسَ في المَدِينَةِ شَيءٌ أَعَزَّ مِنَ الحَطَبِ[5] ، وكَانَ الحَطَبُ مِنْهَا على فَرْسَخٍ[6] . فَانْطَلَقَ ابْنُ الخَرَّاثِ فَاحْتَطَبَ طُنًّا[7] مِنَ الحَطَبِ ، وأَتَى بِهِ المَدِينَةَ ، فَبَاعَهُ بِدِرْهَمٍ ، واشْتَرَى بِهِ طَعَاماً ، وكَتَبَ على بَابِ المَدِينَةِ — عَمَلُ يَوْمٍ

---

(١) أي وكان كلٌّ من هؤلاء واقعاً في تفكيره تحت تأثير طباعه الأصلية التي نشأ عليها . وما تعوده من الخير . (٢) أي ان شؤون الدنيا كلها تجري تحت سلطان القضاء والقدر . (٣) والذي كتبه الله على الإنسان من الامور لا بد أن يقوم بتنفيذه . (٤) فأخبره أهل البلدة . (٥) أغلى قيمة . (٦) الفرسخ : ثلاثة أميال . وهو فارسي معرب . (٧) الطن بالضم : الحزمة من القصب ونحوه والواحدة طنة .

واحدٍ إذا أجهدَ[1] فيهِ الرَّجلُ بدنَهُ قيمتُـهُ درهمٌ — ثمَّ انطلقَ إلى أصحابِهِ بالطَّعامِ فأكلوا فلمَّا كانَ منَ الغدِ[2] قالوا ينبغي للَّذي قالَ : إنَّهُ ليسَ شيءٌ أعزَّ منَ الجمالِ أنْ تكونَ نوبتُـهُ[3] . فانطلقَ ابنُ الشَّريفِ ليأتيَ المدينةَ . ففكَّرَ في نفسِهِ ، وقالَ أنا لستُ أحسنُ عملاً ، فما يُدخلُني المدينةَ ؟ ثمَّ استحيا أنْ يرجعَ إلى أصحابِهِ بغيرِ طعامٍ ، وهمَّ بمفارقتِهِمْ ، فانطلقَ حتَّى أسندَ ظهرَهُ إلى شجرةٍ عظيمةٍ ، فغلبَهُ النَّومُ فنامَ . فمرَّ بهِ رجلٌ منْ عظماءِ المدينةِ فراقَهُ جمالُهُ ، وتوسَّمَ[4] فيهِ شرفَ النَّجارِ[5] ، فرقَّ لهُ ومنحَهُ[6] خمسمائةِ درهمٍ ، فكتبَ على بابِ المدينةِ — جمالُ يومٍ واحدٍ يساوي خمسمائةِ درهمٍ — وأتى بالدَّراهمِ إلى أصحابِهِ . فلمَّا أصبحوا في اليومِ الثَّالثِ قالوا لابنِ التَّاجرِ : انطلقْ أنتَ فاطلبْ لنا بعقلِكَ وتجارتِكَ ليومِنا هذا شيئاً . فانطلقَ ابنُ التَّاجرِ ، فلمْ يزلْ حتَّى بصرَ بسفينةٍ منْ سفنِ البحرِ كثيرةِ المتاعِ[7] : قدْ قدمتْ إلى السَّاحلِ . فخرجَ إليها جماعةٌ منَ التُّجارِ يريدونَ أنْ يبتاعوا[8] ممَّا فيها منَ المتاعِ . فجلسوا

---

(١) أتعب . (٢) أي فلما جاء اليوم التالي (٣) دوره (٤) استدل بمنظره الجميل على شرف أصله (٥) النجار بالكسر : الأصل . (٦) أعطاه متبرعاً (٧) أي مليئة بالحوائج المعدة للبيع . (٨) يشتروا .

يَتَشَاوَرُونَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَرْكَبِ ، وقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ارْجِعُوا يَوْمَنَا هٰذَ لانَشْتَرِي مِنْهُمْ شَيْئاً حَتَّى يَكْسُدَ الْمَتَاعُ عَلَيْهِمْ[1] فَيُرْخِصُوهُ عَلَيْنَا ، مَعَ أَنَّنا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وسَيُرْخِصُ . فَخَالَفَ الطَّرِيقَ[2] وجَاءَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَرْكَبِ فَابْتَاعَ مِنْهُمْ مَافِيهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ نَسِيئَةً[3] وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ مَتَاعَهُ إِلَى مَدِينَةٍ أُخْرَى[4] . فَلَمَّا سَمِعَ التُّجَّارُ خَافُوا أَنْ يَذْهَبَ ذٰلِكَ الْمَتَاعُ مِنْ أَيْدِيهِمْ فَأَرْبَحُوهُ عَلَى مَا اشْتَرَاهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وأَحَالَ[5] عَلَيْهِمْ أَصْحَابَ الْمَرْكَبِ بِالبَاقِي وحَمَلَ رِبْحَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ وكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ — عَقْلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَنُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ — فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ قَالُوا لابْنِ الْمَلِكِ : انْطَلِقْ أَنْتَ واكْتَسِبْ لَنَا بِقَضَائِكَ وقَدَرِكَ[6] . فَانْطَلَقَ ابْنُ الْمَلِكِ حَتَّى أَتَى إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، فَجَلَسَ عَلَى مُتَّكَأٍ فِي بَابِ الْمَدِينَةِ واتَّفَقَ[7] أَنَّ مَلِكَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ مَاتَ ولَمْ يُخَلِّفْ وَلَداً ولا أَحَداً ذَا قَرَابَةٍ[8] ، فَمَرُّوا

---

(١) أي بسبب تظاهرنا بقلة الرغبة فيه ، وعدم الحاجة اليه . (٢) أي لما عرف ابن التاجر بما اتفق عليه تجار المدينة ذهب من طريق غير طريقهم الى أصحاب المركب فاشترى ما معهم من البضاعة (٣) النسيئة : التأخير : أي اتفق معهم على أن يشتري البضاعة بهذه القيمة بشرط أن يؤجل دفعها اليهم الى أجل معين . (٤) أي وتظاهر أمام التجار بأنه سينقل البضاعة الى غير مدينتهم وهم بحاجة إليها (٥) حوّل (٦) أي بالقضاء والقدر اللذين تؤمن بهما (٧) صدف (٨) ذا بمعنى صاحب هنا وهي من الأسماء الخمسة التي ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء .

عَلَيْهِ بِجَنَازَةِ الْمَلِكِ ، وَلَمْ يَحْزَنْ ، وَكُلُّهُمْ يَحْزَنُونَ . فَأَنْكَرُوا[1] حَالَهُ وَشَتَمَهُ الْبَوَّابُ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَا هٰذَا ؟ وَمَا يُجْلِسُكَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ؟ وَلَا نَرَاكَ تَحْزَنُ لِمَوْتِ الْمَلِكِ ، وَطَرَدَهُ الْبَوَّابُ عَنِ الْبَابِ ، فَلَمَّا ذَهَبُوا عَادَ الْغُلَامُ فَجَلَسَ مَكَانَهُ فَلَمَّا دَفَنُوا الْمَلِكَ وَرَجَعُوا بَصُرَ بِهِ الْبَوَّابُ فَغَضِبَ ، وَقَالَ لَهُ : أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ الْجُلُوسِ فِي هٰذَا الْمَوْضِعِ وَأَخَذَهُ فَحَبَسَهُ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعَ أَهْلُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، يَتَشَاوَرُونَ فِيمَنْ يُمَلِّكُونَهُ[2] عَلَيْهِمْ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَتَطَاوَلُ[3] أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْأَمْرِ وَيَخْتَلِفُونَ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ لَهُمُ الْبَوَّابُ : إِنِّي رَأَيْتُ أَمْسِ غُلَاماً جَالِساً عَلَى الْبَابِ وَلَمْ أَرَهُ يَحْزَنُ لِحُزْنِنَا ، فَكَلَّمْتُهُ فَلَمْ يُجِبْنِي ، فَطَرَدْتُهُ عَنِ الْبَابِ . فَلَمَّا عُدْتُ رَأَيْتُهُ جَالِساً . فَأَدْخَلْتُهُ السِّجْنَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ عَيْنـــاً[4] . فَبَعَثَ أَشْرَافُ[5] أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى الْغُلَامِ فَجَاؤُوا بِهِ وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ، وَمَا أَقْدَمَهُ إِلَى مَدِينَتِهِمْ[6] . فَقَالَ : أَنَا ابْنُ مَلِكِ (فَوِيرَانَ) وَأَنَّـهُ لَمَّا مَاتَ وَالِدِي غَلَبَنِي[7] أَخِي عَلَى الْمُلْكِ ، فَهَرَبْتُ مِنْ يَدِهِ حَذَراً[8]

---

(١) استنكروا حاله وتعجبوا من عدم مشاركته إياهم بالحزن (٢) يجعلونه ملكاً عليهم . (٣) أي وكل منهم يرشح نفسه لهذا المنصب ويطمع بتأييد أصحابه له. (٤) جاسوساً (٥) جمع شريف وهم الوجهاء البارزون في المدينة . (٦) وما سبب مجيئه لمدينتهم . (٧) زاحمني عليه واستلبه مني . (٨) خوفاً من غدره .

عَلى نَفسِي حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إلى هٰذِهِ الغَايَةِ . فَلَمَّا ذَكَرَ الغُلامُ مَاذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِ عَرَفَهُ مَنْ كَانَ يَغْشَى [1] أَرْضَ أَبِيهِ مِنْهُمْ ، وَأَثْنَوْا عَلى أَبِيهِ خَيْراً . ثُمَّ إنَّ الأَشْرَافَ ٱخْتَارُوا ٱلْغُلامَ أَنْ يُمَلِّكُوهُ عَلَيْهِمْ وَرَضُوا بِهِ . وَكَانَ لأَهْلِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ سُنَّةٌ [2] : إذَا مَلَّكُوا عَلَيْهِم مَلِكاً حَمَلُوهُ عَلى فِيلٍ أَبْيَضَ وَطَافُوا بِهِ حَوَالِي الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذٰلِكَ مَرَّ بِبَابِ الْمَدِينَةِ فَرَأَى ٱلْكِتَابَةَ [3] عَلى ٱلْبَابِ فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ : إنَّ الاجْتِهَادَ وَالْجَمَالَ وَالعَقْلَ وَمَا أَصَابَ الرَّجُلَ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إنَّمَا هُوَ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَدِ ازْدَدْتُ فِي ذٰلِكَ اعْتِبَاراً [4] بِمَا سَاقَ اللهُ إلَيَّ مِنَ الكَرَامَةِ وَالْخَيْرِ .

ثُمَّ انْطَلَقَ إلى مَجْلِسِهِ فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ . وَأَرْسَلَ إلى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ فَأَحْضَرَهُمْ ، فَأَشْرَكَ [5] صَاحِبَ ٱلْعَقْلِ مَعَ ٱلْوُزَرَاءِ وَضَمَّ صَاحِبَ الاجْتِهَادِ إلى أَصْحَابِ الزَّرْعِ . وَأَمَرَ لِصَاحِبِ الْجَمَالِ بِمَالٍ كَثِيرٍ . ثُمَّ نَفَاهُ [6] كَيْ لاَ يُفْتَتَنَ بِهِ [7] ثُمَّ جَمَعَ عُلَمَاءَ أَرْضِهِ وَذَوِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا أَصْحَابِي [8] فَقَدْ تَيَقَّنُوا [10] أَنَّ الَّذِي رَزَقَهُمُ اللهُ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — مِنَ الْخَيْرِ إنَّمَا هُوَ بِقَضَاءِ اللهِ

---

(١) يدخل . (٢) عادة (٣) التي كتبها زملاؤه الثلاثة قبله . (٤) عظة وعبرة . (٥) أي شاركه معهم في المنصب . (٦) أبعده عن المدينة (٧) حتى لا تقع النساء تحت تأثير جماله . (٨) يقصد زملاءه الثلاثة . (١٠) آمنوا وصدقوا .

وَقَدَرِهِ ، وَإِنَّمَا أُحِبُّ أَنْ تَعْلَمُوا ذَلِكَ وَتَسْتَيْقِنُوهُ[1] ، فَإِنَّ الَّذِي مَنَحَنِي اللهُ وَهَيَّأَهُ لِي إِنَّمَا كَانَ بِقَدَرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ بِجَمَالٍ وَلاَ عَقْلٍ وَلاَ اجْتِهَادٍ وَمَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ طَرَدَنِي أَخِي أَنْ يُصِيبَنِي مَا يُعَيِّشُنِي مِنَ الْقُوتِ[2] ، فَضْلاً عَنْ أَنْ أُصِيبَ هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ . وَمَا كُنْتُ أُؤَمِّلُ[3] أَنْ أَكُونَ بِهَا ، لِأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي هٰذِهِ الْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي حُسْناً وَجَمَالاً ، وَأَشَدُّ اجْتِهَاداً ، وَأَسَدُّ[4] رَأْياً . فَسَاقَنِي الْقَضَاءُ إِلَى أَنِ اعْتَزَزْتُ[5] بِقَدَرٍ مِنَ اللهِ . وَكَانَ فِي ذٰلِكَ الْجَمْعِ شَيْخٌ ، فَنَهَضَ حَتَّى اسْتَوَى[6] قَائِماً ، وَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلاَمِ عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ وَإِنَّ الَّذِي بَلَغَ بِكَ ذٰلِكَ وُفُورُ عَقْلِكَ وَحُسْنُ ظَنِّكَ[7] . وَقَدْ حَقَّقْتَ ظَنَّنَا فِيكَ ، وَرَجَاءَنَا لَكَ . وَقَدْ عَرَفْنَا مَا ذَكَرْتَ ، وَصَدَّقْنَاكَ فِيمَا وَصَفْتَ . وَالَّذِي سَاقَ اللهُ إِلَيْكَ مِنَ الْمُلْكِ وَالْكَرَامَةِ كُنْتَ أَهْلاً لَهُ ، لِمَا قَسَمَ اللهُ تَعَالَى لَكَ مِنَ الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ . وَأَنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَنْ رَزَقَهُ اللهُ رَأْياً وَعَقْلاً . وَقَدْ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْنَا إِذْ وَفَّقَكَ لَنَا[8] عِنْدَ مَوْتِ مَلِكِنَا وَكَرَّمَنَا بِكَ . ثُمَّ قَامَ شَيْخٌ آخَرُ

---

(١) أي أحب أن يدخل في يقينكم أنتم . (٢) ما يأكله الانسان ليقتات به ويتغذى . (٣) أتوقع . (٤) أصوب (٥) أصبحت عزيزاً مرموقاً . (٦) انتصب (٧) أي إن الذي وصل بك إلى هذا المنصب هو نضج عقلك وحسن ايمانك بالقضاء والقدر . (٨) أي وقد انعم الله علينا اذ بعثك إلينا بهذه المناسبة

سَائِحٌ . فَحَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ — وَأَنَا غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ سَائِحاً — رَجُلاً مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ ، فَلَمَّا بَدَا لِي رَفْضُ[1] الدُّنْيَا فَارَقْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ . وَقَدْ كَانَ أَعْطَانِي مِنْ أُجْرَتِي دِينَارَيْنِ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَأَسْتَبْقِيَ الآخَرَ . فَأَتَيْتُ السُّوقَ . فَوَجَدْتُ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الصَّيَّادِينَ زَوْجَ[2] هُدْهُدٍ[3] فَسَاوَمْتُهُ فِيهِمَا[4] فَأَبَى الصَّيَّادُ أَنْ يَبِيعَهُمَا إِلاَّ بِدِينَارَيْنِ . فَاجْتَهَدْتُ أَنْ يَبِيعَنِيهِمَا بِدِينَارٍ وَاحِدٍ ، فَأَبَى . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَشْتَرِي أَحَدَهُمَا وَأَتْرُكُ الآخَرَ . ثُمَّ فَكَّرْتُ وَقُلْتُ : لَعَلَّهُمَا يَكُونَانِ زَوْجَيْنِ ذَكَراً وَأُنْثَى فَأُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا . فَأَدْرَكَنِي لَهُمَا رَحْمَةٌ[5] فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ وَابْتَعْتُهُمَا بِدِينَارَيْنِ وَأَشْفَقْتُ — إِنْ أَرْسَلْتُهُمَا فِي أَرْضٍ عَامِرَةٍ[6] — أَنْ يُصَادَا وَلاَ يَسْتَطِيعَا أَنْ يَطِيرَا مِمَّا لَقِيَا مِنَ الْجُوعِ وَالْهُزَالِ[7] ، وَلَمْ آمَنْ عَلَيْهِمَا الآفَاتِ[8] فَانْطَلَقْتُ بِهِمَا إِلَى مَكَانٍ كَثِيرِ الْمَرْعَى وَالأَشْجَارِ ،

---

(١) الزاهد فيها . (٢) يقال عندي زوجا حمام أي ذكر وأنثى . (٣) الهدهد بضمتين بينهما سكون ويقال له الهداهد وأما جمعه فهداهد بالفتح : طير ذو خطوط وألوان كثيرة ، ومنقاره طويل يستعين به على التقاط الدود من بين أخاديد الأرض ويعلو رأسه قنبرة ذات ريشات يطويها وينشرها ، وهو شديد الحذر لذلك تراه دائم التلفت يميناً وشمالاً . (٤) فحاورته في تحديد ثمن نتفق عليه معاً (٥) خشية أن يكونا زوجين متآلفين فأفرق بينهما بذلك . (٦) مزروعة (٧) ضد السِّمَن (٨) عوارض الطبيعة وحشراتها وغير ذلك .

بَعيدٍ عَنِ النَّاسِ وَالْعُمْرَانِ . فَأَرْسَلْتُهُمَا فَطَارَا وَوَقَعَا عَلَى شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ . فَلَمَّا صَارَا فِي أَعْلاَهَا شَكَرَا لِي ، وَسَمِعْتُ أَحَدَهُمَا يَقُولُ لِلآخَرِ : لَقَدْ خَلَّصَنَا هٰذَا السَّائِحُ مِنَ الْبَلاَءِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ ، وَٱسْتَنْقَذَنَا وَنَجَّانَا مِنَ الْهَلَكَةِ[1] . وَإِنَّا لَخَلِيقَانِ[2] أَنْ نُكَافِئَهُ بِفِعْلِهِ . وَإِنَّ فِي أَصْلِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ جَرَّةً مَمْلُوءَةً دَنَانِيرَ . أَفَلاَ نَدُلُّهُ عَلَيْهَا فَيَأْخُذَهَا . فَقُلْتُ لَهُمَا : كَيْفَ تَدُلاَّنِنِي عَلَى كَنْزٍ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ ، وَأَنْتُمَا لَمْ تُبْصِرَا الشَّبَكَةَ . فَقَالاَ : إِنَّ الْقَضَاءَ إِذَا نَزَلَ صَرَفَ[3] الْعُيُونَ عَنْ مَوْضِعِ الشَّيْءِ وَغَشَّى[4] الْبَصَرَ وَإِنَّمَا صَرَفَ الْقَضَاءُ أَعْيُنَنَا عَنِ الشَّرَكِ وَلَمْ يَصْرِفْهَا عَنْ هٰذَا الْكَنْزِ فَٱحْتَفَرْتُ وَٱسْتَخْرَجْتُ الْبَرْنِيَّةَ[5] ، وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ دَنَانِيرَ ، فَدَعَوْتُ لَهُمَا بِالْعَافِيَةِ . وَقُلْتُ لَهُمَا : الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي عَلَّمَكُمَا مَا لَمْ تَعْلَمَا ، وَأَنْتُمَا تَطِيرَانِ فِي السَّمَاءِ . وَأَخْبَرْتُمَا بِمَا تَحْتَ الأَرْضِ ، فَقَالاَ لِي : — أَيُّهَا الْعَاقِلُ — أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَدَرَ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَجَاوَزَهُ[6] ؟ وَأَنَا أُخْبِرُ الْمَلِكَ بِذَلِكَ الَّذِي رَأَيْتُهُ . فَإِنْ أَمَرَ الْمَلِكُ أَتَيْتُهُ بِالْمَالِ فَأَوْدَعْتُهُ خَزَائِنَهُ . فَقَالَ الْمَلِكُ : ذَلِكَ لَكَ ، وَمُوَفَّرٌ عَلَيْكَ[7] .

---

(١) الهلاك . (٢) لجديران (٣) ردها ونحاها . (٤) غطاه بغشاوة لا يبصر معها .
(٥) البرنية بالفتح : أناء من خزف . (٦) أي لا يستطيع أحد أن يهرب منه ، أو يبتعد عنه (٧) يقال وفر الشيء كثّره وجعله وفراً . وفر عليه حقه ، أعطاه حقه كله . ووفر المال لم ينقص منه . والمعنى ان مالك لك وهو حقك .

الباب الخامس عشر

الحمامة والثعلب ومالك الحزين

« مثل من يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه »

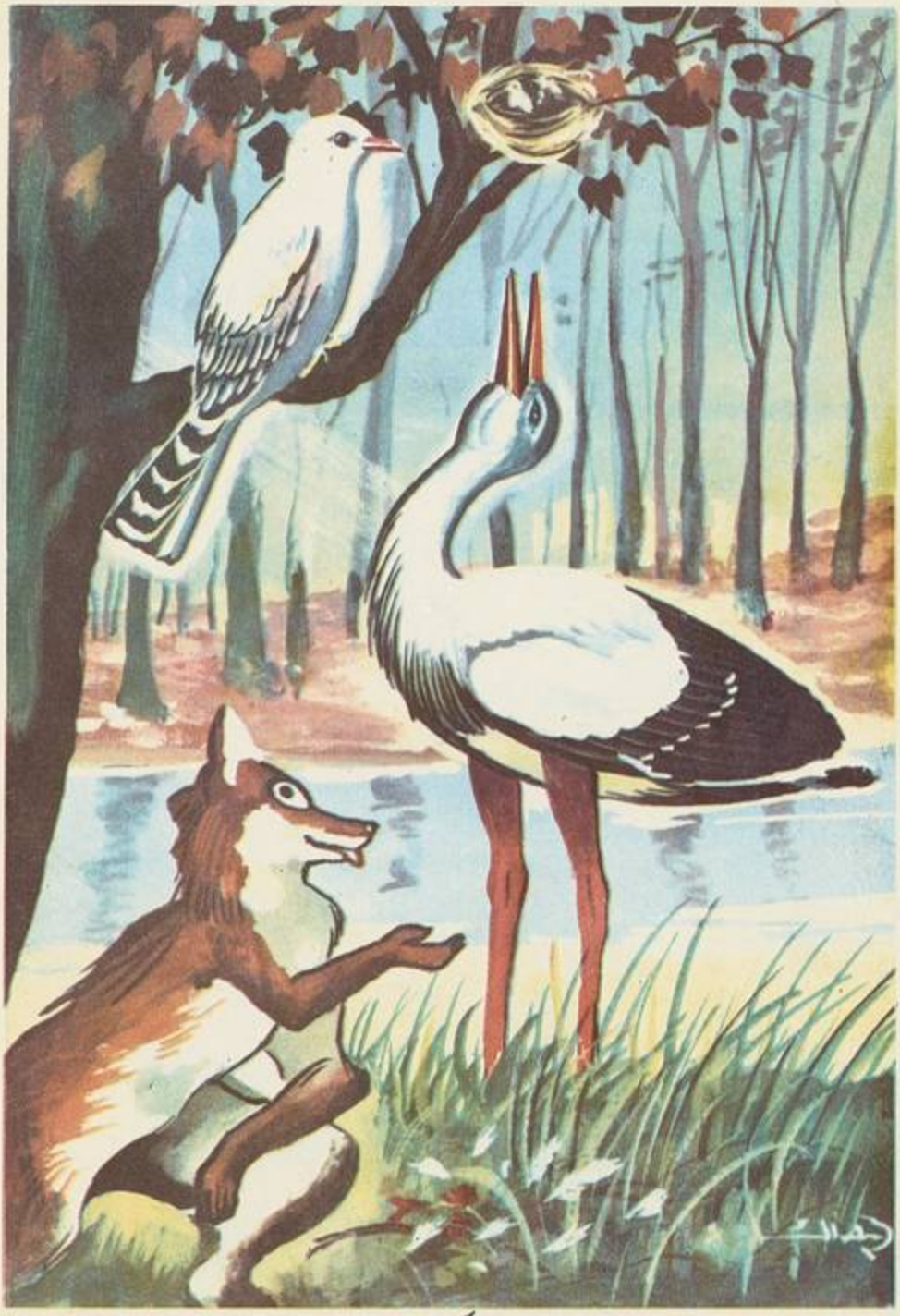

الحمامة والثعلب ومالك الحزين

قَالَ دَبْشَلِيم الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوف : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لي مَثَلاً في شَأْنِ الرجُلِ الَّذي يَرَى الرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ[1] . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ وَالثَّعْلَبِ وَمَالِكِ الْحَزِينِ[2] . قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا مَثَلُهُنَّ ؟

قَالَ الفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَةً كَانَتْ تُفرِخُ في رَأْسِ نَخْلَةٍ طَوِيلَةٍ ذَاهِبَةٍ في السَّمَاءِ . فَكَانَتِ الْحَمَامَةُ تَشْرَعُ[3] في نَقْلِ الْعُشِّ إِلَى رَأْسِ تِلْكَ النَّخْلَةِ فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تَنْقُلَ مَا تَنْقُلُ مِنَ الْعُشِّ وَتَجْعَلَهُ تَحْتَ الْبَيْضِ إِلاَّ بَعْدَ شِدَّةٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ ، لِطُولِ النَّخْلَةِ وَسُحْقِهَا[4] . فَإِذَا فَرَغَتْ[5] مِنَ النَّقْلِ بَاضَتْ ثُمَّ حَضَنَتْ بَيْضَهَا . فَإِذَا فَقَسَتْ[6] وَأَدْرَكَ فِرَاخُهَا جَاءَهَا ثَعْلَبٌ قَدْ تَعَاهَدَ[7] ذٰلِكَ مِنْهَا لِوَقْتٍ قَدْ عَلِمَهُ بِقَدْرِ مَا يَنْهَضُ فِرَاخُهَا ، فَيَقِفُ بِأَصْلِ النَّخْلَةِ . فَيَصِيحُ بِهَا وَيَتَوَعَّدُ[8] أَنْ يَرْقَى إِلَيْهَا أَو تُلْقِيَ إِلَيْهِ فِرَاخَهَا . فَتُلْقِيهَا إِلَيْهِ . فَبَيْنَمَا هِيَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ أَدْرَكَ[9] لَهَا فِرْخَانِ إِذْ أَقْبَلَ مَالِكُ الْحَزِينِ . فَوَقَعَ[10] عَلَى

(١) أي يرى رأياً ويريد حمل الناس عليه بدون أن يأخذ به هو نفسه . (٢) مالك الحزين : طائر طويل واقف الرجلين يلازم المياه وهو شديد الحمق حتى انه ليقال عنه إذا نقص الماء من حوله أحجم عن الشرب حتى لا يجف فيموت بذلك ظمأ . (٣) تبدأ . (٤) شدة ارتفاعها (٥) انتهت . (٦) فقس الطائر البيضة كسرها وأخرج ما فيها . والمقصود هنا ان البيضة وصلت مرحلة النضج وخروج الفرخ منها . (٧) أي وكان هناك ثعلب يراقب عمل الحمامة . وصبر عليها حتى فقس بيضها ووصل عمر فراخها الى مقدار تستطيع معه النهوض . (٨) يتهددها بالصعود اليها وقتلها مع فراخها . (٩) أي كبر لها فرخان . (١٠) فوقف .

النَّخلةِ ، فَلَمَّا رَأى الحَمامَةَ كئيبَةً حَزينَةً شَديدَةَ الهَمِّ قالَ لَها مالكٌ الحَزينُ : يَاحَمامَةُ مَالي أَراكِ كاسِفَةَ[1] البالِ سَيِّئَةَ الحالِ ؟ فَقالَتْ لَهُ : يَا مالكُ الحَزينَ : إنَّ ثَعْلَباً دُهيتُ[2] بِهِ : كُلَّمَا كانَ لي فَرْخانِ جاءَني يُهَدِّدُني وَيَصيحُ في أَصلِ النَّخلَةِ ، فَأَفْرَقُ[3] مِنْهُ فَأَطْرَحُ إِلَيْهِ فَرْخَيَّ . قالَ لَها مالكُ الحَزينُ : إذَا أَتاكِ لِيَفْعَلَ ذٰلكَ فَقُولي لَهُ : لاَ أُلقي إِلَيْكَ فَرْخَيَّ فارْقَ إِليَّ ، وَغَرِّرْ[4] بِنَفْسِكَ . فَإِذَا فَعَلْتَ[5] وَأَكَلْتَ فَرْخَيَّ طِرْتُ عَنْكَ وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي . فَلَمَّا عَلَّمَها مالكُ الحَزينُ هٰذِهِ الحِيلَةَ طارَ فَوَقَعَ على شاطِىءِ نَهْرٍ فَأَقْبَلَ الثَّعْلَبُ في الوَقْتِ الَّذي عَرَفَ[6] ، فَوَقَفَ تَحْتَها . ثُمَّ صاحَ كَما كانَ يَفْعَلُ فَأَجابَتْهُ الحَمامَةُ بِما عَلَّمَها مالكُ الحَزينُ فَقالَ لَها الثَّعْلَبُ : أَخْبِريني مَنْ عَلَّمَكِ هٰذا قالَتْ : عَلَّمَني مالكُ الحَزينُ . فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ حَتَّى أَتى مالكاً الحَزينَ على شاطِىءِ النَّهْرِ فَوَجَدَهُ واقِفاً فَقالَ لَهُ الثَّعْلَبُ : يَا مالكُ الحَزينَ إذَا أَتَتْكَ الرِّيحُ عَنْ يَمينِكَ ، فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ ؟ قالَ : عَنْ شِمالي . قالَ : فَاذَا أَتَتْكَ عَنْ شِمالِكَ ، فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ ؟ قالَ : أَجْعَلُهُ عَنْ يَميني أَوْ خَلْفي . قالَ : فَإِذَا أَتَتْكَ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وكُلِّ ناحِيَةٍ ، فَأَيْنَ تَجْعَلُهُ ؟ قالَ : أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَناحي . قالَ : وكَيْفَ

---

(١) مضطربة الفكر . (٢) أصبت به . (٣) فأخاف . (٤) وخاطر بنفسك واخدعها . (٥) فإذا نفذت وعيدك ورقيت . (٦) أي في لوقت الذي عرف فيه أنه أدرك لها فرخان .

تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَنَاحِكَ ؟ ما أَرَاهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ[1] . قَالَ : بَلَى . قَالَ فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ فَلَعَمْرِي — يَامَعْشَرَ[2] الطَّيْرِ — لَقَدْ فَضَّلَكُنَّ اللهُ عَلَيْنَا : إِنَّكُنَّ تَدْرِينَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ مَانَدْرِي[3] فِي سَنَةٍ ، وَتَبْلُغْنَ مَالاَ نَبْلُغُ ، وَتُدْخِلْنَ رُؤُوسَكُنَّ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُنَّ مِنَ الْبَرْدِ وَالرِّيحِ فَهَنِيئاً لَكُنَّ . فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ فَأَدْخَلَ الطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحِهِ فَوَثَبَ عَلَيْهِ الثَّعْلَبُ مَكَانَهُ[4] . فَأَخَذَهُ فَهَمَزَهُ[5] هَمْزَةً دَقَّتْ عُنُقَهُ[6] ، ثُمَّ قَالَ يَاعَدُوَّ نَفْسِهِ : تَرَى الرَّأْيَ لِلْحَمَامَةِ وَتُعَلِّمُهَا الْحِيلَةَ لِنَفْسِهَا وَتَعْجِزُ عَنْ ذٰلِكَ لِنَفْسِكَ حَتَّى يَسْتَمْكِنَ مِنْكَ[7] عَدُوُّكَ . ثُمَّ أَجْهَزَ[8] عَلَيْهِ وَأَكَلَهُ .

الخاتمة

فَلَمَّا انْتَهَى الْمَنْطِقُ بِالْفَيْلَسُوفِ إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ سَكَتَ الْمَلِكُ . فَقَالَ لَهُ الْفَيْلَسُوفُ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — عِشْتَ أَلْفَ سَنَةٍ[9] وَمَلَكْتَ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ ، وَأُعْطِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً[10] مَعَ وُفُورِ[11] سُرُورِكَ وَقُرَّةِ عَيْنِ رَعِيَّتِكَ بِكَ[12] ، وَمُسَاعَدَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ لَكَ ، فَإِنَّهُ قَدْ كَمُلَ فِيكَ

(١) أي ما أرى ذلك ممكناً لك ولا مستطاعاً . (٢) يا جماعة الطير . (٣) أي تفهمن في ساعة واحدة ما لا نفهمه نحن في سنة . (٤) أي قفز الثعلب الى المكان الذي هو فيه والتقطه . (٥) ضغطه ودفعه وضربه . (٦) كسرتها . (٧) يتمكن منك وينتصر عليك . (٨) أي تم قتله وقضى عليه نهائياً . (٩) يدعو له بأن يعيش هذه المدة الطويلة (١٠) السبب : الطريق والذريعة . (١١) توفر وتحقق . (١٢) أي سرور رعيتك بك .

الحِلْمُ والعِلْمُ ، وزَكا[1] مِنكَ العَقْلُ والقَوْلُ والنِّيَّةُ ، فَلا يُوجَدُ في رأيكَ نَقْصٌ ، ولا في قَوْلكَ سَقَطٌ[2] ولا عَيْبٌ ، وقَدْ جَمَعتَ النَّجْدَةَ[3] واللِّينَ ، فَلا تُوجَدُ جَباناً عِنْدَ اللِّقاءِ ، ولا ضَيِّقَ الصَّدْرِ[4] عِنْدَ ما يَنُوبُكَ[5] مِنَ الأشْياءِ . وقَدْ جَمَعْتُ لَكَ في هٰذا الكِتابِ شَمْلَ[6] بَيانِ الأُمُورِ ، وشَرَحْتُ لكَ جَوابَ ما سَأَلْتَني عَنْهُ مِنْها ، فَأَبْلَغْتُكَ[7] في ذٰلكَ غايَةَ نُصْحِي واجْتَهَدْتُ فيهِ بِرَأْيي ونَظَري ومَبْلَغِ فِطْنَتِي الْتِماساً[8] لِقَضاءِ حَقِّكَ وحُسْنِ النِّيَّةِ مِنْكَ بِإعْمالِ الفِكْرَةِ والعَقْلِ . فَجاءَ كَما وَصَفْتُ لَكَ مِنَ النَّصيحَةِ والمَوْعِظَةِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ الآمِرُ بالخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنَ المُطيعِ لَهُ فيهِ ، ولا النّاصِحُ أَوْلى[9] بالنَّصيحَةِ مِنَ المَنْصُوحِ ، ولا المُعَلِّمُ لِلْخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنْ مُتَعَلِّمِهِ مِنْهُ . فَافْهَمْ ذٰلكَ أَيُّها المَلِكُ ولا حَوْلَ[10] ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ .

---

(١) نما ، وطهر . (٢) السقط : ما لا قيمة له ولا وزن (٣) الشجاعة والشدة . (٤) ملولاً ، قليل الصبر . (٥) يصيبك . (٦) الشمل : ما اجتمع من الامر أو ما تفرق منه ، فهو من الأضداد . (٧) أي فأوصلت اليك خلاصة نصحي واجتهاد رأيي ، وتبصر ذكائي . (٨) أي طلباً لوفاء حقك وبسبب عزم نيتك على أن يستفيد منه فكرك . (٩) أحق . (١٠) الحول : القدرة والقوة على التصرف . ومعنى لا حول ولا قوة الا بالله لا حركة ولا قوة الا بمشيئة الله .

موضوعات الكتاب

صفحة

- تمهيد ٥
- الكتاب والكاتب ٧
- من هو ابن المقفع ؟ ١١

لشارح الكتاب ومخرجه محمد خير الدرع

* * *

- عرض الكتاب : لعبدالله بن المقفع ١٥
- مقدمة الكتاب : لبهنود بن سحوان ٣١
- بعثة برزويه الى بلاد الهند ٦٥
- برزويه المتطبب : لبزر جمهر بن البختكان ٨١

* * *

الباب الاول : الأسد والثور ٩٩
» الثاني : الفحص عن أمر دمنة ١٦١
» الثالث : الحمامة المطوقة ١٨٥
» الرابع : البوم والغربان ٢٠٩
» الخامس : القرد والغيلم ٢٤٣
» السادس : الناسك وابن عرس ٢٥٣
» السابع : الجرذ والسنور ٢٥٩
» الثامن : الملك والطائر فنزة ٢٦٩
» التاسع : الأسد وابن آوى ٢٨١
» العاشر : ايلاذ وبلاذ وابراخت ٢٩٧
» الحادي عشر : اللبؤة والإسوار والشغبر ٣١٩
» الثاني عشر : الناسك والضيف ٣٢٧
» الثالث عشر : السائح والصائغ ٣٣١
» الرابع عشر : ابن الملك وأصحابه ٣٤١
» الخامس عشر : الحمامة والثعلب ومالك الحزين ٣٥٣
الخاتمة ٣٥٧

من آثار المؤلف

كتب طبعت

١ – خالد بن الوليد (طبعة ثانية): من منشورات جمعية التمدن الإسلامي بدمشق.

٢ – الفنّ الذي يحتاجه الشعب (بالاشتراك مع الأستاذ محمد كامل القدسي) : من منشورات دار اليقظة العربية بدمشق .

٣ – معلّم الصحافة والإنشاء : من منشورات المكتبة الأموية بدمشق .

٤ – كليلة ودمنة (ضبط ، وشرح ، وتعليق ، واخراج) : من منشورات المكتبة الأموية بدمشق .

كتب معدة للطبع

١ – العهد المقدّس (قصة شعرية من واقع الحياة) .

٢ – كان أجمل يوم ... (قصة لمحات من السعادة الضائعة في شعر منثور) .

٣ – راهبة المحبّة (مأساة عاطفية في قصيدة شعر) .

٤ – باقة زهر (مجموعة شعر ملوّن) .

٥ – التربية البدنية في الإسلام .

٦ – التربية النفسية في الإسلام .

٧ – الوقاية الصحية في الإسلام .

٨ – علم النفس في ميزان الإسلام .

٩ – شخصية المسلم .

١٠ – محمد ﷺ ورسالته الإسلامية .

منشوراتنا

		ق س
فكر ومباحث	الاستاذ علي الطنطاوي	٣٠٠
مع الناس	» » »	٣٠٠
في سبيل الله والحق	» محمد سعيد رمضان البوطي	٢٥٠
تجربة التربية الاسلامية	» » » » »	٢٠٠
المذهب الاقتصادي بين الشيوعية والاسلام	» » » » »	٢٠٠
دفاع عن الاسلام والتاريخ	» » » » »	٣٠
معلم الصحافة والانشاء	» محمد خير الدرع	٣٠٠
المعلومات الزراعية ١ ـ ٢	» عبد المنعم عصفور	٥٠٠
اصول اللغة الالمانية	» قاسم احمد	٢٠٠
الدروس الخصوصية في اللغة الافرنسية	» علي حسين الاسعد	٢٠٠
التربية وعلم النفس	» اديب اليوسف	٥٠٠
التربية وسيكلوجيا الطفل	ترجمة الاستاذ اديب اليوسف	٥٠٠
السلم المعياري التربوي	الدكتور محمد خير عرقسوسي	١٥٠
قصص المطالعة للأطفال (٥) اعداد	فئة من اساتذة التربية	٢٥٠
اطلس بلاد العرب	الاستاذ غسان مراد	٢٠٠
الطرق الهندسية لرسم خرائط :		
أ ـ البلاد العربية	» » »	٥٠
ب ـ البلاد العربية والدول العظمى	» » »	٧٥
شرح المعلقات السبع للزوزني . دراسة وتعليق الاستاذ محمد علي حمد الله		٥٠٠
كليلة ودمنة لابن المقفع . مشكول ومصور بالالوان . شرح وتقديم الاستاذ محمد خير الدرع		٥٠٠

المطبعة التعاونية

١٣٨٣ - ١٩٦٣

DATE DUE

FEB 16 2004 AUG 04 2008

OCT 21 2003

FEB 26 2009

GAYLORD PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0039189570

893.4B47
01313

09526161
893.4847
01313 C1

AUG 2 7 1964